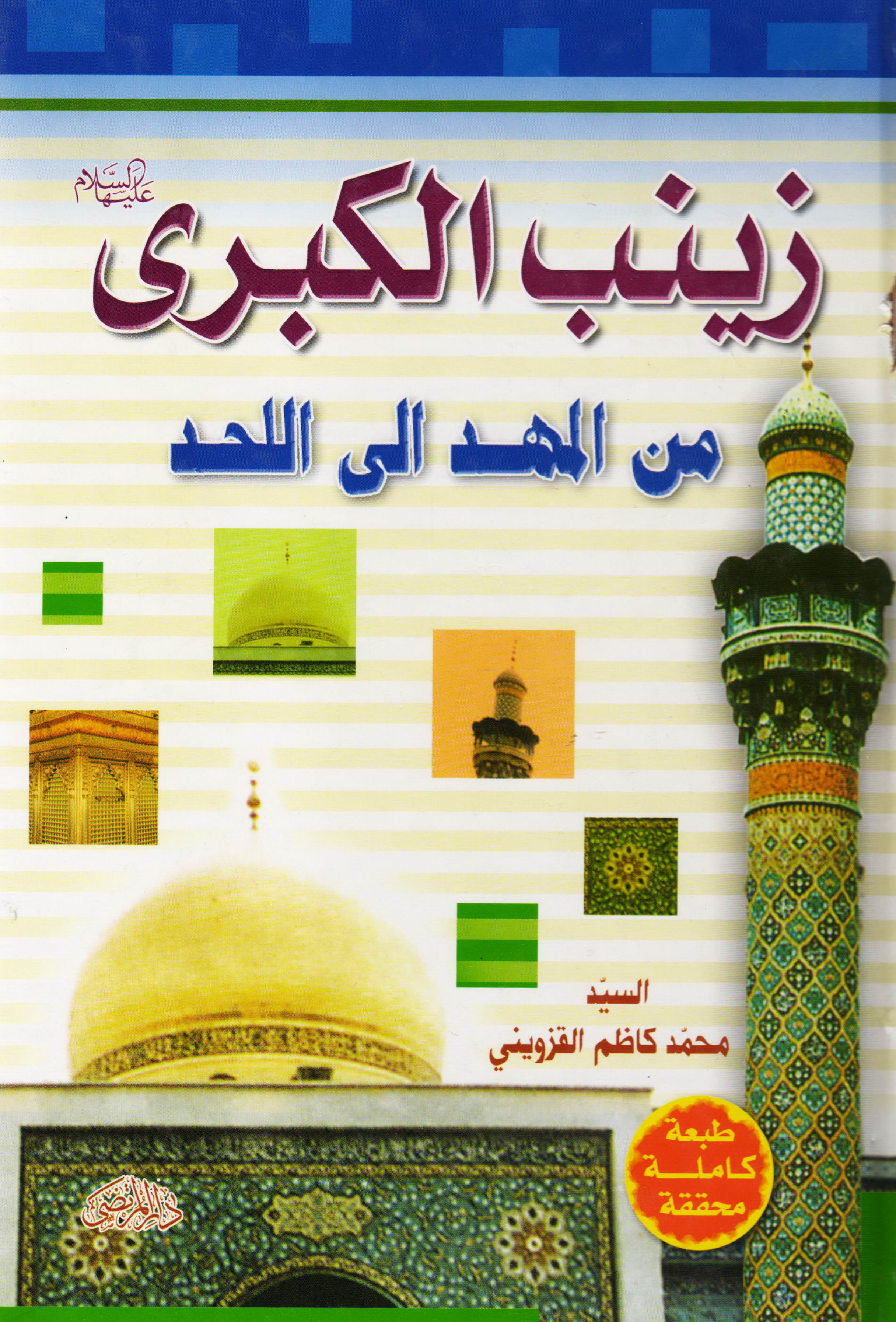

زينب الكبرى
عليها السلام
من المهد الى اللحد
السيّد
محمّد كاظم القزويني
طبعة
كاملة
محققة
دار المرتضى

زينب الكبرى عليها السلام

من المهد إلى اللحد



زينب الكبرى عليها السلام

من المهد إلى اللحد

بقلم المرحوم
السيّد محمد كاظم القزويني

حققه وعلقَ عليه ولده
السيد مصطفى القزويني

دار المرتضى
بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربّ العالَمين، والصلاة والسلام علىٰ أفضل الخَلْق أجمعين، سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، ولعنة اللّه علىٰ أعدائهم لعنةً دائمة إلى يوم الدين.

وبعد . .

السيّدة زينب الكبرىٰ: ثاني أعظم سيّدة في سيّدات أهل البيت المُحمّدي، كانت حياتها تَزدحم بالفضائل والمكرُمات، وتَموج بِمُوجِبات العظمة والجلالة، والقداسة والروحانيّة، وتَتَراكم فيها الطاقات والكفاءات والقابليّات، ومُقوّمات الرُقي والتفَوّق.

مِن هنا . . فكلُّ صفحةٍ مِن صفحات حياتها المُشرِقة جَديرة بالدراسة والتحقيق، فمِن ناحيةٍ تُعتبر القراءة في مَلَف حياتها نوعاً مِن أفضل أنواع العبادة وسُبُل التقرّب إلى اللّه سبحانه، لأنّها

إطّلاع علىٰ حياة سادات أولياء اللّه تعالىٰ.

ومِن ناحية أخرىٰ: التدبّر في اللَقْطات التاريخيّة التي وَصلتْ إلينا عن حياة هذه السيّدة يُعطي الانسانَ دروساً مفيدة تَنفعه في كثير مِن مَجالات حياته.

يُضاف إلى ذلك: انّ التاليف عن حياتها المتلألأة يُعتبر مُحاولة لإعطاء صورة واضحة عن خير قُدوةٍ للنساء المؤمنات، بل خير مُقتدىٰ لكلّ امرأة تَبحث عن السعادة في الحياة، والفَوز بجَنّةٍ عرضُها السماوات والأرض.

وكم هو جيّدٌ وجميل أن نَقرأ حياة هذه السيّدة العظيمة في كتابٍ خُطّ بقلم واحدٍ مِن المع المُتألّقين في سماء الخِطابة والتأليف، ورجلٍ شجاع مِن أبرز المجاهدين ـ في سبيل اللّه ـ بلسانه وقلمه، الا وهو العلاّمة الكبير، والخطيبُ البارع: السيّد محمّد كاظم القزويني، رضوان اللّه عليه.

إنّ طبيعة كون العلاّمة القزويني خطيباً حُسينياً مُميَّزاً، ومُحاضِراً اجتماعياً قديراً، كانتْ تَجعَلُه يَتوصّل إلى كثير مِن النتائج النافعة في مَجال دراسة حياة السيّدة زينب الكبرىٰ عليها السلام.

ولعلّ أولَ مرّةٍ انقَدَحتْ في ذهنه فِكرة التاليف عن حياة السيّدة زينب، هو يوم كان مشغولاً بتاليف كتابه عن حياة سيّدة نساء العالَمين الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، سنة

١٣٩٦هـ، لكنَّ العَوائق كانتْ تَحولُ بَينه وبين تطبيق الفِكرة وتحقيق تلك الأُمنية.

وإلى أنْ عَزم علىٰ الكتابة، وبَدأ بالتأليف عن حياة السيّدة، في سنة ١٤٠٩هـ.

لقد كان العلاّمة القزويني يُحاول ـ بكلّ جِدّ ـ جَمْع مَواد تاريخيّة كافية عن مرحلة ماقبلَ فاجعة كربلاء في حياة السيّدة زينب، وتَسليط الأضواء الكشّافة علىٰ جوانب تلك المَرحلة، وتناولها بلَمسات تحليليَّة، فلقد عاشت السيّدة ـ قبل الفاجعة العظمىٰ ـ حوالي سِتّاً وخمسين سنة، وكانتْ حياتها مَليئة بالحوادث والوقائع والمُستجدّات، وكان لها دور مُهم في جميع تلك الحوادث، فقد كانت قويّة الشخصيّة، وسيّدة مَواقف، وصاحبة كلمة، وزعيمة دور قيادي لنساء أهل البيت. . بل للنساء المؤمنات جَمعاء.

لكن . .

لكن ماذا عن حياتها يومَ كانت طفلةً في عُمْر الزهور وفَقَدتْ أُمَّها الزهراء؟!

وماذا عن حياتها يومَ كانت بنتاً في دار أبيها؟!

وماذا عن حياتها حين كانت سَنَداً وظَهْراً لِوالدها وأخَويها؟!

وماذا مِن عيّنات ومعلومات عن حياتها الزوجيّة؟!

وماذا كانتْ مَناهجُها في تربية أطفالها وثَمرات فؤادها؟!

وماذا كان سِرُّ نجاحها في إدارة بَيتها العائلي؟!

وما هي تفاصيل دورها القيادي والإصلاحي في التَوجيه النسَوي؟

وماذا عن دروسها ومُحاضراتها التي كانت تُلقيها علىٰ نساء الكوفة مُدّةَ أربع سنوات؟

وكيف استطاعت أنْ تَجمَع بينَ الحجاب والثقافة، والعِفّة والتعليم، والدين والحضارة، والمَنزل والمُجتمع؟؟!

وماذا عن جانب العبادة، والزُهد، والسَخاء، وحُبّ الخير للآخرين.. في حياتها؟؟!

وماذا عن العلوم التي وَصَلتْ إليهامباشرةً.. ودون التعلُّم مِن أحَد؟!!

وما هي ـ بالضبط ـ مُميّزاتها الفريدة التي جعلَتْها ـ بجدارة ـ ثاني أعظم سيّدة في نساء أهل البيت.. بل في سيّدات تاريخ البشر؟

وما هي مُواصفاتها النَفسيّة النادرة التي أهّلتْها أن تَبقىٰ كوكباً مُضيئاً يُحلِّق في سماء المَجْد والخُلود؟ ويَظلّ إسمُها لامعاً ـإلى جَنب إسم أخيها الإمام الحسينـ رَمْزاً لخير مَن نَصَر الدين، وصَرَخَ في وجْه الظالمين؟!

وما هي الصورة الواضحة التي أعطتْها السيّدة زينب عن المرأة المؤمنة المثاليّة؟!

وماذا . . وماذا . . ؟؟

أجل . .

كان العلاّمة القزويني يَبذل قُصارىٰ جُهده في جَمْع المواد التاريخيّة عن حياة هذه السيّدة العظيمة، لكنّه ـ مع الأسَف ـ أُصيبَ بمَرض عضال، وصار المرضُ يَنخَر في جسمه بسرعة، ويَجعل سَيرَ التأليف بَطيئاً، حتّىٰ أودىٰ به إلى الوفاة، قبل إكمال بعض فصول هذا الكتاب.

وقد كتَبَ بعضَ صفحات هذا الكتاب علىٰ سرير «مستشفىٰ ابن سينا» في الكويت، حيث كان راقداً هناك لإجراء بعض الفحوصات الطبيّة ومحاولة إكتشاف علاج لِمرضه.

وقد كانت رغبتُه لإنجاز وإكمال هذا الكتاب شديدة ومُلحّة، لأسباب مُتعدّدة، منها:

١ ـ انه رأىٰ في المنام رُؤياً شجّعَتْه علىٰ مواصلة هذا التأليف.

٢ ـ لإحتمال وفاته بِسَبَب المرض الّذي أصابه.

أمّا الرؤيا، فإنه ـ في أثناء تأليف الكتاب وبعد فراغه مِن كتابة فصل (مروان يَخطب بنتَ السيّدة زينب ليزيد بن معاوية) ـ رأىٰ في المنام المجتهد الفقيه آية اللّه السيد حسين القُمّي ـ المتوفّىٰ سنة

١٣٦٧هـ قد أقبل إليه واعتنقَه معانقة حارّة، وقال له ـ بصيغة الدعاء: «قَبَّلَ اللّهُ يَدَكَ»، أو بصيغة الإخبار ـ: «إنَّ اللّه تعالىٰ يُقبّل يدَكَ»!

واستيقظ السيّد المؤلّف مِن نومه، وصار يُفكّر ـ طويلاً ـ في تفسير رؤياه حيث اعتبرَها رؤيا مهمّة، ورغم أنه كانت لديه معلومات واسعة وخِبرة جيّدة في علْم تفسير الأحلام إلاّ أنه استَفسَر عن تعبير رؤياه مِن أحد العلماء المُتخصّصين في تعبير المنام.

فقال له العالم: هل قمتَ بخدمة لواحدة مِن أقرباء الامام الحسين (عليه‌السلام) مثْل: زوجته أو أُخته؟

فقال السيّد: نعم، أنا مشغول بتأليف كُتيّب حول السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام).

فقال العالم: إنّ خِدمتك نالتْ رضىٰ الإمام الحسين (عليه‌السلام) وتفسير كلمة «إنّ اللّه يُقبّل يدك» هو: أنّ اللّه تعالىٰ قد تَقبَّلَ منك ماكتبتَه.

* * * *

وحين تأليفه لهذا الكتاب كان يَطلب منّي أن أصطحب معي ماكتَبَه إلى داري، لأُلقي نظْرة فاحصة علىٰ الكتاب، وأُبدي بعضَ الملاحظات أو الإقتراحات.

وبعد وفاته (رحمة اللّه عليه) رأيتُ القيام ببعض اللَمسات

التكميليّة علىٰ الكتاب، مع الانتباه إلى بعض الصلاحيّات التي مَنحَها لي في السنوات الأخيرة مِن حياته.

رأيتُ القيام بهذا الأمر لِسَبَبين:

الأول ـ وهو السبب الرئيسي ـ: القيام بخدمة مُتواضعة لسيّدتي ومولاتي زينب الكُبرىٰ عليها السلام.

الثاني: بَرّاً منّي بوالدي رحمة اللّه عليه.

* * * *

وأودّ جَلب إنتباه القارىء الكريم إلى عِدّة نقاط:

الأُولىٰ: لقد حاولتُ ـ قَدْر الإمكان ـ أن أجعل فاصلاً مميِّزاً بين الكتاب والإضافات التي هي منّي، فجعلتُ الإضافات في الهامش، وكتبتُ في نهايتها: «المُحقِّق».

وهذا ما سيَشْعر به القُرّاء الكرام الذين تَعوّدوا علىٰ نكْهة قلَم السيّد الوالد.

النقطة الثانية: إن الفصل الأخير مِن هذا الكتاب ـ بكامله ـ هو مِن إضافاتي، لكنّي حاولتُ ـ غالباً ـ ذكْر الأشعار التي كنتُ أعلم إعجابَ الوالد بها.

النقطة الثالثة: كان عَمَلي ـ في إعداد الكتاب ـ: عبارة عن مراجعة الكتاب مِن أوّله إلى آخره، وضبْط نصوصه، وذِكْر مَصادره، وشرح بعض الكلمات

الغامضة بعد مراجعة كتُب اللغة.

النقطة الرابعة: بما أنّ هناك اختلافاً في أرقام صفحات وأجزاء المصادر، لِتعدُّد طبعات بعض الكتُب، فقد ذكرْنا في نهاية الكتاب قائمة بأسماء المصادر الرئيسيّة، لبيان الإسم الكامل للكتاب والمؤلّف، وذِكْر سنة ومَحلّ طبْع الكتاب، تَسهيلاً للقارىء الكريم.

مؤلّف الكتاب

والآن . . إليك لمحة خاطفة وسريعة جداً عن حياة مؤلّف هذا الكتاب: العلاّمة القزويني:

هو السيّد محمّد كاظم بن المجتهِد الفَقيه آية اللّه السيّد محمّد إبراهيم بن العالم الكبير المَرجع الديني في عَصْره: آية اللّه السيّد محمّد هاشم الموسوي القزويني.

وُلدَ في مدينة كربلاء المقدّسة، سنة ١٣٤٨هـ، وهو يَنحدر مِن أُسرة تَموج بالفُقَهاء والعلماء، والخطباء والشعراء، ورجال الفكر والأدَب والقَلَم، وتُعتبر أُسرتُه مِن أشرف الأُسَر والعشائر التي سَكنتْ أرضَ كربلاء منذ أكثر مِن مائتين وخمسين سنة.

وقد شاءتْ المُقدّرات الإلهيّة أن يكون السيّد المؤلّف وحيدَ أبويه، فقد كان الموت قد اغتالَ ـ قبل ذلك ـ جميع إخوته وأخواته، البالغ عددهم ثلاثة عشر ولداً.. مابين وَلَد وبنت، وكان جميعُهم بَراعم في عُمر الصِبىٰ والطفولة.

ثمّ وجَّهَت الحوادث سِهامَها إليه منذ عُمر الطفولة، ففُجِعَ بوفاة والدته الحنونة وعمرُه عشر سنوات، فصار الطفل المدلَّل لوالده، وبَلَغ الثانية عشرة من عمره، فمات والدُه، وبعد ذلك تَعرَّضَ لظروف قاسية عصَفتْ بحياته مِن كلّ جانب، لكن نِسْبة «الثقة بالنفْس» و«التوكُّل علىٰ اللّه تعالىٰ» كانت قويّة في نفسيّته، فجعلتْه صامداً أمام تلك الأعاصير!

أكملَ دراستَه الدينيّة في الحوزة العِلْميّة في مدينة كربلاء المقدّسة، حتى بَلَغ درجة عالية من العِلْم والثقافة، وتَخصّص في الخطابة والمنبر فكان مِن أبرز الخطباء في عصْره.

كانت له مُحاضرات دينيّة مُركّزة في ليالي شهر رمضان المبارك، وكانتْ مَجالسه تَمتاز بكونها تربويّة وتوجيهيّة.. وليست تاريخيّة بَحْتة، وامتازت ـ أيضاً ـ بأنّ غالبيّة الحضور ـ في مُحاضراته ـ كانوا من الشباب والطبَقة المُثقّفة الواعية.

وقد رَبّىٰ العلاّمة القزويني عدداً كبيراً وجيلاً مُميَّزاً مِن خطباء المنبر الحسيني، هم اليوم مِن أبرز وأشهَر خطباء العالَم الإسلامي الشيعي في عصْرنا الحاضر.

في سنة ١٣٨٠هـ أسَّسَ مؤسّسة دينيّة باسم (رابطة النشر الإسلامي) كان هدفُها تزويد مُسلمي العالَم بالكتُب التي تتحدّث عن مذهب أهل البيت، مَجّاناً وبلا ثَمَن، وكان نشاط هذه المؤسّسة مُركّزاً في البداية علىٰ بلاد المغرب العربي، ثمّ شَمل الجزائر وليبيا وتونس، وبعضَ الدول الإفريقيّة كالسنغال ونيجيريا.

واستطاع السيّد القزويني ـ عن طريق هذه المؤسّسة ـ أنْ يُنبّه كثيراً مِن المغاربة المُغفّلين الذين كانوا يَتخذون (يوم عاشوراء) يومَ عيدٍ وسُرور وأفراح وأعراس، علىٰ طريقة بَني أميّة.

فقد كان يوم العاشر مِن المُحرَّم أكبر عيد شَعْبي في بلاد المغرب، وكان يُعرَف باسم (عيد عاشوراء) فسافر السيّد القزويني إلى تلك البلاد سنة ١٣٨٨هـ، ونَشَر مقالة ناريَّة مُلْتهِبة في صحيفة «العَلَم» المَغربيَّة قبلَ يوم عاشوراء باسبوعين، نَدَّد فيها المغاربة عن اتّخاذ يومَ حُزن آلِ الرسول يومَ عيد وفَرَح، واعتَبَرذلك تحدّياً سافراً وحَرباً ضدّ النبي الكريم، وأنذَرَهم الأخطار الكبيرة الناتجة عن هذا المَوقف المُخزي تجاه أُسرة رسول اللّه الطيّبة الطاهرة المُطهَّرة!

فاستولىٰ الخوف والفَزَع علىٰ المَغاربة، في تلك السنة التي نُشرتْ فيها المقالة، وهكذا تَمّ إلغاء ذلك اليوم عن كونه عيداً، وصار كبقيَّة أيّام السَنَة بلا أفراح ولا تهاني.

وهذا موقفٌ مُشرق دَلَّ علىٰ كفاءة السيّد القزويني ونجاح

خُطّته الحكيمة.

واستطاعت هذه المؤسّسة ـ رغم ضَعْف ميزانيّتها ـ أن تَنشُر أكثر مِن مليوني كتاب خلال عشرين سنة.

أمّا عن الجهاد بالقلم، فقد بَدأ العلاّمة القزويني بكتابة المقالات وتاليف الكتُب في مرحلة مُبكّرة مِن شبابه، وكان مِن أبرز مؤلّفاته: «شرح نهج البلاغة»، وسلسلة كُتُب عن حياة أهل البيت المَعصومين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) تحت عنوان: «... مِن المهد إلى اللحْد» فأكملَ منها عن حياة سِتّة مِن المَعصومين، وأخيراً بَدأ بتأليف موسوعة كبيرة وفريدة عن حياة الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة والسلام) في حوالي خمسين مجلّداً، ويُعتبر هذا المشروع الضخم مِن أوسع ما قَدّمه مِن عطاء خالد.

ومِن النقاط اللامعة في حياة العلاّمة القزويني: هو أنّه قامَ برِحْلة تبليغيّة إلى قارة أُستراليا عام ١٣٩٨هـ، لإيصال صوت الإسلام وأهل البيت (عليهم السلام) إلى المسلمين الشيعة هناك، وقد كانوا يَرزَحون تحتَ وَطأة الفقر الثقافي والإيماني وغياب الوعي الديني، ومُضاعفات الإغتراب والإبتعاد عن الأوساط الإسلاميّة.

وفي مدينة «سيدني» أسَّسَ مسجداً ضخماً باسم (مسجد فاطمة الزهراء عليها السلام) وألقىٰ عشَرات المحاضرات الدينيّة المركَّزة الهادفة خلال سَفرته التي استغرقتْ أكثر من شهر، وكان بمنزلة الفاتح العظيم الذي يَدخل تلك البلاد النائية، ويُحدِثُ تحوّلاً مُهمّاً

في نفوس وأرواح أُولئك الأفراد، ويُعيد إليهم روح الإيمان والإلتزام بمَبادىء الدين الحنيف، والإعتزاز والإفتخار بالمذهب الحقّ: «مذهب أهل البيت عليهم السلام».

* * * *

سَكنَ في وَطنه (مدينة كربلاء المقدّسة) حوالي ستاً واربعين سنة، ثمّ هاجر مِن العراق إلى الكويت سنة ١٣٩٤هـ، وبقيَ فيها حوالي ست سنوات، قامَ خلالها بنشاط ديني واسع ومُكثّف، وتربية جيل مؤمن مِن الشباب. ثمّ هاجَرَ مِن الكويت إلى ايران عام ١٤٠٠هـ، وسَكنَ في مدينة قم المقدّسة، فاستمرّ في العطاء عَبر المنبر والقلَم، فكان خيرَ مُعلّم ومُربٍّ وخيرَ ناعٍ لسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

قبلَ وفاته بسنتين ونصف تقريباً أُصيبَ بمرض بَدأ يُتلف -بالتدريج- إثنين مِن أعصاب المُخ، وهما المَسؤولانِ عن الحركة الإراديّة لِتحريك اللسان للتكلُّم والتلفّظ، ولقوّة ابتلاع الطعام، وأخيراً أودىٰ به المَرضُ إلى الوفاة، بعد مُعاناة مَريرة في الأشهر الأخيرة مِن حياته.

فارقَ الحياة وانتقلَ إلى رحمة اللّه تعالىٰ، يوم الخميس ١٣/ جمادىٰ الثانية / ١٤١٥هـ، رضوان اللّه عليه.

وجَرىٰ لجنازته تَشييع عظيم في مدينة قم المُقدّسة، اشترك فيه مُختلَفُ طبَقات المجتمع، ومِن كافّة

الجِنْسيّات.

تَركَ مِن بعده: ثلاث بنات وخمسة بنين، تَخصّصَ إثنان منهم في الخطابة والتأليف، وتَفرَّغَ ثلاثة منهم للفقه والإجتهاد.

وخِتاماً.. لا يَفوتني أنْ أشكر اللّه تعالىٰ أوّلاً وقبلَ كلِّ أحد علىٰ أنْ وفّقَني لتحقيق وإخراج هذا الكتاب، ثمّ أشكر كلَّ مَن كانت له مُساهمة أو تعاون في هذا المَجال، وأخصّ منهم بالذِكْر سماحة الخطيب البارع المُخلِص الشيخ علي أكبر القحطاني، حيث زَوّدَنا بكلِّ ما في مكتبته العامِرة من كُتُب ومؤلّفات حولَ السيّدة زينب الكبرىٰ عليها السلام.

مصطفى بن محمد كاظم القزويني

٩/ ١٢/ ١٤٢٠هـ

قم ـ ايران

زينبُ الكُبرىٰ عليها السلام

مِـن المهْـد إلـى اللحْـد

بقلم المرحوم

السيّد محمد كاظم القزويني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إليك يا سيّدنا ومولانا
يا سيّد الشهداء وسبط رسول اللّه
يا أباعبداللّه الحسين.

إليك أُهدي هذه الصحائف التي تتحدَّث عن رَضيعتك في المَواهِب، وشقيقتك في العظمة، وزَميلتِك في الجهاد، وشريكتِك في المَصائب: السيّدة زينب الكُبرىٰ.

عليكَ وعليها وعلىٰ جَدِّكما وأبيكما وأُمِّكما وأخيكما ـ الإمام الحسن ـ آلاف التحيَّة والثناء والسلام.

فهلْ تَتفضَّل عليَّ بقبول هذه الخِدمة الضئيلة؟

محمّد كاظم القزويني

مدينة قم ـ ايران

سنة ١٤٠٩ هـ

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه كما هو اهلُه، والصلاة والسلام علىٰ خير خَلْقه، واشرف بريَّته: محمّد وآله الطاهرين، الذين اذهبَ اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.

وبعد، يوجد في تاريخ البشر عدد كبير من الرجال وعدد مِن النساء الذين نَبغوا نبوغاً في شتّىٰ الفنون والعلوم، فطارَ صِيتهم في العالَم، وكان نصيبهم مِن المُجتمعات البشريَّة كلَّ إعجابٍ وتقدير، وإكبارٍ وتجليل، لأنهم امتازوا عن غيرهم بشتّىٰ المَزايا.

وكلّ إنسانٍ إمتاز بمزيَّة او بمزايا فمِن الطبيعي ان يُفضَّل علىٰ غيره مِن فاقِدي تلك المزايا.

وقد كان أولياءُ اللّه في طليعة النابغين، لِتعدّد جوانب النبوغ فيهم.

والبيتُ النبَوي الطاهر الشريف يَضمّ رجالات وسيّدات كانوا العناوين البارزة في صحيفة الإيجاد والتكوين، وفي طليعة العظماء الذين مِن المُستحيل أن يَجود الدهرُ بأمثالهم.

ونحن نُريد أن نَتحدَّث ـ في هذا الكتاب ـ عن حياة سيّدةٍ كانت تعيش قبلَ ثلاثة عشَر قَرناً ونصف قرن، وقد امتازتْ حياتها ـ بجميع جوانبها ـ عن حياة غيرها من سيّدات التاريخ.

إنّها السيّدة زينب الكبرىٰ بنت الإمام علي أمير المؤمنين عليهما السلام.

إنّها نادرة مِن نوادر الكون، وآية إبداع في خَلْق اللّه تعالىٰ، ومُلتقىٰ آيات العظمة، ومَفخَرة التاريخ.

ونحن إذا استَقرأنا أسبابَ العظمة وموجبات الشرف في تاريخ البشر ـ علىٰ اختلاف أنواعها وأقسامها ـ نَجد كلَّها أو جُلَّها مُجتمعة ومُتوفّرة في السيّدة زينب الكبرىٰ.

فإذا تحدَّثنا عن السيّدة زينب علىٰ صعيد قانون الوراثة، فإنّنا نجدها مُطوَّقة بهالات مِن الشرَف.. كلّ الشرف.

شَرف لم تَسبقها اليه أُنثىٰ سوىٰ أُمّها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولم يَلحقها لاحق، ولا يَطمع في إدراكه طامع، فهي البنت الكبرىٰ للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك المَولىٰ الذي يُعتبر ثاني أعظم رجل في عالَم الكون والوجود،

فهو أشرف مَن أظلّت عليه الخَضراء، وأقلّته الغَبراء بعد شخصيَّة الرسول الأقدس صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

وأمّها: السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي سيّدة نساء العالَمين، وأفضل وأشرف أُنثىٰ في عالَم النساء.

فما تقول في هذه الأُمّ التي أنجَبتْ وأرضعتْ بنتاً إمتازت بالنُضج المُبكِّر، وارتضعت المَواهب والفضائل مِن صدر أشرف أُمَّهات العالَمين؟! وكبُرتْ ونَمَتْ في حِجْر بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وعزيزته وحبيبته؟!

فالسيّدة زينب حَصيلة أبوين، كانت حياةُ كلٍّ واحدٍ منهما مُشْرقةً بالمزايا والمكرُمات، وكلّ صفحة منها تفتح للانسان آفاقاً واسعة يَطيرُ الفِكرُ في أرجائها، وتَسبَحُ كواكبُ الفضائل في فَضائها.

أجَل!

إنّها زينب.

وما أدراك مَن زينب!

هي زينبٌ بنتُ النبيِّ المُؤْتمَن

هي زينبٌ أُمُّ المصائب والمِحَن

هي بنتُ حيدرة الوصيّ وفاطمٍ

وهي الشقيقةُ للحسين و للحسن[١]

ثمّ.. أليسَ النَسَب الرفيع مِن اسباب العظمة؟!

أوَ ليسَ العِلْم الغزير ـ بما فيه الفصاحة والبلاغة ـ مِن موجِبات الشَرَف؟!

أوَ ليس الصبْر علىٰ المكاره والفجائع الدامية والحوادث المُذهِلة فضيلة؟!

أوَ ليست الشجاعة ومواجهة العدو الشَرِس، المُتجبّر الطاغي السَفّاك، تَدلّ علىٰ قوّة القلب، وثَبات القَدم، والإيمان الصادق، والعقيدة الراسخة؟!

أوَ ليست صفة الوفاء والعاطفة والشَفَقة والحياء والعِفّة، في طليعة الفضائل؟!

فما تَقول لو أنّ هذه الصفات وغيرها مِن مكارم الأخلاق إجتمعتْ ـ بصورة وافرة ـ في سيّدة؟!

ألا تُعتبر تلك السيّدة نادرة الكون ومَفخَرة التاريخ؟!

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن بعض جوانب العظمة في

---

(١) نُنبّه القارىء الكريم إلى انّ هذين البيتين هي مِن نَظْم السيّد المؤلّف (رحمة اللّه عليه). المُحقّق

السيّدة زينب الكبرىٰ نقول:

كيف يمكن لَنا الإحاطة بحياة سيّدةٍ قَضتْ مُعظَم حياتها في الخِدْر، ووَراء السِتر، ولم يَطّلع علىٰ حياتها العائليّة إلّا أهلُها وذَووها؟

والرزيّة كلّ الرزيّة: انّ التاريخ قد ظلَمها كما ظَلَمها الناس. التاريخ ظَلمها كما ظَلمَ اباها وإخوتَها وأُسرتَها الطاهرة، ولم يَعبأ المؤرِّخون بترجمة حياتها كما ينبغي، وكما تتطلّبه هذه الشخصيّة.

ورَغمَ كلّ ذلك، راينا انْ نَجمعَ بعضَ ما وصَلَ إلينا مِن مَعلومات وعَيّنات تاريخيّة حولَها، ونُسلِّط الأضواء علىٰ بعض جوانب حياتها الشريفة، ونَسال اللّهَ العليَّ القدير انْ يوفّقنا لِتحقيق هذا الهَدَف، إنّه وليّ التوفيق.

المؤلّف



الفصل الأول

- تاريخ ميلاد السيّدة زينب
- ولادة السيّدة زينب
- إسمها وكُنْيَتها

تاريخ ميلاد السيّدة زينب

في غضون السَّنة السادسة مِن الهجرة استقبلَ البيتُ العَلَوي الفاطمي الطاهر ـ بكلّ فرح وسرور، وغبطة وحُبور ـ الطفلَ الثالث مِن أطفالهم، وهي البنت الأُولىٰ للإمام أميرالمؤمنين والسيّدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

ففي اليوم الخامس من شهر جمادىٰ الأُولىٰ وُلدت السيّدة زينب،[1] وفتحت عينَيها في وجْه الحياة، في دارٍ يُشرف عليها ثلاثة هم أطهر خلْق اللّه تعالىٰ: محمّد رسول اللّه، وعلي أميرالمؤمنين، وفاطمة سيّدة نساء العالَمين، صلّىٰ اللّه عليهم أجمعين.

هذا هو القول المشهور بين الشيعة ـ حاليّاً ـ وهناك اقوال

---

(١) المصدر: زينب الكبرىٰ، للعلاّمة الشيخ جعفر النَقْدي ـ رضوان اللّه عليه، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٠ هـ ـ ص ١٧، باب إسمها وتاريخ ولادتها.

تاريخيّـة أُخـرىٰ في تَحديد يوم وعام ميلادها المُبارك.[1]

ويَجدرُ ـ هنا ـ أن نُـشير إلى جريمة تاريخيَّة ارتكبَـها عُـملاءُ الأمويّين وأُعجبَ بها المُنحرفون الذين وَجَدوا هذه الجريمة ـ أو الأُكذوبة التاريخية ـ تُلائم شذوذهم الفِكْري، وانحرافهم العقائدي.

فقد ذكرت الكاتبة المِصريَّة بنت الشاطىء في كتابها «بطلة كربلاء» ما نَصـّه:

«إنّها الزهراء بنت النبيّ، توشك أن تضَع في بيت النبوّة مولوداً جديداً، بعد أن أقرَّت عينَي الرسول بسبطيه الحبيبين: الحسن والحسين، وثالثٍ لم يُقدّر اللّه له أن يعيش، هو المُحسن بن علي....»[2]

مِن الثابت أنّ المُحسن بن الإمام علي هو الطفل الخامس لاالثالث، وهو الذي قُتلَ وهو جَنين في بطن أُمِّه بعد أن عصَروا السيّدة فاطمة الزهراء بين حائط بيتها والباب، وبسبَب الضرْب المُبَرِّح الذي أصابَ جسمَها وكان السببَ في سقوط الجنين.

ولكنّ هذه الكاتبة المصريّة تَستعمل المُغالطة والتَزوير، وتُحاول إحقاق الباطل وإبطال الحقّ وتقول: إنّ السيّدة زينب

---

(١) لمعرفة تفاصيل ذلك يُمكن لك مراجعة كتاب (زينب الكبرىٰ) للنقدي ص ١٧، وكتاب (رياحين الشريعة) للمَحلاتي ج٣ ص٣٣. المُحقّق

(٢) كتاب (بطلة كربلاء) لعائشة بنت الشاطىء، ص ١٦.

وُلدت بعد المحسن بن علي الذي لم يُقدَّر له أن يعيش!

فانظرْ كيف تُحاول بنتُ الشاطيء تغطية الجنايات التي قام بها بعضُ الناس بعد وفاة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) واقتحامهم بيت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لإخراج الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لِيُبايع خليفتَهم، ودفاع السيّدة فاطمة عن زوجها، وعدم السماح لهم باقتحام دارها، وماجرىٰ عليها مِن الضَرْب والرَّكْل والضغط، فكانت النتيجة سقوط جنينها الذي سَمّاه رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في حياته ـ مُحْسِناً، وهو ـ يومذاك ـ جنين في بطن أمّه!!

وقد ذكرنا بعضَ ما يتعلّق بتلك المأساة في كتابنا: (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد).



ولادة السيِّدة زينب

ولمّا وُلدت السيّدة زينب (عليها السلام) أخبرَ النبيّ الكريم بذلك، فاتىٰ منزلَ إبنته فاطمة، وقال: يا بُنيَّة إيتيني ببنتكِ المَولودة.

فلمّا احضرتْها اخذَها النبيُّ وضمَّها إلى صدره الشريف، ووضَعَ خدَّه علىٰ خدّها فبكىٰ بكاءً شديداً عالياً، وسالتْ دموعه علىٰ خدّيه.

فقالت فاطمة: مِمَّ بكاؤك، لا ابكىٰ اللّه عينك يا ابتاه؟

فقال: يا بنتاه يا فاطمة، إنَّ هذه البنت ستُبتلىٰ بِبَلايا وتَرِدُ عليها مَصائب شتّىٰ، ورَزايا ادهىٰ.

يا بَضعتي وقُرَّة عيني، إنَّ مَن بكىٰ عليها، وعلىٰ مصائبها يكون ثوابُه كثواب مَن بكىٰ علىٰ اخويها.

ثـمّ سمّـاها زيـنـب .(١)

---

(١) ناسخ التـواريـخ ، المـجلّد الـخاص بحيـاة السيّـدة زيـنب ، الـمُسمّـىٰ بـ(الطراز الـمُـذهَّب في احوال سيّدتـنـا زينب) .

وجاء في هذا المصدر ـ ايضاً ـ : لمّا وُلدت السيّـدة زينب ، مَـضىٰ عليها عِـدّة ايّام ولم يُعـيّن لها إسم .

فسـالتْ السيّـدة فـاطمة مِن الإمـام اميـرالمـؤمنين (عليـهـمـا السلام) عن سبـب التاخيـر في الـتـسـميـة؟

فاجاب الإمام : انّـه يَـنـتـظر ان يَختار النبيُّ الكريم لها إسماً .

فاقبلت السيّـدة فـاطمة بـبـنـتـها إلى النبـي (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) واخبرتْـه بذلـك .

فـهَـبَـط الأمين جبـرئيل وقـال : يـارسـول اللّه إنّ ربّـك يُـقـرئك السلام ويقـول : ياحبـيـبـي إجعلْ اسمَـها زينب .

ثمّ بكىٰ جبرئيل ، فساله النبي عن سبـب بكائـه؟

فـقـال : إنّ حياة هذه البنت سوف تكون مَـقرونة بالـمَـصائب والـمَـتـاعب ، مِـن بِداية عُـمْـرها إلى وفاتـها .

إسمُها وكُنْيتُها

إسمُها: زينب

إنَّ الأسماء مُشْتقّة مِن المَصادر، والمصادر ـ طبعاً ـ لها معنىً ومفهوم، فما هو معنىٰ كلمة «زينب»؟

الجواب: هناك قولان في هذا المجال:

الأوّل: إنَّ «زينب» كلمة مُركَّبة مِن: «زَين» و«أب».[1]

الثاني: إنَّ «زينب» كلمة بسيطة وليست مُركَّبة، وهي إسمٌ لِشجرة أو وَرْدة.[2]

---

(١) كما احتَملَ ذلك الفيروزآبادي في كتابه «القاموس المحيط».

(٢) جاء في كتاب (لسان العرب): «الزَينب شَجَرٌ حَسَن المَنْظر، طيّب الرائحة، وبه سُمّيت المراة». وفي كتاب (لاروس): «الزَينب: نَبات عشْبي بصَليّ مُعمّر، مِن فَصيلة النرجسيّات، ازهاره جميلة بيضاء اللون فَوّاحة العَرْف».

←

وعلىٰ كلٍّ حال . . فلا خلاف في انّ هذا الإسم جميل وحسَن المعنىٰ . . علىٰ كلٍّ تقدير .

كُنيتُها: «أمّ كلثوم» و«أمّ الحسن»[١] .

يوجد ـ في كُتب التراجم ـ اضطراب شديد حول هذا الإسم وهذه الكُنية ، فالمَشهور انَّ السيَّدتين : زينب وأمَّ كلثوم بنتان للإمام اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب مِن السيِّدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام)[٢] .

← وفي كتاب (القاموس) : « ... او مِن الزَيـنب [إسم] لِشَجَر حَسَن المَنْظر طيّب الرائحة ، واحِدَتُه : زَيْنَبة ، قالَه ابن الأعرابي . او اصلُها زَيْنُ اب ، حُذفت الألف لِكثرة الإستعمال . المُحقّق

(١) كتاب (تُحفة العالم في شرح خُطبة المعالم) للسيد جعفر بحرالعلوم ، المتوفّىٰ سنة ١٣٧٧هـ .

(٢) لقد جاء التعبير عن السيّدة زينب الكُبرىٰ ـ في بعض كتُب الحديث والتاريخ ـ بكلمة «أمّ كلثوم» ، وهنا عدّة إحتمالات :

الإحتمال الأوّل : انّ هذا التعبير هو كُنْية لها .

الإحتمال الثاني : انّه إسم ثانٍ لها .

الإحتمال الثالث : انّه إشتباه وخطا مِن بعض المؤرّخين ، حيث انّهم عَبّروا عنها باسم أختها ، او بكُنية أختها .

الإحتمال الرابع : وجود سبب آخر خَفيَ علينا ، بسبب ظُلْم التاريخ لترجمة حياة اهل البيت . . رجالاً ونساءً . ←

وقد جاء التَعبير عن السيّدة زينب الكبرىٰ ـ في بعض الأقوال التاريخيَّة وعلىٰ لسان بعض الخطباء والمؤلّفين بـ«العَقيلة»، وهذا وَصْفٌ للسيّدة زينب وليس إسماً[1]، ونحن نَجد في كُتب

← ولكلّ واحدة مِن هذه الإحتمالات الاربعة قَرائن وشواهد تاريخيَّة، يَطول الكلام بذِكْرها، وهو خارج عن نطاق وإطار التعليق الهامشي، لكن الذي يَتبادر إلى الذهن بعد الدراسة الموضوعيّة ـ والله العالم ـ هو انّ اقوىٰ الإحتمالات: هو الإحتمال الأوّل، خاصةً وانّ شخصيّة البنت الثانية للإمام اميرالمؤمنين أحيطتْ بسحاب كثيف مِن الغموض والإبهام والتشويش، إلى درجة انّ بعضَ المُعاصرين اعطىٰ لنفسه الجُراة في ان يُنكر وجودَ بنتٍ ثانية للإمام مِن زوجته السيّدة فاطمة الزهراء.. يكون اسمها أمّ كلثوم!

وعلى كلّ حال.. فقد كان السيّد المؤلّف يَطمئن.. بل ويَقطع بانّ المقصود مِن «أمّ‌كلثوم» ـ في كثيرٍ مِن كتُب الحديث والتاريخ ـ هي السيّدة زينب الكبرىٰ، وهذا مانُلاحظه حين الإستماع إلى مجالسه ومحاضراته، المُسجَّلة على اشرطة الكاسيت، ونُلاحظه ـ ايضاً ـ حين التدقيق في فصل (حياة السيّدة زينب في عهد والدها الإمام اميرالمؤمنين عليهما السلام) ففي كثير من الفقرات التاريخيَّة المرتبطة بفاجعة مقتل الإمام علي اميرالمؤمنين يوجد التعبير بجُملة «تَقول أمّ‌كلثوم»، وقد فَهم المؤلّف انَّ المقصود ـ في اكثر تلك المقطوعات ـ هي السيّدة زينب الكُبرىٰ فذكرَ الكلام ونَسَبَه إلى السيّدة زينب سلام الله عليها.

ولعلّ التَتبّع في كُتُب الحديث والتاريخ يوصِل الإنسانَ إلى نتائج دقيقة تُزيح كثيراً مِن ستائر الإبهام والغموض حول هذا الإسم وهذه الكُنية. المُحقّق.

(١) ذكر ابوالفَرَج الإصفهاني ـ المتوفّىٰ سنة ٣٥٦هـ ـ في كتابه (مَقاتل الطالبيّين) صفحة ٦٠ طبع النجف الأشرف، عام ١٣٨٥هـ ـ في ترجمة عون بن عبدالله‌بن جعفر ـ مايلي: «أمُّه: زينب العقيلة، والعقيلة: هي التي رَوىٰ ابنُ عباس عنها كلامَ فاطمة في «فَدَك» فقال: حَدَّثَتْنا عقيلتُنا زينبُ بنت علي عليه السلام.

اللغة معاني عديدة لِكلمة «العَقيلة»، فمنها: المرأة الكَريمة، النَفيسَة، المُخدَّرة[١].

ومعنى الكريمة: المحترمة.

---

(١) كما في كتاب «لسان العَرب» لابن مَنظور.

وقال ابن منظور - ايضاً - : «عقيلةُ القوم: سيّدهم، وعقيلةُ كلِّ شيء: أكرمُه».

وقال ابن دُريد في «جَمهرة اللغة»: فلانة عقيلةُ قومها: اي: كريمَتُهم.

وقال ابن زكريّا في «مُجمَل اللغة» والجوهري في «صِحاح اللغة»: «العقيلةُ: كَريمة الحَيِّ من النساء».

وجاء في «المعجَم الوسيط»: «العقيلة: السيّدة المُخدّرة».

وجاء في «الموسوعة العربيّة في الألفاظ الضِدّية» للسماوي اليَماني ما معناه: العقيلةُ - من النساء - سيّدتُهم، يُقال: فلانة عقيلةُ قومها.

وقال الخليل بن احمد في كتابه (العين): «العقيلةُ: المراة المخدّرة، وجَمْعُها: عَقائل».

اقول: هذا ما ذكَره علماءُ اللغة، وقد يَتبادر إلى الذِهن انّ «العقيلة» صيغة مُبالَغة، مُشْتقّة مِن العقل، بمعنىٰ كَثْرة العقل والنُضْج، وقد ظَهَرَ للعالَم - بكلّ وضوح - انّ السيّدة زينب الكُبرىٰ (عليها السلام) كانت في درجة عالية جداً وجداً مِن العقلِ الوافر والحِكْمة والحنكة، فبعَقلها استطاعتْ ان تُدير «قافلة آل الرسول» مِن كربلاء إلى الكوفة، ومِن الكوفة إلى الشام، واخيراً مِن الشام إلى المدينة المنوّرة. وفي المدينة - ايضاً - قامتْ بدورٍ كبير بالتَنسيق مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) في إدارة المجالس العزائيّة، والحفاظ علىٰ حَرارة مَقتل سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وكَشْف الغطاء عن المَلفّ الاسود لـ«يزيد» الحاقد، وبَني أُميّة ومَن يَدور في فَلَكهم. المُحقّق

الفَصل الثاني

- السيّدة زينب في عَهْد جَدّها الرسول
- السيّدة زينب في عهْد أُمّها البتول
- السيّدة زينب في عهْد والدها أمير المؤمنين
- السيّدة زينب تُعلّم تفسيرَ القرآن لِنساء الكوفة
- السيّدة زينب مع أخيها الإمام الحسن المُجتبىٰ
- العلاقات الودّية بين السيّدة زينب و أخيها الإمام الحسين

السيِّدة زينب في عَهْد جدِّها الرسول

إنَّ الذكاء المُفرِط، والنُضج المُبكّر يُمهِّدان للطفل أن يَرقىٰ إلى أعلىٰ الدرَجات ـ إذا استُغلَّت مَواهبه ـ وخاصَّةً إذا كانت حياته مُحاطة بالنزاهة والقداسة، وبكلّ ما يُساعد علىٰ توجيه الطفل نَحو الأخلاق والفضائل.

بعد ثبوت هذه المقدّمة نَقول:

ما تقول في طفلةٍ: روحُها أطهر مِن ماء السماء، وقَلْبها أصفىٰ مِن المِرآة، وتَمتاز بنصيب وافر مِن الوعي والإدراك، تفتح عينَها في وجوه أُسرتها الذين هم أشرف خَلْق اللّه، وأطهر الكائنات، وتَنمو وتكبُر وتَدرج تحتَ رعاية والدٍ لا يَشبه آباء العالَم، وفي حِجْر والدةٍ فاقتْ بناتَ حوّاء شرفاً وفضلاً وعظمة؟!!

وإذا تحدَثْنا عن حياتها علىٰ ضوء عِلْم التربية، فهناك يَجفّ القلم، ويَتوقّف عن الكتابة، لأنَّ البحث عن حياتها التربويّة يُعتبر

بَحْثاً عن الكنز الدفين الذي لايُعرَف لَه كمٌّ ولا كيف.

ولكنّ الثابت القطعي أنها تربية نموذجيّة، وحيدة وفريدة.

وهل يستطيع الباحث أو الكاتب أو المُتكلِّم ان يُدرك الجوّ العائلي المَستور في بيت الإمام علي والسيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام؟

لقد رُويَ انَّ رسول اللّه ـ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ـ قرأ قولَه تعالىٰ: ﴿في بُيوتٍ أذِنَ اللّهُ انْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ والآصالِ...﴾[1] فقام إليه رجل فقال: يا رسول اللّه أيّ بيوتٍ هذه؟

فقال: بيوت الأنبياء.

فقامَ إليه أبوبكر فقال: يا رسول اللّه هذا البيت منها؟ واشار إلى بيت علي وفاطمة.

فقال النبي: «نعم، مِن أفضلها»[2]

ويجب ان لاننسىٰ انّ الإمام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ـ الذي أعطىٰ المناهج التربويّة للأجيال، واضاء طُرُقَ التربية الصحيحة للقُرون ـ لابدَّ وانّه يَبذل إهتماماً بالغاً

(١) سورة النور، الآية ٣٦ .

(٢) البرهان في تفسير القرآن، للسيّد هاشم البحراني، عند تفسير الآية الكريمة.

وعنايةً تامّةً في تربية عائلته، ويُمهِّد لهم السَبيل حتّىٰ ينالوا قمّةَ الأخلاق والفضائل.

وخاصّةً حينما يَجِدُ فيهم المؤهِّلات والإستعداد لِتَقبُّل تلك التعاليم التربويّة.

ومِن الواضح أنَّ السيّدة زينب ـ بمَواهبها واستعدادها النفسي ـ كانت تتقبَّل تلك الأُصول التربويّة، وتَتبلْور بها، وتَندمج معها.[1]

---

(١) ومِن ذِكْريات الطفولة في حياة السيّدة زينب (عليها السلام) نَقرأ في كتُب التاريخ: انّها سالتْ اباها ذاتَ يوم فقالت: اتُحبّنا يا ابتاه؟!

فقال الإمام: وكيفَ لا أُحبّكم وانتُم ثَمرة فؤادي!

فقالت: يا أبتاه إنّ الحُبَّ لِلّه تعالىٰ، والشَفَقة لنا.

المصدر: كتاب «زينب الكبرىٰ» للنَقدي، وهو يَحكي ذلك عن كتاب «مَصابيح القلوب» للشيخ حسن السبزواري، المعاصِر للشهيد الأول، رضوان اللّه عليهم.

إنّ هذا الحوار الجميل يَدلّ علىٰ اكثر مِن معنىٰ، فمِن ذلك:

١ـ جوّ الوُدّ والصَفاء الذي كان يُخيّم علىٰ دار الإمام اميرالمؤمنين (عليه‌السلام) والعلاقات الطيّبة بين الوالد الرؤف وبين طفلته الذكيّة!

٢ـ إنّ الحُبّ يَنقسمُ إلى اكثر مِن قِسْم، باعتبار نوعه ومَنشَئه ←

واكـثـرُ إنطباعات الإنسـان النفسيّـة يكـون مِـن أثر التربـيـة، كما

← ومُـنْـطلقـه، وكلٌّ قسمٍ منه له إسم خـاصّ به، لكن يُطلَـق علىٰ الجـميع كلمة «الـحُـبّ».

فهناك حُبّ الإنسان لِلّه تعالىٰ الذي خَـلَـق البشر وانعَمَ عليـهم بانواع النِعَم.

وهناك حُبّ الوالـد لأطفـاله، الذي يَـنبعث مِـن العـاطفـة والـحَـنان، وقـد عَـبّرتْ السيّـدة زينب عن هذا النوع بـ«الشَـفَـقـة».

ونَـقـرا في كُـتُب اللغـة انّ الشـفـقـة: هي الـعَـطْف والـحَـنان والـرافـة والـحُـنوّ. فـهـي ـ إذَن ـ: فـصـيلة خـاصَّـة مِن الـحُـبّ.. يَـنبـعث مِـن قلب الوالدين لأطفالهما.

٣ ـ المُستوىٰ الرفيـع لِتـفـكير الـسيّـدة زينب.. رغم كـونهـا في الـسـنـوات الأُولىٰ مِـن مرحلـة الطفولـة.

اجل، إنّها سيّـدة.. حـتّـىٰ يوم كانـت طفلـة!

* * * *

ونَـقـرا ـ ايضاً ـ عن الذكـاء المُبكّـر للسيّـدة زينب: انَّ والدها اجلسَـهـا في حِـجْره ـ يوم كانت طفلة ـ وبَـدا يُـلاطفها، وقال لها: بُـنـيّـة قولي واحد.

فقالت: واحد.

قال: قولي إثـنـين.

فسكـتـتْ! فقال لها: تكلّمي يا قُـرَّة عيني. ←

انّ اعمالَه وافعالَه، بل وحتّىٰ حركاته وسَكَناته، وتَصرّفاته واخلاقه وصفاته نابعة مِن نوعيّة التربية التي أثَّرتْ في نفسِه كلَّ الأثَر.

إذن، فمن الصحيح أن نقول: إنّ السيّدة زينب تلقّتْ دروسَ التربية الراقية العُليا في ذلك البيت الطاهر، كالعِلْم ـ بما في ذلك الفصاحة والبلاغة، والإخبار عن المُستقبل ـ ومعرفة الحياة، وقوّة النفس وعِزّتها، والشجاعة والعقل الوافر، والحكمة الصحيحة في تدبير الأمور، واتّخاذ مايَلزم ـ مِن مَوقفٍ او قَرار ـ

← فقالت: يا ابتاه ما أطيق انْ اقول اثنين بلسانٍ اجريتُه بالواحد.

فضَمَّها إلى صدره وقَبّلَها بينَ عينَيها.

المصدر: كتاب (زينب الكبرىٰ) للنقدي ص ٣٤.

إنَّ هذه اللقطة التاريخيّة تدلُّ ـ بكلّ وضوح ـ علىٰ قوّة التفكير والنُضج المُبكّر في ذِهن وفِكْر السيّدة زينب، حتىٰ وهي في عُمْر الطفولة، فكلامها هذا يَدلّ علىٰ الأفكار والمفاهيم والمعاني التي كانت تَجول في خاطرها!

فاللسان الذي قال: واحد، لايمكن له ان يَنطق بكلمة: اثنين، لأنّ لكلمة «واحد» ظِلال في ذِهْن السيّدة زينب عليها السلام، كلّما ذُكرت الكلمة تَبادر إلى الذهن ذلك الظِلال، وهو وحدانيّة اللّه سبحانه، وعدم وجود إلـهٍ ثانٍ يُشاركه في الألوهيّة والرُبوبيّة و إدارة الكون. المُحقّق

تِجاه ما يَحدُث.

بالإضافة إلى إيمانها الوثيق باللّه تعالىٰ، وتقواها، وورَعها وعَفافها، وحَيائها، وهكذا إلى بقيّة فضائلها ومكارمها.

وقد كان رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) يَغمر أطفالَ السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعواطفه، ويشملهم بحنانه، بحيث لم يُعهَد مِن جَدٍّ أن يكون مُغرَماً بأحفاده إلى تلك الدرَجة.

وكان (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ـ إذا زارَهم في بيتهم أو زاروه في بيته ـ يُعطّر خُدودَهم وشِفاهَهم بقُبلاته، ويُلصِق خَدَّه بخدودهم.

ويَعلم اللّه تعالىٰ كم مِن مرّة حَظيَت السيّدة زينب (عليها السلام) بهذه العواطف الخاصّة؟!

وكم مِن مرَّةٍ وَضَع الرسول الأقدس (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) خَدَّه الشريف علىٰ خَدّ حفيدته زينب؟! وكم مِن مرّة أجلسَها في حِجْره؟!

وكم مِن مرّة تَسلَّقَتْ زينب أكتافَ جَدّها الرسول؟!

ويؤسفنا أنّه لم تَصِلْ إلينا تفاصيل أو عيّنات تاريخيّة تَنفعنا في هذا المَجال، وحول السنوات الخَمس التي عاشتْها السيّدة تحتَ ظِلّ الرسول الأعظم صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم. (١)

---

(١) ونَقرأ في بعض كُتُب التاريخ رؤيا مُخيفة رأتْها السيّدة زينب وهي في عُمْر الطفولة، فحَدَّثتْ بذلك جَدّها رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فقالت: يا جَدّاه رأيتُ ـ البارحة ـ انّ ريحاً عاصِفة قد إنبعَثتْ فاسوَدَّتْ الدنيا وما فيها وأظلمت السماء، وحركتْني الرياح مِن جانب إلى جانب، فرأيتُ شجرة عظيمة فتَمسّكتُ بها لكي أسلمَ مِن شِدَّة الريح العاصفة، وإذا بالرياح قد قَلَعت الشجرة مِن مكانها والقَتْها علىٰ الأرض!

ثمّ تمَسّكتُ بغُصْنٍ قوي مِن اغصان تلك الشجرة فكسرتْها الرياح، فتَعلّقتُ بغُصن آخر فكسّرتها الريح العاصفة، !!

فتمسّكتُ بغُصن آخر وغُصن رابع، ثم استيقظتُ مِن نومي!

وحينما سَمعَ رسولُ اللّه منها هذه الرؤيا بكىٰ وقال: امّا الشجرة فهو جَدُّكِ، وأما الغُصنان الكبيران فهما أُمّكِ وأباكِ، وأما الغُصنان الآخران فأخَواكِ الحسَنان، تَسودُّ الدنيا لِفَقْدهم، وتَلْبَسين لباسَ المُصيبة والحِداد في رزيّتهم.

المصدر: كتاب (زينب الكبرىٰ) للشيخ جعفر النقدي ص١٨، مع تصرّف يَسيرٍ مِنّا في بعض الكلمات. المُحقّق



السيِّدة زينب في عَهْد أُمِّها البتول

تَستانس البنتُ بأُمّها أكثر مِن استيناسها بأبيها، وتَنسجم معها أكثر مِن غيرها، وتُعتبر روابط المَحبَّة بين الأم والبنت مِن الأُمور الفطريَّة التي لاتحتاج إلى دليل، فالأُنوثة مِن أقوىٰ الروابط بين الأُم وبنتها.

وإذا نَظرنا إلى هذه الحقيقة مِن زاوية عِلْم النفس، فإنّ الأُم تُعتبر ينبوعاً للعاطفة والحنان، والبنت ـ بطَبْعها وطبيعتها ـ مُتعطّشة إلى العاطفة، فهي تَجد ضالّتها المَنشودة عند أُمّها، فلا عجَبَ إذا اندفعتْ نحو أمّها، وانسَجَمتْ معها روحاً وقلْباً وقالباً.

والسيّدة زينب الكبرىٰ كانت مَغْمورة بعواطف أُمّها الحانية العَطوفة، وقد حَلّتْ في أوسع مكان مِن قلب أمٍّ كانت أكثر أمّهات العالَم حَناناً ورافةً وشفقةً بأطفالها.

والسيّدة زينب الكبرىٰ تَعرف الجوانب الكثيرة مِن آيات عظمة أمّها سيّدة نساء العالَمين وحبيبة رسول اللّه وقُرَّةِ عينه وثمرة فؤاده، وروحِه التي بين جَنْبيه، صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

فقد فَتحتْ السيّدة زينب الكبرىٰ عينَيها في وَجْه أطهر أنثىٰ علىٰ وَجْه الأرض، وعاشَتْ معها ليلَها ونهارَها، وشاهدتْ مِن أُمّها أنواع العبادة، والزُهْد، والمُواساة والإيثار، والإنفاق في سبيل اللّه، وإطعامَ الطعام مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

وشاهدتْ حياة أُمّها الزوجيَّة، والإحترام المُتبادَل بينها وبين زوجها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وإطاعتها له، وصَبْرها علىٰ خُشونة الحياة وصعوبة المَعيشة، ابتغاء رضىٰ اللّه تعالىٰ.

كما عاصَرتْ السيّدةُ زينب الحوادثَ المُؤلمة الّتي عَصَفَتْ بأُمّها البتول بعد وفاة أبيها الرسول، وما تَعرَّضتْ له مِن الضَرْب والأذىٰ، كما سبَقتْ منّا الإشارة إلى ذلك.

وانقضتْ عليها ساعات أليمة وهي تُشاهد أُمَّها العَليلة، طريحةَ الفِراش، مكسورةَ الضِلع، داميةَ الصدْر، مُحْمرَّةَ العَين.

كما رافقَتْ أُمَّها الزهراء (عليها السلام) إلى مسجد رسول اللّه ـ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ـ حين إلقاء الخطبة، كما ستَقرأ ذلك في فصل (بعض مارُويَ عن السيّدة زينب) إن شاء اللّه تعالىٰ.

السـيّـدة زينب في عَـهْـد والدها أمير المؤمنين

بعد ان وصل الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) مِن البصرة إلى الكوفة، واستقرَّ به المكان، إلتحقتْ به العوائل مِن المدينة إلى الكوفة.

ومِن جملة السيّدات اللّواتي هاجَرن مِن المدينة إلى الكوفة هي السيّدة زينب (عليها السلام) وقد سَبقَها زوجُها عبدالله بن جعفر، حيث كان في جيش الإمام لدىٰ وصوله إلى البصرة.

والمُستفاد مِن مَطاوي التواريخ والأحاديث انّ الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) - بعد انقضاء مُدَّة مِن وصوله إلى الكوفة - نَزلَ في دار الامارة، وهو المَكان المُعَدّ لحاكم البلدة، ومع تواجد الإمام في الكوفة لم يكن هناك حاكمٌ أو أمير غيره، فلماذا لا يَنزل في دار الامارة؟

ويَتبادر إلى الذِهْن انّ دار الامارة كانتْ مُشتَملة علىٰ حُجُرات وغُرف عديدة واسعة، وكان كلٌّ مِن البنات والأولاد

(المتـزوّجـين) يَسـكنون في حُجرة مِـن تلك الحُجُرات، والسـيّـدة زينب كـانـت تَسكن مع زوجـهـا في حُجـرة أو غـرفـة مِـن غُـرف دار الإمارة.[1]

ومكـثــت السـيّـدة زينب (عليـهـا السـلام) في الـكوفـة سنـوات،

---

(١) السيّدة زينب تُعلّم تفسيرَ القرآن لنساء الكوفة

وجاء في التاريـخ انّ جَـمْـعاً مِن رجال الكوفـة جاؤا إلى الامام اميرالمؤمنين (عليـه السـلام) وقـالوا: إئـذنْ لِنسائنا كي ياتينَ إلى ابنـتك ويَـتـعلّمن منهـا مَعالمَ الدين وتـفسيرَ القرآن.

فاذنَ الإمامُ لهم بذلك، فـبَـداتْ السيّدة زينب بتدريس النساء.

ويَعلم اللّه عـددَ النسـاء الـمُسلمات اللـواتي كُـنَّ يَحضـرنَ درس السيّـدة.. طيلةَ اربع سنوات او اكثر.

وذاتَ يوم دخَلَ الإمـام اميـرالمؤمـنين (عليه السلام) الدار، فسَمع ابنـتَـه زينب تَـتـحـدَّث للنسـاء ـ في دَرْسـهـا ـ عن الحـروف الـمُـقطّعـةفي اوائل السور، وعن بداية سورة مريم بشكل خاص.

وبعـد انـتهـاء الدرس إلتقىٰ الإمـامُ بابنـته وقال لهـا: يا نورَ عيني اتعلَمين انّ هذه الحـروف هي رَمْز لما سيَجري عليـكِ وعلىٰ اخيك الـحسـين في ارض كربلاء، ثمّ بَـدا يُحدثّها عن بعض تفاصيل تلك الفاجعة.

المصـدر: كتاب (الخَـصائص الزيـنـبيّـة) للسيّـد الجزائري الـمُـتوفّـىٰ عام ١٣٨٤هـ، ص٦٨، وكتاب (رياحين الشريعة) للمحلاّتي ج٣ ص٥٧.

الـمُـحقّق

وعاصَرت الأحداث والإضطرابات الداخليّة الّتي حدَثَتْ: مِن واقعة صِفّين إلى النَهروان، إلى الغارات التي شَنَّها عُمَلاء معاوية علىٰ بلاد الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام.

إنقضت تلك السنوات المَريرة، المليئة بالآلام والمآسي، وانتَهتْ تلك الصفحات المُؤلمة بالفاجعة التي اهتزّتْ منها السماوات والأرضون، وهي حادثة استشهاد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

لقد كانت العلاقات الودّية بين الإمام أميرالمؤمنين وبين أولاده وبناته علىٰ أطيب ما يُمكن، وفي جوٍّ مِن الصفاء والوفاء، والعاطفة والمَحبَّة.

والإمام أميرالمؤمنين هو السلطان الحاكم علىٰ نصف الكُرة الأرضيّة، ومعه عائلته المَصونة وأبناؤه المكرَّمون، ولكنّه ـ في شهر رمضان مِن تلك السنة، وهي السنة الأخيرة والشهر الأخير مِن حياته ـ كان يُفطِر ليلةً عند ولده الإمام الحسن، وليلة عند ولده الإمام الحسين (عليهما السلام) وليلةً عند السيّدة زينب التي كانت تعيش مع زوجها عبدالله بن جعفر، [1] كلُّ ذلك تَقْوِيةً لأواصِر

(١) المصدر: الإرشاد للشيخ المفيد، ص ١٦٩، وذُكر ايضاً في «بحار الأنوار» للشيخ المجلسي، ج ٤١ ص ٣٠٠، باب إخباره بالغائبات وعِلْمه باللُغات. نقلاً عن كتاب الخرائج.

المَحبّة والتواصُل بينَه وبينَ أشباله وبناته.

وفي الليلة التاسعة عشرة مِن شهر رمضان، كانت النَوبة للسيّدة زينب، وافطرَ الإمام في حُجرتها وقدّمتْ له طَبَقاً فيه رغيفان مِن خُبز الشعير، وشيء مِن المِلْح، وإناء مِن لَبَن.

كان هذا هو فطور الإمام اميرالمؤمنين الذي كان يَحكم علىٰ نصف العالَم، وانهار الذهب والفضّة تَجري بين يديه.

واكتفىٰ الإمام ـ تلك الليلة ـ برغيف مِن الخبز مع الملح فقط.

ثمّ حَمِدَ اللّهَ واثنىٰ عليه، وقام إلى الصلاة، ولم يَزلْ راكعاً وساجداً ومُبتَهِلاً ومُتضرّعاً إلى اللّه تعالىٰ.

ولا أعلم لماذا بات الإمام في حُجرة ابنته السيّدة زينب ـ تلك الليلة ـ؟

ولعلّه اختارَ المَبيت في بيتها حتّىٰ تُشاهد وتَرىٰ، وتَروي مُشاهَداتها ومَسموعاتها عن أبيها أميرالمؤمنين في تلك الليلة، إذ كانت تلك الليلة تمتاز عن بقيّة الليالي، فإنّها تُحدّثنا فتَقول:

إنّه (عليه السلام) قال لأولاده: «إنّي رايتُ ـ في هذه الليلة ـ رؤيا هالَتْني، وأريد ان اقصّها عليكم».

قالوا: وما هي؟

قال: «إنّي رأيتُ ـ الساعةَ ـ رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) في منامي وهو يقول لي: يا أباالحسن إنّك قادم إلينا عن قريب، يَجيء إليك أشقاها فيَخضب شَيبتَك مِن دم رأسك، وأنا ـ واللّهِ ـ مُشتاق إليك، وإنّك عندنا في العَشر الآخِر مِن شهر رمضان، فهَلُمَّ إلينا فما عندنا خَيرٌ لك وأبقىٰ».

فلمّا سَمِعوا كلامه ضَجّوا بالبكاء والنحيب، وأبدَوا العَويل، فأقسَمَ عليهم بالسكوت، فسكتوا.[1]

وتقول السيّدة زينب (عليها السلام):

لم يَزل أبي ـ تلك الليلة ـ قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يَخرُج ساعةً بعد ساعة، يُقلِّب طَرْفَه في السماء ويَنظر في الكواكب وهو يقول: واللّه ما كُذبتُ ولا كَذبت، وإنّها الليلة التي وُعدتُ بها. ثمّ يَعود إلى مُصلاّه ويقول: اللهمّ بارِكْ لي في الموت. ويُكْثرُ مِن قول: «إنّا لِلّه وإنّا إليه راجعون»، و«لاحول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم»، ويُصلّي علىٰ النبي وآله ـ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ـ ويَسْتغفرُ اللّهَ كثيراً.

تقول: فلمّا رأيتُه ـ في تلك الليلة ـ قَلِقاً مُتَمَلْمِلاً[2]

---

(١) كتاب «بحار الأنوار» للشيخ المجلسي ج٤٢ ص٢٧٧، باب ١٢٧.

(٢) مُتَمَلْمِلاً: التَمَلْمُل: هو الإضطراب وعدم الإستقرار بسَبَب الهَمّ او الألَم. وجاء في كتاب (العين) للخليل بن احمد: المَلْمَلة: ان يَصير ←

كـثيرَ الذِكْر والإستغفار، أرقْتُ معَه لَيـلَتـي [١] وقلت: يا أبتاه ما لي أراكَ فـي هـذه الليلـة لاتَـذوق طـعْـمَ الـرُقـاد؟

قـال ـ عليـه السـلام ـ: يا بُـنـيَّـة إنّ أباكِ قـتَـلَ الأبطال وخـاضَ الأهوال وما دَخَـل الخوفُ له جَـوْفاً، وما دخلَ في قلبـي رُعبٌ أكـثـر ممّا دخَـلَ فـي هـذه الليلـة. [٢]

ثـمّ قـال: إنّا لِلّـه وإنّا إليه راجـعـون.

← الإنسـانُ مِن جَـزَعٍ أو حُـرقـةٍ كـأنـه يَـقِف علىٰ جَـمْر. وقـال الـفيـروزآبادي في (القاموس): التـمَـلْمل: التَـقَـلّب. مَـرَضاً أو غمّـاً. الـمُـحـقّـق

(١) ارقتُ معه: اي سَهَرْتُ معه، الأرَق: السَهَر.

(٢) بناءً علىٰ صحّـة هـذه الـمَـقـطوعة مِن التاريـخ يَـتـبـادر إلى الذِهْـن هذا السؤال: لماذا الخوف؟

الجواب: لاشكّ انّ الخوف لم يكن مِن الموت، لانّ الإمام (عليه السلام) يُـقسِم عـلىٰ اللّه تعالىٰ ـ اكثر مِـن مَـرّة ـ انّه لايَـخاف الموت، وانّـه «آنَـسُ بالموت مِن الطفل بصَدر أمّه» وانه «لايُـبالي اوقَـعَ علىٰ الموت امْ وَقَـعَ الموتُ عليه». وساحاتُ الحَرب وميادينُ القِـتال تَـشْـهَـد له بصِدْق كلماته هـذه.

فلَعلّ سبب الخوف: هو هَـيـبـة لقاء الـلّه تعالىٰ والإنـتـقال مِن عالَم الفَـناء إلى عالَم البقاء. او الخـوف والـقَـلَـق علىٰ مُـسـتـقـبَـل الأمّـة بعد غِـياب الإمام عن ذلـك الـمُـجـتَـمع، وبـسَـبَـب خَـطـر الـمؤامـرات الّـتي كـان يَـحـيـكـها معاويـة ضـدّ الإسـلام والمسلمـين.

اولغير ذلك مِن الاسباب واللّه العالم. الـمُحـقّـق.

فقلت: يا أبتاه، ما لَكَ تَنعىٰ نفسَكَ في هذه الليلة؟

قال: يا بُنيّة قد قَرُبَ الأجَل وانقَطعَ الأمَل.

قالت: فبكيتُ، فقال لي: يا بُنيّة لا تبكيْ فإنّي لم أقُلْ ذلك إلّا بما عَهِدَ إليَّ النبيُّ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

تقول (عليها السلام): ثمّ إنّه نَعَسَ وطَوىٰ ساعة، ثمّ استيقظَ مِن نومه وقال: يا بُنيّة إذا قَرُب وقتُ الأذان فأعلميني.

ثمّ رَجَع إلى ما كان عليه أوّلَ الليل مِن الصلاة والدعاء والتضرّع إلى اللّه سُبحانه وتعالىٰ.

فجعلتُ أرقُبُ وقتَ الأذان، فلمّا لاحَ الوقت أتيتُه ومَعي إناء فيه ماء، ثمّ أيقظتُه فاسبَغَ الوضوء، وقامَ ولَبِسَ ثيابَه وفَتَح بابَ الحُجْرة، ثمّ نَزَل إلى ساحة الدار.

وكانتْ في الدار إوَزّ[1] قد أهديتْ إلى أخي الحسين، فلمّا نَزَل خَرجْنَ وراءَه ورَفْرفْنَ وصِحْنَ في وَجْهه ـ ولم يَصحْن قبلَ تلك الليلة ـ فقال (عليه السلام): «لا إله إلّا اللّه، صَوارخ تَتْبَعُها نَوائح، وفي غَداة غَدٍ يَظهَرُ القضاء».

فقلت: يا أبتاه هكذا تَتَطيَّر؟!

---

(١) إوَزّ ـ بكسْر الهمزة وفَتْح الواو وتشديد الزاي ـ: البَط، كما في (مجمع البحرين) للطُريحي. وقيل: الإوَزّ: طائر يَشْبه البَط في شكله العام ولكنّه اكبر منه حَجماً واطول عُنُقاً. كما في كتاب (المعْجَم الوسيط).

فقال: «يا بُنيّة! ما مِنّا - أهل البيت - مَن يَتطيَّر، ولا يُتطيَّر به، ولكنْ قولٌ جَرىٰ علىٰ لساني».

ثم قال - عليه السلام -: «يا بُنيّة! بحَقّي عليكِ إلّا ما أطْلقْتيه، فقد حَبسْتِ ما ليسَ له لسان، ولا يَقدرُ علىٰ الكلام إذا جاعَ أو عطَش، فاطعميه واسقيه وإلّا خَلّي سبيلَه ياكل مِن حَشائش الأرض».

فلمّا وصَلَ إلى الباب عالَجَه ليَفتحَه، فتَعلَّقَ البابُ بمِئْزَره، فانْحَلّ مِئْزَرُه حتّىٰ سقَط، فأخذَه وشَدَّه وهو يقول:

أشدُدْ حَيازيمَك للمَوت	فإنّ المَوتَ لاقيكا
ولا تَجزَعْ مِن المَوت	إذا حَلَّ بِناديكا
كما أضحَكَكَ الدَهْرُ	كذاك الدهر يُبْكيكا

ثمّ قال: «اللهمّ بارِكْ لنا في المَوت، اللهمّ بارِكْ لي في لِقائك».

تَقول السيّدة أمّ كلثوم:

وكنتُ امشي خَلْفه، فلمّا سمعتُه يقول ذلك قلتُ: واغَوثاه يا أبتاه! اراك تَنعىٰ نفسَك مُنذُ الليلة؟!

فقال - عليه السلام -: «يا بُنيّة! ما هو بِنعاء، ولكنّها

دلالات وعلامات للمَوت . . يَتْبَعُ بعضُها بعضاً».

ثمّ فَتحَ الباب وخَرَج.

فجئتُ إلى أخي الحسن فقلت: يا أخي قد كانَ مِن أمْرِ أبيك الليلة كذا وكذا، وهو قد خَرج في هذا الليل الغَلس، فالحَقْه.[1]

فقام الحسن (عليه السلام) وتَبِعَه، فلحِقَ به قبل أن يَدخل الجامع، فأمَره الإمامُ بالرجوع، فرجَع.

أيّها القارىء الكريم:

هنا نَنْقل ما ذكرَه المؤرّخون، ثمّ نَعود إلى حديث السيّدة زينب عليها السلام:

لقد جاء الإمام علي (عليه السلام) حتّىٰ دخل المسجد، فصعدَ علىٰ المِئْذَنَة ووَضعَ سَبّابتَيه في أُذنَيه وتَنَحْنَح، ثمّ أذَّنَ فلمْ يَبقَ في الكوفة بيت إلّا اخترقَه صوتُه، ثم نزَلَ عن المِئْذَنَة وهو يُسبّح اللّهَ ويُقدّسُه ويُكبّره، ويُكثِر مِن الصلاة علىٰ النبيّ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

وكان يَتفَقّد النائمين في المسجد ويقول للنائم: الصلاة

---

(١) الغَلَس ـ بفَتْح اللام ـ: ظُلْمة آخر الليل كما في (القاموس) للفيروزآبادي. وقيل: ظَلام آخر الليل إذا اختَلَط بضَوء الصَباح. كما في كتاب (مجمَع البحرين) للطريحي.

يَرحَمُك اللّه، قُمْ إلى الصلاة المكْتوبة، ثمّ يَتلو: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عن الفَحْشاء والمُنْكَرِ﴾.[١]

.... ثمّ اتّجَه نحو المِحْراب وقام يُصلّي، وكان (عليه السلام) يُطيلُ الركوع والسجود، فقام ابنُ ملجم (لعنَه اللّه) لارتكاب أكبر جريمة في تاريخ الكون، وأقبَلَ مُسرعاً حتّىٰ وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يُصلّي عندها،[٢] فأمهلَه حتّىٰ صلّىٰ الركعة الأُولىٰ وسَجَدَ السَجدة الأُولىٰ ورَفَعَ رأسَه منها، فتقدَّم اللعين ورفَعَ السيف وهَزَّه ثمّ ضربَ الإمامَ علىٰ رأسه الشريف، فوقَعت الضرْبة علىٰ مكان الضرْبة التي ضربَه عمرو بن عبْدود العامري، يومَ الخندق.

فوقَع الإمامُ (عليه السلام) علىٰ وجهه قائلاً: بسم اللّه وباللّه وعلىٰ مِلّة رسول اللّه، فُزْتُ وربِّ الكعبة، هذا ما وَعَد اللّهُ ورسولُه، وصَدقَ اللّهُ ورسولُه.

وسالَ الدمُ علىٰ وَجْهِه الشريف، وشَيبَته المُقدَّسة، وعلىٰ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) الأسطوانة: العَمود الذي يَعتَمِد عليه سَقْفُ البِناء. وكلمة «أسطوانة» مُعَرَّبَة مِن اللغة الفارسيّة، واصلُها: «سُتون» او «أسْتُون». المُحقّق

صـدره وأزياقه[١]، حتّىٰ اختُضِبتْ شَيبتُه وتَحقّق ما أخبرَ عنه الرسولُ الكريم.

وفي هذه اللحظة الأليمة هتَفَ جبرئيل ـ بينَ السماء والأرض ـ ذلك الهتاف السَماوي الذي لم يَسبِق له مَثيلٌ في تاريخ الأنبياء والأوصياء.

لقد هتَفَ جبرئيل بشهادة الإمام علي (عليه السلام) كما هتَفَ ـ يوم أُحُد ـ بِفُتوتّه وشهامته يومَ قال: «لافَتىٰ إلّا علي لاسيفَ إلّا ذوالفقار».

فقد اصطفَقَتْ أبوابُ المسجد الجامع[٢]، وضَجَّت الملائكةُ في السماء، وهَبَّتْ ريحٌ عاصفة سوداء مُظلمة، ونادىٰ جبرئيل بصوتٍ سَمِعَه كلُّ مُستَيقِظ:

«تَهَدّمتْ ـ واللّه ـ أركانُ الهُدىٰ، وانطَمسَتْ ـ واللّهِ ـ نُجومُ السماء وأعلامُ التُقىٰ، وانفَصَمتْ ـ واللّه ـ العُروةُ الوثقىٰ، قُتلَ ابنُ عمّ محمّد المصطفىٰ، قُتلَ الوصيُّ المُجتبىٰ، قُتلَ عليٌّ المُرتضىٰ، قُتلَ ـ واللّهِ ـ سيّدُ الأوصياء، قَتلَه أشقىٰ

---

(١) ازياق ـ جَمْع زِيق. . بالكسْر ـ: زِيق القَميص: ما احاطَ بالعُنُق مِن القميص. كما في كتاب القاموس وتاج العروس. وبتعبير آخر: زِيق: فَتْحة القميص التي يُدخل الإنسان راسَه منها. المُحقّق

(٢) إصطَفَقَتْ: ضَرَبَتْ بعضُها ببعض، ضرباً يُسمَعُ منه الصوت.

الأشقياء».

فلمّا سمعتْ السيّدة أُمّ كلثوم نَعيَ جبرئيل لَطَمتْ علىٰ وَجهها وخَدِّها، وشَقَّتْ جَيبَها وصاحتْ: وا أبتاه! واعليّاه! وامُحمّداه! واسيّداه!

.... ثمّ حَملوا الإمامَ ـ والناس حولَه يَبكون ويَنتحِبون ـ وجاؤا به إلى الدار. فأقبلتْ بناتُ رسول اللّه وسائر بنات الإمام، وجَلسْنَ حولَ فِراشه يَنظرن إلى أسد اللّه وهو بتلك الحالة، فصاحت السيّدة زينب وأُختُها: أبتاه مَن للصغير حتّىٰ يَكْبُر؟! ومَن للكبير بين الملأ؟!

يا أبَتاه! حُزنُنا عليك طويل، وعَبْرتُنا لاترقأ.[1]

فضَجَّ الناس ـ مِن وراء الحُجرة ـ بالبكاء والنَحيب، وشاركَهم الإمام (عليه السلام) وفاضَتْ عيناه بالدموع.

وفي ليلة الحادية والعشرين مِن شهر رمضان، في الساعة الأخيرة مِن حياة الإمام (عليه السلام) كانت السيّدة زينب (عليها السلام) جالسة عنده تَنظر في وَجْهه، إذ عَرقَ جَبينُ الإمام، فجَعلَ يمْسَح العَرقَ بيده، فقالت زينب: يا أبَه أراك تَمسح جَبينَك؟

قال: يا بُنيَّة سَمعتُ جَدَّكِ رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله

(١) لا تَرقا: لا تَنْقطع، او لا تَجُفّ.

وسلّم) يقول: «إنّ المؤمن إذا نَزَلَ به الموتُ ودَنَتْ وفاتُه عَرَقَ جَبينُه وصار كاللؤلؤ الرَطِب، وسَكنَ أنينُه».

فعند ذلك ألقَتْ زينبُ بنفسها علىٰ صدر أبيها وقالت: يا أبَه حدَّثَتْني أمُّ أيمن بِحَديث كربلاء، وقد أحبَبْتُ أن أسمَعَه منك.[1]

فقال (عليه السلام): «يا بُنيّة! الحديث كما حَدَّثَتْكِ أمُّ أيمن، وكأنّي بكِ وبنساء أهلكِ لَسَبايا بهذا البَلد، خاشِعين تَخافونَ أن يَتخطّفكم الناس، فصَبْراً صبراً».

ثمّ التفتَ الإمام إلى ولَديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وقال: «يا أبا محمّد ويا أبا عبدالله، كأنّي بكما وقد خَرجَتْ عليكما مِن بعدي الفِتَن مِن هاهنا وهاهنا، فاصْبِرا حتّىٰ يَحكمَ الله وهو خيرُ الحاكمين.

ياأباعبدالله! أنتَ شهيدُ هذه الأُمَّة، فعليك بتقوىٰ الله والصبر علىٰ بلائه.

ثمّ أُغميَ عليه وافاق، وقال: هذا رسولُ الله وعَمّي حمزة وأخي جعفر وأصحابُ رسول الله، وكلّهم يَقولون: عَجّلْ قُدومَكَ علينا فإنّا إليك مُشتاقون.

---

(١) سوف نَذكر لَمْحة سريعة عن أمّ ايمن، في فَصل (بعض ما رُويَ عن السيّدة زينب عليها السلام).

ثمّ ادارَ عَينَيه في وُجوه اهل بيته وقال لهم: «أستودِعُكم اللّه»، وتلا قولَه تعالىٰ: ﴿لِمِثْلِ هذا فلْيَعمل العامِلون﴾[1] وقولَه سبحانه: ﴿إنّ اللّه مع الّذين اتّقَوا والّذين هم مُحْسِنون﴾[2].

ثمّ تَشَهّدَ الشهادَتين وفارقَ الحياة.

فعند ذلك صَرختْ زينب وأمّ كلثوم وجميعُ نسائه وبناته، وشَقَقْنَ الجُيوب، ولَطَمنَ الخدود، وارتفعت الصيحة في الدار.

.... ولمّا فرغ اولاد الإمام (عليه السلام) مِن تغسيله، نادىٰ الإمامُ الحسن أختَه زينب وقال: يا أُختاه هَلمّي بحنوط جَدّي رسول اللّه ـ وكان قد نَزَل به جبرئيل مِن الجَنَّة ـ.

فبادرتْ السيّدة زينب مُسرِعةً حتّىٰ اتتْه به، فلمّا فَتحتْه فاحَت الدار لشدّة رائحة ذلك الطيب.

أيّها القارىء الكريم: هذا بعض ما يَرتبط بالسيّدة زينب في حياة ابيها العظيم الإمام علي اميرالمؤمنين (عليه السلام) وقد اقتطفنا ما يَرتبط بمقتل ابيها مِن كتابنا: الإمام علي مِن المهد إلى اللحد.

---

(١) سورة الصافات، الآية ٦١.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٨.

السيّدة زينب
مع أخيها الإمام الحسن المجتبىٰ

إنَّ الاحترام اللائق، والتقدير الرفيع كان مُتبادَلاً بين السيّدة زينب الكبرىٰ وبين أخيها الأكبر، وهو السبط الأوّل لرسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم): الإمام الزكيّ، الحسن المُجتبىٰ عليه السلام.

إنّ السيّدة زينب كانت تَنظر إلى أخيها الامام الحسن مِن مِنظارَين:

١ ـ مِنظار الأُخوّة.

٢ ـ مِنظار الإمامة.

فمِن ناحية: يُعتبر الإمام الحسن الأخ الأكبر للسيّدة زينب (عليها السلام) ومِن المعلوم انّ الأخ الأكبر له مكانة خاصّة عند الإخوة والأخوات، وقد وَرَد في الحديث الشريف: «الأخُ الأكبر

بمنـزلة الأب»[١]

ومِـن ناحية أُخرىٰ: يُعتبر الإمام الحسن (عليه السلام) إمامَ زمان السيّـدة زينب بعد شهادة الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) ولهذا فإنّ احترامها لأخيها كان يَـنـبعث من هذين الـمُـنطـلَـقَـين.

وتَجدر الإشارة إلى أنّ كلّ ما سَنَـذكره ـ مِـن الروابط القـلْـبـيّـة بـين السيّـدة زينب والإمـام الحسـين ـ فـهي ثابتـةٌ بـيـنها وبـين أخـيهـا الإمام الحسن أيضاً.

وإذا كان التـاريخ قد سَـكـتَ عن التـفاصيل فإنَّ أصل المـوضوع ثابت.

ونكـتـفي ـ هنـا ـ بما ذُكـرَ في بعض الكُـتُب مِن مـوقـف السيّـدة زينب حينما حـضرتْ عند أخيها الإمام الحسن ساعةَ الوفاة:

«... . وصاحتْ زينب: واأخـاه! واحَـسَناه! واقِـلّـةَ ناصِـراه!

يـا أخـي مَـن الـوذُ بـه بـعـدَك؟!

وحُـزْني عليك لايَـنـقطع طولَ عُـمْري! ثمّ إنّهـا بكتْ علىٰ أخيها وهي تَـلْـثـم خَـدّيه وتَـتَـمـرَّغ عليه، وتبكي عليه طويلاً»[٢].

---

(١) الحديث مَـرويّ عن الإمـام عليبن مـوسىٰ الرضـا (عليه السـلام). ذُكـر في كتاب «بحارالأنوار» ج٧٥، ص٣٣٥، طبـع لبـنان عام١٤٠٣هـ.

(٢) مَعالي السِبطين، للمازندراني، ج١، المجـلـس التـاسـع.

العلاقات الوديَّة

بين السيّدة زينب وأخيها الإمام الحسين

إنَّ رَوابط المَحبّة، والعلاقات الودّية بين الإخوة والأخَوات كانت مِن قديم الزمان، حتّىٰ صارت يُضرَب بها المَثَل في المَحبّة والمودَّة بين اثنين، فيُقال: كأنّهما أخَوان، أو كأنَّهما أخٌ وأخت.

ولكنّ العلاقات الودّية ورَوابط المحبّة بين الإمام الحسين وبين أُخته السيّدة زينب (عليهما السلام) كانت في القمّة وكانت تَمتاز بمزايا، ولا أبالغ إذا قلتُ: لايوجد ولم يوجد في العالَم أخٌ وأُختٌ تربُطهما رَوابطُ المحبّة والوداد مثْل الإمام الحسين وأُخته السيّدة زينب. فإنّ كلاً منهما كان قد ضَربَ الرقم القياسي في مجال المحبّة الخالصة، والعلاقات القلبيَّة.

وكيف لا يكونان كذلك وقد تَرَبَّيا في حِجْرٍ واحد وتَفرّعا

مِـن شجرة واحدة؟!

ولم تكن تلك العلاقات مُـنبَعـثـة عن عـاطفة القَـرابة فحسْب، بل عَـرفَ كلّ واحـدٍ منهـمـا مـا للآخَـر مِن الكرامة، وجَـلالـة القَـدر وعِظَم الشان.

فالسيّـدة زينب تَـعـرفُ اخـاهـا بـأنّـه:

سيّـد شباب أهل الجنَّـة وريَحانة الرسول (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وتَـعلم بانَّ اللّه تـعالىٰ قـد اثـنىٰ علىٰ اخيـها في آيات كثيرة مِن القـرآن الكريم، كـآية المبـاهَـلة، وآية المودَّة، وآيـة التطهـير، وسـورة «هل اتىٰ»، وغيرها من الآيات والسُـوَر.

بالاضافة إلى انّـها عـاشتْ سنوات مع اخيها في بيـتٍ واحد، وشـاهَدَتْ مـا كـان يَتـمـتَّع به أخـوها مِن مـكارم الأخـلاق والـعبـادة والروحانيّـة، وعَرَفتْ ما لأخيها مِن علوّ المنـزلة وسُموّ الدرَجـة عـنـد اللّـه عـزّوجـلّ.

وتَعلم انّه إمـامٌ مَـنصـوب مِن عند اللّه تعـالىٰ، مَـنـصـوص عليه بالإمـامة العُـظمىٰ والولاية الـكُـبرىٰ مِـن الرسـول الأقـدس صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

مع توفُّـر شـروط الإمـامة ولوازمهـا فـيـه، كـالعِـصْـمـة، والعِـلْم بجمـيـع أنواع العلوم، وغير ذلك.

وهكذا يَعرف الإمامُ الـحسين (عليه السلام) أختَـه السيّـدةَ زينب

حَقَّ المعرفة، ويَعلم فضائلَها وفَواضِلها وخَصائصَها.

ومِن هنا يُمكن لنا انْ نَطَّلع علىٰ شيء مِن مَدىٰ الرَوابط القويَّة بين هذا الأخ العظيم وأخته العظيمة.

وقد جاءَ في التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يَقرأ القرآن الكريم ـ ذاتَ يوم ـ فدَخَلتْ عليه السيّدة زينب، فقامَ مِن مكانه وهو يَحملُ القرآنَ بيده، كلُّ ذلك احتراماً لها.[1]

(١) كتاب (ذَخيرة المعاد) للشيخ زين العابدين المازندراني.



الفصل الثالث

- زواج السيّدة زينب عليها السلام
- عبدالله بن جعفر

زواج السيِّدة زينب عليها السلام

لمّا بَلَغتْ السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) مَبلَغ النساء، خطَبَها ـ فيمَن خطَبها ـ ابنُ عمّها: عبدالله بن جعفر بن ابي طالب.

وكان الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) يَرغَبُ ان يُزوِّج بناته مِن ابناء عُمومتهنّ: اولاد عقيل واولاد جعفر، ولعلّ السبب في ذلك هو كلام رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) ـ حينَ نظرَ إلى اولاد الإمام علي واولاد جعفر بن ابي طالب، فقال ـ: «بَناتُنا لبَنينا، وبَنونا لبَناتنا»[1].

وحَصلت المُوافقة علىٰ الزواج، وتَمَّ العَقْد المُبارَك في جوٍّ عائلي يَغمره الوُدّ والمَحبّة، وزُفّت السيّدة زينب (عليها

---

(١) كتاب (مناقبُ آل ابي طالب) لابن شهرآشوب المُتوفىٰ عام ٥٨٨ للهجرة، ج٣ ص٣٠٥، فصل: في ازواجه واولاده، وذكره الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) ج٤٢ ص٩٢، باب ١٢٠.

السلام) إلى دار زوجها عبدالله بن جعفر.. بكلّ إجلال واحترام. وانجَبَتْ منه أولاداً كانوا ثَمَرات تلك الشجرة الطَيّبة، وفروعَ أغصانها، فلقد وَرِثوا المجد والشَرَف مِن الجانبين.[1]

(١) هناك نَظريّة تقول: «إنّ الزواج مِن الأقارب شيء مَذموم، وينبغي الإبتعاد عنه لكي يكون النَسْل الناتج مِن الزوجين نَسْلاً سَليماً مِن ناحية الصحّة البَدنيّة والنَفسيّة».

ولهذه النَظَريّة مؤيّدون ومُخالفون. ونحن نَذكر تعليقَنا عليها مِن خِلال عِدّة نقاط:

النقطة الأولىٰ: إنّ مُجرّد الزواج مِن الأقارب ليس شيئاً مذموماً، بل المذموم هو الزواج منهم في بعض الحالات، وهي:

الحالة الأُولىٰ: فيما لو كان الرَجل او المراة مُصاباً بمرض يَنتقل إلى النَسْل عن طريق الوراثة، وكان ذلك المرض منتشراً بين سائر افراد العشيرة، فحينئذٍ يُفضَّل عدم الزواج من الأقارب.. في حالة العِلْم أو الظن بوجود المرض في الطَرَف الآخر - الذي هو مِن الأقارب -.

الحالة الثانية: فيما لو عُلم عدم وجود الإنسجام بين فَصيلة دمِ هذا وفَصيلة دم تلك، وأنّ الزواج بين هذين سوف يُسبّب إشكالات مُهمّة في النَسْل والذُرّية.

وإليك هذا المثال للحالة الأُولىٰ مِن هاتين الحالتين: ←

← هناك مرض يُعبّر عنه بـ (التكسّر في الدم) وهو مُنتشر في بعض العوائل والعشائر ـ ونسأل اللّهَ تعالىٰ الشفاءَ العاجِل لِكلّ مؤمنٍ ومؤمنة ـ، فلو كان الرجل مُصاباً بهذا المرض وتزوّج بامرأة سليمة، تكون نِسْبة إحتمال إنتقال المرض إلى نَسْله ١٠٪ ـ مَثَلاً ـ، لكنّه لو تَزوّج بامرأة مِن أقربائه وهي مُصابة بنفس المرض، تَرتفع نسبةُ إحتمال إنتقال المرض إلى ٨٠٪ أو أكثر، حسَب اختلاف الحالات.

وحينما نُلاحظ هذا المثال ـ بِدقّة ـ يَتّضحُ لنا أنّه ليس مجرّد الزواج مِن الأقارب أمراً مَذموماً، بل المذموم: هو اختيار زوج غيرسَليم أو زوجة غيرسَليمة، حيث يَعني ذلك: عدم إتّخاذ إجراءات وِقائيّة كافية لِضَمان مستقبَل صِحّي جيّد للنَسْل والذُريّة.

وهذا لايَختَصّ بالأقارب، بل هوعام.. يشمل الأباعد أيضاً. فلا ينبغي فَتْح باب جديد ـ في عِلْم الطِب ـ تحت عنوان: «كراهة أو مَخاطر الزواج مِن الأقارب»، فإنّ ذلك يعني: التفكير حول القضايا تفكيراً سَطْحياً، والغفلة عن المضاعَفات المؤسِفة الناتجة عن التطبيق ـ بشكل عام ـ لهذه النَظريّة غيرالناضجة.

النقطة الثانية: لقد ذُكرتْ في التعاليم الإسلاميّة ـ الواردة في موضوع الزواج والعلاقات الزوجيّة ـ أسباب كثيرة للتعوّق والتَشوّه في ←

← الخِلْقة، والإصابة بالأمراض البَدَنيّة والنفسيّة، وغير ذلك مِن أنواع الإعوجاج في النَسْل والذُريّة، وهي عامّة للجميع.. ولاتَختصّ بالأقارب. وهي جَديرة بالدراسة والإهتمام، فيَلزم مَعرفتها والتطبيق الحَرْفي لها، والإعتماد عليها.. لا علىٰ النظَريّات التي تَشكو مِن عدم النُضج.

النقطة الثالثة: إنّ نظريّة «كراهة الزواج مِن الأقارب» وَصلتْ إلينا مِن بلاد الغَرب، وهي تَعتمد ـ أوّلاً واخيراً ـ علىٰ التجارب التي أُجريَتْ في المجتمعات الغَربيّة فقط. فلعلّ هناك أسباباً أُخرىٰ تُورث التَعوُّق إجتمعتْ ـ عندهم ـ مع عامِل الزواج مِن الأقارب، فسَبَّبتْ ـ معاً أو لِوَحْدها ـ التشوّه والإعاقة.

والأسباب الأُخرىٰ هي مِثْل:

المُمارسة الجنسيّة بعد شُرْب الخمر وفي حالة السُكْر.

أو تكوّن النطفة مِن لحم الخنزير، أو بعض الحيوانات او الأسماك الّتي حَرَّم اللّه تعالىٰ اكْلَ لُحومها.

أو إنعقاد النطفة بعد الإسراف في عدد الممارسات الجنسيّة.

أو الإهمال الكامل لجميع الإرشادات الدينيّة المُرتبطة باللَحظات الأُولىٰ لِتكوّن الجنين. وما اشبَه ذلك من الأسباب الأُخرىٰ. ←

← فهنا ينبغي عدم مُقايَسة المجتمع الغَربي مع المجتمعات الإسلاميّة النظيفة ـ بالكامل أو بنسبةٍ مّا - عن الخَمر والخنزير، والأجواء المُثيرة لِغَريزة الجِنس، والغفلة عن تعاليم السماء.

وينبغي ـ أيضاً ـ البحث لإكتشاف السبب الرئيسي للتعوّق، والقيام بتجارب عِلْميّة.. مع الأخذ بعين الإعتبار لتعاليم السماء. وتَجنُّب الخَلْط بين المفاهيم والأُمور، والأسباب والمُسبَّبات.

قُلْ للذي يَدّعي في العِلْم فلسفةً حفِظتَ شيئاً وغابتْ عنكَ اشياءُ

النقطة الرابعة: يؤسِفُنا انّ بعض المثقّفين مِن المسلمين ـ الذين يَتقبّلون نَظريّات الغَرب تَقبُّلاً غير واعٍ ـ يُشجّعون علىٰ ترك الزواج من الأقارب بشكلٍ عام، وهم في جَهْل او غفلة عن الأضرار الناتجة من ذلك، ففي الزواج مِن غير الأقارب توجد ـ غالباً ـ الفُروق والإختلاف في العادات والتقاليد والأجواء والأخلاق، والجهل بنفسيّة الطَرَف الآخَر وحقيقته، وهذه الفُروق تكون ـ غالباً ـ سَبباً رئيسيّاً لِخَلْق أرضيّة النزاعات، وإيجاد جُذور الإختلافات، وبُروز طبَقة مِن البُرود المؤسِف الذي يُخيّم علىٰ العلاقات الزوجيّة والعائليّة. وتكون ـ في النهاية ـ بمنزلة المِعْوَل الهَدّام لإضعاف أسس الأُسرة السعيدة، ومَنْع تكوّن الإنسجام المطلوب بين الزوجين.

←

← **النقطة الخامسة**: هناك بعض العشائر والعوائل التي تَعيش في حالة مؤسفة مِن التنافر والتفكّك الأُسَري، بسبب ابتعادها عن أخلاقيّات الدين، وعدم رُضوخها لتعاليم الإسلام المُرتبطة بتركيبة حياة البشر. وفيها يَشِبّ الأطفال علىٰ الأحقاد، وعلى بُغْض الأعمام والعَمّات والأخوال والخالات، وغيرهم مِن أفراد العشيرة، وتعيش هذه الأُسَر ـ أحياناً ـ مُنغَلقة علىٰ نفسها، فلا تَزاورَ ولا تعاون ولا صِلَة أرحام، ولا وُدَّ ولا صَفاء.

فإنْ كانت بعض العوائل تُعاني مِن هذه الظاهرة المؤسفة، فلا يَعني ذلك أنّها تَتصوّر وجودَ نفس التفكّك في العشائر الأُخرىٰ، وتَقيس بنفسها جميع العوائل، وبذلك تَضُمّ صوتَها إلى مَن يَرفع لوحة (كراهة الزواج مِن الأقارب.. بصورة عامّة).

النقطة السادسة: حينما نُلقي نظْرة فاحِصة علىٰ المُجتمعات الإسلاميّة المعاصِرة نَجد عشرات الملايين من الأفراد الذين تَزوّجوا مِن أقاربهم ـ كابن العَم وبنت العَم ـ ولم يَحصل في نَسْلهم تَعوّق أو هُزال أو غَباء، أو مرض يكون قد إنتَقلَ إليهم بسبب زواج والديهم مِن الأقارب.

النقطة السابعة: إنّنا حينما نُلاحظ تاريخَ اهل البيت (عليهم السلام) نَجد أنّ الزواج مِن الأقارب كانت ظاهِرة مُنتشرة جداً في حياتهم: ←

← ١ـ فهذا نبيُّ الإسلام سيّدنا محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) زَوَّج ابنتَه سيّدةَ نساء العالَمين السيّدة فاطمة الزهراء مِن ابن عمّ والدها: الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.

٢ـ وهذا مولانا اميرالمؤمنين (عليه السلام) زَوّج ابنتَه السيّدةَ زينب الكبرىٰ مِن ابن عمّها: عبداللّه بن جعفر.

٣ـ وذاك الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) تَزوّج بنتَ عمّه: السيّدةَ فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

مع الإنتباه إلى انّ هؤلاء الأطهار مَعصومون مِن الخطأ والخَطَل، في القَول والعَمل، بصَريح قوله تعالىٰ: ﴿**إنّما يُريدُ اللّه ليُذهبَ عنكم الرجْسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً**﴾، وهم مُقتدىٰ الأجيال والأُمم، فلو كان في مجرّد «الزواج مِن الأقارب» قُبْح أو خَطا او خَطَر. لَكان المُتوقّع منهم الإبتعاد عنه، او ذِكْر سبَب وَجيه لِزواجهم مِن الأقارب، كي لا يَقتدي بهم الناس في ذلك.

هذا. وقد تَزوّج مسلمُ بن عقيل بنتَ عمّه: السيّدة رقيّةَ بنت الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام). وتَزوّج محمدُ بن جعفر بنتَ عمّه: السيّدةَ أمّ كلثوم بنت الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام). وتَزوّج عون بن جعفر بنت عمّه عقيل بن ابي طالب. ←

← والـمُـتَـتبّع ـ في التاريخ ـ يَحصل علىٰ مَصاديق وعَـيّـنات أخرىٰ لما ذكرنا.

فإنْ قال قـائل: إنّهم فَـعَلوا ذلك لِعَـدَم وجـود أمراض وراثيـة في افـراد عشيرة بَـني هاشم.. رجالاً ونساءً، فـلا يَصحّ تَعميم القانون علىٰ جميع الناس؟

قلنا في الجـواب: نعم، لم تكـن هناك أمراض وراثـيّـة. ولكن يَجب انْ نَـعـلَم بـانَّ الأصْـل في الـخَـلْق هـو: الصـحّـة.. ولـيـس المـرض. والحـالات الـمَـرَضيـة أمـور طارئة لايَنبـغي ـ بسببـهـا ـ تَعـميم قـانون الـمَـنْـع.. علىٰ الجميـع.

يُضـاف إلى ذلك.. انّ التـعـاليـم الدينـيّـة تَـضـمن الـصـحّـة للجـميع، وتَـتكفّل صيـانة المجتمع مِـن الأمراض الوراثية وغيـرها، وشِـعارُها مع البشر: «**الوقاية خيرٌ مِن العلاج**» ولا تَمنع مِن اتّـخـاذ التدابيـر اللازمة والتحقيق الـمُـسْـبَـق مِن اجل سلامة النَسل والذُريّـة.

النقطة الثامنة: ليس مـعنـىٰ تعليـقنا هذا هو التـأيـيـد العـام الـمُطلَق لِكلّ زواج مِن الأقارب، فهناك النـزاعات والإختـلافات العائليّـة والطائفيّـة والعقائديّـة، والبُرود في العلاقات.. وهي أُمور تَجـعل المجال مفتوحاً للزواج مِن غير الأقارب، حَـذَراً مِن العَواقب الـمُحتمَـلة. ←

← هذا . . والتفصيل يَحتاج إلى مجال واسع لِدراسة الموضوع دراسةً عِلْمية شامِلة، مع ذِكْر الإثباتات والوثائق العِلميّة، ومناقشة ادلّة الطَرَفين: المؤيّدين والمخالفين لهذه النظريّة. المُحقّق



عبدالله بن جعفر

لا اراني بحاجة إلى التحدّث عن حياة جعفر الطيّار ـ رضوان اللّه عليه ـ والد عبداللّه، ولا أجدُ ضرورة إلى التحدّث عن حياة سيّدنا أبي طالب (عليه السلام) أو عقيل أو بقيّة رجالات وسيّدات هذه الأسرة، الّذين يَنحدرون عن سيّدنا أبي طالب.

وإنّما المقصود ـ هنا ـ هو التحدّث عن حياة عبداللّه بن جعفر، وذلك لكونه زوج السيّدة زينب الكبرىٰ عليها السلام.

كان عبداللّه شخصيّة لامعة في عصْره، يَمتاز عن غيره نَسَباً وحَسَباً، وجُوداً وكرَماً، فقد ذكرَه أربابُ التَراجم ـ مِن الفَريقين (السُنّة والشيعة) في كُتُب التاريخ والحديث والرجال ـ بكلّ ثناء وتقدير، وعَدّوهُ مِن أصحاب رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) والإمام أميرالمؤمنين، والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجّاد (عليهم السلام).

وقد كان رابِطَ الجاش[1] قويَّ القلب، شُجاعاً، شَملَتْه ـ في طفولته ـ بَركة دُعاء رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وامتَدّتْ إلى آخر حياته.

فقد ذكرَ سبطُ إبن الجوزي في كتابه (تَذْكرة الخواص) في ذِكْر أولاد جعفر بن ابي طالب:

«عبداللّه، وبه كان يُكنّىٰ[2]، ومحمّد، وعَوْن، وأُمُّهم: أسماء بنت عميس، ولَدَتْهم بأرض الحبَشة[3] وكان جعفر قد هاجر إلى الحبشة الهِجْرة الثانية.

واشهرهم: عبداللّه، وكان مِن الأجواد، وهو مِن الطبقة الخامسة[4] ممّن توفّي رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وهو

---

(١) الجَاش: النَفس، والقَلب. يُقال: هو رابط الجاش اي: ثابتٌ عند الشَدائد، وقويّ القلب في الحروب والمُنازَعات. المُحقّق

(٢) اي: وكان جعفر يُكنّىٰ بـ «ابي عبداللّه».

(٣) بلاد الحَبَشَة: هي دولة «إثيوبيا» المعاصِرة، وعاصمتها «اديس آبابا»، وهي تَقَع في قارّة إفريقيا، يَحُدّها مِن الشمال والغَرب: جمهورية السودان، ومِن الشَرق: البحر الأحمر وجمهورية الصومال، ومِن الجنوب: الصومال وكينيا. المُحقّق

(٤) لقد قَسَّمَ مؤلِّفُ كتاب «الطبَقات الكُبرىٰ» صَحابَة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) إلى تَقْسيمات خاصَّة، وبكيفيّة مُعيّنة تَبادرتْ إلى ذِهْنه، وعَبَّر عن كلّ قِسْم بـ «الطبَقة»، فجَعَلَ ـ مَثَلاً ـ الصَحابَة ←

حَدَث، ولمّا ولدتْه أُمُّه اسماءُ بالحبشَة، وُلِدَ ـ بعد ذلك بأيّام ـ للنجاشي ولَد[١] فسَمّاه عبدالله، تَبركاً باسمه، وأرضعتْ أسماءُ عبدَالله بن النجاشي بلَبَن ابنها عبدالله.[٢]

وقال ابن سعد في كتاب (الطبَقات)[٣]:

حَدَّثنا الواقدي، عن محمّد بن مسلم، عن يحيىٰ بن أبي يعلىٰ، قال:

سمعتُ عبدَالله بن جعفر يقول: «انا احفَظُ حِينَ دخلَ رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) علىٰ أمّي فنَعىٰ إليها أبي، فأنظر إليه وهو يَمسح علىٰ رأسي ورأس أخي وعيناه تَذْرفان ـ أو تهرقان ـ بالدموع حتّىٰ تَقطُر لحيتُه.

ثمّ قال: «اللهمّ إنَّ جعفراً قد قَدم إلى أحسَن الثواب، فاخلُفْه في ذُرّيته بأحسَن ما خَلَفْتَ أحَداً مِن عِبادك في ذرّيته».

← الذين حَضَروا يومَ بَدْر قِسْماً خاصّاً وطبَقة أولىٰ، وهكذا... وحَسَب تقسيمه جَعَلَ عبدَاللهبنَ جعفر مِن الطبقة الخامسة.

(١) النجاشي: لَقَب مَلِك الحبشة يومذاك، واسمه: الأصْحَم بن ابجر.

(٢) المصدر: كتاب «تَذكرة الخواص» لسبط ابن الجوزي، ص ١٨٩.

(٣) علىٰ ما حَكاه عنه سبط إبن الجوزي في كتابه «تَذكرة الخواص» ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

ثمّ قال: «يا أسماء! الا أبشّرك؟»

قالت أمّي: بلىٰ، بابي انتَ وأمّي يا رسول اللّه!

قال: «فإنّ اللّه قد جعَلَ لجعفر جَناحين يَطيرُ بهما في الجنّة».

فقالت: يا رسول اللّه فاعْلِم الناسَ بذلك.

فقامَ رسولُ اللّه فاخذ بيدي ومسَحَ براسي، ورَقىٰ المنبر، فأجْلَسَني أمامَه علىٰ الدَرجة السُفلىٰ ـ والحُزْن يُعرَف عليه ـ[١] فتكلّم وقال:

«إنّ المَرء كثيرٌ باخيه وابن عمّه، الا: إنَّ جعفراً قد استُشْهد، وقد جعَلَ اللّه له جناحين يَطير بهما في الجنَّة».

ثمّ نَزل رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ودخَلَ بيتَه وأدخَلَني معه، وأمَرَ بطعامٍ فصُنعَ لأهْلي.

ثمَّ أرسلَ إلى اخي، فتَغدّينا عنده غذاءً طيّباً مُباركاً. . . . وأقَمْنا ثلاثة أيّام، نَدورُ معه في بيوت أزواجه ثمّ رجعْنا إلى بَيتنا.

فأتانا رسولُ اللّه وانا أساومُ بشاة أخاً لي[٢]، فقال: «اللهمّ

(١) اي: والحُزْن ظاهِرٌ علىٰ مَلامح وَجْهه الكريم.

(٢) أساوم: المُساومَة: طلَبُ البائع المُغالاة في الثَمَن، وطلبُ ←

بارِكْ له في صَفْقَته»[١]، فما بِعْتُ شيئاً ولا اشتريتُ إلّا بُورِكَ فيه»[٢].

ولعبد اللّه بن جعفر حوارٌ وكلام في مَجلس معاوية بن أبي سفيان، يَدلّ علىٰ ما كان يَتمتّع به عبداللّه مِن قوّة القلب، وثَبات الجَنان، والإيمان الراسِخ بالمَبْدأ والعقيدة، وعدم الإكتراث بالسُلطات الظالمة الغاشِمة.

أضفْ إلى ذلك الفصاحة والبلاغة، والمستوىٰ الأدَبي الأعلىٰ الأرقىٰ. فقد ذكر إبن أبي الحديد في (شرح نَهج البلاغة) عن المدائني:

قال: بينا معاوية ـ يوماً ـ جالس، وعنده عمرو بن العاص إذ قال الآذِن[٣]: قد جاء عبداللّه بن جعفر بن أبي طالب.

فقال عمرو: واللّه لأسوأنّه اليوم!

← المُشتري التَخفيض في ذلك. وقيل: هو الكلام الذي يَسْبق المُعاملة التجارية. «المُحقّق»

(١) الصَفقة: ضَرْبُ اليَد علىٰ اليَد في البَيع. وكان العَرَب إذا ارادوا إنهاء مُعاملة البيع ضَرَب احدُهما يَدَه علىٰ يَد صاحبه. والمعنىٰ: اللهمّ باركْ له في صَفقاته التجاريّة ومُعامَلاته. «المُحقّق»

(٢) تَذكرة الخَواص، لِسبط ابن الجوزي، ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٣) الآذِن: الحاجِب، ويُعبّر عنه ـ حاليّاً ـ بالسكرتير اوالبَوّاب.

فقال معاوية: لاتفعل يا أبا عبداللّه، فإنّك لاتنتصف منه، ولعلّك ان تُظْهرَ لنا مِن مَغبَّته ما هو خَفيّ عنّا،[١] وما لا نُحبّ ان نَعْلَمه منه!!

وغَشيَهم عبدُ اللّه بن جعفر[٢] فأدْناهُ معاوية وقَرَّبه.

فمالَ عَمرو إلى جُلَساء معاوية فنالَ مِن علي (عليه السلام) جهاراً غير ساترٍ له، وثَلَبه ثَلْباً قبيحاً!![٣]

فالتَمَعَ لونُ عبداللّه، واعتَراه الأفْكَل[٤]

---

(١) مَغَبّته: عاقِبةُ امْره. وفي نسخة: مِن مَنْقَبَته ما هو خَفيٌّ عنا.

(٢) غَشِيَهم: دَخَل عليهم.

(٣) ثَلبَه: تَنقّصَه وذكرَ مَعايبه. ومِن الواضح انّه لم يكن في الإمام اميرالمؤمنين علي (صلوات اللّه عليه) عَيبٌ او مَنْقَصَة، لكنّ الأكاذيب لها دَورها، والنَفسيّات اللَئيمة القَذِرة تُعبِّر عن هَويّتها ونَواياها، وتَظهر عن طريق تصرّفات الإنسان وسُلوكه. وكلُّ مَن يُدير ظهرَه للحقّ لابدّ له انْ يَسْحَقَ وجدانَه، ويُسكّت إرسالات تانيب الضمير.. بالأكاذيب والتُهَم التي يَعلَم ـ بنفسه ـ زَيفَها. ثمّ إنّ محاولة التزلّف إلى معاوية تَجعَل القَبيح حَسَناً والحسَنَ قبيحاً. المُحقّق

(٤) الأفكَل: رَجْفةٌ شديدة تَعتري الإنسان عند شِدّة الغَضَب او شدّة الخوف او البَرد.

حتّىٰ ارعدَتْ خَصائلُه[١] ثمّ نزل عن السَرير كالفنيق[٢] فقال عمرو: مَه يا اباجعفر؟

فقال له عبدالله: مَه؟ لا أمَّ لك؟ ثمّ قال:

اظنُّ الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قَومي وقد يَتجَهَّل الرجلُ الحليمُ

ثمّ حَسَرَ عن ذِراعيه[٣]، وقال:

يا معاوية! حتّىٰ متىٰ نَتَجرَّع غيظَك؟

وإلى كم الصَبْر علىٰ مَكروه قولك، وسَيِّئ ادَبك، وذَميم اخلاقك؟

---

(١) ذُكر في اكثر كُتُب اللغة: انّ الخَصائل ـ جَمْع خَصيلة ـ: كلُّ لَحْمةٍ فيها عَصَب. والظاهر انّ شِدّة الغَضَب جَعلتْ الرَجْفة تَظهر علىٰ مَلامح عبدالله وعلىٰ يديه واعضاء جسمه. المُحقّق

(٢) الفَنيقُ ـ مِن الناقة ـ: الفَحْل المُقْرم الّذي لا يؤذي ولا يُركَب. كما عن كتاب «العين» للخليل بن احمد، وجاء فيه ـ ايضاً ـ ناقة فَنَق: جَسيمَة وحَسَنة الخَلْق.

ولعلّ تَشْبيه عبدالله بالفَنيق.. لانّه كان ضَخْم الجِسْم. المُحقّق

(٣) اي: رَفَعَ اكمامَ ثوبه وكشَف عن ذِراعَيه، إستعداداً للمُواجَهة الشديدة والحرب الكلاميّة مع معاوية، الذي سَكتَ عن الموقف العدواني لعمرو، حيث إنّ المُتكلّم الذي يُريد استعمال إشارات يديه اثناء الكلام الجادّ.. يَرفع اكمامَه، مع الإنتباه إلى الأكمام الواسعة الطويلة التي كانت مُتعارَفة في مَلابس ذلك الزمان. المُحقّق

هَبَلَتْكَ الهَبُول!![1]

اما يَزجُرُك ذِمامُ المُجالَسة مِن القَذْع لجَليسك[2] إذا لم يكن له حُرْمة مِن دِينك تَنهاك عمّا لايَجوز لك؟!

أما: واللّه لو عطفتك أواصر الأرحام، أو حاميتَ عن سهمك مِن الإسلام، ما ارخَيْتَ - لِبَني الإماء المُتك[3] والعَبيد المُسك[4] - أعراضَ قومك.

وما يَجهَلُ موضعَ الصَفوة إلاّ أهل نَجْوة[5].

---

(١) هَبَلَتْك الهَبول: هَبَلَت الأمُّ ولَدها: ثَكلَتْهُ، فهي هَبُول. كما في المعجم الوسيط.

(٢) اي: اما يَمنَعُك آدابُ المُجالَسة مِن مَنْع مَن يُريد إهانة جَليسك وجَرْح مَشاعِره؟!

(٣) الإماء - جَمْع امَة -: العَبْدة. المُتك - بضمّ الميم -: جَمْع متكاء: المرأة المُفْضاة: وهي التي تَمزّق منها الغشاءُ الفاصِل بين مَخْرَج البول ومَجرىٰ دم الحيض - بسَبَب كثْرة إستقبالها للرجال!! - وقيل: هي المرأة التي لاتَستطيع ضَبْط نفسها مِن البول. قال الخليل بن احمد - في كتاب «العين» -: يُقال في السَبّ: يابنَ المَتْكاء. المُحقّق

(٤) المُسك - جَمْع مَسيك -: البَخيل.

(٥) لعلّ المعنىٰ: وما يَجهَلُ مَكانة الشُرَفاء إلاّ اصحاب النفوس الدَنيئة، ونَجْوة: المَحلّ الذي يُتغوّط فيه. وفي نسخة: وما يَجْهَل موضعَ الصَفوة إلاّ اهلُ الجَفْوة. المُحقّق

وإنَّك لَتَعرف وشائظ قريش[١]، وصقوة عوائدها، فلا يَدعونّكَ تصويبُ ما فَرط مِن خَطاك في سَفْك دماء المسلمين، ومُحاربة أميرالمؤمنين، إلى التَمادي فيما قد وضَحَ لك الصَوابُ في خلافه، فاقصد لمنهج الحقّ، فقد طالَ عَمْهُك عن سَبيل الرُشْد[٢]، وخَبْطُك في دَيجور ظُلْمة الغَيّ، فإنْ أبيتَ إلاّ أن تُتابعَنا في قُبْح اختياركَ لنفسك فاعفِنا عن سوء القالة فينا إذا ضَمَّنا وإيّاكَ الندي[٣]، وشأنُك وما تُريد إذا خَلَوْتَ، والله حَسِيبُك، فوالله لولا ما جعلَ اللّهُ لنا في يَدَيك لما أتَيناك.

ثمَّ قال: إنّك إنْ كلّفتَني ما لم أُطِق ساءَك ما سَرّك منّي مِن خُلُق.

فقال معاوية: يا أبا جعفر: أقسمتُ عليك لَتجلسنّ، لَعَنَ اللّهُ مَن أخرَجَ ضبّ صدرك مِن وجاره[٤]، مَحمولٌ لك ما قلتَ، ولكَ

---

(١) وَشائظ: السَفَلةُ، أو الدُخَلاء في القوم، لَيسوا مِن صَميمهم. كما في «لسان العرب» لابن منظور.

(٢) عَمْهُك: تَردّيك في الضَلالة. كما يُستفاد مِن كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

(٣) النَديّ والنادي: مَجلسُ القوم، والجَمْعُ: اندية. ويُعبّر عنه حاليّاً بـ«الديوان» و«الديوانيّة». المُحقّق

(٤) اي: اخرجَ غَيظ صدرك مِن مَكانه، او: مِن حَلْقك. يُقال: وَجَرَ فُلاناً: اي: اسْمَعَهُ ما يَكره. كما في كتاب المعجَم الوسيط.

عندنا ما أمّلتَ، فلو لم يكن مَجْدكَ ومَنصِبُك لَكان خَلْقُك وخُلُقك شافِعَين لك إلينا، وانتَ إبن ذي الجناحَين وسيّد بَني هاشم.

فقال عبدالله: كلاّ، بل سيّدا بَني هاشم حسنٌ وحسين، لا يُنازعهما في ذلك احَد.

فقال معاوية: يا أبا جعفر اقسمتُ عليك لما ذكرتَ حاجة لك قضيتُها كائنةً ماكانت، ولو ذَهبت بجميع ما أمْلِك.

فقال: أمّا في هذا المجلس فلا.

ثمّ انصَرَف، فأتْبَعه معاوية بصُرَّة.[1] فقال: واللّه لَكانّه رسولُ اللّه، مَشْيُه وخَلْقه وخُلُقه وإنّه لمن شكله، ولَوَددْتُ انّه أخي بنَفيس ما أمْلك.

ثمّ التفَتَ إلى عمرو فقال: ابا عبدالله ماتَراه منَعَه مِن الكلام معَك؟

قال: ما لا خَفاء به عنك.

قال: اظُنّك تقول: إنّه هابَ جوابَك، لا واللّه ولكنّه ازدَراك[2] واستَحْقَرك ولم يَرَكَ للكلام اهْلاً، اما رايتَ إقْبالَه عليَّ

---

(١) وفي نُسخة: بِبَصَرِه.

(٢) إزدراك: إحتَقَرك واستَخفّ بك.

دونَكَ، زاهِداً بنفسه عنك.

فقال عمرو: هل لك أن تَسمع ما أعددْتُه لِجوابه؟

قال معاوية: إذهب، إليكَ أبا عبدالله، فلاتَ حينَ جواب سائر اليوم[١]، ونَهَض معاوية وتَفرّق الناس.[٢]

لماذا لم يَخرج عبْدالله مع الإمام الحسين (عليه السلام)؟

هناك سؤال قد يَتبادر إلى بعض الأذهان وهو: لماذا لم يَخرج عبدالله بن جعفر مع الإمام الحسين (عليه السلام) في رِحْلته إلى العراق؟

لإجابة هذا السؤال: هناك أكثر مِن إحتمال، لأنّنا لا نَعلَم ـ بالضبط ـ الجوابَ الصحيح، لكنّ الّذي يَتبادر إلى ذهني ـ والله العالم ـ: أنّه كان مِن اللازم أن تَبقىٰ بَقيّة مِن أهل البيت في المدينة المنوّرة، لكي لا يَنجَح بَنو أميّة في إكمال خُطّتهم الرامية إلى استِئْصال شجرة آل الرسول الكريم، وكان اللازم أن تكون تلك البَقيّة في مُستوىً رفيع مِن قوّة

---

(١) اي: ليسَ الآن وقتُ ذِكْرك للجواب. او: لا أريد انْ اسمَع جوابَك الآن.. إلى آخر النهار.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، طبْع مصر، عام ١٣٨٥هـ، ج٦ ص٢٩٥ـ٢٩٧.

الشخصيّة والمكانة الإجتماعيّة.. رجالاً ونساءً، لكي يَستطيعوا المُحافظة علىٰ امتداد خط الإسلام الأصيل الذي يَنحَصِر في آل محمّد وعلي (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) ولكي يكونوا علىٰ درجة جيّدة بحيث يَحسِب لهم الأعداء الفَ حِساب، ولا يَسهُل عليهم إبادة تلك البَقيّة.

مِن هنا.. فإنّنا نَقرأ ـ أسماء ثُلّة مِن الّذين بَقَوا في المدينة المنوّرة، ولم يَخرجوا مع الإمام الحسين (عليه السلام). ومِن جملة هذه الثُلّة الطيّبة نَقرأ في القائمة:

١ ـ عبداللّه بن جعفر، مع الإنتباه إلى علاقاته الديبلوماسيّة الظاهريّة المُسْبَقة مع الطاغية معاوية، والإحترام الفائق الذي كان معاوية يُظهِره لَه.

٢ ـ محمّد بن الإمام اميرالمؤمنين علي (عليه السلام) المشهور بـ«إبن الحَنَفيّة».

٣ ـ السيّدة أمّ سَلمة، زوجة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

٤ ـ أمّ هاني، أُخت الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

٥ ـ السيّدة أمّ البَنين، قَرينة الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) ووالدة أشباله الأربعة.

٦ ـ السيّدة المُكرّمة ليلىٰ، قرينة الإمام الحسين (عليه

السلام) بناءً علىٰ القول بِعَدَم وجودها في رِحْلة كربلاء.

٧ ـ السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) حيث كانت مريضة.. مَرضاً يَصعُب مَعه السَفَر.

هذا.. وهناك إحتمال بانّ سبب عدم ذهاب عبدالله بن جعفر كان كِبَر السِنّ، ولكن قد يُضعّف هذا الإحتمال ماثَبتَ ـ تاريخيّاً ـ مِن ان عُمْره ـ يومذاك ـ كان حوالي خمس وخمسين سنة، ولا يُعتبر هذا المِقْدار مِن العُمْر كثيراً، إلّا إذا كانت الحياة مَقرونة بعَواصف نَفسيّة او جسْمِيّة تُسْرع الشَيخوخة والهرم إلى الإنسان.

وهناك إحتمال ثالث ذكره البعض: أن عبدالله بن جعفر كان قد فَقَد بَصرَه قبل رِحْلة كربلاء، وهذا الإحتمال يَصْلح سبباً وَجيهاً لِعَدم ذهابه، لكن بشرط أن يَثْبت تاريخياً. والله العالم بِحَقائق الأمور.



الفَصل الرابع

- ❐ أولاد السيّدة زينب عليها السلام
- ❐ مروان يَخطب بنت السيّدة زينب عليها السلام لِيزيد بن معاوية



أولاد السيّدة زينب (عليها السلام)

لقد اختلف المؤرّخون في عدد أولاد السيّدة زينب (عليها السلام) واسمائهم.

ففي كتاب (إعلام الورىٰ) للطبرسي:

«علي وجعفر وعون الأكبر، وأمّ كلثوم». [1]

وقيل: علي، وعون الأكبر، ومحمّد، وعبّاس، وأمّ كلثوم[2].

---

(١) كتاب «إعلام الورىٰ باعلام الهُدىٰ» للطبرسي، طبْع النجف الاشرف سنة ١٣٩٠هـ، ص٢٠٤.

(٢) تَذكرة الخَواص، لِسِبط إبن الجوزي، طبْع لبنان، سنة ١٤٠١هـ، ص ١٧٥.

أمّا محمّد وعون فقد استُشْهدا في نُصْرة خالهما: الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء بكربلاء.

وأمّا أمّ كلثوم فقد تزوَّج بها ابنُ عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر، وقد استُشْهد في فاجعة كربلاء.

مروان يَخطب بنتَ السيّدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية

لقد كان البيت الأُموي مُعقَّداً بعُقدة الحِقارة النفسيَّة، بالرغم مِن السُلطة الزَمنيّة التي اغتَصَبوها زوراً وبهتاناً، وظُلْماً وعدوانا.

فقد كانتْ صفحاتُ تاريخهم ـ خَلَفاً عن سَلَف ـ سوداء مُظلمة مُدلَهمَّة، مُلَوَّثة مُشوَّهة مِن مَساويهم ومَخازيهم.

فتلك (حمامة) وهي مِن جَدّات معاوية، وكانت مِن بَغايا مكّة ومِن ذوات الأعلام، أي: كان العَلَم يُرفرفُ علىٰ دارها (بيت الدعارة) لِيَعرف الزُناة ذلك، ويَقصدوها للفُجور بها.[1]

---

(١) جاء ذلك في كتاب (الطرائف في معرفة مَذاهب الطوائف) للسيّد علي بن موسىٰ بن طاووس، المتوفّىٰ سنة ٦٦٤هـ. ص٥٠١، طبع ايران عام ١٤٠٠هـ. وهو يَحكي ذلك عن كتاب (المثالب) لهشام بن محمّد الكلبي ـ وهو مِن مؤلّفي العامّة ـ. وهذا نَصُّ كلامه: «وامّا حمامة فهي مِن بعض جَدّات معاوية، وكان لها راية بـ(ذي المجاز) يعني مِن ذَوي الرايات في الزنا». المُحقّق

وتلك هِنْد ـ والدة معاوية ـ السافِلة القَذرة، ذات السَوابق العَفِنة، والملَفّ الأسود، آكلة الأكْباد، المُمتَلئة حِقْداً وعداءً على الإسلام والمسلمين.

وذاك ابو سُفيان: قُطْبُ المشركين، وشيخُ المُلْحِدين، ورأسُ كلِّ فتْنة، وحامِلُ كلِّ راية رُفِعتْ لحَرب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وقائد كلّ جيش خرجَ لقتالَ المسلمين في أيام النبي الكريم.

وهذا معاوية، خَلَفُ هذا السَلَف، وحَصيلةُ هذه الجَراثيم، وثمرة تلك الشَجرة الملْعونة في القرآن، وهو يَعلم انَّ الناس يَعلمون هذه السَوابق، ويَعرفون معاوية حقّ المعرفة.[1]

---

(١) ويَجدُر ـ هنا ـ انْ نَذكُر ما نَظَمَه الشاعرُ العظيم السيّد حيدر الحِلّي رحمة اللّه عليه، المتوفّىٰ سنة ١٣٠٥ هـ حيث يَنظر إلى الملفّ الأسود لبَني أُميّة ـ رجالاً ونساءً ـ، فيُخاطبُهم بقوله:

أُميَّةُ غُوري في الخُمول وانْجِدي فما لكِ في العَلْياء فَوْزةُ مَشْهَدِ

هُبوطاً إلى احسابكم وانخفاضِها فلا نَسَبٌ زاكٍ و لا طِيبُ مَولدِ

تَطاوَلْتُموا لا عن عُلاً فتَراجَعوا إلى حيثُ انتم، واقعُدوا شرَّ مَقعَدَ

قديمُكمُ ما قد عَلمتُم ومِثْلُه حَديثكُم في خِزْيه الْمُتَجَدِّدِ

فماذا الذي احسابُكم شَرُفَتْ به فاصعَدَكم في المُلْك اشرفَ مَصْعَد

←

فكيف يَجبُر هذا الشعور بالنقص.. الذي لا يُفارقه؟!

وكيف يَستر هذه العيوب التي أحاطتْ به وغَمرتْه؟

كان الإحساس والشُعور ـ بهذه السَوابق العَفِنة، والملَفّات الوَسِخة ـ يَحُزُّ في صدر معاوية.

←

صلابة اعلاكِ الذي بَلَلُ الحَيا ... به جَفَّ، امْ في لين اسفَلكِ النَدي

بَني عبْد شَمْسٍ لا سَقىٰ اللّه حُفْرةً ... تَضُمّكِ والفحشاء في شَرّ مَلْحَدِ

الـمّا تكوني في فُجورك دائماً ... بمَشغَلَةٍ عن غَصْب ابناء احمد

وراءَك عنها لا اباً لكِ إنّما ... تَقدّمتِها لا عن تَقدُّم سُؤدَدِ

عَجِبْتُ لمن في ذِلّة النَعْل راسُه ... به يتراءىٰ عاقِداً تاجَ سيّدِ

دَعوا هاشماً والفَخْر يَعقِد تاجَه ... علىٰ الجَبَهات المُسْتنيرات في الندي

ودونكُموا والعار ضُمّوا غِشاءَهُ ... إليكم إلى وَجْهٍ مِن العار اسودِ

يُرَشّحُ لكن لا لشيء سوىٰ الخَنا ... وَليدُكم فيما يَروح و يَغتدي

وتترفُ لكنْ للبِغاء نساؤكم ... فيُدنَسُ منها في الدُجىٰ كلّ مَرقدِ

ويَسقي بماءِ حَرْثكم غيرُ واحدِ ... فكيف لكم تُرجىٰ طهارةُ مَولِد

ذهبتُم بها شنعاء تَبقىٰ وصومُها ... لاحسابكم خزْياً لَدىٰ كلّ مَشْهد

المصدر: ديوان السيّد حيدر الحِلّي، طبع لبنان عام ١٤٠٤هـ، ص٧٠.

المُحقّق

فهو يُحاول ان يَكسب شيئاً مِن الشَرف والمَجْد، لِيَملأ هذا الفراغ ويَتخلّص مِن هذا الشعور، ويُغطّي علىٰ وَصمات الخزي مِن سِجلّ حياته ومِن صفحات تاريخه، ويَتشبّث بشتّىٰ الوسائل، ولكنَّ محاولاته كانت تَبوءُ بالفَشَل.

ومن جملة الطُرُق والوسائل التي حاولَ معاوية ـ مِن خلالها ـ إكتساب الشَرف والسُؤدد، هي مُصاهرة الأشراف، لإكتساب الشَرَف منهم.

وكان البيت العَلَوي الطاهر علىٰ علْم وبَصيرة مِن نَوايا معاوية واهدافه، ولهذا كانوا يَسدّون عليه كلَّ باب يمكن ان يَدخل منه.

فلقد أوصىٰ الإمام اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند وفاته: أن يَتزوّج المُغيرة بن الحارث بن الزبير بن عبدالمطّلب بأمامة بنت زينب بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

تلك السيّدة التي أوصتْ مولاتنا فاطمةُ الزهراء (عليها السلام) أميرَ المؤمنين ان يَتزوّج بها، حيث قالت: «وتزوّجْ بأمامة إبنة أختي، فإنّها لأولادي مِثْلي».

وإنّما أوصىٰ الإمامُ بذلك كي لايَتزوّج بها معاوية، فالإمام كان يَعلَم ـ بِعلْم الإمامة ـ بأنّ معاوية سوف يُحاول أن يَتزوّج بها،

ويَفتخر بانّه صاهَرَ رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وانّ حَفيدة النبيِّ قد صارتْ في حِبالته.

ولهذا أغلقَ الإمامُ البابَ على معاوية، وتركَه في ظلمات نَسَبه وحَسَبه![1]

---

(١) ذكرَ ابنُ عبد البَرّ في كتاب (الإستيعاب) - في ترجمة حياة أُمامة -: «تزوّجَها علي بن ابي طالب بعد فاطمة... . وكان علي بن ابي طالب قد امَرَ المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب انْ يَتزوّج زوجتَه بعدَه، لانّه خافَ انْ يَتزوّجها معاوية. فتزوّجَها المغيرةُ... . وذكرَ عمر بن شبّة بسَنَده انّ علياً لما حَضَرتْه الوفاة قال - لأُمامة بنت ابي العاص -: «لا آمَن انْ يَخطبكِ هذا الطاغية بعد موتي - يَعني: معاوية -، فإنْ كان لكِ في الرجال حاجة فقد رَضيتُ لكِ المغيرة بن نوفل عَشيراً». فلمّا انقَضَتْ عِدّتُها.. كتَبَ معاوية إلى مروان يأمره انْ يَخْطبها، ويَبذل لها مائة الف دينار!! فلمّا خَطَبَها ارسلتْ إلى المغيرة بن نوفل انّ هذا قد ارسَلَ يَخطبني، فإنْ كان لك بنا حاجة فاقبِلْ، فاقبَلَ وخَطَبَها مِن الحسن بن علي، فَزَوّجَها منه.

وذكر ابنُ حَجَر العسقلاني في كتاب (الإصابة) مثْلَ هذا النص.

وجاء في كتاب (الطبقات الكُبرىٰ) لابن سعد: ان أُمامة بنت ابي العاص قالت للمغيرة بن نوفل: إنّ معاوية قد خَطَبَني. فقال لها: اتَتزوّجين ابنَ آكلة الأكباد؟! فلو جَعلتِ ذلك إليَّ؟ قالت: نعم. قال: قد تَزوّجتكِ.

وحكىٰ السيّد الامين في (اعيان الشيعة) عن الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي زواجَ امامة مِن المغيرة بعد مَقتل الإمام امير المؤمنين عليه السلام. ←

وبعد سنوات قامَ معاوية بمُحاولة أخرىٰ، فلقد كـتَبَ إلى زميله ونَـظيره في الدَناءة واللؤم والحقارة والصلافة والوقاحة: مروان بن الحَكَم، ابن الزرقاء الزانية ـ وكان حاكماً علىٰ الحجاز مِن قِبَل معاوية ـ ان يَخطب أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر ـ وأُمُّها السيّدة زينب ـ لِيزيد بن معاوية.

وجاء مروان إلى عبدالله بن جعفر، واخبَرهُ بذلك.

ومِن الواضح: انّ عبدالله بن جعفر هو أبو الفَتاة، وله عليها الولاية، وهو يَعلم نَوايا معاوية وهَدفَه مِن هذه المُصاهَرة، ولكنّه

← هذا.. ولكن قد ذكرَ ابنُ شهرآشوب في كتاب (المناقب) ج٣ ص٣٠٥، عن كتاب (قوت القلوب) روايةً تَتنافىٰ مع ماذكره المؤرّخون، وهي: انّ المغيرة بن نوفل خَطبَ أُمامة، فرَوتْ عن علي (عليه السلام) انّه: لايَجوز لأزواج النبيّ والوصيّ ان يَتزوّجن بغيره بعده».

أقول: علىٰ فَرض صحّة هذا الخَبَر الاخير وثبوته، فإنّ هناك احتمالات:

١ ـ عدم صحّة ما قيلَ حول زواجها بعد الإمام (عليه السلام).

٢ ـ عدم صحّة ما قيلَ حول عدم زواجها، وهو الخَبَر الاخير.

٣ ـ الجَمْع بين هذا الخَبَر الأخير وبين الأقوال التاريخيّة: انّ زواجَها مِن بعد الوصي كان لِضَرورة التخلّص مِن الموقف المحْرج، وهو الزواج مِن معاوية. والله العالم بحقائق الأمور. المُحقّق

يَعتبر الإمام الحسين (عليه السلام) كبيرَ الأسرة، وسيّدَ العائلة، وأشرف أفراد العشيرة، فلا ينبغي لعبدالله بن جعفر ان يُنْعم بالقَبول ويوافقَ بدون موافقة الإمام الحسين، فتخلّصَ مِن هذا الطلَب المُحرِج، ومِن هذه الحيلة الشيطانيّة فقال: «إنّ أمْرَها ليس إليَّ، إنّما هو إلى سيّدنا الحسين، وهو خالُها». فاخبَرَ عبدُالله الإمامَ الحسين بذلك.

فقال الإمام: «أستخيرُ اللّهَ تعالىٰ، اللّهمّ وَفّقْ لهذه الجارية رِضاكَ مِن آلِ محمد». [1]

فلمّا اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) اقبَل مروان حتّىٰ جلَسَ إلى [جَنب] الحسين (عليه السلام) وعنده مِن الجِلّة. [2]

فقال مروان: إنّ اميرالمؤمنين [معاوية] امَرَني بذلك، وأن

---

(١) استخيرُ الله: اي اطلبُ مِن الله تعالىٰ الخيرَ والصَلاح في هذا الأمْر.

اللّهمّ وَفّقْ: اي: هَيّىءْ، التوفيق: تَهيئة الاسباب.

الجارية: الفَتاة.

رِضاك: مَن تَرضىٰ به زوجاً لهذه الفتاة.

مِن آل محمد: اي ويكون ذلك الزوج مِن اقرباء رسول الله القريبين منه.. لا مِن غيرهم. المُحقّق

(٢) الجِلّة ـ مِن القوم ـ كِبار السِنّ، والشخصيّات البارزة. كما يُستفاد مِن كتاب (لسان العرب) لابن منظور.

أجعَلَ مَهْرَها حُكْم أبيها بالغاً ما بَلَغ[١] مع صُلح مابين هذين الحَيّين[٢] مع قضاء دَينه[٣]. واعلم انّ مَن يَغْبطكم بيزيد اكثر ممّن يَغبطُه بكم!!

والعجَب كيف يُستَمْهَر يزيد وهو كُفْوُ مَن لا كفْوَ لَه!!

وبوَجْهِهِ يُستَسْقىٰ الغَمام!!

فرُدَّ خيراً يا أبا عبدالله؟[٤]

أقول: قبلَ أن أذكر تكملة هذا الخَبَر أودّ التعليق علىٰ كلمات مروان:

مِن الصحيح أن نقول: إنّ الصلافة والوقاحة لا حَدَّ لهما ولا نهاية، وإنّ دِناءة النَفْس وخساسة الروح تُسبّب إنقلاب المفاهيم إلى صورة أُخرىٰ.

فالحقير يَنقلب شريفاً، والنَذل يُعتبر مُحترماً، والوجْه الّذي لم يَسجُد لِلّه يُستَسقىٰ به الغَمام، ووليدُ الكفر والفجور يُغتَبَط

(١) اي: وان اجعلَ مقدارَ المهْر ما يُعيّنه ابو البِنْت، وهو عبدالله بن جعفر. مهما كان ذلك المقدار كثيراً.

(٢) الحَيّين: العشيرتين. الحيّ: القَبيلة.

(٣) اي: دَيْن ابيها عبدالله بن جعفر.

(٤) رُدَّ خيراً: اجِبْ بالإيجاب والموافقة.

به، والسافِل المنحَط يَصير أرفع وأجَلّ مِن أن يُطالَب بالمَهْر، بل ينبغي أن تُهدي العظماء فَتَياتها إليه هدايا بلا مَهْر!!!

هذا هو منطق مروان، وعصارة دماغه، وكيفيّة تفكيره، ومَدىٰ إدراكه للقِيَم والمفاهيم. وقد تجرّأ أن يَرفع صوته بهذه الأكاذيب التي لايَجهلها أحَد.. وكانّه لايَعلم مع مَن يَتكلّم، وعمَّن يَتحدَّث ويمدَح؟!

فأجابَه الإمام الحسين (عليه السلام) بجوابٍ ألقَمَه حَجَراً، وزَيَّفَ أباطيلَه وأضاليلَه، وفَنَّدَ تلك الترّهات التي صَدرتْ مِن أقذر لسان، وألعَنِ وأحقَر إنسان.

والآن.. إليك تكملة الخَبَر:

فقال ـ عليه السلام ـ: «**الحمدُ لِلّه الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لِدينه، واصطفانا علىٰ خَلْقه.... إلى آخر كلامه**».

أُنظرْ إلى قوَّة المنطق، وعُلوّ مستوىٰ النفس، وشِرافة الروح، وقداسة السِيرة، وغير ذلك ممّا يَتجلّىٰ في جواب الإمام الحسين (عليه السلام) لمروان بن الحَكَم.

فهو (عليه السلام) يَفتتح كلامه بحَمْد اللّه تعالىٰ الذي اصطفاهم واختارهم، وهذا مُنتهىٰ البلاغة والكلام المناسب لِمُقتضىٰ الحال، فتَراه يُصرِّح أنه مِن الأُسرة التي اختارَهم اللّه تعالىٰ للإمامة واصطفاهم، ومعنىٰ ذلك توفّر المؤهّلات فيهم،

وتواجُد الفضائل والمزايا والخَصائص التي لاتوجد في غيرهم، فهُم في أعلىٰ مستوىٰ مِن الشَرَف، وفي ذروة العظمة الـمَمْنوحة لهم من اللّه تعالىٰ، والفرقُ بينهم وبين غيرهم كالفَرق بين الـثُريّا والـثَرىٰ، والجواهر والحَصىٰ.

إذن، فهناك البون الشاسع بينَهم وبين غيرهم مِن الناس الّذين لم يَتلوّثوا بالجرائم، ولم يُسوِّدوا صَحائف اعمالهم بالمخازي، فكيف بمعاوية ويزيد ومروان، والذين هم مِن هذه الفصيلة!

ثم قال الإمام: **«يا مروان، قد قلتَ، فسمعْنا،**

امّا قولُك: «مَهْرُها حُكم ابيها بالغاً مابَلَغ»، فلَعَمْري لو أردْنا ذلك ماعَدَونا[1] سُنّة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) في بناته ونسائه وأهلِ بيته، وهو[2] اثنتاعشرة أوقية، يكون اربعمائة وثمانين درهماً.[3]

---

(١) عَدَوْنا: تجاوَزْنا. عدا عَدواً: تجاوزَ الـحَدّ في الشيء. كما في كتاب (لسان العرب) لابن منظور.

(٢) وهو: اي المهر.

(٣) الدرهم: وحْدة وَزْن، وقطعة مِن فضّة مَضروبة للمعاملة. امّا الوَزن: فقيل: إنّ الدرهم الواحد يُساوي ستّة دَوانق، والدانق: قيراطان، والقيراط: طسّوجان، والطسوج: حَبّتان، والحَبّة: سُدس ثُمُن درهم، وهو جزء مِن ثمانية واربعين جزءاً مِن الدرهم. الـمُحقّق

وأمّا قولك: «مع قضاء دَيْن أبيها» فمَتىٰ كُنَّ نساؤنا يَقضين عنّا دُيونَنا؟!

وأمّا «صُلْح ما بين هذين الحَيّين» فإنّا قومٌ عادَيْناكم في اللّه، ولم نَكُنْ نصالحكم للدنيا، فلقد اعيىٰ النَسَب، فكيف السَبَب؟

يُريد مروان أن يُصْلح بين الخير والشرّ، وبين الفضائل والرذائل، وبين أولياء اللّه وأعدائه، بذلك الزواج المقصود.

وكيف يمكن الصُلْح بين هاتين الفِئتين؟!

فهل يَتنازل أولياءُ اللّه تعالىٰ لأعداء اللّه، ويَعترفون لهم بقيادتهم المُغتَصَبة، وزعامتهم الملوَّثة، وجرائمهم ومَخازيهم؟؟!!

هل هذا معنىٰ الصُلْح بين الحَيّين؟!

أو يَجب علىٰ المُجرمين ـ المناوئين لأولياء اللّه ـ أن يَتوبوا ويَرتَدعوا عن أعمالهم اللاّاسلاميّة، ويَنقادوا لأهل البيت الّذين فرضَ اللّه تعالىٰ مودّتَهم، وأوجَبَ طاعتَهم وولايتهم؟!

فإن كان المقصود: المعنىٰ الأوّل، فهو مُستحيل شرعاً وعقلاً.

لانّ الإعتراف ـ للمُفسِدين ـ بالصلاح والتقوىٰ يُعتبر سَحقاً للمفاهيم الإسلاميّة، وإبطالاً للحقّ، وإحقاقاً للباطل، وحاشا أهل بيت رسول اللّه (عليهم صلوات اللّه) مِن هذا التنازل المُشِين المُزْري.

وإنْ كان المقصود من الصُلح: المعنىٰ الثاني، فهذا لايَتوقّف علىٰ المصاهَرة ولايحتاج إلى هذا الزواج السياسي، فإنْ كان البيت الأُموي يؤمن بالحقِّ في آل رسول اللّه فليَعْتَرف لَهم بذلك، وليَنسحب مِن ساحة القيادة، وليَنزل عن مَنصّة الحُكم، وعند ذلك يَتحقّق الصلح المَنْشود.. علىٰ حَدّ زعمهم.

ولكنّ مروان لايفهم هذه الأُمور، أو يَفهم ولكنّه يَجحد بالحقّ وهو مُستيقِن به، وإنّما يُريد أن يُحقّق هدفَه المَيشوم عن طريق المُغالطة في الكلام والتزوير في الحقائق والمفاهيم.

ومِن غَباوته أنه كان يَظنّ أن الإمام الحسين (عليه السلام) يَنخدع بهذه الأساليب المُلْتَوية والخُداع المكشوف.

ثم هَلمَّ معي لِنَنظر إلى البيت العَلَوي النَبَوي الشامخ، والشجرة الطيّبة التي أصلُها ثابت وفَرعُها في السماء، فالقرآن الكريم يُمطِر عليهم وابِلَ المدح والثناء.

بِدْءاً بصاحب الشريعة الإسلاميّة النبيّ الأقدس (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) إلى سيّد العِتْرة اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى سيّدة نساء العالَمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى سيّدَي شباب أهل الجنّة، رَيحانتي رسول اللّه: الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) إلى بقيّة الأئمّة الطاهرين (سلام اللّه عليهم أجمعين).

فهذه آية التطهير، وتلك آية المباهلة، وتلك آية المَودَّة، وتلك سورة هل أتىٰ، وتلك آية التبليغ، وتلك آية «إنّما وليّكم اللّه... .».

وكلُّها آياتُ تقدير، وباقاتُ تَمجيد، وعلائم وتصريحات بالإشادة بجلالة قَدْرهم وعلوّ شأنهم، مِن صَلاتهم وإنفاقهم وإطعامهم، وجهادهم وإيثارهم، وعِصْمتهم وقداستهم وغير ذلك.

وهذه مئات الآلاف مِن الكُتُب التي تَشهَد بخَصائصهم ومَزاياهم وفضائلهم ومكارمهم ومناقبهم.

إذن، فمِن الطبيعي أن تَحصل العَداوة والخُصومة بين هاتين الطائفتين، فالتناقض موجود دائماً بين الفضائل والرذائل، وبين الخير والشرّ، وبين النور والظلام، فكيف يُمكن الصُلْح بين هذين الحَيّين وهاتين العَشيرتين.. كما زَعَمَه مروان؟!

«فإنّا قوم عادَيناكم في اللّه، ولم نكن نُصالحكم للدنيا» إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) يَكشِف الغِطاء عن أسباب النزاع وموجِبات الخُصومة بين بَني هاشم وبين بَني أُميّة، إذ قد يكون سبب العَداوة ـ بين فِرْقتين أو عشيرتين ـ لأجل شيء مادّي، كالمال والرئاسة وماشابَهَ ذلك. وقد يكون سبب العَداوة عقائديّاً ودينيّاً، فكيف يمكن الوِئام والوفاق بين طائفتين هما علىٰ طرَفَي نَقيض مِن الناحية العقائديّة؟!

هذا.. و مِن الواضح ـ تاريخيّاً ـ انّ الطائفة التي بَدأتْ في

إظهار العَداوة وإشعال نار الفِتْنة والتفرقة هم بَنو أُميّة، وعلىٰ راسهم ابوسفيان. . شيخُ المشركين اوّلاً، ورئيسُ المنافقين آخِراً.

فمَن الذي قادَ جيشَ المشركين مِن مكّة إلى حرب رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) يومَ بدر؟!

ومَن الذي قادَ جيشَ المشركين في واقعة أُحُد؟!

ومَن الذي شَقّ بطنَ حمزة سيّد الشهداء وعمّ رسول اللّه، وأخرجَ قَلْبه وكبِده، وجدَعَ انفَه وأذنَيه، ومَثّلَ به شَرَّ مُثْلَة؟!

أليسَتْ هي هند زوجة ابي سفيان؟!

ومَن الذي قادَ جيوشَ الأحزاب في غزوة الخندق؟!

وَمن. . ومَن. . ؟!

ومَن الذي قال ـ يومَ بويعَ لِعثمان بن عفّان ـ: تَلَقّفوها يا بَني عبد شمس، فوالذي يَحْلِفُ به أبوسفيان: لا جَنّة ولا نار؟!

اليس هو ابا سفيان؟!

ومَن الذي حاربَ الإمام عليّاً (عليه السلام) يومَ صفّين، واقامَ تلك المَجزرة الرَهيبة التي كادَ أن يَنقطعَ فيها نَسْلُ العَرَب؟!

ومَن الذي سَنَّ لَعْنَ الإمام علي اميرالمؤمنين (عليه السلام) علىٰ المَنابر وفي قُنوت الصلاة، حتّىٰ قال الشاعر:

لَعَنتْه بالشام سبعينَ عاماً لَعَنَ اللّهُ كهْلَها وفَتاها

اليس هو معاوية؟

نحن لا نُريد ان نَفتَح مَلفّات أبي سفيان وابنه معاوية في هذه السطور، فالحديث عنهما طويلٌ طويل، فهذه مئات الكتُب والمُؤلّفات.. مِن الصِحاح وغيرها ـ علىٰ مَرّ القرون ـ تَرفَع السِتار وتكشف الغِطاء والقناع عن هويّتهما، وتُبيّن سَريرتَهما ونَفْسيّتهما، وسَوابِقَهما ولواحِقَهما، وتُعرِّفهما للمَلأ الإسلامي ـ إذا كان واعياً ـ وتوضّح مَواقف كلّ واحدٍ منهما تجاه الدين الإسلامي ورجالات المسلمين!![1]

وأمّا معنىٰ كلام الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ: «**فلقد أعيىٰ النَسَب، فكيف بالسبب؟**» فإنّ بَني هاشم كانوا هُمُ الصَفوة مِن قريش، وبنو أُميّة كانوا يَدّعون انّهم مِن قريش[2]، إذن.. فالنَسَب

---

(١) لِمعرفة المَزيد مِن المعلومات حول مَلَف ابي سفيان إقرا كتاب (الغدير) للمحقّق العظيم الشيخ الأميني، طَبْع بيروت، سنة ١٣٩٧هـ، الجزء العاشر، ص ٧٩ ـ ٨٤ وحول مَلَف معاوية إقرا الكتاب المذكور، الجزء ١٠ ص ١٣٨ ـ ٣٨٤، والجزء ١١ ص٣ ـ ١٠٣. المُحقّق

(٢) هناك نَظريّةٌ لِبعض الأعلام المُعاصرين، وهي انّ «أُميَّة» لم يكنْ ولَداً مِن صُلب عبْد شَمس، بل كانَ عبداً رُوميّاً.. إشتَراه عبدُشمس، ومع مُرور الايّام.. إستَلْحَقَه عبدُ شمس، فَنُسِبَ إليه، وكانتْ ظاهرةُ الإستِلْحاق رائجة قَبْلَ الإسلام. وبناءً علىٰ هذا الاساس لمْيكنْ هناكَ نَسَبٌ حقيقي ←

موجود بين هاتين العشيرتين: بَني هاشم وبَني أميّة، وقد اعيى وعجَزَ هذا النَسَب وهذه القَرابة ان تكون سبباً للصُلح والوِئام بين هاتين العشيرتين، فهل تَنفع المصاهَرة للإصلاح بينهما؟

وأمّا قولُك: «العَجَب لِيزيد كيفَ يُستَمهَر؟»، فقد استُمهِرَ[1] مَن هو خير مِن يزيد، ومِن أبِ يزيد، ومِن جَدّ يزيد!!

← بين بَني هاشم وبَني أميّة!! فلا يُعتَبَر بَنُو أميّة مِن قريش، وإنما هم مُلْحَقُونَ بهم.

واستُدلَّ لهذه النظريّة ـ او الحقيقة ـ: انّ معاوية لمّا كتَبَ إلى الإمام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في رسالةٍ لَه: «إنّما نحنُ وانتُم بَنُو عبْد مُناف» كتَبَ الإمامُ (عليه السلام) ـ في جَوابه ـ «ليسَ المُهاجِرُ كالطليق، وليسَ الصَريحُ كاللَصيق»!!

وقد جاء في مُقدّمة كتاب «مَثالبُ العَرَب» لِهشام بن الكلْبي، المُتوفّىٰ عام ٢٠٤ هـ، الطبعة الأولىٰ المُحَقَّقة، طبْع ايران، عام ١٤١٩هـ، ص٢٧، ما نَصُّه: «كانَ أميَّة عَبْداً لِعَبْد شمس، وَصَلَ إلى مكّة عَبْر تجارة الرَقيق، فتَبَنّاهُ عبدُ شمس». المُحقّق

ولمزيد التفصيل راجِعْ كتابَ «نَهْج البلاغة» المطبوع مع شرح محمّد عبده، طبع مصر، الجزء الثالث، ص ١٩، كتاب رقم ١٧ وكتابَ «إلزام النَواصِب» للشيخ البحراني المُتوفّىٰ عام ٩٠٠ للهجرة.

(١) إستُمهر: طُلِبَ منه المهر.

إنّ مروان لايَعلم بانّ المَهْر شَرطٌ في الزواج، وان «لازواجَ بلامَهْر»، بصَرْف النظر عن طرَفي النكاح ـ وهما: الزوج والزوجة ـ وشؤونهما، سواءً كان أحد الطرفين وضيعاً او شريفاً، غنيّاً أو فقيراً.

فإنّ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) الذي هو اشرف الكائنات وأفضل المَخلوقين، وسيّد الأنبياء والمُرسَلين ـ والذي كانت إحدىٰ نَعليه اشرف مِن جميع بَني أُميّة قاطبة ـ قد أمْهَرَ نساءَه، ولكن مروان يقول: والعَجَب كيف يُطلَب المهر مِن يزيد؟

ويَتجاوز مروان حُدودَ الصلافة والكذب ويقول: «إنّ يزيد كُفْوُ مَن لا كُفوَ له» اي: انّ يزيد يُعتبر كُفواً ونَظيراً لطائفة خاصّة من الناس، وطَبَقة عالية وراقية مِن المُجتمع، وهم العظماء والأشراف الذين ليس لهم نظير يُماثلهم في الشَرَف ويُساويهم في العظمة، فإنّ يزيد كُفْوهم ونظيرُهم في المجد والشَرَف.

ويُجيبُه الإمام الحسين (عليه السلام): **وامّا قولك: «إنّ يزيد كُفْوُ مَن لا كُفوَ له» فمَن كان كفْوُه قبلَ اليوم فهو كُفوه اليوم، مازادَتْه إمارتُه في الكفاءة شيئاً.**

يقول الإمام (عليه السلام): إنّ يزيد الذي هو حفيدُ ابي سفيان شيخ المنافقين، وحَصيلةُ هند: آكلة الأكباد، وثمرةُ حمامة: ذات العَلَم، وابن معاوية: فرع الشجَرة الملعونة في القرآن، وابن ميسون النصرانية، كلّ مَن كان كفوه ـ اي: نظيرُه ومَثيلُه ومُساويه ـ قبلَ اليوم.. فهو كفوه اليوم ايضاً. إن يزيد هُوَ هُو، لم تَتغيّر ماهيّته،

ولم تَتبدّل هويّتُه، بل حاضِرُه مثْلُ ماضيه، ولاحِقُه مثْلُ سابقِه، والإمارة المُغتَصَبة التي تَقمَّصَها مازادتْه إلاّ زوراً وبُهتاناً.

وامّا قولُك: «بوَجْهِه يُستَسقىٰ الغَمام»، فإنّما كان ذلك بِوَجْه رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

اقول: الوَجْه والجاه: القَدْر والمَنزِلة. وقد كان المسلمون ـ فيما مَضىٰ ـ إذا قَلّتْ عندهم الأمطار يَخرجون إلى الصحراء لِصلاة الإستسقاء، ويسالون من اللّه تعالىٰ أن يَسقيهم المطر، ولاشك انّ الذي يَتقدَّم الناسَ ويدعو اللّهَ تعالىٰ ينبغي ان يكون وَجيهاً، بان يكون له قَدْر ومنزلة عند اللّه (عزّوجلّ).

ولهذا كان الأنبياءُ يَتقدّمون في صلاة الإستسقاء، ويدعون اللّهَ تعالىٰ فيَستَجيبُ لهم، وهكذا نبيُّنا وبعضُ ائمّة أهل البيت (صلواتُ اللّه عليهم اجمعين) سالوا اللّهَ تعالىٰ أن يَسقيهم المطر، فاستجابَ اللّهُ دعاءَهم لِمَنزلتهم وقَدْرهم عند اللّه سبحانه.

وقد قال سيّدنا أبوطالب (عليه السلام) ـ في شأن رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ـ:

وأبيض يُستَسقىٰ الغَمامُ بوَجْهه

ثِمال اليتامىٰ، عصمةٌ للأراملِ[1]

وقد تكرّر مِن رسول اللّه الإستسقاء، فاستجابَ اللّه دعاءه

---

(١) المصدر: (مناقب آل ابي طالب) لابن شهرآشوب، ج١ ص ٢٣.

وأرسلَ غَيثاً مِدراراً، كلّ ذلك كرامةً لِوَجْه رسول الله وجاهه ومَنزلته العظيمة عند الله سبحانه، ولكن مروان يقول: «بوَجْه يزيد يُستَسقىٰ الغَمام!!».

وأنا أقول: نعم، بوَجْهه يُستَسقىٰ الغَمام، لِفُجوره وخُموره، وقماره ومُنكراته، وموبقاته ومَخازيه، وجرائمه ونَسَبه. وبهذه الفضائل!! يُستَسقىٰ بوَجهه الغَمام!!

أليس هكذا؟!

«واعلم أنّ مَن يَغبطكم بِيَزيد أكثر ممّن يَغبط يزيد بكم».

يقول هذا الأحمق: إنّ الذين يَتمنّون أن يَخطِب يزيد منهم، أكثر مِن الذين يَتمنّون أن يَخطبوا منكم فَتياتكم!!

إنّ مروان اللعين يُريد أن يقول: إنكم تَزدادون شَرَفاً بهذه المُصاهَرة، وأمّا يزيد فإنّه لايَزداد شرفاً بها، لأنّه أرفع مَنزلةً وأعلىٰ قدراً مِن أن يَتشرّف بهذه المصاهرة.

إقرأ كلامَهُ واضحك!

فأجابه الإمام: **وأمّا قولك: «مَن يَغبطنا به أكثر ممّن يَغبطُه بنا، فإنّما يَغبِطُنا به أهلُ الجهل، ويَغبطُه بنا أهلُ العقل»**.

ومعنىٰ كلام الإمام: أنّ الذين يَجْهلون القِيَم الإنسانية، والمفاهيم الدينيّة هم الذين يَتمنّون أن يَخطب يزيد منهم، لأنهم يَنظرون إلى مايَتمتّع به يزيد مِن مَتاع الدنيا والرفاه والرخاء.

وأمّا العقلاء، الذين يَفهَمون المَقاييس الأخلاقية، والقِيَم الرُوحيّة، فهم يَتمنّون ان يَخطبوا منّا فَتَياتنا، لأنّنا في أوج العظمة، وذروة الشَرَف، وقمّة الفضائل.

ثم قال الإمام ـ بعد كلام ـ: **«إشهَدوا جميعاً انّي قد زَوّجْتُ أمَّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر مِن ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر، علىٰ أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نَحَلتُها ضَيْعَتي[1] بالمدينة[2] وإنّ غَلّتَها في السَنة[3] ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنىٰ إنْ شاء اللّه».**

أقول: قد اشتهر ـ في ذلك الزمان ـ كلامُ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «بَناتُنا لبَنينا، وبَنونا لِبَناتنا»، ومَن أولىٰ مِن الإمام الحسين بتطبيق هذا الكلام؟. وقد سَبَقَه إلى ذلك أبوه أميرُالمؤمنين (عليه السلام) حينما زَوّجَ ابنتَه زينبَ الكبرىٰ مِن ابن عمّها عبداللّه بن جعفر.

ولهذا بادرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) إلى تزويج إبنة أخته مِن ابن عمّها، وقد دَفعَ الصَداق مِن ماله، وأمَّنَ حياتَهما

(١) نحلتُها: اعطيتُها. ضَيعَتي: مَزْرعتي او بستاني.

(٢) او قال: ارضي بالعقيق، والعقيق: إسمُ منطقة في ضواحي المدينة.

(٣) غَلّتَها: واردُها. قال الطريحي ـ في مجمع البحرين ـ: الغَلّة: الدَخْل الذي يَحصل من الزرع والتمر واللبن والإجارة والبِناء ونحو ذلك، وجمْعُه: الغَلاّت.

الإقتصاديّة بتلك المزرعة، الكثيرة البركة، التي وهَبَها لها.

فتَغيّر وَجْهُ مروان، وقال: «اغدْراً يا بَني هاشم؟ تابون إلّا العَداوة؟».

إنّ هذا العدو الغادر يَنسِبُ الغَدْر والعَداوة إلى آل رسول اللّه الذين أذهبَ اللّه عنهم الرجس وطهَّرَهم تطهيراً.

فقال مروان:

اردْنا صِهْركم لِنُجِدّ وُدّاً قد اخلَقَهُ به حَدَثُ الزمان
فلمّا جئتُكم فجَبَهْتُموني وبُحتُم بالضمير مِن الشنان

وهنا.. ما أرادَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) أن يَسْتمرَّ في مُحاوَرة ذلك الحَقير، وانْ يُلقمَ مروانَ الحَجَر اكثر مِن هذا، فتَقدَّم ذكوان[1] واجابَ مروانَ:

أماطَ اللّهُ عنهم كلَّ رِجْسٍ وطَهّرَهم بذلك في المَثاني
فما لهُمُ سِواهمْ مِن نَظيرٍ ولا كُفْوٌ هناك ولا مُداني
ايجعلُ كلّ جَبّارٍ عَنيدٍ[2] إلى الأخيار مِن أهل الجِنان؟[3]

(١) ذكوان: إسم رجل.. كان عبْداً للإمام الحسين (عليه السلام) ثمّ اعتَقَه الإمام. وكان عالماً شاعراً أديباً، جَريئاً علىٰ الكلام. المُحقّق

(٢) وفي نسخةٍ: اتجعل. ولعلّ الصحيح: ايُجعَلُ، او: ايَجْعَلُ. المُحقّق

(٣) المصدر: كتاب المناقب لابن شهرآشوب، ج٤ ص ٣٨ ـ ٣٩.

أقول: لقد رَوىٰ الشيخُ المجلسي (رحمة اللّه عليه) هذا الخَبَر في كتاب (بحار الأنوار) عن بعض الكتُب القديمة، ونَسَبَه إلى الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام)[1]. وليس بصحيح، لأن إمارة يزيد كانت بعد مقتل الإمام الحسن (عليه السلام)، وهذه الخِطْبة كانت في أيّام إمارة يزيد وكونه وليّاً للعهد.

(١) بحار الأنوار، ج٤٤ ص ١١٩، باب ٢١، حديث ١٣.

الفَصل الخامس

- إستعراض موجَز لحياة السيّدة زينب الكبرىٰ



بمقدار ما كانت حياة السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) مَشفوعة بالقداسة والنزاهة، والعفاف والتقوىٰ، والشَرف والمَجْد، كانت مليئة بالحوادث والمآسي والرزايا، منذ نعومة أظفارها وصِغر سِنّها إلى أواخر حياتها.

فلقد فُجعتْ بجدِّها الرسول الأعظم (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وكان لها مِن العُمر ـ يومذاك ـ حوالي خمس سنوات، ولكنَّها كانت تُدرك هولَ الفاجعة ومُضاعَفاتها.

ومِن ذلك اليوم تَغيَّرتْ مَعالمُ الحياة في بيتها، وخَيَّمت الهُموم والغُموم علىٰ أُسرتها، فقد هجَم رجالُ السقيفة علىٰ دارها لإخراج أبيها أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مِن البيت لأخذ البيعة منه، بعد أن أحرَقوا بابَ الدار وكادوا أن يُحرقوا الدار بمَن فيها.

وقد ذكرنا في كتاب: (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد) شيئاً من تلك المصائب الّتي انصبَّتْ علىٰ السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مِن الضرْب المبرّح وإسقاط الجنين، وغير ذلك ممّا

يَـطـول الكلامُ بـذِكْـره.

وكانت جميع تلك الحوادث بمرأىٰ مِن السيّدة زينب ومَسْمَع، فلقد سَمعتْ صراخ أُمِّها مِن بين الحائط والباب، وشاهَـدتْ الأعداء الذين أحاطـوا بها يَـضربـونها بالسـوط والسيف المغْـمَـد، وغير ذلك ممّا أدّىٰ إلى إسقاط إبنها المُحْسن، وكسْر الضِلْـع، وتورُّم العَـضُـد الذي بَـقـيَ أثَـرُه إلى آخِـر حـيـاتـها.

و ـ بعد شهور ـ فُجعَت السيّدة زينب بوفاة أُمّها (سلام اللّه عليها) وهي في رَيَـعان شبابها، لأنّها لم تَبلُغ العشرين مِن العُمر، ودُفنتْ ليلاً وسِراً، في جوٍّ مِن الكتمان، وعُـفّـي موضعُ قَبرها إلى هـذا الـيـوم.

ومنذ ذلك الوقت كانت السيّدة زينب ترىٰ أباها أمير المؤمنين (عليه السلام) جليسَ الدار، مَسلوبَ الإمكانـيّـات، مَدفـوعاً عن حقّه، صابراً علىٰ طول الـمُـدَّة وشِدَّة المِـحْـنـة.

وبعد خمس وعشرين سنة ـ وبعد مقتل عثمان ـ أكرهوه أن يوافق علىٰ بيعة الناس له، فبايعوه بالطوع والرغبة، وبلا إجبار أو إكراه مِن أحَد، وكان أوّل مَن بايعه: طلحة والزبير، وكانا أوّلَ مَن نكثَ البيعة ونقضَ العَـهْـد، والتحقا في مكّة بعائشة، وخَرجوا طالبين بدم عثمان، وقادا الناكثين (لِلبَـيْـعـة) مِن المناوئين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقصَدا البصرة وأقاما مَجزرةً رهيبة ـ في واقعة الـجَـمَـل المعروفة ـ وكانت حصيلتُها خمسة وعشرين الف قتيل.

وبعد فترة قصيرة أقامَ معاوية واقعة صفّين، وقادَ القاسطين، واشتدَّ القتال وكادَ نَسلُ العَرَب ان يَنقطع مِن كثرة القتلىٰ، وتوقَّف القتال لأسباب معروفة مُفصَّلة.

ثمّ أعقَبتْها واقعةُ النهروان التي قُتلَ فيها اربعة آلاف.

وتُعتبر هذه الحروب مِن اهمّ الإضطرابات الداخليّة في ايّام خلافة الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام.

وانتهت تلك الأيام المؤلمة بشهادة الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) ومَقْتلَه علىٰ يد عبدالرحمن ابن مُلْجَم!

ولمّا قام اخوها: الإمامُ الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) باعباء الإمامة تَخاذلَ بعضُ أصحابه في حربه مع معاوية، وصدرتْ منهم الخيانة العظمىٰ التي بقيتْ وَصْمة عارها إلى هذا اليوم، فاضطرّ الإمام الحسن (عليه السلام) إلى إيقاف القتال حِقْناً لِدِماء مَن بَقِيَ مِن أهل بيت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

وخَلا الجوّ لمعاوية بن ابي سفيان وعُمَلائه، وظهرَ منهم اشدّ انواع العِداء المكشوف للإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وسَنَّ معاوية لَعْنَ الإمام علىٰ المنابر في البلاد الإسلاميّة، وامرَ باختلاق الأحاديث في ذمّ الإمام والمَسّ بكرامته.

كلُّ ذلك بمرأىٰ مِن السيّدة زينب ومَسمَع.

وطالتْ مُدَّة الإضطهاد عشر سنين، وانتهتْ إلى دَسّ السُمّ إلى

الإمام الحسن (عليه السلام) بـمَـكيدة مِن معاوية، وقضىٰ الإمامُ نحْبه مَسموماً، ورَشَـقوا جـنـازتـه بالسهام حتىٰ لايُدفَن عند قبر جدِّه رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.[1]

وهكذا امـتـدَّتْ سنواتُ الكبْت والضغط، وبلغَ الظُلم الأُموي القمّة، وتجاوز حدودَ القساوة، وانصبَّت المصائب علىٰ الشيعة في كلّ مكان، بكـيفيّـة لامثيلَ لها في التاريخ الإسلامي يومذاك، مِن قَطْع الأيدي والأرجل، وسَمل العيون، وصَلْب الأجساد، وأمثال ذلك من الأعمال الوحشيَّة البَـربـريّـة![2]

وعاصَرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) تلك السنوات السُود التي انـتهتْ بموت معاوية واستيلاء إبنه يزيد علىٰ منصّة الحكم.

هذه عُصارة الخُـلاصة للجانب المأساوي في حياة السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) المَـليـىء بالكوارث والحوادث، طيلةَ نيّـف وأربعـين سنة مِن عمْرها.

وأعظم حادثة، وأهمّ فاجعة حَدَثـتْ في حياة السيّدة زينب هي فاجعة كربلاء التي أنسَتْ ماقبلَها مِن الرزايا، وهَـوَّنـتْ مابعدَها مِن الحـوادث والفجائع.

---

(١) كتاب المناقب، لابن شهرآشوب ج٤، ص ٤٢ و٤٤.

(٢) كتاب سُليم بن قيس الهلالي، طبْع بيروت، مؤسّسة البعثة، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

الفَصل السادس

- السيّدة زينب وفاجعة كربلاء
- مَجيء إبن زياد إلى الكوفة
- يوم التَروية
- الإمامُ الحسين يَصطَحب العائلة
- الإمام الحسين في طريق الكوفة



السيّدة زينب وفاجِعة كربلاء

لابدّ مِن ان نَبدأ مِن أوائل الواقعة، مع رعاية الإختصار، ليكون القارىء علىٰ بَصيرةٍ اكثر مِن الأمر:

ماتَ معاوية بن أبي سفيان في النصف مِن شهر رجب، سنة ٦٠ مِن الهجرة، وجلَسَ إبنُه يزيد علىٰ مَنصّة الحُكم، وكتَبَ إلى الوُلاة في البلاد الإسلامية[١] يُخبرهم بموت معاوية، ويَطلب منهم اخْذ البيعة له مِن الناس.

وكتَبَ إلى والي المدينة كتاباً يامره باخْذ البيعة له مِن اهل المدينة بصورة عامّة، ومِن الإمام الحسين (عليه السلام) بصورة خاصّة، وإنْ امتَنعَ الإمام عن البيعة يَلزم قَتْله، وعلىٰ الوالي تنفيذ الحُكم.

واستطاع الإمام الحسين انْ يَتخلّص مِن شرّ تلك البيعة،

(١) الوُلاة ـ جَمْع والي ـ: وهو حاكم البَلَد، ويُعبَّر عنه ـ حالياً ـ بالمحافظ.

وخَرَج إلى مكّة في أواخر شهر رجب، وانتَشرَ الخَبَر في المدينة المنوَّرة أنّ الإمام امتنع عن البيعة ليزيد. وانتشر الخَبر ـ أيضاً ـ في مكّة، ووَصلَ الخبر إلى الكوفة والبصرة.

وكانت رِحْلة الإمام الحسين إلى مكّة بداية نهضته (عليه السلام)، وإعلاناً وإعلاماً صريحاً بعَدَم اعترافه بشرعيّة خلافة يزيد، واغتصاب ذلك المنصب الخطير.

وهكذا استَنكفَ المسلمون أن يَدخلوا تحتَ قيادة رجلٍ فاسد فاسق، مُستَهتر مُفتَضَح، مُتجاهِر بالمنكرات.

فجعلَ أهلُ العراق يُكاتبون الإمامَ الحسين (عليه السلام) ويَطلبون منه التوجّه إلى العراق لِيُنقذهم مِن ذلك النظام الفاسد، الذي غيَّرَ سيماء الخلافة الإسلاميّة بأبشَع صورة وأقبح كيفيّة!

كانت الرُسُل والمراسَلات مُتواصِلة بين الكوفة ومكّة، ويَزداد الناسُ إصراراً وإلحاحاً علىٰ الإمام الحسين أن يُلبّي طَلبَهم، لأنّه الخليفة الشرعي لرسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) المَنصوص عليه بالخلافة مِن جَدّه الرسول الكريم.

فأرسلَ الإمام الحسين (عليه السلام) إبنَ عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، والتفَّ الناسُ حول مسلم، وبايعوه لأنَّه سفيرُ الإمام ومَبعوثه، وبلَغَ عدد الذين بايعوه ثمانية عشر ألفاً، وقيل: أكثر مِن

ذلك. فكتبَ مسلم إلى الإمام يُخبره باستعداد الناس للتجاوب معه، والترحيب به ونُصرته ـ كما فَهمَه مسلم مِن ظواهر الأُمور ـ.

وقرَّرَ الإمام أن يَخرج مِن مكّة نحو العراق مع عائلته المَصونة وإخوته وأخَواته، وأولاده وأبناء عمّه وجماعة مِن أصحابه وغيرهم.

وخاصّةً بَعدما عَلِمَ بأنّ يزيد قد بَعثَ عِصابةً مُسلّحة، مؤلّفَة مِن ثلاثين رجل، وأمرَهم بقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة، أينما وَجَدوه.. حتّىٰ لو كانَ مُتعلّقاً بأستار الكعبة!



مَجيء ابن زياد إلى الكوفة

وجاء عبيدُ اللّه بن زياد ابن ابيه مِن البصرة إلى الكوفة والياً عليها مِن قِبَل يزيد بن معاوية، وجعَلَ يُهدِّد الناسَ بجيش مَوهوم، قادِم مِن الشام.

واجتمع حولَه الذين كانوا لايَتعاطفون مع الإمام الحسين، وجعل ابن زياد يُفرّق الناسَ عن مسلم بالتهديد والتطميع، فانفَرَج الناسُ عن مسلم، وتفرّقوا عنه.

وفي اليوم الذي خرج الإمام الحسين (عليه السلام) مِن مكّة نحو العراق كانت الأُمور مُنقلبة ضدّ مسلم في الكوفة، وأخيراً أُلقيَ عليه القبض وقُتل (رضوان اللّه عليه).

وفي أثناء الطريق بَلَغَ خَبرُ شهادة مسلم إلى الإمام الحسين، فكانت صدمة علىٰ قلبه الشريف.

ولا نَعلم ـ بالضبط ـ هل رافقت السيّدة زينب الكبرىٰ عائلةَ

أخيها مِن المدينة؟ أم أنّها التَحقتْ به بعد ذلك؟

وخَفيتْ علينا كيفيّة خروجها مِن المدينة المنوّرة إلى مكّة، ولكنّنا نَعلم أنها كانت مع عائلة أخيها حين الخروج مِن مكّة، وفي أثناء الطريق نحو الكوفة، وعاشت أحداثَ الطريق مِن لقاء الحرّ بن يزيد الرياحي بالإمام، ومُحاولته إلقاء القبض علىٰ الإمام في أثناء الطريق وتسليمه إلى عبيدالله بن زياد.

وإلى أن وَصَلوا إلى كربلاء في اليوم الثاني مِن المحرّم، ونـزَلَ الإمام ومَن معه، ونَصَبوا الخيام ينتظرون المُقدّرات والحوادث.

يومُ التَرْوية

يوم التَرْوية: هو اليوم الثامن مِن شهر ذي الحِجَّة[1]، وهو اليوم الذي يَزدحم فيه الحُجّاج في بَلدة مكّة المكرَّمة، فالقوافل تَدخل مكّة مِن جميع أبوابها.

وطائفة مِن الحُجّاج يَخرجون في هذا اليوم إلى منىٰ ويَبيتون فيها ليلةً واحدة، فإذا أصبحَ الصَباح مِن يوم عَرفة ـ وهو اليوم التاسع ـ يَخرجون إلى أرض عَرَفات.

وبعضُهم يَبقىٰ في مكّة حتّىٰ يوم عرفة، ثمّ يَخرج إلى عرفات، إستعداداً لأداء مناسك الحَجّ.

---

(١) التَروية: رَوّىٰ تَرْويةً: تَزوّد بالماء. وقد جاء في الحديث انّه سُئلَ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن سبَب تسمية اليوم الثامن بيوم التروية؟ فقال: «لأنّه لم يكن بعَرَفات ماء وكانوا يَستقون مِن مكّة مِن الماء لِريّهم، وكان يقول بعضُهم لبعض: ترويّتم.. ترويّتم؟؟ فسُمّيَ يوم التروية لذلك». رَواه الشيخ الصدوق في كتاب «عِلَل الشرائع» ج٢ ص١٤١، باب ١٧١.

في هذا اليوم الذي كانت مكّة تَموج بالحجّاج، خرج الإمام الحسين (عليه السلام) مِن مكّة، بِجميع مَن معه مِن الأهل والأولاد والأصحاب.

إذن، فمِن الطبيعي أن تكون مغادَرة الإمام الحسين مِن مكّة ـ في هذا اليوم ـ تَجلب إنتباهَ الحُجّاج، وتَدعو للتساؤل، وخاصّةً بعد انْ عَلموا بانّ الإمام مَكثَ في مكّة.. طيلةَ اربعة اشهر، فما الّذي دَعاه ان يُغادِرَ مكّة في هذا اليوم الذي يقصد الحُجّاج مكّة لأداء مناسك الحج؟!

وما المانع مِن ان يَبقىٰ الإمام ايّاماً قلائل لإتمام حَجّه، ثم مُغادرة مكّة؟

والإمام الحسين (عليه السلام) أولىٰ مِن غيره باداء الحجّ ورعاية هذه الأمور!

فلا عَجَب إذا تَقدّم إليه بعضُ الناس يَعترضون عليه ويسالونه عن سَبَب خروجه مِن مكّة في هذا اليوم، فكان الإمامُ يُجيبُ كلَّ واحدٍ منهم بما يُناسب مستواه الفِكْري والعَقلي.

إنّ هناك دواعٍ ودوافعَ واسباباً كثيرة اجتمعتْ، وفَرضتْ علىٰ الإمام انْ يَخرج مِن مكّة في ذلك اليوم، ونسال اللّه تعالىٰ ان يوفّقَنا لذِكْر بعضها في كتاب (الإمام الحسين مِن المهد إلى اللحد) إنْشاء اللّه تعالىٰ.

ومِن جملة الذين تَقدّموا إلى الإمام وسالوه عن سَبَب خروجه هو عبداللّه بن جعفر زوج السيّدة زينب الكبرىٰ.

فإنّه حاولَ ـ حسب تفكيره ـ أن يَردَّ الإمام عن مُغادرة مكّة نحو العراق، ولكنّ الإمام قال له: «إنّي رأيتُ رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) في المنام، وأمَرَني بما أنا ماضٍ له».

فقال له: فما تلكَ الرؤيا؟

قال: «ما حَدَّثْتُ أحَداً بها، ولا أنا مُحدِّثٌ بها حتّىٰ القىٰ ربّي»[1].

فلمّا يَئسَ منه عبدُاللّه بن جعفر أمَرَ إبنَيه عوناً ومحمّداً بمُرافَقَة الإمام، والمَسير مَعه، والجهاد دونه.[2]

وفي كتاب «المُنْتَخَب» للطُريحي أنّ محمّد بن الحنفيّة لمّا بلَغَه الخبر انّ أخاه الإمام الحسين خارج مِن مكّة إلى العراق، جاءَه وأخَذَ بزمام ناقته وقد ركبَها، وقال له:

يا أخي! الم تَعِدْني النَظَر فيما سالتُك؟

قال: بلىٰ.

---

(١) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٢١٩ فصل «خروج الإمام الحسين مِن مكّة»، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج٤٤ ص ٣٦٦، باب ٣٧.

(٢) نَفس المصدر.

قال: فما حمَلَك علىٰ الخروج عاجلاً؟

فقال: قد أتاني رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) بعدما فارقتُك وقال:

«يا حسين أُخرجْ إلى العراق فإنّ اللّه شاءَ أنْ يَراكَ قَتيلاً مُخضّباً بدمائك».

فقال محمّد: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، فإذا علمتَ أنّك مقتول فما معنىٰ حَمْلك هؤلاء النساء معَك؟

فقال: لقد قال لي جدّي:

«إنّ اللّه قد شاء أن يَراهُنّ سَبايا، وهُنَّ أيضاً لايُفارقْنَني مادُمْتُ حَيّاً[1]» .[2]

---

(١) المُنْتخَب للطُريحي المُتوفّىٰ عام ١٠٨٥هـ، ج٢ ص ٤٢٤ المجلس التاسع، ورُويَ هذا الخَبَر عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص ٣٦٤ باب ٣٧.

(٢) هناك فَرْقٌ بينَ كلمة «شاءَ» وكلمة «أرادَ»، فكلمةُ «شاءَ» تُستَعمَل ـ أساساً ـ في مَوارد مُعيّنة، وتَدلُّ علىٰ مَعنىً قَريبٍ مِن معنىٰ «أرادَ». ولكن تَختلف المَوارد حَسَب الحالات المُختلفة للإستعمال.

بعد هذا التمهيد نَقول:

إنّ تاثير الإنسان في فِعْل الغَير هو علىٰ نَوعين: ←

← النوع الأول: المَوارد الّتي تُسْلَب فيها مَسؤوليّةُ وقوعِ الفِعْل عن ذلك الفاعِل المُباشِر للفِعْل.. لأنَّ ذلك الفِعْل حَصَلَ و وَقَعَ مِن غير إرادةٍ مِنْه.

مِثالُ ذلك: أنْ يُربِّط «زيدٌ» «عمرواً» ثمّ يَرميه علىٰ رَقَبَة «خالد» فيَكْسِرَها. فَنُلاحِظ في هذا المثال أنّ الكاسِر المُباشِر لِرَقَبة خالد هو عمرو، ولكنَّه غير مَسْؤول عن ذلك الكَسْر، لأنّه كان بِمَنزلَة الأداة فقط.. لا أكثر! بل المسؤول: هو «زيد» الّذي قامَ بِرَبْط «عمرو» وألقاهُ علىٰ رَقَبة خالد.

وهذا النوع مِن التأثير هو الّذي يُعبّر عنه بـ«الإرادة»، لأنّ «زيد» أرادَ كسْرَ رَقَبَة خالد.. بهذه الكيفيّة.

النوع الثاني: المَوارد الّتي لا تُسْلَبُ مَسؤوليّةُ وقوعُ الفِعْل عن ذلك الفاعِل المُباشِر للفِعْل.

مثالُ ذلك: ان يُعطي «زيدٌ» قِنّينَةَ خَمْرٍ بِيَد خالد، ويَقولُ له: إذهَبْ بهذه القِنّينَة إلى المَزْبَلة وفَرّغْها هناك، ثمّ إغسِلْ القِنّينَة جيّداً وجِئْني بها، واعلَمْ - يا خالد - انَّ السائل الموجود في القِنّينة هو خَمرٌ مُحَرَّم.. وليسَ عصير فَواكه، فاحذَرْ مِن انْ تَشْرَبه!

فيَذهَبُ خالد بالقِنّينَة إلى مكانٍ لا يَراه احَد ويَشربُ السائل بَدَلاً مِن انْ يُريقَه في المَزْبَلة، مِن دون انْ يُبالي إلى نَصيحة ←

← «زيد» - الّذي يَعْلَم صِدْقَ كلامه -، ثمّ يَغْسِلُ خالد فَمَه ويَغْسِلُ القِنّينَة، ويَرجع بِها إلى «زيد».

وهُنا - يا تُرىٰ - هل المَسْؤول عن شُرب الخَمر هو «زيد» ام خالد؟!

الجواب: مِن الثابِت انَّ المَسْؤول هو «خالد» وإنْ كان «زيد» مُؤثّراً في فِعْل «خالد». حيث إنّه كان يَعلَمُ - مُسْبَقاً - بانّ خالداً سَوفَ يَشربُ الخَمر، لِعَدَم إلتزامه بالدين، ولكنّ زيد قَدّم له النَصائح الكافية والتَحْذير اللازم، والإرشادات المُقْنِعة باضرار شُرْبِ الخَمر ومُضاعَفات ذلك.

وفي هذا النوع الثاني.. يُعَبَّرُ عن هذا التاثير بـ«المَشيئة» ويُعبّر عن نِيّة «زيد» بـ«شاء».

وقد جاء - في القرآن الكريم - نِسْبَة «المَشِيئة» إلى اللّه سُبحانه، مِثْل قوله تعالىٰ ﴿يُضِلُّ مَن يَشاء ويَهْدي مَن يَشاء﴾ (سورة النحل، الآية٩٣) اي: يُؤثّرُ في إضلال بعض الناس، ولكن.. لا بكيفيّة تُسْلَبُ عنْهم المَسؤوليّة، بل بِجَعْلهم مُخَيّرينَ في إنتخاب الهُدىٰ او الضَلال.

ولِذلك تَجِدُ انّ المسلمينَ جميعاً يُكرِّرونَ - في صَلَواتهم - جُمْلَة «بِحَوْلِ اللّهِ وقُوّته اقومُ واقعُد» عند القيام مِن السجود الثاني او التَشهّد الاول. وهذا يوضّح المعنىٰ، فانا ←

← (الإنسان) اقومُ واقعدُ. . ولكن بفَضْل القُوّة الإلهيّة الّتي جَعَلَها في جِسْم البَشَر جميعاً. ولو أرادَ اللّه ان يَقْطع هذه القوّة لَفَعَلَ ولَتَحَقَّقَ ذلك، ولكنّه شاءَ ان تَبقىٰ هذه القوّة مَوجودة إلى اجَلٍ مُعَيَّن.

ولمَزيدٍ مِن التَوضيح. . نَذْكُر هذا المثال الثالث: قال اللّه تعالىٰ ـ في القرآن الكريم ـ : ﴿ولو شاءَ اللّه مااقتَتَلَ الّذين مِنْ بَعْدِهم ـ مِن بَعْد ماجاءتْهُمُ البَيّنات ـ ولكن اختَلفوا فمِنْهم مَن آمَنَ ومِنْهُمْ مَن كفَر، ولو شاءَ اللّهُ مااقتَتَلوا، ولكنّ اللّهَ يَفْعَلُ مايُريد﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٣).

وهنا سؤال قد يتَبادر إلى بعض الأذهان: وهو انّ قولَه تعالىٰ: ﴿ولو شاءَ اللّه مااقتَتَلوا﴾ يَدلّ علىٰ انّ الإنسان مُسَيّر لا مُخَيّر، لأنّ في الآية تاكيدٌ لِنِسْبَة الإقتتال إلى مَشيئته سُبحانه؟

ونُجيبُ عن هذا السؤال بـ :

اولاً:

قُلْ لِلّذي يَدّعي في العِلْم فَلْسَفَةً

حَفِظْتَ شَيئاً وغابَتْ عنْك اشياءُ

فإنّ اللازم ان يَصرفَ الإنسانُ وَقْتاً كافياً لِمَعرفة القَضايا العَقائديّة الّتي يَحتاج فَهْمُها إلى مَزيدٍ مِن الانتباه والدِقّة. ←

← ثانياً: إنّ اللّه (سُبحانه) مَنَحَ القُدْرة لِجميع الناس، وبَيَّن لَهُم طريقَ الخَير والشَرّ، والفَضيلة والرذيلة، ونَهاهُمْ عن الشَرِّ والرذيلة، ولكنْ لم يكُنْ نَهْيُه مِن نوع انّه يُشِلُّ أعضاءَهم إذا ارادوا الحرام، فإذا فَعَل العَبْدُ حَراماً، يكون هو المَسؤول الأول والأخير عن ارتكابه للحرام، ولذلك فهو يَسْتَحقُّ العُقوبة، لكن يَجوزُ ـ مِن باب المَجاز ـ نِسْبَةَ ذلك الفِعْل إلى الّذي أعطىٰ القُوّة لِجميع الخَلْق، وأرادَ انْ يَخلُق خَلْقاً مِنْ نَوْعٍ مُعَيَّن إسْمُهُ «البَشَر»، يكونُ مُخَيَّراً في أعماله.. لا مُسَيّراً كبعض المَخْلوقات الأُخرىٰ، مِثْل الجمادات.

وهنا مُلاحظة أخيرة نَذْكرُها: وهي أنّه ـ رَغم وجود مَوارد مُعيَّنَة لإستعمال كلٍّ واحدةٍ مِن هاتين الكلمتين ـ إلاّ انّ في اللغة العربيّة ـ بما في ذلك القرآن الكريم ـ، تُستَعْمَلُ كلُّ واحِدةٍ مِن هاتين الكلمتين: «شاءَ» و«أرادَ».. في مَوارد ومَجالات الكلمة الأُخرىٰ ـ أحياناً، أو غالباً ـ، وهذا أمْر شائع وثابِت.

والجَديرُ بالذِكْر: انّنا نَجِدُ ـ في الآية الّتي ذكرْناها في المِثال الثالث ـ انّ كلمة «شاءَ» جاءتْ اوّلاً وأُريدَ مِنْها مَعنىٰ «المَشِيئة»، ثمّ في نَفْس الآية جاءتْ كلمة «شاءَ» وأُريدَ مِنْها مَعنىٰ «اراد»، ممّا يَدلّ علىٰ انّ كلّ واحِدةٍ مِن هاتين الكلمتين ـ «شاءَ» و«أرادَ» ـ تُسْتَعمَل مَكان المَعنىٰ الآخَر، ولكنّ وجود الفَرْق بين المَعْنَيَيْن ثابتٌ وصحيح ودَقيق. ←

← ونَذكُر ـ هنا ـ هذا الحديث ونَترك فَهْمَهُ للأذكياء مِن القُرّاء الكرام:

لقد رُويَ عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ـ في حَديثٍ طويل ـ: «... إنّ لِلّه إرادتَين ومَشيئَتَيْن: إرادةُ حَتْم وإرادةُ عَزْم، يَنهىٰ وهو يَشاء، ويامرُ وهو لا يَشاء، اوَ ما رايتَ انّه نَهىٰ آدمَ وزوجتَه عنْ انْ ياكلا مِن الشَجَرة، وهو شاءَ ذلك، ولو لم يَشا لم ياكلا، ... وامَرَ إبراهيمَ بِذَبْح إسماعيل، وشاءَ انْ لا يَذْبَحَه...» المصدر: كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق، ص٦٤.

وهُنا سؤال أخير: وهو: لماذا أعطىٰ اللّه تعالىٰ القُدْرة لِعِباده علىٰ الشرّ والإنحراف، مع إمكانه تعالىٰ انْ لا يُعطيهم ذلك؟

الجواب: لقد أرادَ اللّه تعالىٰ انْ يَخْلُق فَصيلةً مُعَيّنَةً مِن الخَلْق ـ تَمتازُ عن غيرها مِن المَخلوقات ـ، تكونُ لَهُم القُدْرة والإختيار علىٰ افعال الخير وافعال الشرّ، وبَيّنَ لهم النَصائح الكافية، علىٰ لسان الأنبياء وفي الكُتُب السماويّة.

ولو كانَ اللّه سبحانه يُجْبِرُ الخَلْق علىٰ الخير وترك الشرّ.. لم يكُنْ للإنسان فَضْلٌ علىٰ غيره مِن المخلوقات!

وعِلْمُ اللّه تعالىٰ بِما سَيَفْعَلُه كلُّ واحدٍ مِن البَشَر.. لا يُنافي إعطائه الإختيار الكامِل لِهذا النَوع مِن المخلوقات.

وبعد كلّ هذا التَفْصيل، نَقول: ←

← إنّ اللّه تعالىٰ ما أرادَ انْ يَرىٰ الإمام الحسين (عليه السلام) قَتيلاً (أي: مَقْتولاً) ولكنّه شاءَ ذلك، ونَفْسُ هذا المَعنىٰ ياتي بالنِسْبَة إلى مَاساة سَبْي النِساء الطاهرات.

إذ مِن الواضح انَّ اللّه سُبحانه الّذي اختارَ الإمامَ الحسين (عليه السلام) مِصْباحاً ومَناراً لِهِدايَة الأمّة الإسلاميّة.. لا يُريدُ كَسْر هذا المِصباح وحِرْمانَ الأمة مِن بَركات وجوده عليه السلام، ولكنَّه كانَ يَعْلَم بأنّ اهل الكوفة سوف يَغْدرون به ويَقتلونَه.

وبِتَعْبيرٍ أوضَح نَقول: لقد كانَ المُخَطَّط الإلهي العام يَطلُبُ مِن الإمام الحسين (عليه السلام) انْ يَخرُجَ نحو العِراق، مُلَبّياً بِذلك رَسائلَ اهلِ الكوفة، والّتي بَلغَتْ اكثرَ مِن إثني عَشَر الف رسالة ـ وكانتْ اكثرُها جَماعِيَّة، أي: رسالة واحدة عن لسان ٤٠ رَجل، تَحمِلُ تَوقيعاتهم واسماءَهم ـ كلُّ ذلك.. «إتماماً للحُجَّة» علىٰ أهل الكوفة، ولِئَلاً يكونَ للناس علىٰ اللّه حُجَّةٌ ـ في يوم القيامة ـ بَعْدَ وصولِ الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ضَواحي الكوفة، وتَلْبيَتِه لِرَسائلهم الكثيرة.

وكان اللّه تعالىٰ يَعْلَم انَّ ثَمَن تَلْبية دَعْوة وطلب هذا العَدَد الكثير مِن البَشَر.. سوفَ يكونُ غالياً جِداً وجِداً، وهو قَتْل الإمام الحسين(عليه السلام) وسَبْي نِسائه الطاهِرات، بَعْدَ حُصول الغَدْر الفَظيع مِن اكثر اهل الكوفة!! ←

← إلاّ انَّ قانونَ «إتمام الحُجَّة» كانَ يتَطلَّبُ ذلك. هذه سُنَّةُ اللّه في الخَلْق، وعادَتُهُ مع جميع الأُمَم والخلائق. انَّه يُوفِّرُ ويُمَهّدُ لَهُم وَسائلَ الهِداية، ويُبْقيهِمْ علىٰ حالة الإختيار في إنتخاب المَصير، وعلىٰ طبائع الّذين يَرفُضون طريقَ الهداية، ويَتَجاوَبونَ مَعَ ماتُمْليهِ عليه نَفْسياتُهم البَعيدة عن الفَضائل، ويَختارونَ العاقِبة السَيّئة والمَصير الأسود.

وبالتالي.. يَجْزي اللّه المُطيعين له، ويُعاقِبُ العاصِين اوامرَه. ويَمْنَحُ الدرَجات العالية - في الجنَّة - لِعَظيم اوليائه: سيّدِ الشُهداء الإمام الحسين (عليه السلام) ويُعوّضُ نِساءَه بانواع النِعَم والكرامة، إزاء ماتَحمّلْنَهُ مِن المصائب.. بصَبْر جميل، ودونَ ايّ إنتقادٍ لِلمُقدّرات الإلهيّة.

هذا.. والتَفْصيل الأكثر يَحتاج إلى دِراسة مُسْتَقلَّة.

المُحقّق

الإمامُ الحسين يَصْطحِبُ العائلة

لقد عرفنا أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان يَعلَم ـ بِعلْم الإمامة ـ بأنّه سيَفوز بالشهادة في أرض كربلاء، وكان يَعلم تفاصيل تلك الفاجعة وأبعادها.

ولعلّ بعض السُذَّج مِن الناس كان يَعتبرُ اصطحابَ الإمام الحسين عائلتَه المكرّمة إلى كربلاء مُنافياً للحِكْمة، لأنّ معنىٰ ذلك تَعريض العائلة للإهانة والمكاره، وأنواع الاستخفاف.

وما كانَ أُولئك الناس يَعلمون بأنّ اصطحابَ الإمام الحسين (عليه السلام) عائلتَه المَصونة ـ وعلىٰ رأسهن السيّدة زينب ـ كان مِن أوجَب لوازم نجاح نهضته المباركة.

إذ لولا وجود العائلة في كربلاء لكانت نهضة الإمام ناقصة، غير مُتكاملة الأجزاء والأطراف.

فإنَّ أجهزة الدعاية الأموية ما كانت تَتحاشىٰ ـ بعد إرتكاب

جريمة قتْل الإمام الحسين ـ أن تُعلن بَراءتها مِن دم الإمام، بل وتُنكر مقتلَ الإمام نهائيّاً، وتَنْشر في الأوساط الإسلاميّة انّ الإمام توفّي علىٰ أثَر السَكتة القلْبيّة، مثلاً!!

وليسَ في هذا الكلام شيء مِن المبالَغة، ففي هذه السنة ـ بالذات ـ إنتشرتْ في بعض البلاد العربيّة مجموعة مِن الكتُب الضالّة التائهة، بأقلام عُملاء مُستأجَرين، مِن بَهائم الهند، وكلاب باكستان، وخَنازير نَجْد.

ومِن جملة تلك الأباطيل التي سَوّدوا بها تلك الصفحات، هي إنكار شهادة الإمام الحسين، وأن تلك الواقعة لا أصْلَ لها أبداً.

ولا أجيبُ ـ علىٰ ما ذكرَه أولئك الكُتّاب العُمَلاء ـ سوىٰ بقول الشاعر:

مِن أين تَخجَلُ أوجُهٌ أمويّة سَكبَتْ بِلذّات الفجور حَياءها؟

فهذه الفاجعة قد مرَّت عليها حَوالي اربعة عشر قرناً، وقد ذكرَها الأُلوف مِن المؤرّخين والمُحدّثين، واطّلع عليها القريب والبعيد، والعالم والجاهل، بل وغير المسلمين أيضاً لم يَتجاهلوا هذه الفاجعة المُروّعة.

وتُقام مجالس العزاء في ذكرىٰ إستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في عشَرات الآلاف مِن البلاد، في جميع القارّات، حتّىٰ صارت هذه الفاجعة أظهر مِن الشمس، وصارت كالقضايا البديهيّة

التي لايمكن إنكارها أو التشكيك فيها، بسبب شُهرتها في العالَم.

وإذا بافراد قد تَجاوَزوا حدودَ الوقاحة، وضَرَبوا الرقم القياسي في صِلافة الوجه وانعدام الحياء، ياتون ويُنكرون هذه الواقعة كُلّياً.

ولقد رايتُ بعضَ مَن يَدور في فَلَك الطواغيت، ويَجلس علىٰ مَوائدهم، ويَملأ بطنَه مِن خَبائثهم، انكرَ واقعةَ الجَمَل وحربَ البصرة نهائيّاً، تَحفّظاً علىٰ كرامة إمراة خَرجتْ تَقودُ جيشاً لِمُحاربة إمام زَمانها، واقامتْ تلك المجزَرة الرهيبة في البصرة، التي كانت ضَحيَّتُها خمسة وعشرين الف قتيل.

هذه مُحاولات جهنّمية، شيطانيّة، يَقوم بها هؤلاء الشَواذ، وهم يَظنّون انّهم يَستطيعون تغطية الشمس كي لايَراها أحَد، ويُريدون انْ يطفؤا نورَ اللّه بافواههم، ويابىٰ اللّه إلّا أنْ يُتِمَّ نوره.

وهذه النشاطات المَسْعورة، إنْ دلّت علىٰ شيء فإنّما تَدلّ علىٰ هويّة هؤلاء الكُتّاب وماهيّتهم، وحتّىٰ يَعرف العالَم كلّه انّ هؤلاء فاقِدون للشَرَف والضمير ـ بجميع معنىٰ الكلمة ـ ولا يَعتقدون بدينٍ من الأديان، ولا بِمَبدا مِن المَبادىء، سوىٰ المادّة التي هي الكُلّ في الكُلّ عندهم!!

اعود إلى حديثي عن إصطحاب الإمام الحسين (عليه السلام) عائلته المُكرَّمة في تلك النهضة:

إنّ تواجد العائلة في كربلاء، وفي حوادث عاشوراء بالذات

لم يُبقِ مَجالاً للأمويّين ولا لغيرهم ـ في تلك العصور ـ لإنكار شهادة الإمام الحسين.

إنّ الأمويّين الأغبياء، لو كانوا يَفهَمون لاكتَفوا بقتل الإمام الحسين فقط، ولم يُضيفوا إلى جرائمهم جرائم أُخرىٰ، مِثْل سَبْي عائلة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومُخدّرات الرسالة، وعقائل النبوّة والوحي، وبنات سيّد الأنبياء والمرسَلين.

ولكنّهم لكي يُعلنوا إنتصاراتهم في قَتْل آل رسول اللّه (عليهم السلام) أخذوا العائلة المكرّمة سَبايا مِن بَلَد إلى بَلَد.

وكانت العائلة لاتَدخل إلى بلد إلاّ وتُوجِد في أهلِ ذلك البَلَد الوعي واليقظة، وتكشفُ الغِطاء عن جرائم يزيد، وتُزيّف دعاوىٰ الأمويّين حول آل رسول اللّه: بأنّهم خَوارج وأنّهم عصابة مُتمرّدة علىٰ النظام الأموي.

ونُلخّصُ القَولَ ـ هنا ـ فنقول: كان وجود العائلة ـ في هذه الرحلة، والنهضة المُباركة ـ ضروريّاً جداً جداً، وكان جُزءاً مُكَمِّلاً لهذه النهضة.

إنّ هذه الأُسرة الشريفة كانت علىٰ جانبٍ عظيم مِن الحِكْمة واليقظة، والمَعرفة وفَهْم الظروف، واتّخاذ التدابير اللازمة كما

تَـقـتـضيه الحال.[١]

(١) ولزيادة الفائدة نَـقول:

لقـد ذكـرَ العـالم الكـبيـر الشيـخ محـمد حسين كـاشـف الغـطاء في كتابه «السيـاسـة الـحُـسَـينـيّـة» مايَـلي: «وهل نَـشُـكّ ونَـرتاب في انّ الحسين لو قُـتـل هو ووُلْـده.. ولم يَـتـعَـقّـبْـه قيامُ تلك الحَرائر في تلك المقامات بـتـلـك التـحدّيات لَـذَهَـبَ قَـتْـلُه جباراً، ولم يَـطـلُـب به احَـد ثاراً، ولَـضاعَ دَمه هَـدراً. فكان الحسيـن يَعلَم انّ هذا عـمَـلٌ لابدّ منه، وانّـه لا يَـقـوم به إلّا تلك العقائل، فوَجَـبَ عـليه حَـتماً انْ يَحملهنّ معه لا لأجل المظلوميّـة بسَـبَـبـهنّ فـقـط، بل لِـنَـظرٍ سياسي وفِكْـرٍ عـميق، وهو تكمـيل الغَـرض وبلـوغ الغـاية مِن قـلْـب الدولـة علىٰ يـزيد، والمـبـادرة إلى القـضـاء عليـهـا قـبلَ انْ تَـقـضــي علىٰ الإسلام، ويَـعود الناس إلى جاهليّـتـهم الأُولىٰ».

ويَـقـول العــلاّمـة البـحّـاثــة الشيـخ باقـر شـريف الـقـرشـي فــي كـتـابه: «السـيّــدة زيـنـب بطـلة التـاريـخ» ص ٢١٢ مـانَـصّـه: «لقـد كـان مِن أروع ماخَـطّـطه الإمام في ثورتـه الكـبرىٰ: حَـمْـلُـهُ عـقيلةَ بَـني هاشم وسـائر مُـخَـدّرات الرسالـة مـعـه إلـى العـراق، فـقـد كـان علىٰ عِـلْـم بمـــايَـجــري عليــهـنّ مِــن الـنـكبـات والـخُـطـوب، ومايَـقُـمْـنَ به مِن دورٍ مُشرق في إكمـال نهضـتـه وإيضاح تضحيـتـه، وإشاعـة مَبادئه واهدافه، وقـد قُـمْـنَ حَرائرُ النـبوّة بإيقـاظ المجـتـمع مِـن سُبـاتـه، واسـقَـطْن هَـيْبة الـحُـكـم الأمـوي، وفَـتـحْـنَ بابَ ←

← الثورة عليه، فقد القينَ مِن الخُطب الحَماسيّة مازَعْزعَ كيانَ الدولة الأمويّة.

إنّ مِن المَع الأسباب في استمرار خُلود ماساة الإمام الحسين (عليه السلام) واستمرار فَعّاليّاتها في نَشْر الإصلاح الإجتماعي هو حَمْلُ عَقيلة الوحي وبنات الرسول (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مع الإمام الحسين، فقد قُمْنَ ببَلْوَرة الراي العام، ونَشَرْنَ مَبادىء الإمام الحسين وأسبابَ نهضته الكُبرىٰ، وقد قامتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بتَدْمير ما احرَزَه يزيد مِن الإنتصارات، والحَقَتْ به الهزيمة والعار».

ويقول الدكتور احمد محمود صُبحي في كتابه «نظريّة الإمامة» ص٣٤٣: «ماذا كانَ يكون الحال لو قُتل الحسين ومَن معه جميعاً مِن الرجال إلاّ انْ يُسجّل التاريخُ هذه الحادثة الخطيرة مِن وِجْهَة نظر اعدائه، فيَضيعُ كلُّ اثَر لِقَضيّته.. مع دَمه المَسْفوك في الصحراء». المُحقّق

الإمامُ الحسين في طريق الكوفـة

رُويَ أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لمّا نزلَ الخزيمية[1] أقامَ بها يوماً وليلة، فلمّا أصبح أقبلتْ إليه أُخته زينب (عليها السلام) فقالت:

يا أخي! الا أُخبرك بشيء سمعتُه البارحَة؟

فقال الحسين (عليه السلام): وما ذاك؟

فقالت: خرَجتُ في بعض الليل فسمعتُ هاتفاً يَهتفُ ويقول:

الا يا عَينُ فاحتفلي بجهدِ	ومَن يبكي على الشهداء بعدي
علىٰ قومٍ تَسوقُهُمُ المَنايا	بمقدارٍ إلى إنجاز وعْدِ

---

(١) الخزيميّة: نقطة توقُّف، ومحلّ نزول الحُجّاج، للإستراحة والتزوّد بالماء، وتَقع بين مكّة والكوفة. المُحقّق

فقال لها الحسين (عليه السلام): يا أُختاه كلُّ الّذي قُضيَ فهو كائن.[(١)]

وقد التَقىٰ الإمامُ الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى الكوفة بِرَجُلٍ يُكنّىٰ «أبا هرم»، فقال: يابنَ النبيّ ما الّذي أخرجَكَ مِن المدينة؟!

فقال الإمام: «... . وَيْحَكَ يا أبا هرم! شَتَمُوا عِرْضي فَصَبرتُ، وطلِبُوا مالي فصَبرْتُ[(٢)]، وطلبُوا دَمي فهَربْت!

وأيْمُ اللّه لَيَقْتُلونَني، ثمّ لَيُلْبِسَنَّهُمُ اللّهُ ذُلّاً شامِلاً، وسَيفاً قاطِعاً، ولَيُسَلِّطنَّ عليهم مَن يُذِلُّهُم.[(٣)]

---

(١) كتاب «نَفَس المهموم» للشيخ عباس القُمي، ص ١٧٩.

(٢) لعلَّ الأصح: وأخَذوا مالي. المُحقّق.

(٣) الحديث مَرويٌّ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، مذْكورٌ في كتاب «أمالي الصَدوق» ص ١٢٩، حديث١، وذكرَه الشيخ المجلسي في «بحار الأنوار» ج٤٤ ص ٣١٠.

الفَصل السابع

- وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء
- زَحْفُ الجيش الأمَوي نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام)



وصولُ الإمام الحسين إلى أرض كربلاء

وفي الطريق إلى الكوفة، إلتقىٰ الإمامُ الحسين (عليه السلام) بالحُرّ بن يزيد الرياحي، وكان مُرْسَلاً مِن قِبَل ابن زياد في ألف فارِس، وهو يُريد أنْ يَذهَبَ بالإمام إلى ابن زياد، فلم يُوافق الإمامُ الحسين علىٰ ذلك، واستَمرّ في السَير حتّىٰ وصَلَ إلى أرض كربلاء في اليوم الثاني من شهر محرّم سنة ٦١ للهجرة.

فلمّا نَزل بها، قال: ما يُقال لهذه الأرض؟

فقالوا: كربلاء!

فقال الإمام: «اللهمّ إنّي أعوذُ بك مِن الكرْب والبَلاء»، ثمّ قال لأصحابه: إنزِلوا، هاهُنا مَحطّ رِحالِنا، ومَسْفَكُ دِمائنا، وهُنا مَحَلُّ قُبورنا. بهذا حَدَّثَني جَدّي رسولُ اللّه

(صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) . [١]

قال السيّد ابنُ طاووس في كتاب «المَلْهوف» :

لَمّا نَزلوا بكربلاء جلسَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) يُصلحُ سيفَه ويقول :

يا دَهرُ أُفٍّ لك مِن خَليل كم لك بالإشراق والأصيلِ

مِن طالبٍ وصاحبٍ قَتيلِ والدهرُ لا يَقنعُ بالبَديل

وكلُّ حيّ سالكٌ سبيلي [٢] ما أقربَ الوَعْد مِن الرحيلِ

وإنّما الأمر إلى الجليلِ

فسَمِعتْ السيّدة زينبُ بنت فاطمة (عليها السلام) ذلك، فقالتْ : يا أخي هذا كلام مَن أيقَنَ بالقَتْل!

فقال : نعم يا أُختاه.

فقالت زينب : واثكلاه! يَنعىٰ إليَّ الحسينُ نفسَه.

وبكت النِسْوة، ولَطمْن الخُدود، وشَقَقْن الجُيوب، وجَعلَتْ أُمُّكلثوم تُنادي : و امحمّداه! واعليّاه! وا أُمّاه! وا فاطمَتاه!

---

(١) كتاب «المَلْهوف» ص ١٣٩ .

(٢) وفي نسخة :

و إنّما الأمْرُ إلى الجَليل وكلُّ حيّ فإلىٰ سَبيلي

ما أقربَ الوَعْد إلى الرَحيلِ إلى جِنانٍ و إلى مَقيلِ

وا حَسَناه! واحُسيناه! واضيعتاه بعدك يا أباعبدالله ... إلى آخره.[١]

ورَوىٰ الشيخُ المفيد في كتاب (الإرشاد) هذا الخَبر بكيفيّة أُخرىٰ وهي:

قال علي بن الحسين [زين العابدين] (عليهما السلام):

إنّي جالسٌ في تلك العَشيّة التي قُتِلَ أبي في صَبيحتها، وعندي عَمَّتي زينب تُمرِّضني، إذ اعتَزَلَ أبي في خِباءٍ له[٢]، وعنده جوين مَولىٰ أبي ذرٍ الغفاري، وهو يُعالجُ سيفَه[٣] ويُصلحُه، وأبي يقول:

يا دَهرُ أُفٍّ لك مِن خَليل كم لك بالإشراقِ والأصيلِ

مِن صاحب وطالبٍ قَتيل والدهرُ لا يَقنَعُ بالبَديلِ

وإنّما الأمرُ إلى الجليل وكلُ حيّ سالكٌ سبيلي

فأعادَها مَرّتين أو ثلاثاً، حتّىٰ فَهمْتُها، وعَرفتُ ما أراد، فخَنَقتْني العَبْرة، فرَددْتها، ولَزِمْتُ السُكوت، وعلِمْتُ أنَّ البلاء قد نَزل.

وأمّا عمّتي: فإنّها سَمِعَتْ ما سمِعتُ، وهي إمرأة، ومِن شأن النساء: الرقّةُ والجَزَع، فلم تَملِك نَفسَها، إذ وَثَبَتْ تَجرُّ ثوبَها،

---

(١) كتاب (المَلْهوف علىٰ قتلىٰ الطُفوف) للسيّد علي بن موسىٰ بن طاووس، المُتوفّىٰ سنة ٦٦٤هـ، ص ١٣٩.

(٢) خِباء: خيمة.

(٣) ضمير هو: يَرجع إلى جوين، يُعالج: يُحاولُ إعداده للإستعمال في القتال.

حتّىٰ انتَهتْ إليه فقالت:

واثكلاه! ليتَ الموت اعدَمَني الحياة، اليوم ماتتْ أمّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثِمالَ الباقين!

فنَظرَ إليها الإمام الحسين فقال لها: يا أخيَّة! لا يُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشيطان.

وتَرقْرَقَتْ عيناهُ بالدموع، وقال: يا أختاه، «لو تُركَ القَطا لَغَفا ونامَ»[١].

فقالت: ياويلَتاه! افتغتصب نفسك اغتصاباً؟[٢] فذاك اقرَحُ لِقلبي، وأشَدُّ علىٰ نفسي، ثمَّ لَطَمتْ وجْهَها! وأهْوَتْ إلى جَيبِها فَشَقَّتْه، وخَرَّتْ مَغشيّاً عليها.

فقام إليها الإمام الحسين (عليه السلام) فَصَبَّ علىٰ وجهها الماء، وقال لها:

---

(١) القطا: طائرٌ معروف، واحِدهُ: القَطاة. قالوا ـ في الأمثال ـ: «لو تُرك القطا ليلاً لَنام» يُضرَبُ مَثَلاً لِمَن حُمِلَ او أجبِرَ علىٰ مكروه مِن غير إرادته، وذلك انّ القطا لا يَطير ليلاً إلاّ إذا ازعَجوه وافسَدوا عليه راحته، فإذا طارَ القطا ليلاً كان ذلك علامة علىٰ انّ عدوّاً يُلاحِقُه.

ومعنىٰ كلام الإمام الحسين (عليه السلام): إنّ العَدوّ لو كان يَتركُنا لَكنّا نَبقىٰ في وَطننا في المدينة، ولكنّه ازعَجَنا واخرجَنا مِن بلادنا، وسيَبقىٰ يُلاحقنا إلى ان نَسْلَم منه او يَقتُلنا. المُحقّق

(٢) اي: تُقتَلُ ظلماً وقَهراً.

إيهاً يا أختاه! إتَّقي اللّه، وتَعزّيْ بعَزاء اللّه، واعلَمي انَّ أهلَ الأرض يَموتون وانّ أهل السماء لايَبقون، وانّ كلَّ شيء هالِك إلّا وَجْه اللّه، الّذي خَلَق الخَلْق بِقُدرته، ويَبْعَث الخَلْق ويُعيدهم وهو فَردٌ وَحْده.

جَدّي خيرٌ منّي، وابي خيرٌ منّي، وأمّي خيرٌ منّي، واخي [الحسن] خيرٌ منّي، ولي ولِكُلّ مُسلمٍ برسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أسوة.

فعَزّاها بهذا ونَحْوه، وقال لها: «يا أُختاه إني اقسمْتُ عليكِ، فابِرّي قَسَمي[1].

لاتَشُقّي عَلَيَّ جَيْباً، ولا تَخمشي عَلَيَّ وَجْهاً، ولاتَدْعَي عليَّ بالوَيل والثُبورإذا أنا هلكتُ».

ثمّ جاء بها حتّىٰ اجلَسَها عندي، وخَرَجَ إلى أصحابه ...[2]

* * * *

اقول: سمعتُ مِن بعض الأفاضل: انّ هذه الأبيات كانت مَشؤمة عند العَرب، ولم يُعرَف قائلُها، وكان المشهور عند الناس: انّ

---

(١) ابرّي قَسَمي: اجيبيني إلى ما اقسَمْتُكِ عليه، ولا تَحنَثي ذلك. كما في «لسان العرب». المُحقّق

(٢) كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد، ص ٢٣٢. وذكرَه الطَبَري ـ المتوفّىٰ عام ٣١٠هـ ـ في تاريخه ج ٥ ص ٤٢٠.

كلّ مَن أحَس بِخَطَر الموت أو القتل كان يَتمثّل بهذه الأبيات.

ولا يَبعدُ هذا الكلام مِن الصحّة، لأنَّ الأبيات مُشتملة علىٰ عتاب الدهر وتوبيخه لا غير، ولَعلّ لهذا السَبَب أحسَّت السيّدة زينب باقتراب الخطر مِن أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) وقالت: هذا الحسين يَنعىٰ إليَّ نفسَه.

وهكذا الإمام زين العابدين (عليه السلام) تَراهُ قد استَنْبَطَ مِن قراءة هذه الأبيات نُزولَ البَلاء.

حيث إنّ هذه الأبيات لا تُصرّحُ ـ بِظاهِرها ـ بشيء مِن هذه الأمور، كخَطر الموت أو إقتراب مَوعِد القتْل

* * * *

هذا.. والظاهر أنَّ نَهيَ الإمام الحسين أُختَه السيّدة زينبَ عن شَقّ الجَيْب وخَمْش الوَجْه إنّما كان خاصّاً بساعة قَتْل الإمام، بعد الإنتباه إلى قول الإمام: «إذا أنا هَلكتُ».

وبعبارة أُخرىٰ: إنما منَعَها أنْ تَشُقَّ جَيْبَها أو تَخْمشَ وَجْهَها ساعةَ مصيبة مَقتل الإمام وشهادته. والسيّدة زينب إمتَثَلَتْ أمرَ أخيها، ولم تَفعلْ شيئاً مِن هذا القَبيل عند شهادة الإمام في كربلاء. وإنّما قامتْ ببعض هذه الأعمال في الكوفة، وفي الشام في مجلس يزيد، عندما شاهَدَتْ ما قامَ به يزيد (لعنة الله عليه) من أنواع الإهانة برأس الإمام الحسين عليه السلام.

ولعلَّ نهيَ الإمام أُختَه عن شَقّ الجَيْب ـ في تلك الساعة أو الساعات الرَهيبة ـ كان لهذه الحِكْمة: وهي أنْ لايَظهر منها أثَر الضَعْف والإنكسار والإنهيار، أمام أُولئك الأعداء الألدّاء، فقد كان المطلوب مِن السيّدات ـ حينذاك ـ الصَبْر والتَجلُّد وعدمَ الجَزَع أمامَ المَصائب.

لأنّ هذا النوع مِن الشجاعة ـ وفي تلك الظروف بالذات ـ ضروريّ أمامَ العدوّ الحاقِد، الذي كان يَتَحيَّن كلَّ فُرصةٍ للقيام بأيّ خطوةٍ تُناسِبُ نفسيَّتَه اللَئيمة، تِجاه تلك العائلة المكرَّمة الشريفة، وكانت مواجهة الحوادث بصَبْر جميل ومَعنويّات عالية، تَعني تَفويت الفُرَص أمامَ تفكير العَدوّ القيامَ بأيّ نوعٍ مِن أنواع الإعتداء والإهانة وسَحْقِ الكرامة تجاه تلك السيّدات الطاهرات المَفْجوعات، اللَواتي فَقَدْنَ المُحامي والمُدافع عنهُن!



زَحفُ الجيش الأمَوي
نَحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام)

كانت السيّدة زينب (عليها السلام) تَشعر باقتراب الخَطَر يوماً بعد يوم، وساعةً بعد ساعة، وكيف لا؟ والسَيل البَشَري يَتدفّق نحوَ أرض كربلاء لِقَتْل رَيحانة رسول اللّه وسبطه الحَبيب؟

وآخرُ راية وصَلتْ إلى كربلاء: راية شمر بن ذي الجوشن في ستّة آلاف مُقاتِل، ومعه الحُكم الصادر مِن عبيداللّه بن زياد، يأمر فيه ابنَ سعد أن يُخيّر الإمامَ الحسين بين أمْرين:

١ ـ الإستِسلام.

٢ ـ الحرب.

فزَحَفَ الجيشُ الأموي نحو خِيام آلِ محمّد (عليهم السلام) ونَظرتْ السيّدة زينب إلى أسْراب مِن الذئاب تَتراكض نحو بيوت الرسالة والإمامة.

ويَعلم اللّه تعالىٰ مَدىٰ الخوف والقَلَق والإضطراب الذي استولىٰ علىٰ قلوب آل رسول اللّه.

وأقبَلَت السيّدة زينب تَبحث عن أخيها، لِتُخبره بهذا الهجوم المُفاجىء في تلك السويعات الأخيرة من اليوم التاسع من المحرّم، قَريب الغروب.

وأخيراً، وصلتْ إلى خيمة الإمام الحسين (عليه السلام) وإذا بالإمام جالس، وقد احتَضنَ ركبتيه، ووضَعَ رأسَه عليهما، وقد غَلَبه النوم.

واستيقظَ الإمامُ علىٰ صوت أُخته الحَوراء تُخاطبُه ـ بصوتٍ مَليء بالرُعب، مَزيج بالعاطفة والحَنان ـ. قائلةً:

أخي أما تَسمَع هذه الأصوات قد اقتَربتْ؟

فرَفَع الإمامُ الحسين رأسَه وقال: أُخيّه! إنّي رأيتُ رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) الساعة في المنام، وقال لي: «إنّك تَروحُ إلينا».

أو «إنّي رأيتُ ـ الساعة ـ مُحمّداً (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وأبي عليّاً، وأُمّي فاطمة، وأخي الحسَن وهم يقولون: ياحسين إنّك رائحٌ إلينا عن قريب»[1].

---

(١) كتاب (الملهوف علىٰ قَتلىٰ الطفوف) للسيّد ابن طاووس، طبع ايران، عام ١٤١٤هـ، ص ١٥١.

فلَطمَتْ السيّدة زينب وجْهَها، وصاحتْ: واويلاه، وبكتْ.

فقال لها الإمامُ الحسين: ليسَ لكِ الوَيل يا أُخيَّة، لاتُشْمِتي القومَ بِنا، أسكُتي رَحمَكِ اللّه.(١)

فنَهض الإمامُ الحسين (عليه السلام) وأرسَلَ أخاهُ العبّاس ابن علي مَعَ عِشرينَ فارساً مِن أصحابه، وقال: «يا عباس إركبْ - بِنَفْسي أنت يا أخي - حتّىٰ تَلْقاهم وتَقول لهم مالكم ومابَدا لكم؟؟ وتَسألُهم عمّا جاءَ بِهم؟

فأتاهم العباس وقال لهم: ما بَدا لكم وما تُريدون؟

قالوا: قد جاء أمرُ ابن زياد أن نَعرِضَ عليكم: أن تَنزلوا علىٰ حُكْمه، أو نُناجِزُكم!

فقال العباس: لا تَعجَلوا حتّىٰ أرجع إلى أبي عبداللّه، فأعرض عليه ماذكرتُم.

فتَوقَّف الجيش، وأقبَلَ العباسُ إلى أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأخبرَه بما قالَهُ القوم.

فقال الإمام: إرجِعْ إليهم.. فإنْ استَطعتَ أنْ تُؤَخّرهم إلى غَدٍ وتَدفَعَهم عنّا العَشيّة، لَعلّنا نُصلّي لِربّنا الليلة

(١) كتاب «مَعالي السِبطين» للمازندراني، ج١، ص٢٠٤، الفصل الثامن، المجلس الأوّل.

ونَـدعـوه . . فهـو يَعلَم أني أحـبُّ الصـلاة لَـه وتِـلاوةَ كتابـه؟

فَـمَـضىٰ العـبّـاسُ إلى الـقـوم فـاسـتَـمْـهَـلَـهم، واخـيـراً . . وافَـقـوا علىٰ ذلـك . [1]

---

(١) كتاب «مَعالي السِبـطين» للمازنـدرانـي، ج١، ص ٣٣٢.

الفَصل الثامِن

- ليلة عاشوراء
- أزْمَة الماء



لـيـلـة عـاشـوراء

إنّ مشكلة كبيرة واحدة تَحدثُ في حياة الإنسان قد تَسْلبه القرار والاستقرار، وتورثه الأرَق والقَلَق والسَهَر، وتَرفض عيناه النوم، فكيف إذا أحاطتْ به عشَرات المشاكل الكبيرة ؟!

مِن الواضح أنّ أقلّ مايُمكن أن تُسبّبَه تلك المَشاكل هو: الإنهيار العَصَبي، وفُقدان الوعي، واختِلال المَشاعر وتَبَلْبُل الفِكْر، وتَشتّت الخاطِر.

فهل نَستطيع أن نَتَصوّر كيف انقضتْ ليلة عاشوراء علىٰ آل رسول اللّه ؟!

فالهموم والغموم، والخوف والتفكّر حول الغَد، ومايَحمِلُه مِن الكوارث والفجائع، وبكاءُ الأطفال مِن شِدّة العطش، ـ وغير ذلك مِن مُميّزات تلك الليلة ـ جَعلتْ تلك الليلة فَريدة مِن نوعها في تاريخ حياة أهل البيت (عليهم السلام).

وفي ساعة مِن ساعات تلك الليلة خَرج الإمامُ الحسين (عليه السلام) مِن منطقة المُخيّم، راكباً جَوادَه، يَبحث في تلك الضواحي والنواحي حول التِلال والرَبوات ـ المُشْرفة علىٰ منطقة المخيّم ـ التي كان مِن المُمكن أنْ يكْمن العَدوّ خَلْفها غداً، إذا اشتَعلتْ نار الحرب.

ويُرافقه في تلك الجَولة الإستطلاعية نافعُ بن هلال، وهو ذلك البطل الشجاع المِقْدام، وكان مِن أخصّ أصحابه وأكثرهم مُلازمة له، فلنَستَمع إليه:

إلتفتَ الإمامُ خَلْفه وقال: مَن الرجل؟ نافع؟

قلت: نعم، جعَلَني اللّه فِداك!! أزعَجَني خُروجُك ليلاً إلى جهة مُعسْكر هذا الطاغي.

فقال: يا نافع! خَرجتُ أتفقّد هذه التلال مَخافةَ أن تكون مَكْمناً لِهجومَ الخيل علىٰ مُخيَّمنا يوم تَحملون ويَحملون.

ثمَّ رجع (عليه السلام) وهو قابض علىٰ يَساري، وهو يقول: «هي هي، واللّه، وعدٌ لا خُلفَ فيه».

ثمَّ قال: يا نافع! ألا تَسلُك ما بين هذين الجبلين [1] مِن وقتك

---

(١) ليس في أرض كربلاء جبل، وإنّما فيها تلال وربَوات لاتزال موجودة ويقال لها ـ باللغة الدارجة ـ: عَلْوة وعَلاوي، ولعلّ الإمام (عليه السلام) قصَدَ مِن الجبلين: التِلال الموجودة في تلك المنطقة.

هذا، وتَنْجو بنفسك؟

فوقَعْتُ علىٰ قدميه، وقلتُ: إذَن ثكلَتْ نافعاً أمُّه!!

سيّدي: إنّ سيفي بألفٍ، وفرَسي مثْله، فواللّه الذي منَّ عليَّ بك لا أفارقك حتّىٰ يكِلاّ عن فَري وجَري[١].

ثمّ فارقَني ودَخلَ خيمة أختـه، فوقفتُ إلى جَنبها[٢] رَجاءَ أن يُسرعَ في خروجه منها.

فاستقبلتْه زينب، ووَضعتْ له مُتَّكئاً، فجلَسَ وجعَلَ يُحدِّثها سِرّاً، فما لَبثَتْ ان اختَنقتْ بِعَبْرتها، وقالت: واأخاه! أشاهدُ مَصْرعَك، وأبتلىٰ برعاية هذه المذاعير[٣] مِن النساء؟ والقوم ـ كما تَعلَم ـ ما هم عليه مِن الحِقْد القديم.

ذلك خَطبٌ جَسيم، يَعزّ عَلَيَّ مَصْرعُ هؤلاء الفِتْية الصَفوة، واقمار بَني هاشم!

ثمَّ قالت: أخي هل إستَعلَمْتَ مِن أصحابك نيّاتهم؟ فإني أخشىٰ أن يُسْلموك عند الوَثبة، واصطكاك الأسِنّة!

---

(١) اي: حتىٰ يَعجز السيف عن القطع، ويَعجز الفَرَس عن الركض.

(٢) جَنْبها: اي جَنب الخيمة.

(٣) المذاعير ـ جَمْع مَذْعور ـ: وهو الذي اخافوه.

فبكىٰ (عليه السلام) وقال: أما واللّه لقد لَهزتُهم[١] وبَلَوتُهم، وليسَ فيهم إلاّ الأشْوس الأقعَس[٢] يَستأنِسون بالمنيّة دوني إستيناسَ الطفل بلَبَن أمّه.

قال نافعُ بن هلال: فلمّا سمعْتُ هذا منه بكيتُ، وأتيتُ حبيبَ بن مظاهر، وحَكيتُ لَه ماسمعتُ منه ومِن أُخته زينب.

فقال حبيب: واللّه لولا انتظار أمره لَعاجلتُهم بسيفي هذه الليلة!

قلت: إنّي خَلّفتُه عند أُخته وهي في حالِ وَجَلٍ ورُعْب، وأظنّ أنّ النساء أفَقْنَ وشاركْنَها في الحَسْرة والزَفْرة، فهَلْ لك أنْ تَجمَع أصحابك وتُواجِهْهُنّ بكلامٍ يُسْكنُ قلوبَهنّ ويُذهبُ رُعْبَهنّ؟ فلقد شاهَدتُ منها مالا قرارَ لي مع بَقائه.

فقال لي: طَوعَ إرادتك، فبرزَ حبيبُ ناحيةً، ونافعُ إلى ناحية، فانتدَبَ أصحابَه.

فتطالعوا مِن مَضاربهم[٣] فلمّا اجتمعوا قال ـ لبَني هاشم ـ:

إرجعوا إلى مَنازلكم، لا سَهرتْ عُيونكم!!

ثمّ خَطَبَ أصحابَه وقال: يا أصحابَ الحَمِيّة ولُيوثَ

---

(١) يقال: لهزْتُه أي: خالطتُه، والمقصود: الإختبار والإمتحان.

(٢) الأشوس: الجريء على القتال الشديد، والأقعس: الرجل الثابت العزيز المنيع.

(٣) المضارب ـ جَمْع مَضْرب ـ: الخيمة.

الكريهة!

هذا نافع يُخبرُني الساعة بكيت وكيت، وقد خلّفَ أُختَ سيّدكم وبَقايا عياله يَتشاكين ويَتباكين. أخبروني عمّا أنتُمْ عليه؟

فجَرّدوا صوارمَهم، ورَمَوا عَمائمَهم، وقالوا: ياحبيب! واللّه الذي مَنَّ علينا بهذا الموقِف! لئن زَحَفَ القومُ لَنَحصِدنَّ رؤوسَهم، ولَنُلْحِقنَّهمْ بأشياخِهم أذِلّاء، صاغِرين، ولَنَحفظَنَّ وَصيّةَ رسول اللّه في أبنائه وبَناته!

فقال: هَلُمّوا مَعي.

فقامَ يَخبطُ الأرض[1]، وهم يَعْدُون خَلْفَه حتّىٰ وقف بين أطناب الخِيَم، ونادىٰ: «يا أهلَنا! ويا ساداتَنا! ويا مَعشَرَ حَرائر رسول اللّه! هذه صوارمُ فِتْيانكم آلَوا أن لايُغمِدوها إلّا في رِقاب مَن يَبغي السوء بِكُمْ، وهذه أسِنَّة غِلْمانكم أقسَموا أن لايركزوها إلّا

(١) يَخْبط الأرضَ: يَضربُ الأرضَ برجليه ضَرْباً شديداً، وهو مأخوذ من ضرْب البعير الأرضَ برجله. قال الخليل في كتاب (العين): الخَبْط: شدّة الوَطء بأيدي الدوابّ. وجاء في (المُعْجَم الوسيط) خَبَط الشيءَ: وَطأهُ وَطئاً شديداً. ولعلّ المقصود: سُرعة الركض، أو نوع خاص مِن المَشي العَشائري.. يكون مَزيجاً مع ضَرْب الأرجل بالأرض، كنوعٍ مِن التدريب للقتال قبل الحرب، او لإيجاد الحَماس ورَفْع المَعنويّات. المُحقّق

في صدور مَن يُفرّق ناديكم![1]

فقال الإمام الحسين (عليه السلام): أُخرجنَ عليهم يا آلَ اللّه!

فخَرجنَ، وهُنّ يَنْتَدبْنَ[2] ويَقُلن: حاموا ايّها الطيّبون عن الفاطميّات، ماعُذركم إذا لَقينا جَدَّنا رسولَ اللّه، وشَكونْا إليه مانَزَل بِنا؟

وكانَ حبيبُ واصحابه حاضرين يَسمعون ويَنظرون، فواللّه الذي لا إله إلّا هو، لقد ضَجُّوا ضَجَّةً ماجَتْ منها الأرض،

---

(١) اسِنّة: رماح.

يُركزوها: الركْز: غَرزُك شيئاً مُنتَصِباً. كالرُمح ونحوه، يُقال ركَزهُ ركزاً في مَركَزه أي: ثَبَّتَه في مَكانه. كما في «لسان العرب».

ناديكم: مَحلُّ اجتماعكم. النادي: مجلس القوم ماداموا مُجتمعين فيه.

(٢) وفي نسخة: يَندبن.

يَنتدبْن: الإنتداب: بمعنىٰ الإسراع، وبمعنىٰ تلبية الطَلَب، فيكون المعنىٰ: «يَتسارعْن» في خروجهنّ مِن الخيام، او: «يُلبّين» امْرَ الإمام لهنّ بالخروج لهم. قال الطُريحي في (مَجمع البحرين): نَدبَه لأمرٍ فانتَدَب: أي: دَعاه لأمرٍ فأجاب.

وذُكرَ في بعض كُتُب اللغة: انّ الإنتداب: هو طَلَبُ شيء مِن شخص في حالة الحرب وإسراعُ الشخص في تلبية الطَلَب. كما يُستفاد هذا المعنىٰ مِن كتاب (العَين) للخليل، وكتاب (المُحيط في اللغة) للصاحب بن عبّاد.

المُحقّق

واجتمعتْ لها خيولُهم وكانَ لها جَولة واختلاف صهيل، حتّىٰ كأنّ كُلاً يُنادي صاحِبَه وفارِسَه.[١][٢]

ورُويَ عن فَخْر المُخَدّرات السيّدة زينب (عليها السلام) انّها قالت: «لمّا كانت ليلة العاشر مِن المُحرّم خَرجتُ مِن خَيمتي لأتفَقَّد أخيَ الحسين وأنصارَه، وقد أُفْرِدَ له خيمة، فوجَدتُه جالساً وَحْده، يُناجي ربّه، ويَتْلو القرآن.

فقلتُ ـ في نفسي ـ: أفي مِثْلِ هذه الليلة يُترَكُ أخي وَحْده؟ واللّه لأمضينَّ إلى إخوتي وبَني عُمومتي وأُعاتبُهم بذلك.

فاتيتُ إلى خيمة العبّاس، فسمعتُ منها هَمْهَمَة ودَمْدَمَة،[٣]

---

(١) الظاهر انّ المراد: حتّىٰ كانّ كلّ واحدٍ من الخيل يُنادي ـ في صهيله ـ صاحبَه وفارسَه.. للركوب استعداداً للإنطلاق والقتال. المُحقّق

(٢) كتاب (الدَمْعة الساكبة) ج٤ ص ٢٧٣، المجلس الثاني: فيما وقَع في ليلة عاشوراء، نَقلاً عن الشيخ المفيد، رضوان اللّه عليه. وكتاب (معالي السبطين) للشيخ محمد مهدي المازندراني، المجلس الرابع: وقائع ليلة عاشوراء.

(٣) الهَمْهَمة: هو الصوت الذي يُسمَع ولايُفهَم معناه، بسبب خفائه أو اختلاطه مع اصوات أخرىٰ. قال إبن مَنظور في (لسان العرب): الهَمْهَمة: الكلام الخَفي، وهَمْهَم الرجلُ: إذا لم يُبيّن كلامه، والهَمْهمةُ: الصوتُ الخَفي، وقيل: هو صوتٌ معه بَحَح.

وقال ابن دُريد في (جَمْهرة اللغة): الهَمْهَمة: الكلام الذي لايُفهَم.

المُحقّق

فوقَفتُ علىٰ ظَهْرها[١] فـنَظرتُ فيها، فوجدتُ بَني عُمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مُجتَمِعين كالحَلَقة، وبَينَهم العبّاس بن أمير المؤمنين، وهو جاثٍ علىٰ ركبتيه كالأسد علىٰ فَريسته؛ فخَطبَ فيهم خُطبةً ـ ماسمعْتُها إلّا مِن الحسين ـ: مُشتملةً علىٰ الحمْد والثناء للّه والصلاة والسلام علىٰ النبي وآله.

ثم قال ـ في آخِر خُطبتِه ـ: يا إخوتي! وبَني إخوتي! وبَني عُمومتي! إذا كان الصباح فما تَقولون؟

قالوا: الأمرُ إليك يَرجع، ونَحنُ لا نَتَعدّىٰ لك قَولاً.[٢]

فقال العبّاس: إنّ هؤلاء (أعني الأصحاب) قومٌ غُرَباء، والحِمْلُ ثَقيل لايَقومُ إلّا بأهله، فإذا كان الصباح فأوّل مَن يَبرز إلى القتال أنتُم.

نَحنُ نَقدُمُهم إلى الموت لِئلاّ يقولَ الناسُ: قَدَّموا أصحابَهم، فلمّا قُتِلوا عالَجوا الموتَ بأسيافهم ساعة بعد ساعة.[٣]

فقامتْ بَنو هاشم، وسَلّوا سيوفَهم في وَجْه أخي العبّاس، وقالوا: نَحنُ علىٰ ما أنتَ عليه!

---

(١) ظهرها: اي ظَهْر الخيمة، بمعنىٰ خَلْفَها ووَراءها.

(٢) لا نَتعدّىٰ: لا نَتَجاوز مِن رايك إلى راي غيرك.

(٣) عالَجوا: حاولوا التخلّص مِن الموت بسيوفهم.. مُحاولةً بعد مُحاولة، ومَرّةً بعد أخرىٰ.

قالت زينبُ: فلمّا رأيتُ كثْرةَ إجتماعهم، وشِدَّةَ عَزْمهم، وإظهار شِيمَتهم، سَكنَ قلبي وفَرحتُ، ولكن خَنَقَتْني العَبْرة، فأردتُ أنْ أرجع إلى أخي الحسين وأُخبره بذلك، فسمِعتُ مِن خيمة حَبيب بن مظاهر هَمْهَمة ودَمْدَمة، فمَضيتُ إليها ووَقفتُ بظَهرها، ونَظرتُ فيها، فوجَدْتُ الأصحابَ علىٰ نحو بَني هاشم، مُجتَمِعين كالحَلَقة، وبينهم حبيب بن مظاهر، وهو يقول:

«يا أصحابي! لِمَ جِئْتُم إلى هذا المكان؟ أوضِحُوا كلامَكم، رَحِمَكمُ اللّه».

فقالوا: أتينا لِنَنْصُر غَريبَ فاطمة!

فقال لَهم: لِمَ طلَّقتُم حَلائلَكم؟

قالوا: لذلك.

قال حبيب: فإذا كان الصباح فما أنتُم قائلون؟

فقالوا: الرأيُ رأيك، لا نَتعدّىٰ قولاً لك.

قال: فإذا صارَ الصَباح فأوَّل مَن يَبرز إلى القتال أنتُم، نَحنُ نَقدمُهم للقتال ولا نَرىٰ هاشِميّاً مُضَرّجاً بِدَمه وفينا عِرْق يَضرب، لِئلاّ يقولَ الناس: قَدَّموا ساداتهم للقتال، وبَخِلوا عليهم بأنفسِهم.

فهَزّوا سيوفَهم علىٰ وَجْهه، وقالوا: نَحنُ علىٰ ما أنتَ عليه.

قالت زينبُ: ففَرحْتُ مِن ثَباتهم، ولكن خَنَقتْني العَبْرة،

فانصرفتُ عنهم وأنا باكية، وإذا بأخي الحسين قد عارضَني[١]، فسكنت نفسي[٢]، وتبسّمتُ في وَجْهه.

فقال: أخيَّه.

قلت: لبّيك يا أخي.

فقال: يا أختاه! مُنذُ رَحَلْنا مِن المدينة ما رأيتُكِ مُتَبسّمة، اخبريني: ما سبَب تَبسّمكِ؟

فقلت له: يا أخي! رأيتُ من فِعْل بَني هاشم والأصحاب كذا وكذا.

فقال لي: يا أُختاه! إعلمي انّ هؤلاء أصحابي مِن عالَم الذرّ، وبهم وَعَدَني جَدّي رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

هلْ تُحِبّين ان تَنظري إلى ثَبات أقدامهم؟

---

(١) عارَضَني: واجهَني.

(٢) هناك احتمالان في كيفيّة قراءة «فسكنت نفسي» هما:

١ ـ سَكَّنْتُ نفسي: بمعنىٰ انها حاولتْ ان تَتغلّب علىٰ ما بها مِن البكاء، وتَمسحُ آثارَ الحزن والكآبة عن مَلامحها.. لكي لاتزيد مِن هموم الإمام. وعلىٰ هذا.. لاتكون الجملة تكملة.. بل جملة مُستأنَفة.

٢ ـ سَكَنَتْ نفسي: بمعنىٰ انّه زالَ القَلَق عن نفسِها، وارتاحَ قلبُها.. بما رأتْه وسَمعتْه مِن موقف بَني هاشم وموقف الأصحاب. فتكون الجملة تكملة لـ«ففرحتُ مِن ثباتهم». المُحقّق

فقلت: نعم.

فقال: عليكِ بِظَهْرِ الخيمة.

قالت زينبُ: فوقفتُ علىٰ ظَهر الخيمة، فنادىٰ أخي الحسين: «أين إخواني وبَنو أعمامي»؟

فقامتْ بَنو هاشم، وتَسابقَ منهم العباس، وقال: لبّيك لبّيك، ماتَقول؟

فقال الحسين: أُريد ان أُجدِّد لكم عهْداً.

فاتىٰ أولادُ الحسين وأولادُ الحسن، وأولادُ علي وأولادُ جعفر وأولادُ عقيل، فأمَرَهم بالجلوس، فجَلَسوا.

ثم نادىٰ: أينَ حبيب بن مظاهر، أين زُهير، أين نافع بن هلال؟ أين الأصحاب؟

فأقبلوا، وتَسابقَ منهم حبيب بن مظاهر، وقال: لبّيك يا أباعبدالله!

فاتَوا إليه وسيوفُهم بأيديهم، فأمَرَهم بالجلوس فجَلَسوا.

فخَطبَ فيهم خُطبةً بليغة، ثمّ قال:

«يا أصحابي! إعلموا انّ هؤلاء القوم ليسَ لهم قَصْد سوىٰ قَتْلي وقتْل مَن هو معي، وأنا أخاف عليكم مِن القتل، فانتُم في حِلٍّ مِن بَيعتي، ومَن احبّ منكم الإنصرافَ فلينْصرفْ في سَواد هذا الليل.

فـعندَ ذلك قـامتْ بَـنو هاشم، وتكـلّمـوا بمـا تكـلّمـوا، وقـام الأصحاب وأخذوا يَـتَـكلّمـون بمـثْـل كلامهم.

فلمّـا رأىٰ الحسين حُسْـنَ إقدامـهم، وثَبات أقـدامهم، قـال: إنْ كُـنْـتُـم كذلك فارفَعوا رؤوسَكم، وانـظروا إلى مَـنازلكم في الجنّـة.

فكُشِفَ لهم الغِطـاء، ورأوا منازلَهم وحُورَهـم وقُصورَهم فـيهـا، والحورُ العين يُـنـادين: العَـجَـل العَـجَـل! فإنّـا مُـشـتـاقات إليكم.

فـقاموا بأجمعهم، وسَلّوا سيوفهم، وقالوا: يا أباعبداللّه! إئـذن لنا أن نُـغيرَ علىٰ القوم، ونُـقاتلهم حتّـىٰ يَـفعل اللّه بِنا وبهم ما يشاء.

فقال: إجلسوا رَحِـمَـكم اللّه، وجزاكم اللّه خيراً.

ثم قـال: الا ومَن كـانَ فـي رَحْـله إمـرأة فلـيَـنـصَـرفْ بهـا إلى بَـنـي أسد.[1]

فقامَ عليُّ بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيّدي؟

فـقـال: إنَّ نسـائي تُـسبىٰ بعـد قـتْـلي، وأخـافُ علـىٰ نسـائكم مِن السَـبْـي.

فمَـضىٰ عليُّ بن مظـاهر إلى خيمته، فقامتْ زوجتُـه إجلالاً له، فاستَــقـبـلَـتْـه وتَـبسَّـمتْ في وَجْـهـه.

---

(١) الـرَحْـل: ما تَـسْـتَـصْـحِـبـه في السَـفَـر.. مِـن الأثـاث او الـزوجـة او غير ذلك، كما يُـسـتـفـاد مِـن «لسـان العـرب».

فقال لها: دَعيني والتَبَسُّم!

فقالت: يابنَ مظاهر! إني سمِعْتُ غريبَ فاطمة! خَطب فيكم وسمعتُ في آخرها همهمة ودمدمة، فما علمتُ ما يقول؟

قال: يا هذه! إنّ الحسين قالَ لنا: الا ومَن كان في رَحْله إمرأة فليذهب بها إلى بَني عمِّها، لأنّي غداً أُقتَل، ونسائي تُسبىٰ.

فقالت: وما أنتَ صانع؟

قال: قُومي حتّىٰ ألحِقَك ببَني عمِّكِ: بَني أسَد.

فقامتْ، ونَطَحتْ رأسَها بعَمود الخيمة، وقالت:

«والله ما أنصَفْتَني يابنَ مظاهر، أيَسُرّكَ أنْ تُسْبىٰ بَناتُ رسولِ الله وأنا آمِنة مِن السَبْي؟!

أيَسُرّك أنْ تُسْلَب زينبُ إزارَها مِن رأسها وأنا أستَتِر بإزاري؟!

أيَسُرّك أنْ يَبْيضَّ وجْهُك عند رسولِ الله ويَسْوَدّ وَجْهي عند فاطمة الزهراء؟!

والله أنتُم تُواسُون الرجال، ونحنُ نُواسي النساء».

فرجَع عليٌّ بن مظاهر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يَبكي.

فقال له الحسين: ما يُبكيك؟

قال: سيّدي.. أبَتْ الأسَديّة إلاّ مُواساتَكم!!

فبكىٰ الإمامُ الحسين، وقال: جُزيتُمْ مِنّا خَيراً.[1]

(١) معالي السبطين للمازندراني ج ١، المجلس الثالث في وقائع ليلة عاشوراء.

أزمَة المـاء

كـانت السيّـدة زينب (عليـهـا السـلام) رُكناً مُـهـمّـاً في الأُسرة الشريفة الطيّبة، وانطلاقاً مِـن صِـفـة العـاطفـة المثـاليّـة التي كـانت تَـمْـتـازُ بـها، فـقـد كـانت تَـشـعر بالمسـؤولـيّـة عن كلّما يَرتبط بحياة الأُسرة. . بجميع أفرادها.

فكانت مَفـزَعاً للكبار والصغار، ومَـلاذاً لجميـع افراد العائلة، ومَـعْـقِـد آمـالهم، فلعلّهـا كانت تدَّخر شيئاً من المـاء منـذ بِداية أزمة الماء عندهم.

فكان بعضُ العـائلة يأملون أن يجـدوا عنـدها المـاء، جَـرياً علىٰ عـادَتـهـا وعـادَتـهم، ولهـذا قـالـت سُـكـيـنـة بـنـتُ الامامِ الحسين (عليه السلام):

«عَزَّ ماؤنا ليلةَ التاسع مِن المحرَّم[١]، فجَفَّت الأواني، ويَبُسَت الشِفاه[٢] حتّىٰ صِرْنا نَتوقّع الجُرعة مِن الماء فلم نَجدْها.

فقلتُ ـ في نفسي ـ: أمضي إلى عمّتي زينب، لَعلّها ادَّخرتْ لنا شيئاً مِن الماء!!

فمَضَيتُ إلى خيمتها، فرأيتُها جالسة، وفي حِجْرها أخي عبداللّه الرضيع، وهو يَلوك بِلسانه مِن شِدّة العَطَش، وهي تارةً تَقوم، وتارةً تَقعُد.

فخَنقَتْني العَبْرة، فلزِمْتُ السكوت خوفاً من أن تفيق[٣] بي عمَّتي فيَزدادَ حُزنها.

فعند ذلك إلتفَتَتْ عمّتي وقالت: سُكينة؟

قلتُ: لبّيكِ.

قالت: ما يُبكيكِ؟

قلتُ: حالُ أخيَ الرضيع أبكاني.

ثمَّ قلت: عَمّتاه! قُومي لِنَمضي إلى خِيَم عُمُومَتي،

---

(١) عَزَّ ماؤنا: صارَ قليلاً جِداً، او صارَ عَزيزاً لِنَفاده. المُحقّق

(٢) وفي نسخة: السِقاء: يعني القِرْبة.

(٣) تفيق: تَشْعر.

وبَـني عُمومتي، لَعلّهم ادَّخـروا شـيـئاً مِـن الماء!

قالت: ما أظـنّ ذلك.

فمَـضينا واختَـرقْـنا الـخِـيَم بأجْمعِها، فلم نَجدْ عندهم شيئاً من الماء.

فرجَعتْ عمَّتي إلى خـيـمَـتـها، فـتـبِـعَـتْـهـا مِـن نَحو عـشرين صـبـيّ وصَـبـيّـة، وهم يَـطلُـبـون مِـنهـا الماء، ويُـنـادون: العطَـش العطَـش... .»[1]

---

(١) كـتـاب (مَـعـالي السبطين) لـلمـازندراني ج١، ص٣٢٠، المـجلس الـثامـن: في عَطَش أهل البيت، نقلاً عن كتاب (اسرار الشهادة) للدربندي.

الفَصل التاسع

- يومُ عاشوراء
- مَقتل سيّدنا علي الأكبر (عليه السلام)
- مَقتل أولاد السيّدة زينب (عليها السلام)
- مَقتل سيّدنا أبي الفضل العبّاس (عليه السلام)
- مَقتل الطفل الرضيع (عليه السلام)

يوم عاشوراء

أصبحَ الصباح مِن يوم عاشوراء، واشتَعلتْ نارُ الحرب وتَوالتْ المصائب، الواحدة تلوَ الأُخرىٰ، وبَدأت الفجائعُ تَتْرىٰ!

فالأصحاب والأنصار يَبرزون إلى ساحة الجهاد، ويُستَشْهَدون زُرافات ووِحْدانا، وشيوخاً وشُبّاناً.

ووَصَلت النَوبة إلى أغصان الشَجَرة النبَويّة، ورجالات البيت العَلَوي، الّذين وَرِثوا الشجاعة والشهامة، وحازوا عِزَّة النَفْس، وشَرَف الضمير، وثَباتَ العقيدة، وجَمالَ الإستقامة.



مَـقـتـل سيّـدنا علي الأكـبـر

وأوّل مَن تقدّم منهم إلى ميدان الشَـرَف: هو عليٌّ بن الحسين الأكبر (عليهما السلام)، فـقاتَـلَ قـتالَ الأبطال، واخيراً. . إنطفأتْ شَمعةُ حياته المُستَنيرة، وسقَطَ علىٰ الأرض كالوَردة التي تَـتَبعثَر أوراقُها.

وتَبادرَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) إلى مَصْرَع ولَده، ليُشاهدَ شَبيهَ رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) مُقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً.

ولا أعلَمُ كيف عَلمت السيّدة زينب بهذه الفاجعة المُروِّعة، فقد خَرجتْ تَعْدو، وهي السيّدة المُخدّرة المُحجَّبة الوَقورة!

خَرجتْ مِن الخيمة مُسْرعة وهي تُنادي: «واويَلاه، ياحَبيباه، ياثمرةَ فُؤاداه، يانورَ عَيناه، ياأُخيّاه وابن أُخيّاه، واولَداه، واقَتيلاه، واقِلّةَ ناصِراه، واغَريباه، وامُهْجَة قَلْباه.

لَيتَني كنتُ قَبلَ هذا اليوم عَمياء، لَيتَني وُسِّدْتُ الثَرىٰ».

وجاءتْ وانكبَّتْ عليه، فجاءَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) فاخذَ بِيدها، وردَّها إلى المُخيّم، واقبَلَ بِفِتْيانه إلى المعركة وقال: إحمِلوا اخاكم، فحَملوه مِن مَصْرَعه وجاؤا به حتّىٰ وضَعوه عند الخيمة التي كانوا يُقاتِلون امامَها. (١)

---

(١) كتاب (مَعالي السبطين) للشيخ المازندراني، ج١، الفصل التاسع، المجلس الثالث عشر.

مَـقـتل أولاد السـيّـدة زيـنـب

وإلى انْ وصلت النَـوبة إلى أولاد السيّـدة زيـنـب عليـها السـلام وافْـلاذ كبدها.

أولئك الفِـتْـية الذين سَـهَـرَتْ السيّدة زينب لَـيالـيها، واتعَـبَتْ أيّامَـهـا، وصَـرَفتْ حـياتَـهـا في تربـيـة تلك البَـراعم، حتّـىٰ نَـمَتْ واورَقَــتْ.

إنها قَـدَّمتْ اغلىٰ شيء في حياتـها في سبيل نُـصْـرَةَ اخيهـا الإمام الحسين عليه السلام.

وتَـقدَّم أولئك الأشبال يَـتـطوّعون ويَـتـبرّعون بدمائهم وحـياتهم في سبـيل نُـصْرة خالهم، الذي كان الإسلام مُـتجسّـداً فيه وقائماً به.

وغَريزةُ حُبّ الحياة إنقلبتْ ـ عندهم ـ إلى كراهية تلك الحياة.

ومَـن يَرغب لِـيَعيش في ارجَس مُجتمعٍ مُتكالِب، يَـتسابق علىٰ إراقة دِماء أطهَر إنسان يُـعـتَـبر مَـفخرة أهل السماء والأرض؟!

وكانَ عبدُاللّه بن جعفر ـ زوجُ السيّدة زينب ـ قد أمَرَ ولَدَيه: عوناً ومحمّداً أن يُرافِقا الإمامَ الحسين (عليه السلام) ـ لمّا أراد الخروج من مكّة ـ والمَسير معه، والجهاد دونه.

فلمّا انتَهىٰ القِتالُ إلى الهاشميّين بَرَزَ عونُ بن عبداللّه بن جعفر، وهو يَرتَجز ويَقول:

إنْ تُنكروني فأنا ابنُ جعفر شهيد صِدْقٍ في الجِنان أزهَر

يَطيرُ فيها بجَناحٍ أخضَر كفىٰ بهذا شَرَفاً في المحْشَر

فقَتَلَ ثلاثة فُرسان، وثمانية عشر راجِلاً، فقتَلَه عبدُاللّه بن قطبة الطائي.(١)

ثمَّ برزَ أخوه محمّد بن عبداللّه بن جعفر، وهو يُنشِد:

أشكو إلى اللّه مِن العدوانِ فِعال قوم في الرَدىٰ عِمْيانِ

قد بَدّلوا مَعالمَ القرآنِ ومُحْكمَ التنزيل والتِبْيانِ

واظهَروا الكفرَ مع الطُغيانِ

فقَتَلَ عشَرة مِن الأعداء، فقتَلَه عامر بن نهشل التميمي.(٢)

---

(١) وفي نسخَةٍ: عبد اللّه بن قطنة الطائي.

(٢) كتاب (مَناقب آل ابي طالب) لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ١٠٦. وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٣.

ولقد رَثاهما سليمان بن قبّة بقوله:

وسَميُّ النبيّ غُودرَ فيهم قد عَلَوه بصارم مَصْقُولِ
فإذا ما بكيتِ عيني فجُودي بدُموع تَسيل كلَّ مَسيلِ
واندُبي إنْ بكيتِ عوناً أخاهُ ليسَ فيما يَنوبُهم بِخَذول[1]

أقول: لم أجدْ في كتُب المقاتل أنّ السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) صاحتْ أو ناحَتْ أو صَرخَتْ أو بكتْ في شهادة ولَديها، لا في يوم عاشوراء ولا بعده.

ومِن الثابت أنَّ مصيبةَ ولَديها أوجَدَتْ في قلبها الحُزنَ العَميق، بل وألهَبَتْ في نفسها نيرانَ الأسىٰ وحَرارة الثَكْل، ولكنّها (عليها السلام) كانت تُخفي حُزنَها علىٰ ولَديها، لأنّ جميع عواطفها كانت مُتّجهة إلى الإمام الحسين عليه السلام.[2]

(١) كتاب (مَقاتل الطالبيّين) لأبي الفَرَج الإصفهاني، ص ٩١.

(٢) وقد جاءَ ذِكرُ هذين السيّدين الشهيدين في إحدىٰ الزيارات الشريفة، التي ذُكرتْ فيها أسماء شهداء كربلاء في يوم عاشوراء، ومنها هذه الكلمات:

«... السلام علىٰ عون بن عبداللّه بن جعفر الطيّار في الجِنان، حَليفِ الإيمان، ومُنازلِ الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمَثاني والقرآن، لعَنَ اللّهُ قاتلَه عبداللّه بن قطبة النبهاني.

السلام علىٰ محمّد بن عبداللّه بن جعفر، الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقيه ببَدَنه، لَعنَ اللّه قاتلَه عامر بن نهشل التميمي ...» ←

وهناك وَجْـهٌ آخَـر قـد يَـتـبـادر إلى الذِهن: وهو انّ بـكـاءَها علىٰ وَلَديها قد كـان يُسبّـب الخَـجَـل والإحْراج لأخيـها الإمـام الحسـين، باعـتـبـار أنّهـمـا قُـتـلا بين يديه ودفـاعـاً عنه، فـكـأنَّ السيّـدة زيـنـب ـ بسكوتها ـ تُريد ان تـقـول للإمام الحسين (عليه السلام): وَلَـدايَ فداءٌ لك، فلا يُهمّـك ولايُحرِجُـك انّهما قُـتلا بـين يديك. والله العالم.

← وامّا مَصدَر هذه الزيارة، فقد حَكىٰ الشيخ المجلسي في كتاب (بحار الأنوار) طَـبْع لبنان، عام ١٤٠٣ هـ، ج٩٨ ص ٢٦٩، وص ٢٧١، عن كتاب (إقبال الأعمال) عن الشيخ الطوسي... قال: خَرَجَ مِن الناحية سنة ٢٥٢ على يَد الشيخ محمدبن غالب: «بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أردتَ زيارةَ الشهداء (رضوان الله عليهم) فقِفْ عند رجْلَي الحسين (عليه السلام) وهو قبر عليّ بن الحسين، فاستَقبِلْ القبلةَ بوَجْهك، فإنّ هناك حومة الشهداء...».

والمقصود مِن جملة «خَرَجَ مِن الناحية»: هو كلّما كان يَصلُ إلى الشيعة مِن جانب الإمام علي الهادي، ثمّ الإمام الحسن العسكري، ثمّ الامام المهدي (صلوات الله عليهم). والذي يُناسب التاريخ المذكور ـ وهو سنة ٢٥٢ ـ ان تكون الزيارة قد صَدرتْ مِن ناحية الإمام عليّ الهادي عليه السلام، والله العالم. المُحقّق

مَقتل سيّدنا أبي الفضل العباس

لقد كانت العلاقات الودّية بين السيّدة زينب وبين أخيها أبي الفضل العباس (عليهما السلام) تمتاز بنوعٍ خاص مِن تبادل المحبّة والإحترام، فقد كانت السيّدة زينب تُكنّ لإخوتها مِن أبيها كلَّ عاطفة ووُدّ، وكان ذلك العَطف والتقدير يَظهر مِن خِلال كيفيّة تعاملها مع إخوانها الأكارم.

وكان سيّدنا أبوالفضل العباس ـ بشكلٍ خاص ـ يَحترم أُختَه زينب احتراماً كثيراً جداً.

وفي طوال رِحْلة قافلة الإمام الحسين (عليه السلام) مِن مكّة نحو العراق . . كان العباس هو الذي يَقوم بشؤون السيّدة زينب، مِن مُساعَدتها حينَ الركوب أو النزول مِن المَحْمِل ويُبادرُ إلى تَنفيذ الأوامر والطلبات بكلّ سرعة . . ومِن القلب.

فالسيّدة زينب (عليها السلام) مُحترمة ومَحبوبة عند الجميع،

يُحبّونها لِعَواطفها وأخلاقها المِثاليّة، يُضافُ إلى ذلك: أنّها عَميدة الأُسرة، وعقيلة بَني هاشم، وابنة فاطمة الزهراء، وسيّدة نساء أهل البيت.

ومنذُ وصول قافلة الإمام الحسين إلى أرض كربلاء في اليوم الثاني مِن شهر محرّم، إختارَ سيّدنا العباس بنُ أمير المؤمنين (عليهما السلام) لنَفسه نوعاً خاصّاً مِن العبادة: وهي أنّه كان إذا جَنَّ الليل يَركب الفَرس ويَحوم حولَ المُخيّمات لِحراسة العائلة.

والعباس: إسمٌ لامع وبَطلٌ شجاع، تَطمئنّ إليه نُفوس العائلة والنساء والأطفال، ويَعرفه الأعداء أيضاً، فقد ظَهَرتْ منه ـ يوم صفّين ـ شجاعة عظيمة جَعلَتْ إسمَه يَشتَهر عند الجميع بالبطولة والبِسالة، ولاعجَبَ مِن ذلك فهو ابن أسَد اللّه الغالِب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي يوم عاشوراء، لمّا قُتلَ أكثرُ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) أقبَلَ العباس إلى أخيه الحسين واستأذَنَه للقتال، فلم يأذنْ له، وقال: «أخي أنتَ صاحبُ لوائي، فإذا غَدَوتَ يؤول جَمْعُنا إلى الشَتات».

فقال العباس: يا سيّدي لقد ضاقَ صَدري وأُريد أخْذَ الثار مِن هؤلاء المُنافقين.

فقال له الإمامُ الحسين (عليه السلام): «إذَنْ. فاطلُبْ

لِـهـؤلاء الأطفال قليـلاً مِن الماء» .[١]

فـاقـبَـلَ العـبّـاس وحَـمَـل القِـرْبة وتَـوجّـهَ نحـو النهـر ليـأتي بالمـاء... ، وإلى أنْ وَصَـلَ إلى الـماء ومَـلأ القِـرْبة، وتَوجَّـهَ نـحـوَ خيام الإمام الحسين (عليه السلام). فجَـعَـل الأعداء يَـرمونه بالسِهام ـ كـالمطر ـ حتّىٰ صـارَ دِرْعُـه كـالـقُـنـفـذ، ثمّ قَـطعـوا علـيه الطريق وأحاطوا به مِـن كلّ جانب، فحـاربَهم وقاتَـلَـهم قـتالَ الأبطال، وكان جَـسُـوراً علىٰ الطعْـن والضَـرْب.

فكَـمـنَ لَـه زيدُ بنُ وَرقاء مِـن وَراء نَخلة وضَـرَبَـه بالسيف علىٰ يَمـيـنه فـقَـطعَـهـا، فـأخـذَ السـيـفَ بشـمـالـه واستَـمرَّ في الـقـتـال، فـضَـرَبَـه لَعينٌ علىٰ شـمـاله فـقَـطعَ يَـدَه، وجـاءتْـه السِـهـام والنِـبـال مِـن كلّ جانب، وجاء سَهـمٌ وأصابَ القِـرْبـة فـأُريقَ ماؤها، وضَـرَبَـه الأعداء بعَـمود مِـن حـديد علىٰ رأسه، فسقَـطَ علىٰ الأرض صَـريعاً، ونادىٰ ـ بأعلىٰ صوته ـ: أدركْـنـي يا أخي!

وكان الإمـامُ الحسـين (عليه السلام) قـد وَقَـف علىٰ رَبْـوة عند باب الخـيـمة.. وهو يَـنـظر إلى مـيـدان القـتـال، وكـانـت السـيّـدة زيـنـب واقـفـة تَـنـظر إلى وَجْـه أخيـهـا، وإذا بالحُـزْن قـد غَـطّىٰ مَـلامحَ الإمـام الحسين! فـقالت زيـنـبُ: أخي مالي أراكَ قـد تَـغَـيَّـرَ وجْـهُـك؟

---

(١) كتاب «تَـظـلّم الزهراء» ص ٢١٠.

فقال: أخَيّه لقد سَقَط العَلَم وقُتلَ أخيَ العباس!

فكانَ السيّدة زينب إنهَدَّ رُكْنُها، وجَلسَتْ علىٰ الأرض وصَرَخَتْ: واأخاه! واعبّاساه!

واقِلَّةَ ناصِراه، واضَيعَتاه مِن بَعْدك يا أباالفضل!

فقال الإمامُ الحسين: «إي واللّه، مِن بَعْده واضَيعَتاه! والإنقِطاعَ ظَهْراه!

وأقبَلَ الحسينُ - كالصَقْر المُنْقَض - حتّىٰ وصَلَ إلى أخيه فرآه صَريعاً علىٰ شاطىء الفُرات، فنَزلَ عن فَرَسه ووَقفَ عليه مُنحَنياً، وجَلسَ عند راسه، وبكىٰ بكاءً شديداً، وقال: «يَعُزّ - واللّه - عليَّ فِراقُك، الآن إنكسَرَ ظَهْري، وقَلّتْ حيلَتي، وشَمتَ بي عَدوّي».

مَقتل الطفل الرضيع

قال السيّد ابن طاووس[1]: لَمّا رأىٰ الحسينُ (عليه السلام) مَصارعَ فِتْيانه وأحبَّته عَزمَ علىٰ لقاء القوم بمُهْجته، ونادىٰ:

هلْ مِن ذابٍّ يَذبُّ عن حَرم رسول اللّه؟

هلْ مِن مُوَحِّدٍ يَخافُ اللّهَ فينا؟

هلْ مِن مُغيثٍ يَرجو اللّه بإغاثَتِنا؟

هلْ مِن مُعينٍ يَرجو ما عند اللّه بإعانَتنا؟

فارتَفَعتْ أصواتُ النساء بالعويل، فتَقدَّم الإمامُ (عليه السلام) إلى باب الخيمة وقال لأُخته زينب: ناوليني وَلديَ الرضيع حتّىٰ أودّعَه.

---

(١) في كتاب المَلْهوف ص ١٦٨ / وذُكرَ في كتاب بحار الأنوار ج٤٥ ص٤٦ .

فأخذَه وأومَأ إليه ليُقبِّله فرَماه حَرملةُ بنُ كاهِل بِسَهمٍ فوقَع في نَحْره فذَبحَه.

فقال الحسين لأُختِه زينب: خُذيه.

ثم تَلقّىٰ الدمَ بكفَّيه فلمّا امتَلأتا رَمىٰ بالدم نحو السماء وقال: هَوّنَ عليَّ مانَزلَ بي أنّه بِعَين اللّه.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): فلَمْ يَسقط مِن ذلك الدم قطرة إلى الأرض.[1]

وفي رواية أُخرىٰ: أنّ الإمامَ الحسين (عليه السلام) حينما طلب طفلَه الرضيع لِيُودّعَه، أقبَلَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بالطفل، وقد غارتْ عَيناهُ مِن شِدَّة العَطش، فقالتْ: يا أخي هذا ولَدُك لَهُ ثلاثة أيام ماذاقَ الماء، فاطلُب له شَربةَ ماء.

فأخذه الإمامُ الحسين (عليه السلام) علىٰ يده، وأقبَلَ نَحوَ أهلِ الكوفة وقال: «ياقوم: قد قَتَلْتُم أخي وأولادي وأنصاري، ومابَقيَ غير هذا الطفل، وهو يَتَلَظّىٰ عَطشاً، مِن غير ذَنْبٍ أتاهُ إليكم، فاسقُوهُ شَربةً مِن الماء، ولقد جَفَّ اللَبَن في صَدر أُمّه!

ياقوم! إنْ لَم تَرحَموني فارحَمُوا هذا الطفل، فَبَينَما

---

(١) كتاب «مَعالي السبطين»، ج١، ص ٢٥٩، المجلس السادس عشَر.

هو يُخاطبُهُم إذْ أتاهُ سَهمٌ فذَبَحَ الطفلَ مِن الأُذن إلى الأُذن!!

فجَعَلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) يَتلقّىٰ الدَمَ حتّىٰ امتَلأتْ كَفُّه، ورَمىٰ به إلى السماء، وخاطبَ نَفْسَه قائلاً: «يانَفسُ اصبِري واحتَسِبي فيما أصابَكِ» ثمّ قال: إلهي تَرىٰ ماحَلَّ بِنا في العاجِل، فاجعَلْ ذلك ذَخيرةً لَنا في الآجِل»[١].

وجاءَ في بعض كُتُب التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لَمّا رَجَع بالرضيع مَذبوحاً إلى الخيام، رأىٰ الأطفال والبَنات ـ ومَعَهنّ أُمّ الرضيع ـ واقِفات بِباب الخيمة يَنتَظرنَ رُجوعَ الإمام، لَعلّهنَّ يَحصَلْنَ علىٰ بَقايا مِن الماء الّذي قد يكون الإمامُ سَقاهُ لِطفله.

فلمّا رأىٰ الإمامُ الحسين ذلك، غَيَّرَ طريقَه، وذَهَبَ وراء الخِيام، ونادىٰ أُختَه زينب لِتأتيَ وتُمسِك جُثمان الرضيع، لكي يُخرجَ الإمامُ خَشبَةَ السَهْم مِن نَحْر الطفل!!

ويَعلمُ اللّه ماذا جَرىٰ علىٰ قلب الإمام الحسين وقلب السيّدة زينب (عليهما السلام) ساعةَ إخراج السَهْم مِن نَحر الطفل.

ثمّ إنّ الإمام حَفَر الأرضَ ودَفَنَ طفلَه الرضيعَ تحتَ التُراب.

---

(١) كتاب «مَعالي السبطين»، ج١، ص ٢٥٩، المجلس السادس عشَر.



الفَصل العاشِر

- الإمامُ الحسين يُودّعُ ولَده المريض
- الإمامُ الحسين يُودّع السيّدة زينب
- الإمام الحسين يَخرج إلى ساحة الجهاد
- عَودة فَرَس الإمام إلى المُخيّم
- ذهابُ السيّدة زينب إلى المعركة

الإمامُ الحسين (عليه السلام)

يُـودّعُ ولَـدَه المريض

كانـت سـاعاتُ يوم عاشـوراء تَـقـترب نحو العَـصْر، دقيقـة بعد دقيقـة، والإمامُ الحسين (عليه السـلام) يَعلَم باقـتـراب تلك اللحـظة التي يُـفارق فيها الحـياة بأفجَـع صورة وأفـظع كيـفـيّـة.

وها هو يَنتهز تلك اللحظات لِيَـقوم بما يَـلزم، فقـد جاء لِـيُـودّع وَلدَه البـارّ المـريض: الإمـام زين العـابدين علي بن الحـسـين عليـهـمـا السلام.

وكـانت السـيّـدة زينب عليـهـا السـلام ـ والّـتـي تَـفـايَـضَـتْ صحـيفـةُ أعـمـالهـا بالحَـسَنات ـ قـد أضـافَـتْ إلى حَـسَـناتهـا حـسـنـةً أُخرىٰ، وهي تَمـريض الإمـام زين العـابدين (عليـه السـلام) وتـكـفُّـل شـؤونـه.

ودَخَـل الإمـامُ الحسين عـلىٰ ولَده في خيـمتـه، وهو طريح علىٰ

نَطْع الأديم[1]، فلا سَرير ولا فراش وَثير، قد امتَصّ المَرضُ طاقات بَدَنه، لا طاقات روحه المرتبطة بالعالَم الأعلىٰ.

فدخلَ عليه، وعنده السيّدة زينب تُمرّضه، فلمّا نَظَر عليُ بنُ الحسين إلى أبيه أرادَ أنْ يَنْهَض فلم يَتمكّن مِن شِدّة المرض، فقال لِعمَّتِه:

«سَنِّديني إلى صدركِ، فهذا ابنُ رسول اللّه قد أقبَل».

فجَلَستْ السيّدة زينبُ خَلْفه، وسَنَّدتْه إلى صدرها.

فجَعلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) يَسأل وَلَده عن مَرضه، وهو يَحمَد اللّه تعالىٰ، ثمّ قال: يا أبتِ ما صَنَعتَ اليوم مع هؤلاء المُنافقين؟

فقالَ له الحسين (عليه السلام): «يا وَلَدي إستَحْوَذَ عليهم الشيطانُ، فأنساهم ذِكرَ اللّه، وقد شَبَّ القتالُ بينَنا وبينَهم، حتّىٰ فاضَت الأرضُ بالدم مِنّا ومِنْهم».

فقال: يا أبتاه أينَ عَمّي العبّاس؟

فلمّا سأل عن عمّه إختنَقتْ السيّدة زينبُ بِعَبْرتها، وجَعلتْ تَنظرُ إلى أخيها كيف يُجيبه؟ لأنّه لم يُخبره ـ قبل ذلك ـ بمَقتل العبّاس خوفاً مِن أنْ يَشتَدَّ مَرَضُه.

---

(١) النَطع: بَساط مِن الجلْد يُفرَش تَحتَ الإنسان. الأديم: الجِلْد المدْبوغ.

فـقـال: «يا بُـنـيّ إنَّ عَـمَّك قـد قُـتِـل، وقَـطَـعوا يديه علىٰ شاطـىء الـفُـرات».

فبكىٰ عليُّ بن الحسين بكاءً شديداً حتّىٰ غُشيَ عليه، فلمّا أفاق مِن غَشْيَته جعَلَ يَسأل أباه عن كلّ واحدٍ من عُمومَتـه، والحسين (عليه السلام) يَقول له: قُتِل.

فقال: وأين أخي عليّ، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة وزهير بن القين؟

فقال له: يا بُنيّ! إعلَمْ أنّه ليس في الخيام رجلٌ إلّا أنا وأنت، وأمّا هؤلاء الذين تَسال عنهم فَكُلّهم صَرعىٰ علىٰ وَجْه الثَرىٰ.

فبكىٰ عليُّ بنُ الحسين بكاءً شديداً، ثم قال ـ لِعمَّته زينب ـ: ياعمَّتاه عَلَيَّ بالسيف والعَصا.

فقال له أبوه: وما تَصنَع بهما؟

قال: امّا العَصا فأتَوكّأ عليها، وأمّا السيف فأذُبُّ به بين يَدَي ابن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فإنّه لا خَيرَ في الحياة بَعْدَه.

فمنَعَه الحسين (عليه السلام) عن ذلك وضَمَّه إلى صدره، وقال له: ياوَلَدي! انتَ أطيَب ذُرّيتي، وأفضل عِتْرَتي، وأنتَ خَليفَتي علىٰ هؤلاء العِيال والأطفال، فإنّهم غُرَباء،

مَخْذولون، قد شَمَلَتْهم الذلّة[١]، واليُتْم، وشماتة الأعداء، ونوائبُ الزمان.[٢]

سَكِّتْهم إذا صَرَخوا، وآنِسْهُمْ إذا استَوحَشُوا، وسَلِّ خَواطِرَهم بِلين الكلام، فإنّه مابَقيَ مِن رجالهم مَن يَستأنِسون به غيرك، ولا أحَدَ عندهم يَشتكون إليه حُزْنَهم سِواك.

دَعْهُم يَشُمُّوك وتَشُمُّهم، ويَبكُوا عليك وتَبكي عليهم».

ثمّ لَزمَه بيده وصاحَ بأعلىٰ صوته: «يا زينب! ويا أُمّ كلثوم، ويارُقيّة! ويافاطمة!

إسمعْنَ كلامي، واعلَمْن أنّ إبني هذا خليفتي عليكم وهو إمامٌ

---

(١) الذِلّة علىٰ قسمين: ظاهريّة وواقعيّة، ولاشكّ انّ المراد مِن الذلّة ـ هنا ـ: الذلّة الظاهريّة.. وليست الواقعيّة، وعلىٰ هذا المعنىٰ يُحمَل قولُ الإمام الرضا (عليه‌السلام): «إنَّ يوم الحسين... اذلَّ عزيزَنا». ولعلّ المقصود مِن الذلّة: هو وُقوع حَفيدات النُبوّة وبنات الإمامة في أسْر الأعداء، ومُعاناتُهُنّ مِن التَعامُل القاسي مِن اولئك. المُحقّق

(٢) النَوائبُ ـ جَمْع نائبَة ـ: المَصائب والمَتاعب الّتي يَراها الإنسانُ طِوالَ حَياته. سُمّيتْ بـ«النَوائب» لأنّ الإنسان كلّما تَخلّصَ مِن مُصيبةٍ ظهرتْ في حياته مُصيبة أُخرىٰ ومِن نوعٍ آخَر، فكانّ المُصيبة اللاحِقة نابَتْ عن المصيبة السابقة، وحَلّتْ مَكانَها، فسُمّيتْ بـ«النائبة». المُحقّق

مُـفـتَـرَض الطاعة».

ثمّ قـال له: «ياولَدي بَـلّغْ شيـعتي عنّي السـلام، وقُـلْ لهم: إنَّ أبي ماتَ غريـباً فانْـدُبوه، ومَـضىٰ شهـيـداً فابـكُوه».[1]

(١) كـتـاب (الدَمْـعـة السـاكـبة) للبـهـبـهـاني، طـبْـع لـبـنـان، عـام ١٤٠٩هـ، ج٤، ص٣٥١ـ٣٥٢. الـمُـحـقّـق



الإمامُ الحسين يـودّع السـّيـدةَ زينب

يُعتبر التوديع نوعاً مِن التَزوّد مِن الرُؤية، فالمُسافر يَتزَوّد مِن رؤية مَن سَيُفارقُهم وهم يَتزوّدون مِن رؤيته، والوداعُ يُخفّفُ ألمَ البُعْد والفِراق، لأنَّ النَفْس تكون قد استَوفَتْ قِسْطاً مِن رُؤية الغائب، وتَوطّنَتْ علىٰ المُفارَقة ومُضاعَفاتها.

ولهذا جاءَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) ليُودّع عَقائلَ النُبوّة، ومُخدَّرات الرسالة، ووَدائعَ رسولِ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

لِيُودّعَ النساء والأخَوات والبَنات وأطفالَه الأعِزّاء، وليُخَفّف عنهم صَدْمةَ مُصيبة الفِراق.

قد تَحدثُ في هذا العالَم حوادثُ وقضايا يُمكنُ شَرْحها ووَصْفها، وقد تَحدثُ أمورٌ يَعجَز القَلَمُ واللسانُ عن شَرْحها ووَصْفها، بل لايمكن تصوّرها.

إنّني أعتَقِد أنّ تلك الدقائق واللحظات ـ مِن ساعات

التوديع ـ كانت قد تَجاوَزتْ حُدودَ الوَصْف والبَيان.

فالأحزانُ قد بَلَغتْ مُنتهاها، والقَلَق والاضطرابُ قد بَلَغَ أشُدَّه، والعواطفُ قد هاجتْ هَيَجان البحار المُتلاطمة، والدُموع مُتواصلة تَتَهاطَل كالمطَر، وأصواتُ البكاء لا تَنقطع، والقلوبُ مُلْتَهبة، بل مُشْتَعلة، والهُموم والغُموم مُتراكمة مِثْلَ تَراكُم الغُيوم.

فَبَعْد أنْ قُتِلَ جميعُ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وبَنو هاشم، ولَمْ يَبْق مِن الرجال أحَد، عَزَم الإمامُ على لِقاء اللّه تعالى، وعلى مُلاقاة الأعداء بِنَفْسه المقدّسة، فاقبَلَ إلى المُخيّم للوداع، ونادى: «يا سُكينة ويافاطمة، يا زينبُ ويا أمّ كلثوم: عليكُنَّ مِنّي السَلام، فهذا آخِرُ الإجتماع، وقد قَرُبَ مِنكُنَّ الإفْتِجاعَ»!

فَعَلَتْ أصواتُهنَّ بالبُكاء، وصِحْنَ: الوداع.. الوداع، الفِراق.. الفِراق، فجاءَتْه عَزيزتُه سُكينة وقالتْ: يا أبَتاه إسْتَسْلَمْتَ لِلْمَوت؟ فإلى مَن اتّكِل؟

فَقال لَها: «يانورَ عَيني كيف لا يَسْتَسْلمُ للموت مَن لا ناصِرَ له ولا مُعين، ورَحمةُ اللّه ونُصرَتُه لا تُفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصْبِري على قَضاء اللّه ولا تَشْكَيْ، فإنّ الدنيا فانِية، والآخرة باقية».

قالت: أبَه رُدَّنا إلى حَرَم جَدّنا رسولِ اللّه؟

فقال الإمامُ الحسين: هَيْهات، لو تُركَ القَطا لَغفا ونام.

فَبَكتْ سكينة فأخذَها الإمام وضَمَّها إلى صدره، ومَسَحَ الدُموعَ عن عَينَيها.

ثمّ إنَّ الإمامَ الحسين (عليه السلام) دَعىٰ النساءَ بأجمَعِهِن، وقال لَهُنّ: «إسْتَعِدّوا للبَلاء، واعْلَموا انّ اللّه حافِظكم وحاميكم، وسَيُنجّيكمْ مِن شَرِّ الأعْداء ويَجعَلُ عاقِبةَ أمْركم إلى خَير، ويُعذّبُ أعاديكم بأنواع العَذاب، ويُعوّضُكم عن هذه البَليَّة بأنواع النِعَم والكرامة، فَلا تَشْكُوا ولا تَقولوا بألْسِنَتِكُم مايُنْقِصُ قَدْركم».

ثمَّ أمَرَهُنَّ بِلَبْس أُزرهِنَّ ومَقانِعِهن، فسألتْه السيّدة زينبُ عن سَبَب ذلك، فقال: «كأنّي أراكمْ عن قَريب كالإماء والعَبيد يَسُوقُونكم أمامَ الرِكاب ويَسُومُونَكم سُوءَ العَذاب»!!

فلَمّا سَمِعَت السيّدةُ زينب ذلك بَكتْ ونادتْ: واوَحْدَتاه، واقِلَّة ناصِراه، ولَطمَتْ علىٰ وَجْهها!

فَقال لها الإمامُ الحسين: «مَهْلاً يابنَة المُرتَضىٰ، إنَّ البكاءَ طويل»!!

ثمّ أراد الإمامُ ان يَخرج مِن الخيمة فتَعَلّقتْ به السيّدة زينب وقالتْ: «مَهْلاً يا أخي، تَوقَّفْ حتّىٰ أتَزَوّدَ مِنْك ومِن

نَظري إليك، وأودِّعك وِداعَ مُفارقٍ لا تَلاقيَ بَعْدَه»؟ فجَعَلَتْ تُقبِّلُ يَديه ورِجْلَيه.

فصَبَّرَها الإمامُ الحسين، وذكرَ لها ما أعَدَّ اللّه للصابِرين.

فقالتْ: يابنَ أمّي طِبْ نَفْساً و قَرِّ عَيناً فإنَّك تَجِدني كما تُحِبُّ وتَرضىٰ.

فقالَ لها الإمامُ الحسين: «أُخيّه إيتيني بِثَوبٍ عَتيق لا يَرغَبُ فيه أحَد، أجعلُهُ تحتَ ثِيابي لِئلاّ أُجَرَّدَ بَعْدَ قَتْلي، فإنّي مَقتولٌ مَسْلُوب، فارتَفَعتْ أصواتُ النساء بالبُكاء.

ولمّا أرادَ الإمامُ أنْ يَخرج نحو المَعركة نَظرَ يَميناً وشِمالاً ونادىٰ: هَلْ مَن يُقَدِّمُ إليَّ جَوادي؟

فسَمِعتْ السيّدةُ زينب ذلك، فَخَرجَتْ وأخذَتْ بعِنان الجواد، وأقبَلَتْ إليه وهي تَقول: لِمَنْ تُنادي وقد قَرحْتَ فُؤادي؟![1]

وقد جاءَ في التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أوصىٰ أُختَه السيّدة زينب قائلاً: «يا أُختاه! لا تَنسيني في نافلة الليل».[2]

---

(١) كتاب «مَعالي السبطين» ج٢ ص١٣ ـ ١٤، المجلس السادس.

(٢) كتاب «زينب الكُبرىٰ» للشيخ جعفر النَقدي، ص ٥٨.

الإمام الحسين يَخرج إلى ساحَة الجِهاد

كانت تلك اللحظات مِن أصعَب الساعات في حياة السيّدة زينب، مِن هَول قُرب الفاجعة والمستقبل المُخيف المُرعِب.

وهل يَستطيع القلمُ واللسان مِن وَصْف تلك الدقائق، وتأثيرها علىٰ قلب السيّدة زينب عليها السلام؟

لقد توجّه أخوها إلى ساحة القتال بعْدَ أنْ قَدَّمَ أعزّ أصحابه، وأشرفَ شَبابه، وأكرم عشيرته ضَحايا في سبيل اللّه، ولم يَبقَ له ومعه أحدٌ مِن الرجال سوىٰ وَلَده العَليل.

ونتيجةُ الذهاب إلى المعركة مَعلومة: القتْل والشهادة!!

لقد تَرك الإمام الحسين (عليه السلام) أغلىٰ ما عنده، وهم عائلته الذين هم أشرف عائلة علىٰ وَجْه الأرض، وأكثرها عفافاً وخَفارة، وهُنَّ مُخَدَّرات الرسالة وعَقائل النبوّة، اللاتي كانت حياتهنّ مَشفوعة بالعزّ والإحترام.

تَركَهم في وَسَط البَرِّ الأقفَر، قد أحاط بهنّ سَفَلة المجتمع، وأراذلُ الناس، مِن باعة الضمائر، والهَمَج الرعاع، وفاقِدي الفضيلة. أُولئك الذين سَلّموا أنفسَهم واستَسْلَموا لأقذر سُلْطة في التاريخ، وأرجَس جهازٍ حاكم في العالَم.

والعائلة المُكرَّمة تَعرفُ إتّجاه أولئك الأشرار الأوباش، ونفسيّاتهم، فالمخاوف والأخطار تُهاجم قلوبَ العائلة الشريفة مِن كلّ جانب.

فمِنْ ناحية: الإحساسُ باقتراب الخَطَر مِن حياة الإمام الحسين (عليه السلام).

ومِن ناحيةٍ أُخرىٰ: تَرقّب إستيلاء العَدوّ الشَرس المُتوَحّش علىٰ سرادق الوحي ومُخيّمات النبوّة.

ومُضاعَفات هذه الاحتمالات مِن العَواصف والأعاصير التي سوف تَجتاح حياة السيّدات.. كلُّها أُمورٌ تَدعو إلى القَلَق والخوف والوَحْشة.

والآن.. نَقرأ ما جاءَ في كُتُب التاريخ حول ذهاب الإمام الحسين إلى ساحة المَعْركة:

ولمّا قُتِلَ جميعُ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ورجال أهل بيته، ولم يَبْقَ منهم أحَد، عَزَم الإمامُ علىٰ لِقاء القوم بِنَفسه، فدَعىٰ بِبُردَة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فالتَحَفَ بها، وأفرَغَ عليها دِرْعَه الشَريف، وتَقلّدَ

سَيفَه، واستَوىٰ علىٰ مَتْن جَواده، ثمّ تَوجَّهَ نحو ميدان الحرب والقِتال، فوقَف أمامَ القوم وجَعَل يُخاطبُ أهلَ الكوفة بِقوله:

«وَيلَكم علىٰ مَ تُقاتِلونَني؟!

علىٰ حَقٍّ تَركْتُه؟!

أمْ علىٰ شَريعَةٍ بَدَّلتُها؟!

أمْ علىٰ سُنَّةٍ غَيَّرتُها»؟!

فَقالوا: بَلْ نُقاتِلُك بُغْضَاً مِنّا لأبيك، وما فَعَلَ بأشياخِنا يومَ بَدْرٍ وحُنَين.[1]

وجاءَ في بعض كتُب التاريخ: أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وَقَفَ أمامَ القَوم وسَيفُه مُصْلَتٌ في يَده، آيِسَاً مِن الحياة، عازِماً علىٰ الموت، وهو يَقول:

أنا ابنُ عليٍّ الطهْر مِن آلِ هاشمٍ
كفاني بِهذا مَفْخَراً حِينَ أفخَرُ

وجَدّي رسولُ اللّه أكرمُ مَن مَشىٰ
ونحنُ سِراجُ اللّه في الخَلْق نَزْهَرُ

---

(١) مَعالي السِبطين، ج٢ ص٥، الفصل العاشر، المجلس الثاني.

وفاطمُ أُمّي مِن سُلالةِ أحمَدٍ
وعَمّيَ يُدْعىٰ ذاالجناحَين جعفرُ

وفينا كتابُ اللّه أُنزِلَ صادِقاً
وفينا الهُدىٰ والوحي بالخير يُذكَرُ

ونَحنُ أمانُ اللّه للناس كلِّهم
نُسِرُّ بهذا في الأنام و نَجْهَرُ

ونحنُ وُلاةُ الحَوض نَسْقي وِلاتَنا
بكأسِ رسولِ اللّه ما ليسَ يُنْكَرُ

وشيعَتُنا في الحَشْر أكرمُ شِيعةٍ
ومُبْغِضُنا يومَ القيامة يَخْسَرُ

فطوبىٰ لِعَبْدٍ زارَنا بَعْدَ مَوتِنا
بِجَنَّةِ عَدْنٍ صَفْوُها لا يُكدَّرُ[1]

فصاحَ عمرُ بنُ سَعد: «الوَيل لكم! أتَدْرون لِمَنْ تُقاتِلون؟! هذا ابنُ الأنزَع البَطين، هذا ابنُ قَتّال العَرَب، إحمِلوا عليه مِن كلّ جانب». فحَمَلوا عليه وحَمَلَ عليهم كاللَيْثِ المُغْضَب، فقَتَلَ مِنهم مَقْتَلةً عظيمة، وكانت الرجالُ تَشُدُّ عليه فَيَشدُّ عليها، فتَنكَشِفُ عنْه كالجَراد

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج٤٥، ص ٤٨ ـ ٤٩.

المُنْتَشِر![1]

فحَمَلَ علىٰ مَيمَنَة عَسْكرهم وهو يقول:

الموتُ أولىٰ مِن رُكوب العار والعارُ أولىٰ مِن دخولِ النار

ثمّ حَمَلَ علىٰ مَيْسَرَة الجيش وهو يقول:

أنا الحسينُ بن علي آليْتُ أنْ لا أنثَنِي
أحْمي عِيالاتِ أبي أمضي علىٰ دين النبيّ

فجَعَلوا يَرشِقونَه بالسِهام والنِبال حتّىٰ صار دِرْعه كالقُنْفذ، فوقَفَ لِيَسْتريحَ وقد ضَعُفَ عن القتال، فَبَينما هو واقِف إذ أتاه حَجَرٌ فأصابَ جَبْهتَه المُقدّسة، فسالَ الدمُ علىٰ وَجْهه، فأخَذَ الثوبَ لِيَمسَحَ الدمَ عن عَينه، فأتاهُ سَهمٌ مُحَدَّدٌ مَسْموم لَه ثَلاثُ شُعَب، فوقَعَ السَهْم علىٰ صدره قَريباً مِن قَلْبه، فقال الإمام الحسين: «بسم اللّه وباللّه وفي سَبيل اللّه وعلىٰ مِلَّة رسول اللّه»، ورفَعَ رأسه إلى السماء وقال: «إلهيْ. إنّك تَعلَم أنّهم يَقتُلون رَجلاً ليسَ علىٰ وَجْه الأرض ابنُ نبيٍّ غيره»!

ثم أخَذَ السَهمَ وأخرجَه مِن قَفاه فانبعَثَ الدم كالمِيزاب، فوَضَع يَدَه علىٰ الجُرح فلمّا امتَلأتْ دَماً رَمىٰ به إلى السَماء، ثمّ وَضَع يَدَه علىٰ الجُرح ثانياً فلمّا امتَلأتْ لَطَّخَ به

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج ٤٥ ص ٥٠.

رأسَه ولحيتَه، وقال: «هكذا أكون حتّىٰ ألقىٰ جدّي رسولَ اللّه وأنا مَخضُوب بِدَمي وأقول: يارسولَ اللّه قَتَلَني فُلانٌ وفُلان». (١)

فَعِنْدَ ذلك طعَنَهُ صالحُ بنُ وهَب بالرُمح علىٰ خاصِرَته طعْنةً، سَقَط منها عن فَرسه إلى الأرض علىٰ خَدِّه الأيمن، وهو يَقول: «بسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلىٰ مِلَّة رسول اللّه» ثمّ جَعَل يَجمَع التُراب بِيَدِه، فَيَضَع خَدَّه عليها ثمّ يُناجي رَبّه قائلاً: «صَبْراً علىٰ قَضائك وبَلائك، يا رَبّ لا مَعْبودَ سِواك».

ثمّ وَثَبَ لِيَقومَ للقِتال فلم يَقدر، فبكىٰ بُكاءً شديداً، ونادىٰ: «واجَدّاه وامحمّداه، واأبَتاه واعَليّاه، واغُربَتاه، واقِلَّةَ ناصِراه!!

ءأقتَلُ مَظلوماً وجَدّي محمّدٍ المصطفىٰ؟!

ءأذبَحُ عطشاناً وأبي عليّ المُرتضىٰ؟!

ءأترَكُ مَهتُوكاً وأمّي فاطمة الزهراء»؟! (٢)

فخَرَجَ عبدُاللّه بن الإمام الحسن (عليه السلام) وهو غُلام لمْ يُراهِق (في الحادية عشَر مِن عُمْره) مِن عند النساء،

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣.

(٢) نَفْس المصدر.

فَشَدَّ حتّىٰ وَقَفَ إلى جَنْب عمّه الحسين، فلحِقَتْه زينبُ بنتُ علي لِتَحبِسَه، فأبىٰ وامتَنَع عليها إمتناعاً شديداً وقال: واللّه لا أُفارق عَمّي وجاءَ حتّىٰ جَلَس عند الإمام، وجعَلَ يَطلُبُ منه أن يَنهَضَ ويَرجع إلى المُخَيّم، وفي هذه الأثناء. . اقبَلَ أبحر بن كعب إلى الحسين والسيفُ مُصْلَتٌ بِيَده، فقال له الغُلام: وَيْلك يابنَ الخَبيثَة أتقتُل عَمّي! فضَرَبَه أبحر بالسيف فاتَّقاهُ الغلامُ بِيَده[1] وأطنَّها إلى الجِلْد فإذا هي مُعلّقة، ونادىٰ الغُلامُ: ياعَمّاه، فأخَذَه الإمامُ الحسين وضَمَّهُ إليه وقال: «يابنَ أخي إصْبِرْ علىٰ مانَزَلَ بك واحتَسِبْ في ذلك الأجْر، فإنَّ اللّه يُلْحِقُك بآبائك الصالحين»، فَرَماه حَرملة بِسَهمٍ فذَبَحَه في حِجْر عَمّه الحسين.[2]

وبَقيَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) مَطروحاً علىٰ الأرض. . والشمسُ تَصهَرُ عليه، فنادىٰ شِمرٌ بالعَسْكر: ماوُقوفكم؟! إحمِلوا عليه.

---

(١) لعلَّ المَعنىٰ: انَّ الغُلام مَدَّ يَدَه علىٰ جسم عمّه الحسين لكي لاتَصِل الضَرْبَةُ إليه، لكنّ العدوّ أنزَلَ السيفَ ولم يَرْحَم الغُلام. أطنَّها: قَطعَها. اي: قَطعَ السيفُ يَدَ الغُلام إلى الجِلْد.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣ ـ ٥٤.

فحَمَلوا عليه مِن كلّ جانب، وضربَه زرعة بن شريك بالسيف علىٰ كتفه، وطعَنَه الحصينُ بن نُمير بالرمح في صدره.

فصاحَ عمرُ بنُ سعد: وَيلَكم إنْزِلوا وحُزّوا رأسَه! وقال لِرَجلٍ: وَيلَك إنزلْ إلى الحسين وأرِحْهُ!

فأقبَلَ عمرو بنُ الحَجّاج لِيَقتُلَ الحسين، فلمّا دَنىٰ ونَظرَ إلى عَينَيه ولّىٰ راجِعاً مُدبِراً، فسَألوهُ عن سَبَب رُجوعه؟ قال: نَظرتُ إلى عَينَيه كأنّهما عَينا رسول اللّه!!

وأقبَلَ شَبَثُ بنُ رَبْعي فارتَعَدَتْ يَدُه ورَمىٰ السيفَ هارِباً... .

عَـودَة فَـرَس الإمام الحسـين
إلى الـمُـخـيَّـم

وكـان فَـرَس الإمـام الحسين . . فَـرَسـاً أصـيلاً مِن جِـيـاد خَـيـل رسـولِ الـلّه (صلّىٰ اللّه عليـه وآله وسلّم) ـ وقـد بَـقـيَ حَـيّـاً إلى ذلك اليـوم ـ فلمّـا رأىٰ مـاجَرىٰ علىٰ صـاحبـه (أي: سُـقـوط الإمـام عن ظـهـره إلى الأرض) جَـعَـل يُـحَـمْـحِم ويَـصْـهَـل ويَـشمّ الإمـامَ الحسين ويُمرّغ ناصيتَه بدَمه، ثم تَوجّه نحو خيام الإمام (عليه السلام) بكلّ سُـرعـة . . وهـو هائـج هِـيـاجـاً شَـديـداً، وقـد مَـلأ الـبَـيـداء صَـهـيلاً عظيماً، فلمّا وَصَـل إلى الـمُـخـيَّـم جَـعَـلَ يَـضرِبُ الأرضَ برأسه عند خيمـة الإمـام الـحسين، وكـأنّـه يُـريـدُ إخـبـارَ العـائـلـة بماجَـرىٰ علىٰ راكبـه، حـتّـىٰ سقَـط علىٰ الأرض عند باب الخَـيـمـة .

فـخَـرجت النساءُ والأطفـال مِن الخيام فـرأينَ الفَـرسَ خالياً مِـن راكبـه، فـارتَـفَـعتْ صياحُ النـسـاء، وخَـرجْـنَ حـافـيـات بـاكـيـات،

يَضربْنَ وجوهَهن، لِما نَزَل بهنّ مِن المصيبة والبَلاء، وهُنَّ يَصِحْن: «وامحمّداه، واعليّاه، وافاطمَتاه، واحسَناه، واحُسَيناه».

وصاحتْ سُكينة: «قُتل - والله - أبيَ الحسين، ونادتْ: واقتيلاه، واأبتاه، واحسَيناه، واغُربتاه». [1]

---

(١) معالي السبطين ج ٢، الفصل العاشر، المجلس الرابع عشَر، رَواه عن كتاب (تظلّم الزهراء).

ذهاب السيّدة زينب إلى المعركة

ولمّا سَقطَ الإمام الحسين (عليه السلام) علىٰ الأرض خَرجتْ السيّدة زينبُ مِن باب الخيمة نَحو المَيدان، وهي تُنادي: وا أخاه، واسيّداه، وا أهلَ بَيتاه، لَيتَ السماء أطبِقَتْ علىٰ الأرض، ولَيتَ الجبال تَدكْدكتْ علىٰ السَهْل.

ثمَّ وَجَّهَتْ كلامَها إلى عمرَبن سعد، وقالتْ: يابنَ سَعْد! أيُقتَلُ ابوعبدالله وانتَ تَنظر إليه؟!

فلمْ يُجِبْها عمر بشيء.

فنادتْ: وَيْحَكم!! ما فيكم مُسلم؟![1]

فلم يُجِبْها أحَد بشيء.

ثمَّ انحَدَرتْ نحو المعركة وهي تركُض مُسْرعةً، فتارةً تَعْثَر

---

(١) وفي نسخة: اما فيكم مُسلم؟

بأذْيالهـا، وتارةً تَـسـقُـط علىٰ وَجْـهـهـا مِن عِظَـم دَهْــشَـتـهـا حتّىٰ وصَـلتْ إلى وَسَـط المعـركة، فجعلتْ تَـنـظر يَـميـناً وشمـالاً، فرأتْ أخاها الـحسين (عـليه السـلام) مَـطْروحـاً علىٰ وجْه الأرض، وهو يَـخُـورُ في دَمـه، ويَـقـبـض يَـميـناً وشمالاً، ويَـجْـمَـعُ رِجْـلاً ويَـمُـدُّ أُخرىٰ، والدمـاءُ تَـسيل مِن جُـراحـاتـه، فـجلَـسَـتْ عـنـده وطـرحَـتْ نـفْـسَـها علىٰ جسَـده الشريف، وجَـعـلَـتْ تـقول:

ءأنـتَ الحسين؟!

ءأنـتَ أخي؟!

ءأنـتَ ابن أُمّـي؟!

ءأنـتَ نور بَـصَـري؟!

ءأنـتَ مُـهْـجة فُؤادي؟!

ءأنـتَ حِـمـانـا؟!

ءأنـتَ رَجـانا؟!

ءأنـتَ ابن محمّـد المصـطـفىٰ؟!

ءأنـتَ ابن علي المرتضىٰ؟!

ءأنـتَ ابن فاطمة الزهراء؟[1]

---

(١) اقول: يُـحتـمل أنّ السيّـدة زينب قـالت هذه الكلمات بصِيـغة السؤال.. ومِن مُنـطـلَـق الإسـتـغراب حيث رأتْ أخاها العـزيز وهو بتلك الحـالة الـمُـؤلمـة، خاصـةً.. وأنّها عارِفـة بعظمـتـه، وجَـلالـة قَـدره. ←

كلٌّ هذا، والإمامُ الحسين لا يَردّ عليها جَواباً، لأنّه كان مَشغولاً بنفسه، وقد استَولىٰ عليه الضَعف الشديد بِسَبَب نَزْفِ الدم وكثْرة الجُراحات.

فقالت: أخي! بِحَقّ جدّي رسولِ الله إلاّ ما كلّمتَني، وبحَقّ أبي: عليّ المرتضىٰ إلاّ ما خاطبتَني، و بحَقّ أُمّي فاطمة الزهراء إلاّ ما جاوبْتَني.

يا ضياءَ عَيني كلّمْني.

يا شَقيقَ روحي جاوِبْني.

فعند ذلك جلسَتْ خَلْفه، وأدخَلَتْ يَدَيها تحتَ كَتِفِه وأجلَستْه حاضِنَةً له بصَدْرها.

فانتَبه الإمامُ الحسين مِن كلامِها، وقال لها ـ بصوتٍ ضعيف ـ: «أُخَيَّه زينب! كسَرْتي قلبي، وزِدْتيني كرْباً علىٰ كرْبي، فباللّه عليكِ إلاّ ما سَكَنْتِ وسَكَتِّ».

فصاحتْ: «واويلاه! يا أخي وابن أُمّي، كيف أسكُن وأسكُت، وأنتَ بهذه الحالة، تُعالج سَكَرات الموت؟!

رُوحي لِروحِك الفِداء! نَفْسي لِنَفسك الوِقاء».

← ويُحتمل أنّها قالت هذه الكلمات لا بصيغة السؤال أو مُنطلَق الإستغراب، بل مِن مُنطلَق العاطفة والحَنان، ولعلّها تَحصل علىٰ كلمة جوابيّة منه (عليه السلام) فَتَعلم انّه لازال حَيّاً. المُحقّق

فبينَما هي تُخاطبُه ويُخاطبُها، وإذا بالسوط يَلْتَوي علىٰ كتِفِها، وقائلٍ يقول: تَنَحَّيْ عنه، وإلاّ الحَقتُكِ به، فالتَفتَتْ وإذا هو شمرُ بن ذي الجوشن (لعنه اللّه).

فاعتَنَقَتْ أخاها، وقالت: واللّهِ لا أتَنحّىٰ عنه، وإنْ ذَبحْتَه فاذبَحْني قَبْلَه.

فجَذَبها عنه قَهْراً، وقال: واللّه إنْ تَقدّمتِ إليه لَضَربْتُ عُنقَكِ بهذا السيف.

ثمَّ جَلسَ اللعين علىٰ صَدر الإمام، فتَقدَّمتْ السيّدة زينب إليه، وجَذَبت السيف مِن يده.

وقالت: يا عدوّ اللّه! إرفِقْ به لقد كَسرْتَ صدرَه، وأثقلْتَ ظهرَه، فباللّه عليكَ إلاّ ما أمْهَلْتَه سُوَيعةً لأتَزَوّدَ منه.

وَيلَك! أما علِمْتَ أنّ هذا الصَدر تَربّىٰ علىٰ صدْر رسولِ اللّه وصَدر فاطمة الزهراء؟!

وَيحك! هذا الّذي ناغاهُ جَبرئيل، وهَزَّ مَهْدَه ميكائيل!!

.... دَعْني أودّعَه، دَعْني أغمّضه، ... فلم يَعبَأ اللعين بكلامها، ولا رَقّ قلبُه عليها.[1]

---

(١) كتاب «تَظلُّم الزهراء» للسيّد رضي بن نبي القزويني، ص٢٣٢، طَبْع بيروت ـ لبنان، عام١٤٢٠هـ.

ويُستفادُ مِن بعض كُتُب المَقاتل أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) لم تكُن هناك حينَ مَجيء الشمر، بل أسرَعَتْ إلى المُخيَّم، إمتثالاً لأمر الإمام الحسين (عليه السلام) حيث أمَرَها بالرجوع إلى الخيام.

ووَقَعتْ الفاجعةُ العُظمىٰ والرَزيَّة الكُبرىٰ، الا وهي: مَقتل الإمام المظلوم أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

فبَدأتْ الأرضُ تَرتَجفُ تَحتَ أرجُل الناس، وانكسَفَت الشمس، وأمطَرتِ السماءُ دَماً عَبيطاً[1] وتُراباً أحمر.

فاقبَلَت العقيلة زينبُ إلى مُخيَّم الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقالتْ: يابنَ أخي: مالي أرىٰ الكونَ قد تَغيَّر؟ والشمس مُنكسِفَة؟ والأرض تَرجِف؟!

فقال لها: يا عَمّة: أنا عليلٌ مريض لا أستطيع النُهوض إرفعي جانبَ الخيمة وسَنّديني إلى صدركِ لأنظُرَ ماالّذي جَرىٰ!

فنَظَر إلى المَعركة وإذا بفَرَس أبيه الحسين يَجولُ في الميدان خالي السَرْج ومُلقىٰ العَنان، ورأىٰ رُمحاً عليه رأسُ الإمام الحسين!

فقال يا عَمّة: إجْمَعي العِيال والأطفال، لقد قُتِل أبي

---

(١) الدمُ العَبيط: هو الدم الطَريّ غير المُتَخَثِّر.

الحسين، قُتِل أسَدُ اللّه الباسِل، قُتِل إبنُ سيّد الأوصياء، قُتِل إبنُ فاطمة الزهراء، ثمّ غُشِيَ عليه وسَقَط علىٰ الأرض مَكبوباً علىٰ وَجْهه.

فأخذَتْ السيّدةُ زينبُ رأسَه ووَضعَتْه في حِجْرها ونادتْ:

إجلِسْ تَفْديكَ عمّاتُك.

إجلِسْ تَفْديكَ أخواتُك.

إجلِسْ يا بقيّة السَلَف.

إجلِسْ يا نِعْمَ الخَلَف.

وهو لا يُجيبُ نِداها، ولا يَسمع شَكواها، فعند ذلك إنكبَّتْ عليه ومَسَحَت التُراب عن خَدَّيه ونادتْ: يازينَ العِباد، يامُهجَة الفُؤاد، ففَتَح عَينَيْه....[1]

---

(١) كتاب «تَظلّم الزهراء» ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

الفَصل الحادي عشر

- الهجوم علىٰ المخيّمات لِسَلْب النساء
- إحراق خيام الإمام الحسين (عليه السلام)
- السيّدة زينب تَجْمَع العِيال والأطفال
- ليلة الوَحْشة
- تَرحيل العائلة مِن كربلاء
- نياحة السيّدة زينب علىٰ سيّد الشهداء

الهجوم علىٰ المخيّمات لسَلْب النساء

وبعد ما قُتِلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) بِمُدّةٍ قَصيرة . . هَجَمَ جيشُ الأعداء بكلِّ وَحْشيّة علىٰ خِيام الإمام الحسين (عليه السلام)، وهُم علىٰ خيولهم!! حتّىٰ سُحِقَ سبعة مِن الأطفال تَحتَ حَوافِر الخَيل . . ساعة الهُجوم[1] وقد سَجّل التاريخ أسماءَ خمسةٍ منهم، وهم:

بِنتان للإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام .[2]

طفلان لِعبْد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب، وإسمُهما :

---

(١) كتاب «مَعالي السبطين» ج ٢ ص١٣٥ ، الفَصل الخامس عشر ، المجلس الثاني عشَر .

(٢) مَعالي السبطين، ج٢ ص١٤٠ .

سَعد وعقيل.[١]

عاتكة بنت مسلم بن عقيل، وكانَ عُمْرها سَبع سنوات.[٢]

محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب وكانَ له مِن العُمْر سَبع سَنوات.[٣]

نعم، لقد كانَ الهُجوم علىٰ العائلة ـ المَفْجوعة لِتَوّها ـ بَعيداً عن الرَحْمة والإنسانيَّة، وقد وَصَفَ التاريخُ ذلك الهجوم بِقوله:

وتَسابَقَ القومُ علىٰ نَهْب بُيوت آلِ الرسول، وقُرّة عَينِ الزهراء البتول، حتّىٰ جَعَلوا يَنزَعون مِلْحَفة المَرأة عن ظَهرها!![٤].

وكانت المَرأةُ تُجاذَبُ علىٰ إزارها وحِجابها.. حتّىٰ تُغْلَبُ علىٰ ذلك.[٥]

---

(١) مَعالي السبطين، ج٢، ص١٣٥.

(٢) نَفْس المصدر، ص١٣٥.

(٣) نَفْس المصدر.

(٤) المِلْحَفة: المُلاءَةُ التي تَلتَحِفُ بها المراة، كما في «اقرب الموارد». ويُعبّر عنها ـ حاليّاً ـ بالعَباءَة والإزار. المُحقّق

(٥) كتاب معالي السبطين، الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني. اي: ←

وخَرجْنَ بناتُ آل الرسول وحَريمُه يَتساعَدنَ علىٰ البكاء، ويَنْدبْن لِفراق الحُماة والأحبّاء.[(١)]

قال حميدُ بن مسلم: رأيتُ امرأةً مِن بَني بَكْر بن وائل ـ كانت مع زوجها في عسكر عمر بن سعد ـ فلمّا رأت القوم قد اقتَحَموا علىٰ نساء الإمام الحسين في خيامهنّ، وهم يَسلبونَهنَّ، أخذتْ سيفاً وأقبلتْ نحوَ الخِيام وقالتْ:

«يا آلَ بَكْر بن وائل

أتُسلَبُ بناتُ رسولِ اللّه؟!

لا حُكْمَ إلاّ لِلّه!!

يا لِثارات رسولِ اللّه!!»

فأخَذَها زوجُها، وردَّها إلى رَحْله.[(٢)]

قالت فاطمة بنتُ الإمام الحسين عليه السلام:

«كنتُ واقفة بباب الخيمة، وأنا انظر إلى أبي وأصحابه

← كانت المَرأةُ تُمْسِكُ عَباءَتها وحِجابها بقُوَّة، وكانَ الأعداء يَسْحَبونَ ويَجْذبونَ عنْها ذلك، ويَضربونَهنّ علىٰ ايديهنّ بالعِصِيّ والسِياط لكي يَستَطيعوا سَلْبَ ماعليهنَّ مِن أزرٍ ومَقانع!! المُحقّق

(١) كتاب (المَلْهوف) لابن طاووس، ص ١٨١.

(٢) نَفْس المصدر.

مُـجَـزّرين كـالأضـاحي علىٰ الرمـال، والـخُيـول علىٰ أجـسـادهم تَجول!!

وانا أفـكّـر فيما يَـقع علينا بعد أبي. . مِن بَـنـي أميّـة!

أيَـقـتُـلونَـنـا أمْ ياسِـرونَـنـا؟

فـإذا بِـرَجـل علىٰ ظهر جَـواده، يَـسـوقُ النسـاء بكَـعْـب رُمْـحـه، وهُـنَّ يَـلُـذنَ بعضُـهنّ بـبـعض، وقـد أُخِـذَ ماعليـهنّ مِـن أخْـمِـرةٍ وأسْـوِرة[١] وهُـنَّ يَـصِـحْـن: «واجَـدّاه! وا أبَـتـاه! وا عَـلـيّـاه! وا قِـلّـة ناصِـراه! واحُـسـيـناه!

أما مِن مُـجـيـرٍ يُـجـيـرنا؟

أما مِن ذائِـدٍ يَـذودُ عـنّـا؟»

قـالت: فـطارَ فؤادي، وارتَـعـدَتْ فَـرائصي، فـجَـعلتُ أُجيل بِـطَـرفي[٢] يمـيـناً وشمالاً علىٰ عمَّـتي أُمّكلثوم خَـشيةً منه انْ ياتيني.

فـبـيـنـا أنا علىٰ هـذه الحـالـة وإذا بـه قـد قَـصَـدني، فـفَـررتُ مُـنـهـزمـة، وانا أظنّ اني أسـلَمُ مـنـه!! وإذا به قـد تَـبِـعَني، فـذهلتُ خشيةً منه، وإذا بكعْب الرُمح بين كتْـفيّ، فسَـقـطتُ عـلىٰ وَجْـهي

(١) اخمِـرة ـ جَـمْع خِـمـار ـ: ما تُـغَـطّي به المراةُ راسَـها.

اسورة ـ جَـمْع سِوار ـ: حِـلْـيـة ـ كالـطَـوْق ـ تَـلْـبَـسها المراةُ في زَنْـدِها او مِعْـصَـمها، ويُـعـبّر عنها ـ ايضاً ـ: بالـمَـعاضِـد.

(٢) أجيـل بِطرفي: أدِيـرُ بِـعَـيني وبَـصَـري.

فَخَرمَ أُذني، وأخذ قرطي ومَقنعتي، وتَرك الدماء تَسيل علىٰ خَدّي، ورأسي تَصهَرُه الشمس، وولّىٰ راجِعاً إلى المُخيّم وأنا مَغشيٌّ عليَّ!!

وإذا بِعَمَّتي عندي تبكي، وهي تقول:

قُومي نَمْضي، ما أعلم ما جَرىٰ علىٰ البنات، وعلىٰ أخيكِ العَليل؟

فما رَجعْنا إلى الخيمة إلّا وهي قد نُهِبتْ وما فيها.

وأخي: علي بن الحسين مَكبوبٌ علىٰ وجْهه، لا يُطيق الجلوس مِن كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجَعلْنا نَبكي عليه ويَبكي علينا!![1]

ورُويَ عن السيّدة زينب (عليها السلام) أنّها قالت: كنتُ ـ في ذلك الوقت ـ واقفة في الخيمة إذ دخلَ رجل أزرق العَينين[2] فأخذَ ما كان في الخيمة، ونظر إلى عليّ بن الحسين وهو علىٰ نَطعٍ مِن الأديم[3] وكان مريضاً فجَذَب النَطْع مِن تحته، ورَماه إلى الأرض!!

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص ٦١.

(٢) وهو خولى بن يزيد الأصبحي. كما في كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي الطبعة الحديثة، ج٣ ص١٢٩.

(٣) النَطع: بَساط مِن الجِلْد يُفرَش تحت الإنسان. الأديم: الجِلْد المَدْبوغ.

قال حميدُ بن مسلم: انتهيتُ إلى عليّ بن الحسين، وهو مريض ومُنبسط علىٰ فراش، إذ أقبلَ شمر بن ذي‌الجوشن ومعه جماعة مِن الرَجّالة، وهم يقولون [له]: الا تَقتل هذا العَليل؟

فهمَّ اللَعينُ بقتْله، فقلت: سبحان اللّه! أتَقتل الصِبيان؟! إنما هو صَبي.

فلم‌يَمتَنع اللَعين وسَلَّ سيفَه ليقتله، فالقتْ زينب (عليها السلام) بنفسها عليه وقالت: واللّهِ لا يُقتَل حتّىٰ أُقتَل.

فاخذ عمر بن سعد بيده وقال: اما تَستحي مِن اللّه، تُريد أن تَقتل هذا الغلام المريض؟!

فقال شمر: قد صَدَر امرُ الأمير عبيداللّه بن زياد انْ اقتل جميعَ أولاد الحسين.

فبالَغ عمرُ في مَنْعه، فكفَّ عنه.[1]

---

(١) كتاب مَعالي السبطين ج٢، الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني. وكتاب أسرار الشهادة ج٣ ص١٢٩.

إحـراق خِـيـام الإمام الحسين عليه السلام

ولمّا فَـرغَ القومُ مِـن النَـهْب والسَـلْب، أمـرَ عـمرُ بـن سـعـد بحَـرْق الخـيام.

فـاضْـرَمـوا الخِـيَم ناراً، فـفَـررْنَ بناتُ رسول الـلّه مِن خيـمـة إلى خيمة، ومِن خِباء إلى خِباء..

وذُكـرَ في بعض كـتُـب المَـقـاتل: انّ زينب الكبـرىٰ (عليـهـا السلام) اقبلتْ إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقالت:

يا بقـيّـةَ المـاضيـن وثِـمـال البـاقـين![1] قـد اضْـرَمـوا النارَ في مَـضاربنا[2] فما رايك فيـنا؟

---

(١) الثِمال ـ علىٰ وَزْن كـتاب ـ: الغِـيـاث الّذي يَـقومُ بامْـر قومه، يُـقـال: فلانٌ ثِمالُ قومه: اي غِـياثٌ لهم. كتاب «مَـجْـمَع البحرين» للطُريحي.

(٢) المضارب: الخـيام.

فقال (عليه السلام): عليكنَّ بالفِرار.

فـفَـرِرْنَ بـنـاتُ رسولِ اللّه صائحات باكيات.

قال بعضُ مَـن شَهِد ذلك:

رايتُ امراة جليلة واقفة بباب الخيمة، والنار تَـشْـتَعل مِـن جَـوانبهـا، وهي تارةً تَـنـظر يَمنة ويَـسْرة، وتارةً أُخـرىٰ تَـنـظر إلى السـمـاء، وتصـفـق بـيـديهـا، وتارةً تَـدخل في تـلك الخـيـمـة وتَـخرج.

فـاسرعْـتُ إلـيـهـا وقلتُ: يا هـٰذي! مـا وقـوفكِ هاهـنـا والنار تَـشْـتعل مِـن جَـوانبكِ؟! وهؤلاء الـنِـسْـوة قـد فَرِرْنَ وتَـفـرَّقْـن، ولِـمَ لمْ تَـلْحَـقي بهنَّ ؟! وما شَـانكِ؟!

فبكتْ وقالت: يا شيـخ إنّ لنا عَـليلاً في الخيمة، وهو لايَـتمكّن مِـن الجلوس والنُهوض، فكيف أُفارقـه وقد احاطتْ النارُ به؟[1]

وعن حميد بن مسلم قال: رايتُ زينب ـ حينَ إحراق الخيام ـ قد دَخلتْ في وَسَـط النار، وخَـرجَتْ وهي تَـسْـحَـب إنسانـاً مِن وَسَـط لَهيب النار، فـظنَـنْـتُ انّها تَـسْـحَـبُ مَـيّـتاً قد احـتَـرق، فاقـتَـربْتُ لأنـظر إليه، فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين.[2]

---

(١) مَعالي السـبطين ج٢، الفصل الثاني عشَر، المجلس الثالث.

(٢) كتاب «الطراز الـمُـذهَّب في احوال سيّـدتـنا زيـنـب».

أيّها القارىء الكريم: أنظر إلى هذه العَمَليّة الفِدائيّة، وهذه التضحية بالحياة!!

كيف تَقْتَحِم هذه السيّدة الجليلة المكانَ المَشْحون بلَهيب النار، لتُنْقذَ ابنَ أخيها ـ وإنْ شِئتَ فقُلْ: إمامَ زَمانها ـ مِن بين أنياب الموت؟!

فهل تَعرف نَظيراً لهذه السيّدة فيما قامتْ به مِن الخُطوات والأعمال؟!

إنّها مُغامَرة بالحياة مِن أجْل الدين.

إنّها إبنة ذلك البَطل العظيم الذي كان يَخوضُ غِمارَ الموت ـ بين يَدَي رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ للدفاع عن الإسلام والمحافَظة علىٰ حياة نَبيّ الإسلام.

إنّها إبنة أسَد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام).



السيّدة زينب تجمع العيال والأطفال

لقد أوصىٰ الإمامُ الحسين أُختَه السيّدة زينب بالمحافظَة علىٰ العِيال والأطفال بعد استِشْهاده (عليه السلام)، ويَعلَمُ اللّه كم كان تَنفيذُ هذه الوصيّة أمْراً صَعْباً، وخاصّةً بعد الهجوم الوحشي علىٰ مُخيّمات الإمام الحسين (عليه السلام) وبعد إحراق الخيام وتَبعْثُر النساء والأطفال في الصحراء!

ففي ساعة الهجوم علىٰ الخيام كانت النساء تَلْجأ إلى السيّدة زينب، وتُخفي أنفسَهنّ خَلفَها، وكان الأطفال ـ أيضاً ـ يَفْزَعون إليها ويَتَستّرون وَراءَها خوفاً مِن الضَرْب بالسِياط والعِصِيّ، فكانت السيّدة زينب (عليها السلام) تُحافظ عليهم ـ كما يُحافظ الطيرُ علىٰ فراخه حين هُجوم الصقور علىٰ عِشّه ـ فتَجْعَل جسْمَها مانعاً مِن ضَرْب النساء والأطفال، وقد إسودَّ ظهرها ـ في مُدّة زَمَنيّة قصيرة ـ بسبَب الضَرْب المُتوالي علىٰ جسمها!

وبعد الهجوم والإحراق بَداتْ السيّدةُ زينب تَتَفَقّد النساء والأطفال، وتُنادي كلَّ واحدةٍ منهنّ باسمها، وتَعُدّهم واحدةً واحدة، وتَبحَث عمّن لا تَجِده مع النساء والأطفال!

ونَقرأ في بعض الكُتُب: انّ السيّدة زينب (عليها السلام) لمّا بداتْ بجَمْع العِيال والأطفال، لم تَجد طِفلَين منهم، فذهبتْ تَبحَث عنهما هنا وهناك، واخيراً.. وجَدَتْهما مُعتَنِقَين نائمَين، فلمّا حَرّكتْهما فإذا هما قد ماتا مِن الخوف والعَطش!!

ولمّا سَمعَ العسْكر بذلك قالوا لابن سعد: رَخِّصْ لنا في سَقْي العِيال... .[1]

وذُكرَ في بعض الكتُب انّ طفلَين لعبدالرحمن بن عقيل كانا مع الحسين، إسمُهما: سَعد وعقيل، وانّهما ماتا مِن شِدّة العطش ومِن الدَهشة والذُعْر، بعد مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وهجوم الأعداء علىٰ المُخيَّم للسَلْب. وأمّهما: خديجة بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.[2]

---

(١) كتاب «الإيقاد» للسيّد محمّد علي الشاه عبدالعظيمي، الطبعة الحديثة، ص ١٣٩.

(٢) مَعالي السبطين ج٢، الفصل ١٢، المجلس الرابع.

لـيـلـة الـوَحْـشـة

باتَـت العـائلة المفـجوعة ليلة الحـادية عـشرة من المـحرَّم بحـالةٍ لايَـسـتـطيع أيُّ قلم شَـرحَـها ووَصْـفها، ولا يستـطيـع أيُّ مصـوّر أن يُصوِّر جانباً واحداً مِن جوانب تلك الليلة الرهيـبة.

قـبلَ اربع وعشـرين ساعـة مِن تلك الـليلة باتت العـائلة المكرَّمـة وهي تَملك كلَّ شيء، وهذه الليلة اظلمتْ عليها وهي لاتملك شيئاً.

رجـالُـهـا صَـرعىٰ مُـرمّلون بِدمـائـهم، وأطفـالُـهـا مَـذبوحـون، والأموال قـد نُهبتْ، والأُزُر والمقـانع سُـلبتْ، والظُهور والـمُـتون قد سَـوَّدَتْها السياط و كِـعابُ الرماح.

ليسَ لَـهم طعـامٌ حـتّىٰ يُـقـدِّمـوه إلى مَن تـبقّـىٰ مِن الأطفـال، ولاتسـال عن الـمَـراضـع اللواتي جَـفـّ اللبَن في صـدورهنّ جـوعـاً وعـطَشاً.

واستولـتْ علىٰ العائلة ـ وخاصّـةً الأطفال ـ حـالةُ الفواق، وهي

حالة تَشَنّج تَحصل للإنسان حينما يَبكي كثيراً، فتتَشنّج الرئة، ويَخرج النَفَس مُتقطّعاً.

يا لَلفاجعة، يا لَلمأساة، يا لَلمصائب.

لا غِطاء، ولا فِراش، ولا ضِياء، ولا أثاث، ولا طعام.

قد أحدَقَت السيّدات بالإمام زين العابدين(عليه السلام) وهو بقيّة الماضين، وثِمالُ الباقين، وهُنَّ يَتفكَّرنَ بما خَبّأ لهنّ الغَد مِن أولئك السَفّاكين.

فالفاجعة لم تَنْته بعد، والظُلْم ـ بجميع أنواعه ـ بانتظار آل رسول اللّه الطيّبين الطاهرين، والحوادث المؤلمة سوف تَمتدّ إلى غَدٍ وما بعد غَد، وإلى أيّام وشهور، ممّا لا بالبال ولا بالخاطِر.

وسوف تَبدأ رِحْلة طويلة مليئة بالآلام والآهات والدموع.

وحُكيَ أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَفقّدت العائلة في ساعة مِن ساعات تلك الليلة، وإذا بالسيّدة الرباب لا توجَد مع النساء، فخَرجَتْ السيّدةُ زينب ومَعَها أُمُّ كلثوم، وهما تُناديان: يارَباب.. يا رَباب.

فسمِعَها رجلٌ كان مُوكَّلاً بحِراسة العائلة، فسألها ماذا تُريدين؟!

فقالت السيّدة زينب: إنّ إمرأةً مِنّا مَفْقودة ولا توجَد مع النساء.

فقال الرجل: نعم، قبلَ ساعة رأيتُ امرأةً منكم إنحدرتْ نحو المعركة!

فأقبَلَت السيّدةُ زينب حتّىٰ وصلتْ إلى المعركة، وإذا بها تَرىٰ الرباب جالسة عند جَسَد زَوجها الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تبكي عليه بكاءً شديداً وتَنوح، وتَقول في نِياحَتها:

واحُسيناً وأينَ مِنّي حُسينٌ أقصدَتْه أسِنّةُ الأدعياء

غادَروهُ في كربلاء قَتيلاً لا سَقىٰ اللهُ جانِبَيْ كربلاء

فأخذت السيّدة زينب (عليها السلام) بِيَدها وأرجَعَتْها مَعَها إلى حيث النساء والأطفال.

وفي هذا الجوّ المُتَوتِّر، والوَضْع المُقْرح للفُؤاد، يَقول الإمامُ زين العابدين (عليه السلام): «فَتَحتُ عَيني ليلَة الحادية عشَر مِن المُحَرّم، وإذا أنا أرىٰ عَمَّتي زينب تُصلّي نافِلَةَ الليل وهي جالسة، فقلتُ لها: ياعمّة اتصلّينَ وانتِ جالسة»؟

قالتْ: نعمْ يابنَ اخي، واللّه إنّ رِجْلي لا تَحمِلُني!![1]

---

(١) كتاب «زينب الكُبرىٰ» للشيخ جعفر النقدي، ص ٥٨.



تَرحيل العائلة مِن كربلاء

لقد جاءوا بالنياق المَهزولة لِتَرحيل آلِ رسولِ اللّه، فلا غطاء ولا وطاء!!

آل رسول اللّه، أشرف أسرة وأطهَرها وأتْقاها علىٰ وَجْه الأرض، وكأنّهنَّ سَبايا الكفّار والمشركين!!

لقد كانَ تَعامُلُ الأعداء مَعَهُنَّ في مُنتهىٰ القساوة والفظاظة وكأنّهم يُحاولون الإنتقام منهنّ، ويَطلبون بثارات بَدْر وحُنَين!

وهل أستطيع أن أكتب ـ هنا ـ شيئاً مِن مَواقف بَني أُميّة تجاه آل رسول اللّه؟!

واللّه.. إنّها وَصْمة خِزْي وعارٍ لاتُمحىٰ ولاتَزول بِمُرور القُرون.

لقد وَصَموا بها جَبهةَ التاريخ الإسلامي النَزيه المُشرِق الوَضّاء.

عن كتاب (أسرار الشَهادة) للدَرْبندي: ثمّ أمَرَ عمرُ بن سعد بأن تُحمَل النساء علىٰ الأقتاب[١]، بِلا وطاء ولا حجاب، فَقُدِّمت النياق إلى حرم رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) وقد أحاط القومُ بهنّ، وقيلَ لَهنّ: تَعالَين واركبْن، فقد أمَرَ إبنُ سعد بالرحيل.[٢]

فلمّا نظرتْ زينب (عليها السلام) إلى ذلك نادتْ وقالت: سَوَّدَ اللّه وجْهَك يابنَ سعد في الدنيا والآخرة! تأمرُ هؤلاء القوم بأنْ يُركّبونا ونحنُ وَدائعُ رسولِ اللّه؟!

فقُلْ لهم: يَتباعَدوا عنّا، يُركِّب بعضُنا بعضاً.

فتَنحَّوا عنهنّ، فتقدّمتْ السيّدةُ زينب، ومَعَها السيّدة أمُّكلثوم، وجعلتْ تُنادي كلَّ واحدة مِن النساء باسمها وتُركّبها علىٰ المَحمِل، حتّىٰ لم يَبقَ أحَد سِوىٰ زينب (عليها السلام)!

فنَظرتْ يميناً وشمالاً، فلم تَرَ أحَداً سوىٰ الإمام زين العابدين وهو مريض، فأتَتْ إليه وقالت:

---

(١) اقتاب ـ جَمْع قَتَب ـ: وهو شيء يُصنَع مِن خَشَب، يُشَدّ علىٰ ظهر البَعير، ويُغَطّىٰ بقماش سَميك، لِراحة الراكب، وحفظه مِن السُقوط. قال في «المعجم الوسيط»: القَتَبُ: الرَحْلُ الصغير علىٰ قَدر سَنام البعير. المُحقّق

(٢) لقد ذكرَ السيّد ابن طاووس في كتاب «المَلْهوف» ص ١٨٩: انّ ترحيل العائلة كان بعد الزوال مِن اليوم الحادي عشر من المحرّم.

قُمْ يابنَ أخي واركَبْ الناقة.

قال: يا عَمَّتاه! إركبي انتِ، ودَعيني أنا وهؤلاء القوم.

فالتفَتَتْ يميناً وشمالاً، فلم تَرَ إلّا أجساداً علىٰ الرمال، ورؤوساً علىٰ الأسنّة بايدي الرجال[1]، فصرختْ وقالت:

واغُربتاه! وا اخاه! واحُسيناه! واعبّاساه! وارِجالاه! واضيعَتاه بعدك يا أباعبدالله...

فاقبلت فِضّة وأركبَتْها..[2]

---

(١) الأسنّة ـ جَمْع سنان ـ: الرُمح.

(٢) كتاب (أسرار الشهادة) للعالم الجليل الشيخ الدَرْبندي.

نياحة السيّدة زينب علىٰ سيّد الشهداء

وفي يوم الحادي عشَر مِن المُحرَّم.. لمّا أرادَ الأعداء أن يَرحَلوا بِقافلة نِساء آل رسول اللّه مِن كربلاء إلى الكوفة، مَرُّوا بِهِنّ علىٰ مَصارع القَتْلىٰ - وهم جُثَث مُرَمَّلة ومَطروحة علىٰ التُراب - فلمّا نَظرت النِسْوة إلى تلك الجُثَث صِحْن وبَكينَ ولَطمْنَ خُدودَهن. وأمّا السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) فقد كانتْ تلك الساعة مِن أصعَب الساعات علىٰ قلبها، وخاصّةً حينَما نَظرتْ إلى جُثَّة أخيها العزيز الإمام الحسين وهو مَطروح علىٰ الأرض بِلا دَفن، وبتلك الكيفيّة المُقْرِحة للقلب!!

يَعلمُ اللّه تعالىٰ مَدىٰ الحُزن الشديد والألَم النفسي الّذي خَيّم علىٰ قلب السيّدة زينب وهي ترىٰ أعزَّ أهل العالَم، وأشرف مَن علىٰ وَجْه الأرض بحالةٍ يَعجز القلم واللسان عن وَصْفها.

فقد مَدَّ أولئك الذئاب المفترسة (الذين لايَستحقّون إطلاق إسم

البَشر عليهم، فكيف باسم الإنسان، وكيف باسم المسلم) أيديَهم الخبيثة إلى جَسَد أطهر إنسان علىٰ وَجْه الكُرة الأرضيّة آنذاك. وأراقوا دماءً كانت جُزءاً مِن دم الرسول الأقدس، وقَطَعوا نَحْراً قَبَّله رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مئات المرّات، وعَفّروا خَدّاً طالما إلتَصَقَ بخَدّ الرسول الأطهر، ورَضُّوا وسَحَقوا جَسَداً كان يُحمَلُ علىٰ أكتاف الرسول الأعظم، وكان مَحَلّه في حِجْر الرسول، وعلىٰ صدره وظهره.

لقد كان الرسولُ الكريم يُحافظ علىٰ ذلك الجسم العزيز، حتّىٰ مِن النَسيم والمطر.. فكيف مِن غيره؟

نعم، إنّ المُجرمين الجُناة كانوا في سَكْرة موت الضمير، وفُقدان الوعي والإدراك للمَفاهيم، فانقلَبوا إلى سِباع ضارية، وذئاب مُفترسة، ووُحوش كاسِرة، لا تَفهم معنىٰ العاطفة والشَرَف والفضيلة، ولا تُدرك إلّا هَواها الشيطاني.

فصَنَعتْ ما صَنَعتْ بذلك الإمام، المتكامل شَرَفاً وعظمةً، وجَعلتْ جسمَه هَدَفاً لسُيوفها ورماحها وسِهامها، ومَيداناً لخيولها، وهم يُحاولون ان لايَتركوا منه أثَراً يُرىٰ، ولا اعضاءَ فَتُوارىٰ.

كان هذا المنظَر والمظهَر المُشْجي، المُقرِح للقلب، الموجع للروح بمَرأىٰ مِن السيّدة زينب الكبرىٰ.

فهي تَرىٰ نفسَها بجوار جثمان إمامها، وإمام العالَم كلّه، وسيّد شباب اهلِ الجنّة، فلا عجَبَ إذا احتَضَنَتْه تارةً، والقَتْ

نفسَها عليه تارةً أُخرىٰ.

تَبكي عليه بدموعٍ مُنهَمرة مُتواصلة، وتَنْدبُه مِن أعماق نفسها، نُدبَةً تَكادُ روحُها تَخرج معَ زَفَراتها وآهاتِها!

تَنْدبه بكلماتٍ مُنْبَعثة مِن أطهر قلب، خالية عن كلّ رياء وتَصنُّع، وكلُّ كلمةٍ منها تُعتبر إعلاناً عن حُدوث أكبر فاجعة، وأوجع مُصيبة.

إنّها سَجَّلتْ تلك الكلمات علىٰ صفحات التاريخ لِتكون خالدةً بِخُلود الأبَد، تَقرؤها الأجيال قرْناً بعد قرن، وأُمّةً بعد أُمّة، كي تَستَلْهم منها الدروسَ والعِبَر... ولكي تَبقىٰ المدرسة الزَينبيّة خالدةً بخلود كلّ المفاهيم العالية والأُصول الإنسانيّة.

نعم، كلمات تَقرَع الأسماعَ اليَقِظة كصَوت الرَعْد، فتَضْطربُ منها القلوب وتَتَوتَّر منها الأعصاب، وتَسخَن الغُدد الدَمْعيّة المَنْصوبة علىٰ قمّة العَينين، فلا تَستطيع الغُدد حَبْسَ الدموع ومَنْعها عن الخروج والهُطول.

وتَضيقُ الصدور فلا تَستطيع كَبْتَ الآهات، والنَحيب والزفير.

أجَل. إنّها مُعجزَة وأيَّة مُعجزَة، صَدَرتْ مِن سيّدةٍ قبلَ أربعة عشَر قرناً، أرادَ اللّه تعالىٰ لها البقاء، لِتكون تلك المعجزة غَضّة، وكأنّها حادثة اليوم وحَدَث الساعة.

أجَل...

كان المَفروض أنْ تَفقد السيِّدة زينب الكُبرىٰ وَعْيَها، وتَنهار أعصابُها، وتَنسىٰ كلَّ شيء حتّىٰ نفسَها، وتَتعطّل ذاكرتُها امامَ جبال المصائب والفَجائع، والهموم والأحزان.

نعم، هكذا كان المفروض، ولكنّ إيمانها الراسخ العجيب باللّه تعالىٰ، وقلبها المطمئن بذِكْر اللّه (عزّوجلّ) كان هو الحاجز عن صدور كلّ ما يُنافي الوقار والإتّزان، والخروج عن الحالة الطبيعيّة.

وليس معنىٰ ذلك السكوت الذي يُساوي عدمَ الإهتمام بتلك الفاجعة أو عدمَ المبالاة بما جرىٰ، بل لابُدَّ مِن إيقاظ الشعور العام بتلك الجناية العظمىٰ، التي صَدَرتْ مِن أرجَس عِصابة علىٰ وجْه الأرض.

فلا عَجَب إذا هاجتْ أحزانُها هيَجانَ البحار المُتلاطمة الأمواج، وتَفايضَ قلبُها الكبير.. بالعواطف والمحبّة، وجعلتْ تَندبُ أخاها بكلمات في ذروة الفصاحة والبلاغة، وتُعتبر أبلغ كلمات سَجَّلها التاريخ في الرثاء والتأبين، وفي مقام التَوَجّع والتَفَجّع.[1]

قال الراوي: فواللّه لا أنسىٰ زينبَ بنت علي وهي تَندب أخاها

---

(١) وكان ذلك حينما مَرّوا بقافلة الأُسارىٰ علىٰ مَصْرَع الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الحادي عشر مِن المحرّم.

الحسين بصَوتٍ حَزين وقلبٍ كئيب:

«يا مُحمّداه، صلّىٰ عليك مَليكُ السماء، هذا حُسينٌ مُرَمَّلٌ بالدماء، مُقطَّع الأعضاء، مَسْلوب العِمامة والرِداء، مَحزوز الرأس مِن القَفا. ونحن بَناتُك سَبايا.

إلى اللّه المُشتكىٰ، وإلى محمّد المصطفىٰ، وإلى عليّ المرتضىٰ، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

يا مُحمّداه! هذا حسينٌ بالعَراء[1]، تَسفي عليه ريحُ الصَبا، قَتيلُ أولاد البَغايا.

واحزناه! واكرباه عليك يا أبا عبداللّه.

بأبي مَن لا هو غائب فَيُرتَجىٰ، ولا جَريح فَيُداوىٰ.

بأبي المَهْموم حتّىٰ قَضىٰ.

بأبي العطشان حتّىٰ مَضىٰ....».

فأبكتْ ـ واللّه ـ كلّ عدوٍّ وصديق.[2]

واعتنقَتْ زينبُ جثمانَ أخيها، ووَضَعتْ فَمَها علىٰ نَحْره وهي تُقبّله وتَقول:

«أخي لو خُيِّرتُ بين المقام عندك أو الرَحيل لاختَرْتُ

---

(١) العَراء: الأرض المُنبَسِطة التي لا يَسْتُر فَضاءَها شَيء.

(٢) كتاب (المَلْهوف) لابن طاووس، ص ١٨١، وكتاب الإيقاد، ص١٤٠.

المُقامَ عندك، ولو أنّ السباع تأكلُ مِن لَحمي.

يابنَ أُمّي! لقد كلَلْتُ عن المُدافَعة لِهؤلاء النساء والأطفال، وهذا مَتْني قد اسودَّ مِن الضَرْب!![1].

(١) مَعالي السِبطين ج٢، الفصل العاشر، المجلس الرابع عشر.

الفَصل الثاني عشر

- مدينة الكوفة
- قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة



مدينة الكوفة

لقد كانتْ الكوفة: مدينة مُوالية للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان أهلُها ـ رجالاً ونساءً ـ قد تَطبّعوا بأحسن الإنطباعات في ظِل حكومة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسبب المَناهج الصحيحة التي انتَهجَها الإمام لِتربية وإدارة شَعبِه.

وكانت لَدىٰ أهل الكوفة أحسن الإنطباعات عن الإمام، نَظراً لِسيرته الشخصيّة والإجتماعيّة والحكوميّة، وأسلوب تَعامُله مع أفراد الشعب إبّانَ حكومته عليهم، فَعَواطفُه التي شَملَتْ جميع طبَقات الشعب، وتوفيرُ لَوازم الحياة لهم، ومُواساتُه مَعهم في السرّاء والضرّاء، وعدْلُه الواسع الشامِل وعَطاياه السَنيّة، وسخاؤه وكرَمُه، وعِلْمُه الجَمّ، وغير ذلك مِن الفضائل الّتي تركتْ إنعكاساتها الإيجابيّة في نُفوس أهل الكوفة، وأثّرتْ فيهم أحسَن الأثَر.

كلُّ هذه الأمور.. جَعلتْ الطابعَ العام الغالب علىٰ الكوفة: هو الولاء والمَحبّة لآل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

ومِن الطبيعي أنّ كلّ عصْرٍ ومصْر لا يَخلو مِن الأشرار والسَفَلة، حتّىٰ المدينة المنوَّرة ـ في عَهْدها الزاهِر.. في عصْر الرسول الكريم ـ كانتْ تَحتوي علىٰ عناصر المُنافقين وغيرهم.

وهنا سؤال يَقول: إذا كانتْ مدينة الكوفة مُوالية للإمام.. فكيف صَدرَتْ مِن أهلها تلك المَواقف المُخْزية تجاه الإمام الحسين (عليه السلام)؟!

إنّ الجواب علىٰ هذا السؤال يَحتاج إلى مَزيد مِن الشرح والتفصيل، وهو خارج عن أُسلوب الكتاب، ولكنّنا نَذكر ـ الآن ـ مثالاً توضيحيّاً لهذا البحث ونَتْرك دراسة الموضوع إلى فرصة أُخرىٰ:

قد تَحدُثُ في فَردٍ مِن الناس أو شعبٍ مِن الشعوب حالةٌ شاذّة، غير طبيعيّة، تَشْبه حالة السُكْر وفُقدان الوعي، فإذا زالتْ آثار السُكر.. عادَ الوعيُ، ثمّ الحالة الطبيعيّة، ثمّ النَدَم!

وفِعلاً.. ترىٰ ذلك الفَرد ـ أو الشعب ـ يَتعجّب مِن تصرّفاته الشاذّة خِلالَ حالة سُكْره، بل ويَتعجّب منه عُقلاءُ العالَم!

ومِن الثابت أنّ العُقلاء لا يَقبَلون أيَّ عُذرٍ مِن ذلك الفَرد أو الشعب الّذي مَرَّ بتلك الحالة الشاذّة، لأن العقل والدين يَفرُضان علىٰ الإنسان أنْ يُوفّر في نَفْسه وقلبه وذِهْنه خَلْفيّة عِلْميّة ومِناعة دينيّة وإيمانيّة تُبعّده عن هذا النوع مِن الحالات الشاذّة، وتَحفظه مِن السقوط في هكذا مُنعطفات مَصيريَّة مُحتَمَلة.

وذلك يَحْصَل بتَقوية الإيمان باللّه تعالىٰ وبيوم القيامة.. في قلْب الإنسان، ثمّ الإستمرار في شَحْن النَفس بالطاقة الإيمانية التي تَقوم بدورٍ مُهمٍ في إبعاد الإنسان عن مَراكز وصالات وأجواء الإنحراف العقائدي والسُلوكي، وتَحْمِيه مِن السقوط في مَهاوي جهنّم.

أجَل..

لقد كانت مدينة الكوفة ـ قبلَ عشرين سنة مِن تاريخ فاجعة كربلاء ـ: عاصمةً للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومَركزاً لحكومته، ومَقرّاً لِقيادته.

وكانتْ السيّدة زينب ـ حينذاك ـ في أوج العظمة والجلالة، وكانتْ سيّدات الكوفة يَتَمَنّينَ الحضور عندها، وإذا كانت السيّدةُ زينب تَنظر إلى إحداهنّ نَظرة، أو تَتكلّم مَعَها كلمة، لَكانَ قلبُها يَمتلىءُ فَرحاً وسُروراً، وتَشْعر بالشَرف والفَخْر، لأنّ إبنة أمير المؤمنين نَظرتْ إليها او تكلّمَتْ مَعها!!

ولكن اليوم.. وبعدَ حوالي عشرين سنة، تَغيَّرت الأوضاع عمّا كانت عليه قبلَ ذلك!! وأخذَت الكوفة طابعاً شاذاً يَختَلف عمّا مَضىٰ، فقد إنقلبتْ إلى جَوٍّ مِن الإرهاب والإرعاب، وانتَشَر الآلاف مِن الشرطة والجواسيس، وهم في حالة التأهّب والإستعداد، خوفاً مِن هِياج الناس، وخَنْقاً لِكلّ صوت يَرتفع ضدّ السلطة.

هذا.. ويُضاف إلى ذلك: أنّ المئات ـ أو الآلاف ـ مِن المُوالين للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان الطاغية ابنُ زياد قد سَجَنَهُم كي لا يَلتَحقوا بأصحاب الإمام الحسين في كربلاء.

وهناك مَن أخفىٰ نفسَه في البيوت كي لا يَتَعرّضَ للقتل مِن قِبَل السلطة حيث لم يَستطع الإلتحاق بالإمام بسبب الأعداد الهائلة مِن الشرطة الّتي كانتْ السلطة قد نَشَرَتْهم في جميع نَواحي وبَوّابات مدينة الكوفة.

وعَدا مَن التحقَ بالإمام الحسين في كربلاء ـ مِن أهل الكوفة ـ ونَصَروه، وقُتلوا في سبيل الدفاع عنه، ويَبلُغُ عدَدُهم أكثر مِن عشرين رجل، مذكورة أسماؤهم في الكتُب المُفصَّلة الّتي تَتَحدّث عن فاجعة كربلاء الدامية.

قافلة آل الرسول تَصِلُ الكوفة

وذكَرَ الطُرَيحي في كتاب (المُنْتَخَب) عن مسلم الجَصّاص قال:

دَعاني ابنُ زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينَما أنا أُجَصِّص الأبواب، وإذا بالزَعقات قد ارتفعتْ مِن جَنبات الكوفة[1]، فأقبلتُ علىٰ خادمٍ كان يَعملُ معَنا، فقلتُ: مالي أرىٰ الكوفة تَضجّ؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجي خَرجَ علىٰ يزيد بن معاوية.

فقلت: مَن هذا الخارجي؟

قال: الحسين بن علي!

فتَركتُ الخادم حتّىٰ خَرَج، ولَطمْتُ علىٰ وَجْهي، حتّىٰ

---

(١) الزَعْقات ـ جَمْع زَعْقة ـ: الصَيحة. الزعق: الصِياح، كما في كتاب «لسان العرب» لابن مَنظور، و«الصحاح» للجوهري.

خَشِيتُ علىٰ عَينيَّ أنْ تَذْهبا، وغَسلتُ يَديَّ مِن الجصّ، وخرجتُ مِن ظَهْر القَصر، وأتيتُ إلى الكُناس[١] فبينا أنا واقف، والناسُ يَتوقّعون وصولَ السَبايا والرؤوس إذْ أقبلتْ نحو أربعين شقّة، تُحمل علىٰ أربعين جَمَلاً[٢]، فيها الحُرَم والنساء وأولاد فاطمة.

وإذا بِعَليّ بن الحسين علىٰ بَعيرٍ بغير وِطاء[٣]، وأوداجُه تَشْخَب دَماً، وهو مع ذلك يَبكي ويَقول:

يا أمّةَ السّوء لا سَقْياً لِرَبْعكُم ‌ ‌ ‌ ‌ يا أُمّـةً لم تُراعِ جَدَّنا فينا

إلى آخر الأبيات.

وصارَ أهلُ الكوفة يُناولون الأطفالَ الّذين علىٰ المَحامِل بعضَ التمر والخُبز والجَوز، فصاحتْ بهم أمّ كلثوم:

يا أهلَ الكوفة! إنّ الصَدَقة علينا حرام!

وصارتْ تأخذ ذلك مِن أيدي الأطفال وأفواههم، وتَرمي به إلى الأرض.

---

(١) الكُناس والكُناسَة: مَحلَّة بالكوفة. كما في «معجم البلدان» للحَمَوي.

(٢) شقّة: المَحْمِل و الهَودَج.

(٣) وِطاء: القماش وشِبْهه الذي يوضَع علىٰ ظهر الجَمَل، لِراحة الراكب.

كلٌّ ذلك والناس يَبكون علىٰ ما أصابَهم!!

ثمّ إنّ أمَّ كلثوم أطلعتْ رأسَها مِن المَحْمِل وقالت:

«صَهٍ يا أهلَ الكوفة! تَقتُلُنا رجالكم، وتَبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بينَنا وبينكم اللّه، يومَ فَصْل القضاء».

فبينَما هيَ تُخاطبهن، وإذا بِضَجَّة قد ارتَفعتْ، وإذا هُم قد أتوا بالرؤوس، يَقْدُمُهُم رأسُ الحسين(عليه السلام) وهو رأسٌ زُهَريّ، قَمَريّ[1]، أشْبَه الخَلْق برسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ولحيتُه كَسَواد السبج[2]ـ قد انتَصَلَ مِنها الخِضاب[3]، ووَجْهه دارة قَمَرٍ طالع[4]ـ والرِيحُ تَلْعبُ بها

---

(١) زُهَري: أي مُشْرق اللون. . رَغم إنفصاله عن الجَسَد. وزُهَري: تَشْبيهٌ بِنَجْم «الزُهْرة» المشهورة بالإشراقة والإضاءة المُميّزة في نورها. والّتي هي عبارة عن اللون الأبيض المُشْرِق المَزيج مع لَون الورْد المُحَمّدي، أي: اللون الأحمر الفاتح. قَمَري: أي: أنّ وَجْهَه مُسْتَدير الشكل. . وليسَ مُسْتطيلاً. المُحقّق

(٢) السَبَج: ـ مُعرّب شَبه ـ: وهو حَجَر اسوَد، يضرَبُ به المَثل في شِدّة السَواد.

(٣) إنتصل منها الخِضاب: اي بَدا اللون الأسود يَذهَبُ مِن أصول الشَعْر.

(٤) دارة قَمَر طالع: اي مُستدير وجَميل، كالقَمر ليلة البَدْر، حيث يكون مُتكاملَ القُرص وشديد الإنارة. المُحقّق

يميناً وشمالاً، فالتَفَتتْ زينبُ، فرأتْ رأسَ أخيها، فنَطحَتْ جَبينَها بمُقدَّم المَحْمِل، حتّىٰ رأينا الدَمَ يَخرج مِن تحت قناعها، وأومأتْ إليه بِخِرْقة، وجَعَلتْ تقول:

يا هِلالاً لَمّا استَتَمَّ كمالاً غالَهُ خَسْفُه فأبْدىٰ غُروبا

ما تَوهّمتُ يا شقيقَ فؤادي كانَ هذا مُقدّراً مَكتوبا

يا أخي! فاطمَ الصغيرةَ كلِّمْها فقد كادَ قلبُها أنْ يَذوبا

إلى آخر الأبيات(١).

وجاء في التاريخ: أنّ قافلة آل الرسول لمّا اقتَربتْ مِن الكوفة، إجتَمَع أهلُها للنَظَر إليهنّ، فأشرفَتْ إمرأة مِن الكوفِيّات ـ مِن سَطح دارها ـ وقالت: مِن أيّ الأُسارىٰ أنتُن؟

قُلْنَ: نحنُ أُسارىٰ آل محمّد!

فنَزلَتْ مِن سَطحها وجَمعَتْ مُلاءاً وأُزُراً ومَقانع، فأعطتْهُنّ فتَغَطّينَ.(٢)

---

(١) كتاب «المنتخَب» للطريحي، ج٢، ص٤٦٤، المجلس العاشر. وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج٤٥، ص١١٤ ـ ١١٥.

(٢) كتاب (بحار الأنوار) ج٤٥، ص١٠٨، نقلاً عن السيّد ابن طاووس.

الفَصل الثالث عشر

- خُطبة السيّدة زينب في الكوفة
- نَصّ خطبة السيّدة زينب في الكوفة
- شرح خطبة السيّدة زينب في الكوفة
- كيفَ ولماذا قَطَعوا علىٰ السيّدة زينب خِطابها
- نَصّ خُطبة السيّدة زينب برواية أُخرىٰ



خُطبة السيّدة زينب في الكوفة

تُعتبر خُطبة السيّدة زينب ـ في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام ـ في ذروة الفصاحة، وقمّة البلاغة، وآيةً في قوَّة البيان، ومُعجزة في قوَّة القلب والأعصاب، وعدم الوَهْن والانكسار أمامَ طاغية بَني أُميّة ومَن كان يُحيط به مِن الحَرَس المُسلّحين، والجَلاوزة والجَلاّدين الّذين كانوا علىٰ أُهبّة الإستعداد يَنتظرون الأوامر كي يُنفّذوها بأسرع مايُمكن مِن الوقت.

وهنا سؤال قد يَتبادر إلى الذِهْن وهو:

إنَّ السيّدة زينب كانت سيّدة المُحَجّبات المُخدَّرات، ولم يَسبق لها أنْ خَطبَتْ في مجلس رجال أو مَجْمَعٍ عام، وليس مِن السَهْل عليها أنْ تَرفع صوتَها وتَخطب في تلك الاجتماعات، فلماذا قامتْ السيّدة بإلقاء الخُطَب علىٰ مَسامع الجماهير مع تَواجد الإمام زين العابدين (عليه السلام)؟

ومع العِلْم انّ الإمام زين العابدين كان أقوىٰ واقدَر منها علىٰ فُنون الخطابة، واولىٰ مِن التحدّث في جُموع الرجال؟

لعلّ الجواب هو: انّ الضَرورة او الحِكْمة إقتَضتْ انْ يَسكُتَ الإمامُ زين العابدين طيلةَ هذه المسيرة كي لايَجلبَ إنتباهَ الناس إلى قُدرته علىٰ الكلام، وحتّىٰ يَستطيع ان يَصُبَّ جامَ غضَبه كلّه علىٰ يزيد، في الجامع الأموي، بِمَرْأىٰ ومَسْمع مِن آلاف المُصلّين الذين حضَروا يومذاك لأداء صلاة الجمعة خَلف يزيد.

فلو كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يَخطب في أثناء هذه الرحْلة.. في الكوفة وغيرها، فلعلّه لم ولن يَكن يُسمَح له بالخطابة في أيّ مكان آخر، فكانت تَفوتُه الفرصة الثَمينة القَيّمة، وهي فرصة التحدّث في تلك الجماهير المتجَمْهرة في الجامع الأموي، عِلْماً بانه لم يَبق مِن آل الرسول في تلك العائلة رجل سوىٰ الإمام زين العابدين.

ولهذا السبب كانت السيّدة زينب تَتولّىٰ الخطابة في المواطن والأماكن التي تَراها مناسِبة.

وليس معنىٰ ذلك انّها فَتَحتْ الطريق امامَ النساء ليَخطبْنَ في جُموع الرجال، أو المجتمعات العامّة كالأسواق والساحات وغيرها، بل إنّ الضرورة القُصوىٰ كانت وراءَ خطبتها عليها السلام.

هذا أوّلاً.

ثانياً: لقد كانت حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) مُهدَّدة بالخطر طوالَ هذه الرِحْلة ـ وخاصّةً في الكوفة ـ فكم مِن مرّةٍ

حَكموا علىٰ الإمام بالقتل والإعدام، لولا انْ دَفَع اللّه تعالىٰ عنه شَرَّهم؟!

فما ظنّكَ لو كان الإمام (عليه السلام) يَخطب في شارع الكوفة أو في مجلس الدَعيّ بن الدَعيّ عبيد اللّه بن زياد، والحال هذه؟!

هل كان يَسْلَم مِن القتْل؟

طبعاً: لا.

إنّهم ارادوا أن يَقتلوه وهو ـ بَعْدُ ـ لم يَخطب شيئاً، فكيفَ لو كان يَخطب في الناس ويكشِف لهم عن مَساوىء بَني أُميّة ومَخازيهم، ويُبيّن لهم ابعاد ومُضاعَفات جريمة مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته؟؟!

* * * *

نَـصُّ خـطبـة السـيّـدة زينب
فـي الـكـوفــة

والآن . . نَـذكر نَصَّ الـخُـطـبة، ثم نَشرح بعضَ كلماتها :

قال بشير بن خزيم الأسدي[1]:

ونظرتُ إلى زينب بنت علي (عليه السلام) يومئذٍ فَـلَمْ ارَ خَـفِرةً ـ واللّه ـ انطقَ منهـا[2]، كـأنّهـا تُـفـرغ عن لسـان اميـرالمؤمـنين علي بن ابي طالب[3]، وقد اوْماتْ إلى الناس ان اسكُـتوا .

---

(١) المـصـادر الـتي تَـذكـر خُـطبـة السيّـدة زيـنـب في الكوفـة كـثـيـرة، ونحن اعتـمـدنا علىٰ كـتـاب «الـمَـلـهـوف» لـلـسـيّـد ابـن طاووس (رضـوان اللّه عليه).

(٢) خَـفِـرةً: المـراة الـشَـديدة الحيـاء.

(٣) تُـفرغ: تَـصُـبّ، الإفراغ «الصَـبّ»، قال تعالىٰ: «افـرغْ علينـا صَـبرا».

فارتَـدَّت الأنفاس، وسَكَـنتْ الأجراس، ثمَّ قالت:

«الحمدُ للّه والصلاة علىٰ أبي: محمّد وآله الطيّـبين الأخيار.

أمّا بعد:

يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَـتْـلِ والغَـدْر!!

أتَـبكون؟ فلا رَقـات الدَمْعة، ولا هَـدات الرَنّـة.

إنّما مَـثَـلُـكم كمَثَل التي نَـقَـضَـتْ غَـزْلَها مِن بعد قـوَّةٍ انكاثاً، تَـتّخذون ايْمانكم دَخَـلاً بينكم.

الا وهلْ فـيـكمْ إلاّ الصَّـلِفُ الـنَـطِـف؟ والـصَّـدرُ الشَـنِـف؟ ومَـلَـقُ الإماء؟ وغَـمْـزُ الأعداء؟

او كمَـرْعىً علىٰ دِمْـنـة؟ او كـفِـضّة علىٰ مَـلْحُـودَة؟

الا سـاءَ مـا قَـدّمتْ لكم انفسُـكـم انْ سَـخطَ اللّهُ عليكم وفي العَـذاب انـتُم خالدون.

اتَـبـكون؟ وتَـنْـتَـحِـبون؟

إي واللّه، فابكوا كثيراً واضحَـكوا قليلاً.

فلقد ذَهـبْـتُـم بِـعارها وشَـنارها، ولن تَـرحَـضُـوها بِغَسلٍ بعدَها ابَـداً.

وانّـىٰ تَـرحَـضونَ قَـتْـلَ سَـليلِ خـاتم النبوّة؟ ومعدنِ الرسـالة، وسـيِّـد شبـاب أهل الـجنَّـة، ومَـلاذِ خِـيَـرتكم، ومَـفْـزَعِ نازلَـتكم،

ومَنارِ حُجّتكم، ومِدرَة سَنَتكم؟؟

الا ساءَ ما تَزِرون، وبُعْداً لكم وسُحْقاً، فلقد خابَ السَعيُ، وتَبّت الأيدي، وخَسِرَت الصَفْقَة، وبُؤتُمْ بِغَضَبٍ مِن اللّه، وضُرِبَتْ عليكمُ الذِلّةُ والمَسْكَنَة.

وَيلَكمْ يا أهلَ الكوفة!

اتَدْرون أيَّ كبِدٍ لِرسول اللّه فَرَيْتُم؟!

وأيّ كريمةٍ لَهُ أبرَزتُم؟!

وأيّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُم؟!

وأيّ حُرْمَةٍ له هَتَكْتُم؟!

لقد جِئتُمْ بها صَلْعاء عَنْقاء سَوداء فَقْماء، خَرْقاء شَوهاء، كطِلاع الأرض ومِلْءِ السماء.

افَعَجِبْتُمْ انْ مَطرتِ السماءُ دَماً، ولَعَذابُ الآخرة اخزىٰ، وانتُمْ لا تُنْصَرون.

فلا يَسْتَخِفّنكم المُهَل، فإنّه لا يَحْفِزُه البِدار، ولا يَخافُ فَوتَ الثار، وإنّ ربّكُم لَبالمرْصاد»[1].

قال الراوي: «فواللّه لقد رايتُ الناسَ ـ يومئذٍ ـ حَيارىٰ

(١) كتاب «المَلْهوف» للسيّد ابن طاووس، المُتوفّىٰ سنة ٦٦٤هـ، ص ١٩٢ـ ١٩٣.

يَبْكون، وقد وَضَعوا أيديَهم في أفواههم. ورأيتُ شَيخاً واقِفاً إلى جَنْبي يَبكي حتّىٰ اخضَلّتْ لحيَتُه، وهو يَقول: «بابي انتُم وأمّي!! كُهولُكم خيرُ الكُهول، وشَبابُكم خيرُ الشباب، ونِساؤكم خيرُ النساء، ونَسْلُكم خيرُ نَسْل لايُخْزىٰ ولا يُبْزىٰ».[1]

---

(١) كتاب «المَلْهوف» للسيّد ابن طاووس، ص ١٩٣ ـ ١٩٤. وسوف نَذكر نَصّ الخُطبة علىٰ رواية كتاب «الإحتجاج» للشيخ الطبرسي، وذلك لِوجود بعض الفُروق وزيادة بعض الإضافات، ـ بعد الفراغ مِن شَرح هذه الخطبة ـ إنْ شاءالله تعالىٰ.

المُحقّق

شرح خُطبة السيّدة زينب في الكوفة

قبلَ ان ابدا بشَرْح بعض كلمات الخطبة اجلبُ إنتباهَ القارىء الذكي إلى بعض مايَرويه الراوي لهذه الخطبة، وهو قوله:

«فلمْ ارَ خَفِرَة ـ واللّه ـ انطقَ منها»

يقال: خَفِرت الجارية: إذا استَحتْ اشدَّ الحياء، فهي خَفِرة. ومِن الطبيعي انّ المراة الخَفِرة يَمنَعُها حَياؤها مِن ان تَرفع صوتها، او تَخطب في مكان مُزدحَم، فمِن الواضح انّها إذا لم تُمارس الخطابة لاتَقوىٰ علىٰ النُطق والتكلّم كما ينبغي، ولكنّ راوي هذه الخطبة يقول: «فلم ارَ خفرة ـ واللّه ـ انطق منها» اي: لم ارَ اقوىٰ منها علىٰ التكلّم، واقدر علىٰ الخطابة، رغم كونها شديدة الحياء.

«كانّها تُفرغُ عن لسان اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب».

إنّ الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) هو إمامُ الخُطباء والبُلَغاء والمُتكلّمين، وقد كان له أُسلوب خاص، ومُسْتَوىٰ رفيع في كلامه وخُطَبه، يَمتازُ عن كلام غيره، وفي أعلىٰ قمّة الفصاحة والبلاغة، وجَودة التعبير، وعُلوّ المُستوىٰ الأدَبي والعِلْمي.

فمِن ناحية: كان يَسْتَرسِلُ في الكلام.. دونَ أيّ توقّف أو شُرودٍ ذِهْني، وكان يَنطق بالحروف.. دونَ أيّ تَلَكّؤٍ في التلفّظ، فقد كان في غاية التمكّن مِن الكلام والخِطابة.

ومِن ناحية أخرىٰ: كانت الكلمات الأدَبيّة الرفيعة مُنقادة له بشكل عجيب، فهي تَنْبُع مِن لسانه نَبْعاً طبيعيّاً.. دونَ أيّ تكلُّفٍ او تَحضير مُسْبَق، وكانَ لِصَوته نَبْرة مُعيّنة.

وراوي هذه الخطبة كانَ ممّن راىٰ الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) وسَمعَ كلامه، وها هو الآن.. يَستَمعُ إلى كلام السيّدة زينب (عليها السلام) وبالمُقارنة بين الكلامين يَظهرُ له انّ خطبة السيّدة زينب صورة طبق الأصل لِكلام ابيها، مِن ناحية الأُسلوب والبَيان والمستوىٰ وغير ذلك.

«وقد اومأتْ إلى الناس ان اسكُتوا، فارْتدّت الأنفاس، وسكَنَت الأجْراس».

في ذلك المُجتمع المُتدفِّق بالسَيل البَشَري، وفي ذلك الجوّ المَمْلوء بالهتافات والأصوات المرتفعة مِن الناس، واصوات الأجراس المُعلّقة في أعناق الإبل.

في بلدة إنتشَر في جميع طُرُقها الآلاف مِن الشرطة كي يَخنقوا كلَّ صوت يَرتفع ضدّ السلطة، ويُراقبوا حَركات الناس وسَكَناتهم بكلّ دقّة، ويَقضوا علىٰ كلّ إنتفاضة مُتوقَّعة.

في هذه الظروف وصَلَ موكبُ آل رسول اللّه إلى الكوفة، مُحاطاً بالحَرَس، عُملاء بَني أُميّة، وشَرّ طَبَقات البَشَر، وأرجَس جميع الأُمم.

في تلك الأجواء والظروف أشارت السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) إلى الناس ان اسكُتوا. فَتَصرّفتْ في الإنسان والحيوان والجماد. إحتَبَست الأنفاس في صدور الناس، ووقفت الإبل وسكَنَتْ عن الحركة، وسكنت الأجراس المُعلَّقة في أعناق الإبل.

نعم، بإشارة واحدة، وبتلك الروح القويّة، والنفْس المطمئنّة إستولتْ علىٰ الموقف.

فقالت:

«الحمد للّه، والصلاة علىٰ أبي: محمّد وآله الطيّبين الأخيار».

إفتَتَحتْ كلامَها بحَمْد اللّه، ثمّ الصلاة علىٰ ابيها رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وهذا مُنتهىٰ البلاغة، فإنّها ـ بهذا الإفتتاح ـ عرَّفتْ نفسَها ـ لِتلك الجماهير المُتَجَمْهرة ـ بأنّها بنت رسول اللّه، فالحفيدة تُعتبر بنتاً، كما انّ الجدَّ يُعتبرُ اباً، ولهذا قالت: والصلاة علىٰ ابي: محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

وممّا يُستفادُ مِن هذا التعبير هو التاكيد علىٰ مَسالةٍ مُهِمَّة جِداً وهي مسالة بُنُوَّة أولاد السيّدة فاطمة لِرَسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) كما هو صريح آية المباهلة في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءكُم ...﴾.[1]

وقد كان ائمّة اهل البيت (عليهم السلام) يؤكّدون علىٰ هذه النقطة، كما أنّ أعداءَهم النَواصب كانوا يُحاولون ـ دائماً ـ التَشْكيك والمُناقشة فيها، وقد ذكرنا كلمة موجزة حول هذه النُقطة في كتابنا: فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

«أمّا بَعدُ، يا أهلَ الكوفة! يا أهلَ الخَتْل والغَدْر»

الخَتْلُ: الغَدْر[١]، وقال البعض: هو الخُدْعَة عن غَفلة[٢]. وفي نسخةٍ: «والخَتْر»: وهو شِبْهُ الغَدْر[٣]، لكنّه اقبَح أنواع الغَدْر[٤]

لقد كانتْ لِهذه الكلمات اشَدُّ الأثَر في نُفوسِ اهل الكوفة، فإنّها قد اوجَدَتْ فيهم اليَقظة والوعي بصورة عجيبة، حتّىٰ شَعُروا انّ ضمائرهم بَدَاتْ تُؤنّبُهم، وانّ وجدانَهم صارَ يُوبّخُهم علىٰ جَرائمهم الفَجيعة وجِناياتهم العظيمة.

فقد ذكَّرتْهم كلماتُ السيّدة زينب (عليها السلام) بِماضيهم المُخْزي وتاريخهم الأسود، حيثُ صَدَرَ منهم الغَدْر مَرّات عديدة، فَمِنها:

١ ـ في يوم صِفّين عند تَحْكيم الحَكَمَين، غَدَرَ اهلُ الكوفة بالإمام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

---

(١) الخاتِل: الغادِر. اقرب الموارد للشرتوني.

(٢) المُعْجَم الوَسيط. وقالَ ابنُ عبّاد ـ في «المحيط» ـ الخَتْلُ: الخُدْعةُ عن غَفْلة.

(٣) كتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٤) كما في كتاب «القاموس» للفيروز آبادي.

الذي كان الحقُّ يَتَجَسّدُ فيه باكمَل وَجْه، وخَذَلوه بتلك الكيفيّة المُؤلِمَة!

٢ ـ وحينَما قُتِلَ الإمام اميرُ المؤمنين تَهافَتَ اهلُ الكوفة علىٰ مُبايَعة إبنه الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام). وعندما خَرجَ مُعاوية لِحرب الإمام الحسن، خَذَلَه اهلُ الكوفة وقَعَدوا عن نُصْرته غَدْراً مِنْهم، فَخَلا الجوّ لمعاوية وفَعَلَ ما فَعَل، وضَربَ الرقم القِياسي في الجريمة واللُؤم!

٣ ـ وبعدَ موت معاوية ارسَلَ اهلُ الكوفة إثنَي عشَر الف رسالة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ايّامَ إقامَته في مكّة، يَطلُبون منه التَوجّه إلى العراق لِيُنْقِذَهم مِن الإستعمار الأموي الغاشِم. وضَمّنوا رَسائلَهم الأيمان المُغَلّظة، والعُهُود المُؤكّدة.. لِنُصْرة الإمام والدِفاع عنه بأموالهم وأنفسهم.

فبَعَثَ إليهم سَفيرَه مُسلم بنَ عقيل، فبايَعه الآلاف مِن اهل الكوفة، ثمّ تَفرّقوا عنه وغَدَروا به، وفَسَحوا المَجال للدَعيّ بن الدَعيّ: عُبيدالله بن زياد انْ يُلقي القَبض علىٰ مُسلم بن عقيل ويَقتُله، واجتمَع اطفالُ الكوفة وشَدُّوا حَبْلاً بِرجْل مُسلم، وجَعَلوا يَسْحَبونَ جُثمانَه الطاهِر في اسواق الكوفة.. بِمَرأىٰ مِن الناس!!!

٤ ـ وحينَما لَبّىٰ الإمامُ الحسين (عليه السلام) رَسائلَ أهل الكوفة وجاءَ إلى العراق، ووَصَل إلى ارض كربلاء، ومعه عائلتُه والصَفْوة الطيّبة مِن رجال اهل بيته، خَرج أهلُ الكوفة، وقَتَلوا جميعَ مَن كان مع الإمام، واخيراً.. قَتَلوا الإمام الحسين عطشاناً وبتلك الكيفيّة المُقْرِحة للقلوب، ثمّ أحرَقوا خِيام الإمام، وأسَروا عائلتَه ونِساءَه واطفالَه، وقَطعوا الرؤوس مِن الأبدان ورَفَعوها علىٰ رُؤوس الرماح، وجاءوا بها مِن كربلاء إلى الكوفة.

هذا هو المَلَف الأسود، المَليء بالغَدْر والخيانة.

فحينَما نَظرتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) إلى دُموع أهلِ الكوفة، وسَمعَتْ أصواتَ بُكائهم لم تَنْخَدع بهذه المَظاهر الجَوْفاء، بل وَجَّهتْ خِطابَها إلى جميع الحاضرين هناك، ولَعلّها كانتْ تَقصُدُ بِكلامها الّذين إشتركوا في جريمة فاجعة كربلاء.. بشكلٍ او بآخَر، ولم تَقصُد كلَّ مَن كان حاضِراً وسامعاً لخِطابها:

«أتَبْكُونَ ؟!»

إعتَبرت السيّدة زينب (عليها السلام) بُكاءَهم ـ لَدىٰ المُقايسَة مع ما قاموا به مِن الجرائم ـ نوعاً مِن النِفاق والتلَوّن المُشين، فإنّ رِجالَهم هُم الّذين باشَروا الجريمة ـ وهي مَجْزَرة كربلاء الدامية ـ ونساءَهم هُنّ اللواتي قُمْنَ بتربية

أولئك الرجال.. علىٰ الغَدْر، وهاهُمْ يَبكون!!

يَبكون وهم يُشاهِدون تلك الرؤوس المُقدّسة علىٰ رؤوس الرماح، ويُشاهدون حَفيدات الرسالة وبَنات الإمامة علىٰ النِياق.. بتلك الحالة المُقْرِحة للقلوب!

مِن الطبيعي انْ يَبْكي كلّ مَن يُشاهِدُ هذه المَشاهِد، ولكن..

ما هي فائدة هذا البكاء؟!

ولماذا عَدَم القيام بتغيير انفسهم؟!

لماذا عدَم بِناء نُفوسهم ونَفسيّاتهم؟!

لماذا عَدَم الهجوم علىٰ مَن اصدَرَ الأوامر وهو الطاغية ابن زياد وحاشِيته الفاسِدة؟!

إنّ الحاكم الطاغي لا يَستطيع الظُلْم والتعدّي إلّا مع وجود الأرضيّة المُساعِدة والأجواء المُلائمة للظلم والطغيان. والناس ـ بِنِفاقِهم وخِذْلانهم لآل الرسول الكريم ـ هم الّذين مَهّدوا للظالمين القيامَ بتلك الفاجعة المُروّعة!

وهذا درس لِكلّ مُجتَمَعٍ يؤمن باللّه واليوم الآخِر، ويُريد ان يَعيش في ظلّ حكومة عادِلة.

«فلا رَقَات الدَمْعة، ولا هَدَاتْ الرَنّة»

رَقاتْ الدَمْعة: سَكَنتْ[١] أو إنقطعتْ بعد جَرَيانها وجَفّتْ. الرَنّةُ: الصوتُ الحَزين عند البُكاء.

لمّا راتْ السيّدة زينب (عليها السلام) ذلك البُكاء الذي كلّه نِفاق.. دَعَتْ عليهم، ومِن ذلك القلب المُلْتَهِب بالمَصائب والأحزان، دَعَتْ ان تَمُرَّ عليهم ظروف وأحوال تَجعَل بُكاءَهم مُتَواصِلاً ودُموعَهم مُستمرّة في الجَريان، لا تَهْدا ولا تَنْقَطع، ولا تَهْدا رَنَّتَهم، أي: بُكاءَهم المَصْحُوب بالنحيب والعَويل، بعد انْ قاموا بتلك الأعمال الإجراميّة.

وهنا.. نُقطة مُهمّة يَجِب ان لا نَغْفَل عنها، وهي:

رَغم انّ في أغلب المُجتَمعات يوجدُ الأخيار والأشرار، والطيّبون وغيرهم، ومدينة الكوفة كانت كذلك إلّا ان الطابع العام عليهم في ذلك اليوم كان هو التلوّن كلّ يوم بِلَون، والغَدْر، وقِلّة الإلتزام بالأسس الدينيّة.

مِن هنا.. فإذا جاءَهم حاكمٌ طاغ، وعَرَفَ منهم هذه الطبائع والصِفات المَذمومة يَسهُل عليه التَسلّط عليهم واتّخاذهم مُساعدينَ واعواناً له في تحقيق اهدافه الإجراميّة

---

(١) كتاب الصِحاح للجوهري.

الفاسِدة.

وهم ـ أيضاً ـ يَتَسارعون إلى التجاوب والتَعاطف معه، غير مُبالين بنتائج ذلك.

وعلاجُ هذا المجتمع هو التكلّم معَهم بكلّ صراحة، وبالكلام اللاذع، فالمَلَفُّ الأسود لأهل الكوفة كان يَقتضي انْ تُواجِهَهُمْ السيّدة زينب (عليها السلام) بهذه الشِدّة وباعلىٰ درَجات التَوبيخ والشَجْب والمُؤاخَذة إزاءَ مااقتَرفوه مِن جرائم مُتتالية، كلٌّ واحدةٍ منها تَهتزّ منها الجبال.

نعم.. لم يكن يَنفَع مَعَهم ـ يومذاك ـ إلّا هذا الأسلوب مِن الكلام اللاذع، فلم تَعُد النصائح والمواعظ تُؤثّر فيهم!

والسيّدة زينب ـ بملاحظة انّها إمرأة[1]، وانّها بنت الإمام اميرالمؤمنين ـ كانت لها القُدرة علىٰ التَعنيف في الكلام مع الناس، ولإمتلاكها القُدرة العَظيمة علىٰ البيان والخطابة، فقد كانت مُؤهّلة للقيام بهذا الدور الكبير، لإيقاظ بعضَ تلك الضمائر المَيّتة مِن سُباتها

---

(١) لا يُسمَح بمؤاخَذتها ولا يُمكن للمجرمين قَتْلُها بسهولة لوجود صِيانةٍ خاصّةٍ لكلّ امراة في العَرَب. المُحقّق

العَميق.

ولا نَعلَم - بالضبط - كيفيّة إلقائها للخُطبة مِن ناحية درجة الحماس والحرارة، ولكنّنا نَعلَم انّها وَرِثَتْ الخِطابة مِن جدّها رسول اللّه إمام الفَصاحة، ومِن والدها: إمام نَهج البلاغة!!

«إنّما مَثَلُكُمْ كمَثَل الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ انكاثاً»

شَبَّهَتْ السيّدةُ زينب أهلَ الكوفة بالمَراةِ الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها، وهذا التَشْبيه مُسْتَقىٰ مِن القرآن الكريم - ويا لَه مِن مُستَوىٰ رفيع في البلاغة والأدَب الراقي - وإليك بعض التوضيح:

قال اللّه تعالىٰ - في القرآن الكريم -: «ولا تكُونوا كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ انْكاثاً تَتَّخِذونَ ايْمانَكم دَخَلاً بينَكم» .[1]

وقد جاء في كُتُب تفسير القرآن الكريم انّ امراةً حَمْقاء مِن قريش، تُسمّىٰ بـ«ريطة بنت عمروبن كعب»[2] كانت تَغزِل -

(١) سورة النحل، الآية ٩٢.

(٢) ولعلّ إسمَها: زِيطة! لكي يَتَطابق الإسمُ مع المُسمّىٰ. المحقّق

مع جَواريها ـ الصُوفَ والشَعْر ـ مِن الصَباح إلى نصف النهار ـ وتَصنَع بذلك خُيوطاً جاهِزة للنَسيج، ثمّ تأمُرُهُنّ أن يَنقُضْنَ ماغَزَلْنَ طوالَ هذا الوقت، ولايَزالُ دأبُها ذلك. [1]

«مِن بعد قُوّة» أي: كانت تَنكُثُ غَزلَها مِن بعد إحكام وإتْقان وإستِحكام وفَتْل للغَزْل، في المرّة الأُولىٰ وكانّها تُريد أن تَصنَع مِن ذلك الغَزل أقمشة. فبَعد النكْث والنَقْض كان يَفقُد الصوف مُعظَم قُوّته.

«انكاثاً» جَمْع نكث، وهو الصوف والشَعْر، يُبْرَم ـ ويُعمَل منه الخيوط ـ ثمّ يُنْكَث: اي: يُنقَض ويُفَل لِيُغْزَل مرّةً ثانية.

وقد شَبّه اللّهُ تعالىٰ ناقِضَ العَهْد بتلك المرأة الّتي نَقَضَتْ غَزلَها مِن بَعْد قُوّة وإتقان.

«تَتّخِذُون ايْمانكم دَخَلاً بينكم»

ايْمان ـ جَمْع يَمين ـ: وهو القَسَم والحَلْف.

الدَخْل: المَكْر والخِيانة.

أي: كانوا يَحلِفون بالوَفاء بالعَهْد، ويُضْمِرونَ في أنفسهم الخِيانة. وكان الناسُ يَطمَئنونَ إلى عَهْدهم..

(١) «والجُنونُ فُنون». المحقّق

لكنّ أولئك كانوا يَنقضون العَهْد.

وبعد هذا التمهيد.. نَقول: لقد شَبّهتْ السيّدة زينب (عليها السلام) أهلَ الكوفة بتلك المرأة الحَمْقاء، مِن ناحية عدم الوَفاء بعُهُودهم ونَقْضِهم لها. بسبب صِفة الغَدْر المُتجَذِّرة في نَفسيّاتهم اللَئيمة، البَعيدة عن الإنسانيّة، وعن التفكير في نتائج الأمور ومُضاعَفاتها.

«الا وهَلْ فيكُم إلاّ الصَّلِفُ النَّطِفْ»

الصَلِف: صَلِفَ الرجلُ: تَمَدّح بما ليسَ عنده، إعجاباً بنفسه وتَكبّراً[1]

ويُقال: اصلَفتُ الرجلَ إذا ابغَضتُه ومَقَتّه، ويُعبّر عن البَخيل ـ ايضاً ـ بهذه الكلمة.[2]

هذا ما ذكره عُلماءُ اللُغة، ولكنَّ الّذي يَتبادر إلى الذِهْن ـ مِن كلمة الصَلِف ـ: هو الوَقِح، ولا مانع مِن تفسير الكلمة بهذا المعنىٰ.. فبُكاؤهم بعد ارتكابهم تلك الجرائم يَدلّ علىٰ شِدّة وِقاحَتهم وقِلّة حَيائهم.

---

(١) كما في كتاب (اقرب الموارد) للشرتوني.

(٢) كما في كتاب (المحيط في اللغة) للصاحب بن عَبّاد.

النَطِف: المُتَلَطّخ بالعَيب.[١]

«والصَدْرُ الشَنِف»

الشَنَفُ: شِدَّة البُغْض[٢]. والشَنِفُ: المُبْغِض.[٣] والمعنىٰ: الصَدر الذي يَحتوي علىٰ شِدّة البُغْض والعِداء لأهل البيت (عليهم السلام).

«ومَلَقُ الإماء»

المَلَق ـ بفتْح اللام ـ الوُدّ واللُطف، وأنْ تُعطي باللسان ماليسَ في القَلب والفِعْل[٤].

والمعنىٰ: انّكم مُجتَمَع لِلصفات الرذيلة، ففيكم حالةُ التَمَلُّق والتَذلُّل لِمَن لا يَستحقّ ذلك مِن الحُكّام الخَوَنة أمثال: يزيد وابن زياد اللَئيمَين، وحاشِيَتهما القَذِرة، فكما انّ الإماء ـ جَمْع امَة ـ: وهي العَبْدة. يَتَملَّقْنَ إلى المالك لِجَلْب مَودّته، ويُعطينَه باللسان مِن الوُدّ

(١) كما في كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي، و«الصِحاح» للجَوهري.

(٢) كتاب «العين» للخليل بن احمد، والمحيط في اللغة، لابن عبّاد.

(٣) المُنجد في اللغة.

(٤) القاموس المحيط، للفيروزآبادي.

والمَشاعِر ماليسَ في قُلوبِهِنّ، بل يُفكرنَ في مَصالحهنّ حتّىٰ لو استوجَبَ ذلك لَهُنّ التَذلُّل والتَمَلُّق والخُضوع لِمَن ليسَ أهْلاً لذلك، أنتُمْ - يا أهل الكوفة! - كذلك تَتَمَلَّقُون إلى حُكامِكم.. مِن مُنْطلَق المصالح، لا الإخلاص والوفاء!

«وغَمْزُ الأعداء»

الغَمْز: الإشارة بالجِفْن والحاجِب[1] ولعلّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَقْصُد مِن هذه الكلمة: انكم يا أهلَ الكوفة أنتُم غَمْز الأعداء، أي: إنّ الأعداء (وهم: ابنُ زياد وحاشيَتُه) يَنْظرون إليكم مِن جانب عيونهم غَمْزاً.. ويَتعامَلون مَعَكم بِمُنْتَهىٰ التَحقير والإذْلال، فلا كرامةَ لكم عندهم، بل يُريدونكم عَبيداً وخَدَماً وجُسوراً للوصول إلى اهدافهم.. مِن دون ان يُكنّوا إليكم ايّة مَحبّة أو تَقدير او إحترام. فيُعتبر هذا الكلام - مِن السيّدة زينب - تَنبيهاً لأهل الكوفة علىٰ مَدىٰ فُقْدان عِزّة النَفس لَديهم، حيث جعَلوا انفسَهم أدوات طيّعَة وذليلة بِيَد افراد لُؤَماء، وهم ناسِين للكرامَة التي ارادَها اللّه تعالىٰ للبَشَر.

إنّنا نَرىٰ - في زماننا هذا - انّ المُوظّفين المُتكبّرين

---

(١) كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

لايَرفعون رُؤوسَهم لِيَستمعوا إلى مايَقولُه المُراجِع لَهم، بل يَنظرون إليه بجانب عيونهم تَحقيراً وإذلالاً لَه!!

وهكذا كانتْ نَظرة الحُكّام إلى اعوانهم والمُتعاطفين مَعَهم.

ثمّ ذَكرتْ السيّدة زينب (عليها السلام) مِثالاً آخَرَ لِبَيان حَقيقة أهل الكوفة والكَشْف عن واقعهم، وأنّ ظاهِرهَم يَخْتَلِف ـ تَماماً ـ عن باطنهم، وأنّ ما يَقولونه بالسنتهم يَختَلِف عن نفسيّاتهم، فشَبَّهَتْهُم بالأعشاب الّتي تَنْبُتْ وتَنْمو في أماكن وَسِخَة وغير صِحيّة، فقالت (عليها السلام):

«أو كمَرْعىٰ على دِمْنة»

المَرْعىٰ: مَحلّ العِشْب الذي يَسْرحُ فيه القَطيع.

الدِمْنة: المَحلّ الذي تَتَراكم فيه أرواثُ الحيوانات وأبوالُها وتَختَلِطُ مع التُراب في مَرابِضهم، فتَتَلَبّد وتَتَماسَك الأوساخ المُتكوّنة مِن الرَوْث والبَول والتُراب، ثمّ ـ بسَبَب الرُطوبة الموجودة ـ يَنْبُتُ هناك نَباتٌ اخضَر، جَميل المَنظر واللَون، ولكنّ الجُذور نابتة في مَكان وسِخ مَليىء بالجَراثيم والميكروبات![1]

---

(١) ذُكرَ هذا المعنىٰ في اكثر كتُب اللُغة بِعِبارات مُختلفة والمَضمون واحِد، ونحنُ ذكرْنا ذلك بتَعبيرنا. «المحقّق»

كذلك أهلُ الكوفة كانَ لهم ظاهِرٌ حَسَن، وكانتْ لَهم حَضارة عَريقة، لكنّ باطنَهم وواقعَهم كان قَبيحاً، يَشْتَمل علىٰ الخُبْث والغَدْر، والخيانة والكذب والنِفاق، والجُرأة علىٰ اللّه تعالىٰ، وسَحْق القِيَم والمَفاهيم، وعدم التَخلُّق بالفضائل، والّتي مِن أبرَزِها: الوَفاءُ بالعَهْد، وترجيحُ الدين علىٰ كلّ شيء.

هذا.. ونَعودُ لِنُذكّر ـ مَرّةً أُخرىٰ ـ أنّه كانَ في الكوفة جَمْعٌ غَفيرٌ مِن المؤمنين الأخيار الطيّبين، لكنَّ الأشرار ـ بِتعاونهم مع الحُكم الفاسد ـ كانوا قد شَكّلوا هذه الواجِهة القَبيحَة، وكوّنوا هذه السُمْعَة السَيّئة لجميع أهل البَلَد!!

ثمّ ذكرَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) مِثالاً آخَر فقالتْ:

«أو كفِضّةٍ علىٰ مَلْحُودَة»

اللَحْد: القَبْر. المَلْحُودة: الجُثّة المَوْضُوعة في القَبْر.

إذا وُضِعَتْ عَلامة مَصْنوعة مِن الفِضّة علىٰ قَبْر رَجل مُنحرف دينياً، فسوف يكون ظاهِرُ القَبر جَميلاً، لكنّ الجُثّة الّتي في داخِل القبر جِيفةٌ مُتَعَفِّنة. كذلك أهلُ الكوفة كانوا أهلَ التَمَدُّن والحَضارة والثقافة، لكنّهُمْ في

الباطِن كانوا بمَنْزلة الجِيفَة، حيث تَجمّعتْ فيهم المَساوىء الأخلاقيّة، كنَقْض العَهْد والغَدر والخيانة وغيرها، فكوّنَتْ لهم سُوء المَلَف والسَوابِق المُخْزية.

وفي نسخةٍ: «**كقَصّةٍ علىٰ مَلْحُودة**»

والقَصّة: هي: الجِصّ: وهي البُودرة والتُراب المَطبوخ الذي يُخلَط مع الماء فيَصيرُ طيناً أبيضَ اللون، ويوضَع ذلك الطين ما بين الطابوق ويكون سبباً لِتَماسُك أجزاءِ البِناء[1].

فما فائدةُ ذلك القبر الذي يُجَصَّصُ ـ ليكون جميلَ الظاهِر ـ، لكنّه يَتَضمّن جُثْماناً نَتِناً لِرَجُلٍ خَبيث أو إمرأةٍ مُنْحَرفة؟!!

وقد يُستفاد ـ مِن بعض كتُب التاريخ ـ انّ المُتفرِّجين والمُستَمعين لِخِطاب السيّدة زينب (عليها السلام) إنقَسَموا إلى ثلاثة اقسام:

١ ـ قُوّات الشُرطة التابِعين لابن زياد.

٢ ـ المُحايدين.

٣ ـ الأفراد الّذين تَفاعَلوا مع كلمات خُطبة السيّدة زينب

---

(١) قال الخليل في كتاب «العين» القَصَّةُ: لُغةٌ في الجِص. وجاء في القاموس المحيط: «القَصّةُ: الجُصَّة».

(عليها السلام) وتأثّروا بكلامِها، وبَداوا يَبكون!!

كيف لا.. وهم يَسمَعون صوتاً يَشْبَه صوت الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) من ابنته الشُجاعة!

ولعلّها كانت تَخطبُ في ساحةٍ كبيرة مِن ساحات مدينة الكوفة، حيث كانتْ تَسْتَوعِبُ أكبَر قَدرٍ مُمكن مِن الجماهير: المُسْتمعين والمُتَفَرِّجات، الّذين وَقَفُوا علىٰ جانِبَي الطريق، أو علىٰ سُطوح دُورهم يَنظرون ويَسْتمعون.

«ألا: ساءَ ما قَدّمَتْ لكم انفسُكُم أنْ سَخِط اللهُ عليكم وفي العَذاب أنتُمْ خالدون»

هذه الجُملة مُقْتَبَسَة مِن قوله تعالىٰ: «تَرىٰ كثيراً مِنْهُمْ يَتَولّون الّذين كفَروا لَبِئسَ ما قَدّمَتْ لَهُم انفسُهُم انْ سَخِطَ اللّهُ عليهم وفي العَذاب هُمْ خالِدون».[1]

والمعنىٰ: بئسَ ما قَدّموا مِن العَمل لِمَعادهم في الآخرة، انْ سَخِطَ اللّهُ عليهم. والمعنىٰ ـ هنا ـ يا اهلَ الكوفة: إنّ أعمالكم قد اوجَبَتْ عليكم غَضَبَ اللّه وسَخطه، والبقاء الدائم في نار جهنّم.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٠.

«أتبْكون وتَنْتَحِبُون» ؟!

الإنتحاب: رَفعُ الصوت بالبُكاء الشَديد.

«إي واللّه، فابكُوا كثيراً واضْحَكُوا قَليلاً»

إشارة إلى قوله تعالىٰ: «فَلْيَضْحكُوا قَليلاً ولْيَبْكُوا كثيراً»[1]، والمعنىٰ: فلْيَضْحَك هؤلاء المُنافقون قليلاً، لأن الضِحك ـ حتّىٰ لو إستَمرّ ـ فإنّه يَنْتَهي بِفَناء الدنيا، وهو قَليلٌ لَدىٰ المُقايَسَة مع بُكائهم الدائم في يوم القيامة، لأنّ ذلك: «يوم كانَ مِقْدارُهُ خَمسين ألفَ سَنَة»[2] وهُم يَبكون فيه كثيراً.. وباستمرار.

وهذا تهديدٌ وإنذارٌ مِن السيّدة زينب لأهل الكوفة، وليسَ أمْراً لَهُم بالضِحك، بل أمْرٌ بالتَقليل مِن الضحك، ـ وتَهديدٌ ضِمْني ـ أنْ لا مُبَرِّرَ لِضِحكٍ وفَرَحٍ يَتعَقّبه بكاءٌ طويل وعذابٌ مُسْتمرّ.

«فَلَقدْ ذَهَبْتُم بِعارها وشَنارها»

يُقال: ذَهَبَ بها: اي إستَصْحَبَها. والعارُ: كلُّ شيء

---

(١) سورة التوبة، الآية ٨٢.

(٢) سورة المعارج، الآية ٤.

يَلْزَم منه عَيبٌ[١] او كلُّ مايُعيَّرُ به الإنسانُ مِن قَولٍ أو فِعْل، أو يَلزم منه عَيبٌ أو سَبّ.[٢]

والشَنار: العَيب والعار[٣] والأمْر المَشهور بالشَنْعَة.[٤]

«ولَن تَرْحَضوها بِغَسْلٍ بَعْدَها ابَدا»

تَرحَضوها: تَغْسِلوها.

غَسْلٍ: ما يُغْسَل به، كالماء والمَوادّ المُنظّفة المُزيلة للأوساخ.

قد يَقومُ الإنسانُ بجريمة صغيرة يَستطيع مُحاصَرة مُضاعَفاتها، وقد تكون الجريمة كبيرة جداً تأبىٰ ان يُحاصِرَ احَدٌ مُضاعَفاتها وآثارها، أو يَنسِبَ الغَفلة أو السَهْو والإشتباه إلى مُباشِر تلك الجريمة، ويَجعَلُ الإعتذار سَبَباً وطريقاً للعَفو عن ذلك المُجْرم وإغلاق مَلَفّه. فالمعنىٰ: لا يُمكنُ لكم التخلُّص مِن مُضاعَفات هذه الجِناية العُظمىٰ، فقد تَعلّقتْ الجريمةُ باعناقكم، وسُجّلَتْ

---

(١) القاموس للفيروز آبادي.

(٢) اقرب المَوارد للشَرتوني.

(٣) مَجمَع البَحرين، للطريحي. وكتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٤) اقرب الموارد للشرتوني.

في التاريخ . . بحيث لا يُمكن تَغْطيتُها او إنكارها!! او ذِكْر توجيهات واهِية وسَخيفَة لهذا الجُرْم العظيم والذَنْب الجَسِيم!

«وأنّىٰ تَرْحَضُون قَتْلَ سَليلِ خاتم النُبوّة؟»

رَحَضَ: رَحَضَ الثوبَ: غَسَلَه.

أي: كيفَ تَغْسِلونَ عن انفسِكم، وتَمْحُونَ وتَمْسَحُونَ عن مَلَفّكم هذه الفاجعة العظيمة، وهي قَتْل وَلَد رسولِ اللّه خاتم الأنبياء (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)؟!

وبعبارة أخرىٰ:

كيفَ وبأيّ وَجْهٍ يُمكن لكم انْ تُبرِّروا قَتْلَ سَليلِ خاتَم النُبوة؟! والسَليل: هو الوَلَد.

كيفَ يُمكن لكم غَسْلَ هذا الذَنب العظيم عن انفسكم؟!

وهلْ هناك مَجالٌ للإعتذار في ارتكاب جريمةٍ بهذا الحَجْم ومع تِلْكُم الكيفيَّة والمُلْحَقات؟؟!!

«ومَعْدِنِ الرِسالة؟ وسيّد شَباب اهلِ الجَنّة؟»

إنّ الإمامة: هي إمتدادٌ لِلرسالة، وكما انّ الرسول يَختاره اللّه تعالىٰ. . لا الناس، كذلك الإمام والخليفة. .

يَختاره اللّه تعالىٰ أيضاً. . وليس الناس.

والإمام الحسين (عليه السلام) هو الخليفة الشَرْعي الثالث لِرَسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) في أُمّته.

فَلَمْ يَكُن الإمامُ الحسين (عليه السلام) رَجلاً مَجْهولاً خامِلَ الذِكْر، غيرَ مَعروفٍ عند الناس، بل كان مَشْهوراً عند جميع المسلمين بِكلّ ما لِلعَظمةِ والجَلالةِ والقَداسةِ مِن مَعانٍ، وأحاديثُ رسول اللّه في مَدْحِه والثَناء عليه. . كانتْ مَحفُوظة في ذاكِرة الجميع، وآياتُ القرآن الكريم كانتْ تُمَجِّدُه بِما هو أهلٌ لذلك، فـ«آيةُ التطهير» تَشْهَدُ له بالعِصْمة والطهارَة عن كلّ رِجْس، وآيةُ «إطعامِ الطعام» تُنْبِيءُ عن نَفْسيّته الّتي بَلَغَت القِمّة في الإخلاص وحُبّ الخَير للآخَرين، و«آيةُ القُربىٰ» جَعَلتْ إظهارَ المَحبّة ومَشاعِرَ الوُدّ لَه أجْراً لِبَعض أتعاب الرسول الكريم، و«آيةُ المُباهَلةَ» أعلَنَتْ أنّه الإبنُ المُمَيّز للرسول الأقدس (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وأنّه واحِدٌ مِن «أهل البيت» الّذين بِدُعائهم يُغيّرُ اللّهُ تعالىٰ المَوازينَ الكونيّة.

وأحاديث النبي العظيم حولَ مَكانَته ومَنْزلةِ أخيه الإمام الحسَن. . كانتْ أشهَر مِن الشَمس في رائعة النَهار، كقوله (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم): «الحسنُ والحسينُ سَيّدا شَباب أهل الجَنّة»، «الحسنُ والحسين إمامان. . إنْ

قاما وإنْ قَعَدا» «حسينٌ مِنّي وانا مِن حسين، احَبَّ اللّهُ مَنْ أحَبّ حُسَيناً».[(١)]

وكانت هذه الأحاديث وأمثالها قد مَلأتْ آذانَ صَحابة الرسول وتابعيهم.. المُنْتَشِرين في كلّ البلاد.. وخاصةً الكوفة.

فَجَريمةُ قَتْلِ الإمام الحسين لا يُمْكن ان تُقاس بجَريمة قَتْل غَيرِه مِن الأبْرياء، لأنّ المَقتول ـ هُنا ـ عظيمٌ فوقَ كلِّ مايُتَصوّر، فيكونُ حَجْمُ جَريمة قَتْله اكبر وأعظم مِن جَريمَة قَتْل ايّ بَريء، فلا يُمكن لأهل الكوفة ان يَغْسِلوا عن أنفسِهم هذه الجَريمة الكُبرىٰ.

ثمّ استمرَّتْ السيّدةُ زينب بذِكْر سِلْسلة مِن جَوانب العَظمة المُتَجَمِّعَة في أخيها سيّد الشُهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لِتُبيِّن ـ للناس ـ حَجْم الخَسارة الفادِحة، ومُضاعَفات هذا الفراغ الذي حَصَل في كيانِ الأُمّة الإسلاميّة، وهو قَتْلُ الإمامِ المُنْتَخَب مِن عند اللّه تعالىٰ لِهِداية البَشر، فقالتْ (عليها السلام):

«ومَلاذِ خِيَرتكم»

المَلاذ: المَلْجا، والحِصْن الآمِن الذي يُحْتَمىٰ به

(١) كتاب «بحار الأنوار» ج٤٣، ص ٢٦١.

ويُلْجَأ إليه في الشَدائد.

خِيَرتِكم: المُؤمنين الأبْرار، المُتَفَوّقين في دَرَجة إيمانهم باللّه تعالىٰ، وفي جَوانبهم الأخلاقيّة والإيمانيّة، كالتَقْوىٰ، والعقيدة الراسخة، وحِماية وحِراسة الدين، وتَقديم الدين عَلىٰ كلّ مَصْلحة.. ماديّة كانت او غيرها!!

«ومَفْزَعِ نازِلَتِكم»

المَفْزَع: مَن يُفزَعُ إليه، ويُلْتجا إليه.

النازلة: الشَديدة مِن شَدائد الدَهْر. تَنْزلُ بالقوم[١] وقيل: النازلة: هي المُصيبة الشديدة.[٢]

«ومَنارَ حُجَّتِكم»

المَنارُ: مَحَلٌّ إشعاع النُور. والحُجّةُ: الدليل والبُرهان للإستدلال علىٰ حَقيقة شيء.

المَنار: مَحَلٌ علىٰ سَطح الدار، كان الإنسان الكريم يُشْعِلُ النارَ فيه لَيلاً لِيُعْلنَ للناس انّ هُنا مَحَلاً للضِيافة، فيَسْتَدلُّ بِنُور تلك النار التائهون عن الطريق، أو المُسافرون الّذين وَصَلوا إلى البَلَد لِتَوِّهِم، وهُم يَبْحَثون عن مَاوىٰ

(١) كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

(٢) المُعْجَم الوسيط.

يَلْجأون إليه حتّىٰ يَحينَ الصَباح.

وتُطلَقُ هذه الكلمة ـ حاليّاً ـ علىٰ الأضواء الكَشّافة القَويّة في دَرجة الإضاءة الّتي توضَع علىٰ أبْراجِ المُراقَبة في مَطارات العالَم، لإرشاد الطائرات إلى مَحلّ المطار، وخاصّةً في الليالي الّتي يُخيّم الضَبابُ علىٰ سَماء المدينة.

لقد جَعَلَ اللّهُ تعالىٰ الإمامَ الحسين (عليه السلام) مِصْباحَ الهُدىٰ، يُنيرُ الدَرب لِكلِّ تائه أو مُتَحيّر، ولكنّ الناس تَجمّعوا عليه وكسَروا المِصباح، وهم غير مُبالين بما يَنْتُج عن ذلك مِن مُضاعَفات، ففي الظلام تَقَع حوادثُ السَرقة والسَطو علىٰ المَنازِل والبيوت، وجَرائم الإغتصاب والقَتْل، والضياع عن الطريق، والسُقوط في الحَفائر، وغير ذلك.

أمّا معَ وجود المِصْباح فلا تَحدُثُ هذه الجرائم والمَآسي.

ولم يكن الإمام الحسين مَناراً مادّياً فقط.. بل كان مَناراً لِمَن يَبحثُ عن الحقيقة، ويَسال عن الدين، ويُريدُ الحُصول علىٰ رَدّ الشُبُهات، ومايَتبادر إلى بعض الأذهان مِن تَشْكيكات. ولذلك فقد عَبّرتْ السيّدة زينب عن الإمام الحسين بـ«مَنار حُجّتكم».

«ومدرةِ سَنَتكم»

السَنةُ: العامُ القَحط[1]، وقيل: السَنَة المُجْدَبة[2] وقيل: غَلَبَ إطلاقُ كلمة «السَنَة» علىٰ القَحْط، مِثْل ماغَلَبَ إطلاق كلمة «الدابَّة» علىٰ الفَرَس[3].

هذا هو معنىٰ السَنَة.

ولمْ أعْثَرْ ـ في المعاني الّتي ذُكرَتْ في كتُب اللُغة مَعنىً لِكلمة «مدرة» ـ يَتناسَبَ مع كلمة «سَنَتكم»، ويُحتَمل أن يكون تَصْحيفاً لِكلمة «ومَدَدِ» أي: مَن يُزوّدكم بالمُؤَن المادّية في سَنَوات القَحْط والجَدْب، ويُخلّصكم مِن المَجاعَة والموت. أو يُزوّدكم بالأدلّة المَعنويّة حينما تَحْتارون في قَضاياكم الدينيّة، ومَشاكلكم العائليّة، وتَتلاعَبُ بافكاركم التَشْكيكات والأفكار المُنْحَرفةأو المُسْتَحْدَثَة، فتَعيشُون في ضَياع.. لا تُفرّقون بين السُنّة والبِدْعَة، وبين القول الحقّ والأقوال الباطلة المَصْبوغة بِصِبْغة الدين!

ثمّ زادَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) مِن دَرَجة تَوْبيخ

(١) كتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٢) لسان العَرَب، لإبن منظور.

(٣) اقرب المَوارد للشرتوني، مع تَصرّف في بعض الألفاظ.

الناس، مُحاولَةً مِنها لإيقاظ تلك الضَمائر، ولِتُعْلِنَ لَهم أنّهم سَوفَ لا يَصِلُون إلى ايّ هَدَفٍ تَحرّكوا مِن اجْلِه فقاموا بهذه الجَريمة النَكْراء. فقالت:

«ألا ساءَ ما تَزِرُون»

أي: بِئسَ ما حَمَلْتُمْ علىٰ ظُهوركم مِن الذنوب والجرائم، فهي مِن نوعٍ لا يُبقي ايَّ مَجالٍ لِشُمُول غُفرانِ اللّه وعَفْوه.. لكم.

«وبُعْداً لكم وسُحْقاً»

بُعْداً: أي: أبعَدكم اللّه تعالىٰ.. بُعْداً عن رَحْمَته وغُفْرانه.

سُحْقاً: هَلاكاً وبُعْداً، يُقال: سَحِقَ سُحْقاً: اي: بَعُدَ أشَدَّ البُعْد.[١]

«فَلَقَد خابَ السَعيُ، وتَبّتِ الأيدي»

خابَ: لم يَنَلْ ما طَلِبَ، او إنقَطعَ رَجاؤه.[٢]

(١) المُعْجَم الوَسيط. وقال الخليل في كتاب «العَين»: السَحْق: البُعْد. ولُغَةُ اهل الحِجاز: بُعْدٌ لَهُ وسُحق، يَجْعَلونَه إسْماً، والنَصْبُ علىٰ الدُعاء عليه، اي: ابعَدَهُ اللّهُ واسْحَقَه.

(٢) مُعجَم لاروس.

تَبّت الأيدي، التَبُّ: الخُسْران والهَلاك[1] وقيل: القَطْعُ والبَتْر.

«وخَسِرَتْ الصَفْقَة»

الصَفقة: مُعامَلة البَيع او أيّة مُعاملة أخرىٰ. والمعنىٰ أنّكم ـ يا أهل الكوفة ـ خَسِرْتُمْ المُعاملة، مُعاملة بَيع الدين والآخِرة في قِبال الدُنيا، فمِن الجُنون ان يَبيعَ الإنسانُ ذلك في قِبال عَذابٍ مُسْتَمرمَزيج بالإهانة والتَحْقير، وبِثَمَنِ قَتْل إبنِ رسول اللّه، كلُّ ذلك وهو يَدّعي انّه مُسْلم!!

ولعلَّ المعنىٰ: انّكم بِعتُم الحياة في ظلّ حكومة الإمام الحسين (عليه السلام) بالحياة في ظلّ سُلْطة يزيد، وذَهبْتُم إلى حرب الإمام الحسين لِتُحافظوا علىٰ كرسيّ يزيد مِن الإهتزاز، ولكنّ مُعامَلتكم هذه.. خاسِرة، فسوفَ لاتَتَهَنَّؤون في ظلّ حكومته، فلا كرامة ولا أمان ولا مُستقبل زاهِر!!

إن الدين والإنضواء تحتَ لواء مَن اختاره اللّه تعالىٰ هو الّذي يوفّر للإنسان الحياة السَعيدة والعِزّة والكرامة.

امّا الإعراضُ عن ذلك فسوف يَجُرّ الوَيلات لكم،

(١) كتاب «العَين» للخليل، ومَجْمَع البَحرين للطُريحي.

فتتوالىٰ عليكم حكومات جائرة، فتعيشونَ حياةً مَمْزوجَة بالتعاسة والذُلّ، الشامِل لجميع جوانب حياتكم الدينيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والأمنيّة وغيرها.

وهنا ادمَجَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) كلامَها بالقرآن الكريم واسْتَلْهَمَتْ منهُ ذلك فقالتْ:

«وبُؤْتُمْ بغَضَبٍ مِن اللّه، وضُربَتْ عليكمُ الذلّة والمَسْكَنَة».

قال تعالىٰ: ﴿وضُربتْ عليهِمُ الذِلّةُ والمَسْكَنَة، وباؤا بغَضَبٍ مِن اللّه...﴾.[1]

«وبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِن اللّه» اي رَجَعْتُم وقد احتَمَلْتُمْ مَعكم غَضباً مِن اللّه تعالىٰ، وسوف يُسَبّب لكم هذا الغَضبُ العقابَ الأليم والبُعْد عن رَحْمة اللّه وغُفرانه، بِكلّ تاكيد.

وإنّ الجريمة.. مهما كانَ حَجْمُها اكبر فَسوف يكون غَضَبُ اللّه اشَدّ، وبالتالي يكون العذابُ اكثرُ إيلاماً واشدُّ إهانةً وتَحقيراً، ويكون بُعْدُ المُجْرم عن عَفْو اللّه وغفرانه اكثرَ مَسافة!

(١) سورة البقرة، الآية ٦١.

«وضُربَتْ عليكم الذِلَّة والمَسْكنة»

ضُربَتْ: أي كُتبَتْ. فلقد كَتَب اللّه تعالىٰ لكم الذُلَّ، وقَدَّر لكم المَسْكَنَة، بِسَبَب كُفرانكم بنعمة وجود الإمام الحسين (عليه السلام) والغَدْر به.

الذلّة والذُلّ: يَعني الهَوان، وهو العذاب النَفْسي المُستمر، بِسَبَب الشعور بالحِقارة والنَقص والخوف مِن إعتداء الآخَرين!

المَسْكنة: الفَقْر الشَديد والبُؤس والتعاسَة.

ثمّ بَدأتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بِوَضْع النقاط علىٰ الحروف، وذلك بالتحدُّث عن الأبعاد الأُخرىٰ لِحَجْم هذه الجريمة ـ أو الجرائم ـ النكْراء فقالتْ:

«ويلكم يا أهلَ الكوفة! أتَدْرون أيَّ كبِدٍ لِرَسولِ اللّه فَرَيْتُم».

الكَبِد: كنايةٌ عن الوَلَد، وقد رُويَ عن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «أولادُنا أكبادُنا...»[1].

فَرَيتُم: الفَرْي: تَقْطيع اللَحم.

لقد شَبَّهتْ السيّدةُ زينب الإمامَ الحسين بكبِد رسول اللّه،

(١) كتاب «بحار الأنوار» ج١٠٤، ص ٩٧.

وشَبَّهتْ جَريمة قَتْل الإمام بِقَطع كبِد الرسول الكريم، وكم يَحمَل هذا التَشبيه في طيّاته مِن مَعانٍ بَلاغيّة، وحَقائق روحانيّة، إذْ مِن الثابت انّ مَكانة الكبد في الجسم لها غاية الأهميّة.

فكم يَبْلُغ الإنحراف بمَن يَدّعي انّه مُسلم ان يَقتُل إماماً هو بمَنزلة الكبِد مِن رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم)؟

«وأيَّ كريمةٍ لَهُ أبرَزْتُم؟!»

كريمةُ الرجُل: إبنتُه، فالسيّدة زينب (عليها السلام) بنت السيّدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) فهي ـ إذنْ ـ حَفيدةُ الرسول الكريم، والحفيدة تُعتبر بِنتاً للرجل، وقد كانَ النبيُّ الكريم يُعبّر عن السيّدة زينب ـ مُنذُ الأيام الأُولىٰ مِن ولادتها ـ بكلمة «بِنْتي».

وكانتْ هذه البنت المُكرَّمة المُحتَرمة تَعيشُ في دارها خَلْف سِتار الحِجاب والعَفاف وتُحافظ علىٰ حِجابها اكثر مِن مُحافظتها علىٰ حَياتها، ولكنّ اهلَ الكوفة هَجَموا علىٰ خِدرها وخِيامها، وسَلَبوا حِجابَها، ثمّ اسَروها وأبْرَزوها إلى المَلأ العام! وكانتْ هذه المُصيبة اشدّ مِن جميع المصائب وَقْعاً علىٰ قلبها.. بعد مصيبة مَقتل أخيها الإمام الحسين (عليه السلام).

أيّها القارىء الكريم. . تَوقّف قليلاً لِتُفكّر وتَعرفَ عِظَم الفاجعة: إذا كان سَلْبُ الحِجاب عن إمرأةٍ مؤمنةٍ عَفيفةٍ عاديّة أصعبَ عليها مِن ضَرْبِها بالسَكاكين علىٰ جِسْمِها. . فما بالُك بِسلْب الحِجاب عن سَيّدة المُحَجّبات وفَخْر المُخَدّرات: زينب الكبرىٰ عليها السلام؟!

فهذه الجريمة ـ لِوَحْدِها ـ تُعتبر مِن أعظم الجرائم الّتي ارتَكبَها أهلُ الكوفة تِجاه بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)!!

فكلُّ ضميرٍ حُرّ لا يُمْكن لَه انْ يَنسىٰ هذه الجريمة!!

ولم تَقتَصِر هذه المصيبة علىٰ السيّدة زينب (عليها السلام) بل شَملتْ اخواتها الطاهرات مِن آل رسول اللّه، والنِسْوة اللواتي كُنَّ مَعَها في قَيْدِ الأسْر.

«وايَّ دَمٍ لَهُ سَفكتُمْ»

أتعلمون ـ يا اهلَ الكوفة ـ ايّ دَمٍ لِرسول اللّه سفكتُم!!

لقد اعتَبَرت السيّدةُ زينب (عليها السلام) الدمَ الذي سُفِك مِن الإمام الحسين ـ يومَ عاشوراء ـ هو دم رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) إذ مِن الثابت انّ الدم الذي كان يَجري في عُروق الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكنْ كدِماء سائر الناس، لأنّ الإمام الحسين لم يكن رجلاً عاديّاً كبقيّة البَشَر،

فكلُّ قطرةٍ مِن دَمِه الطاهِر كان جُزءاً مِن دم رسول اللّه، فالإمام الحسين: هو مِن «أهل البيت»، وأهلُ البيت: كُتْلَة واحدة، وقد صَرّح النبي الكريم بهذا المعنىٰ يومَ قال: «اللهمّ: إنّ هؤلاء أهلُ بَيتي وخاصّتي وحامّتي، لَحْمُهُمْ لَحْمي ودَمُهُم دَمي، يؤلِمُني مايؤلمُهم ويُحزُنني مايُحزنهم، أنا سِلْمٌ لِمَن سالمَهُم، وحَربٌ لِمَن حاربَهم... إنّهُمْ مِنّي وأنا مِنْهم...»[1]

فالّذين أراقوا دمَ الإمام الحسين هُم ـ في الواقع ـ قد أراقوا دمَ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وهم يدّعون أنّهم مُسْلمون!!

«وأيَّ حُرْمة لَهُ هَتَكْتُمْ»

حُرْمة الرجُل: ما لا يَحلّ إنتهاكُه، وحَرَم الرَجُل أهلُه.[2]

---

(١) جاء ذلك في الحديث المشهور بـ«حديث الكساء» المرويّ في كتاب العَوالِم، للمُحدّث الكبير الشيخ عبدالله البَحْراني ج٢ ص٩٣٠، والحديث مَرويّ عن الشيخ الكُليني باسناده المُعْتَبَرة عن الصحابي جابربن عبداللّه الانصاري، عن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

وهَتْكُ الحُرمة: يَعني إهانة كرامة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) في قَتْل إبنِه الحسين وسَبي كريماته وبَناته، والهُجُوم عليهنَّ في خِيامهنَّ.. بكلِّ وَحْشيَّة!

وايَّ إهانةٍ اكبر مِن هذه الإهانة؟!

لقد كانتْ المراة تَمتاز في الإسلام بِصِيانَة مُعيَّنة، وكانَ كلُّ مَن يُهينُها يَستحقّ الذَم واللَوم مِن الجميع، ولكنّ اهلَ الكوفة ـ وبأمْرٍ مِن يزيد الطاغية وابن زياد اللّعين ـ قاموا بابشَع انواع الجرائم في مَجال إهانة رسول اللّه و إهدار كرامته!!

ولذلك نَقرأ في كتاب واحدٍ مِن أبرز عُلماء أهل السُنّة هذا الكلام: «إذا دافَعْنا عن يزيد، واعتَذرْنا لَه في قَتْله الإمامَ الحسين بانّه كانَ يَرىٰ مِنه مُنافِسَاً لَه في الخِلافة، فبِماذا وكيف نَعتَذرُ لَه في سَبْيه لِبَنات رسول اللّه واسْرهنّ بتلك الكيفيّة المُؤلمة، ثمّ الإنتقال بِهِنّ مِن بَلَد إلى بَلَد؟».

ثمّ استَمرَّتْ السيّدة زينب (عليها السلام) تَصِفُ فاجعة كربلاء الدامية ومُلْحَقاتها مِن سَبْي النساء الطاهِرات.. بهذه الأوصاف المُتَتالية:

«لقد جِئتُمْ بها» اي بهذه الجريمة التي لا مَثيلَ لَها في

تاريخ البَشَر.

«صَلْعاء»: وهي الداهية الشديدة[١]، أو الأمر الشديد. ولعلَّ المراد: الجَريمة المكشوفة الّتي لا يُمكن تَغْطيتُها بشيء.

«عَنْقاء»: الداهِية[٢] وقيل: عُنُق كل شيء بِدايَتُه.[٣]

فلَعلَّ المعنىٰ انّ هذه الجريمة سوفَ تكون بِدايةً لِسِلْسِلَةٍ مِن الأزَمات والوَيْلات لكم، فلا تَتَوقَّعوا خيراً بعد عَمَلكم الشَنيع هذا.

«شوهاء» قَبيحة[٤] وفي نسخة: سَوداء.

«فَقْماء»: العظيمة[٥] أو الشديدة[٦] هذا بعض ما ذكرَه اللُغويون، ولعلَّ معنىٰ «فقماء» أي مُعقَّدة بشكلٍ لا يُمكن

---

(١) ذكر ذلك «المحيط في اللغة» لابن عبّاد، وكتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٢) القاموس المحيط، ولسان العرب.

(٣) اقرب الموارد للشرتوني.

(٤) المُعْجَم الوَسيط.

(٥) المنجد في اللغة، واقرب الموارد للشرتوني.

(٦) المُعْجَم الوَسيط.

معرفة طريق إلى حَلِّها او التخلُّص مِن مُضاعَفاتها.[١]

«خَرقاء، كطلاع الأرض» اي مِلْؤها.[٢]

«ومِلْء السماء» لعلّ المعنىٰ ان حَجْم هذه الجريمة أكبر مِن ان تُشَبَّه أو توصَف بمَساحة أو حَجْمٍ مُعَيَّن، بلْ هي بِحَجْم الأرض كلِّها، والسماء والفضاء كلَيهما. اي: إنّ حَجْمَها اكبر مِن انْ يُتَصوَّر.

فإنّ قتْل الإمام الحسين (عليه السلام) وفُقدان الأُمّة إياه يعني:

اولاً: إبتلاءُ كلّ حُرّ في العالَم - في جميع الأجيال القادمة - بالحُزن والأسىٰ حينَما يقرأ تفاصيلَ فاجعة كربلاء، فحتّىٰ لو لم يكن مُسلماً يَشعر بالحزن وتَتَسابق دموعُ عَينَيه بالهطول، ويَشْعر بالإنزعاج والتَذَمّر مِن الّذين ارتَكبوا هذه الجريمة النَكْراء.

ثانياً: لقد حُرمَ البَشَر. . - بِمُخْتَلَفِ دِياناتهم وطبَقاتهم

---

(١) المُحقّق.

(٢) المُعْجَم الوَسيط، والقاموس المحيط، وقال في «لسان العرب» طِلاعُ الأرض: ما طلعتْ عليه الشمس، طِلاع الشيء مِلْؤه.

المُحقّق.

وأعمارهم وأجيالهم وبلادهم - مِن بَركات وجود الإمام الحسين (عليه السلام) والّتي كانتْ تُبْقي آثاراً إيجابيَّة مُسْتمرَّةً ودائمةً إلى آخر عُمْر الدُنيا!

ثالثاً: إنّ هذه الجريمة - بحَجْمها الواسع - فَتَحتْ الطريق أمامَ كلّ مَن يَحمِلُ نَفْساً خَبيثة في ان يَقوم بكلّ ما تُسَوّلُ له نفسُه وتُمليه عليه نَفْسيّته في مَجال الظلم والإعتداء علىٰ الآخرين، وعدم التَوَقُّف عند أيّ حَدٍّ مِن الحُدود في مَجال الطغيان وسَحْق كرامة الآخرين.

وقد صَرَّحَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) بِهذا المعنىٰ - حينما كان يُقاتل أهلَ الكوفة بنفسه - فقال: «... أما إنّكم لَنْ تَقتُلوا بَعْدي عَبْداً مِن عِباد اللّه فَتَهابُوا قَتْلَه، بَلْ يَهُونُ عليكم عند قَتْلِكم إيّاي...».[1]

«أفَعَجِبْتُم أنْ مَطَرتِ السماءُ دَماً»

إنّ المصادر والوثائق التاريخيّة التي تُصرّح بأنّ السماء أمطرتْ دَماً بَعْدَ قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) كثيرةٌ جِداً.

وكانَ ذلك المطر احمر يَشْبه الدمَ في لونه وغِلْظته.. وهذه الحقيقة الكونيّة مَذكورة في كُتُب الشيعة

(١) كتاب معالي السبطين، ج٢، الفصل العاشر، المجلس الثالث. وكتاب «تظَلُّم الزهراء» ص ٢٢٢.

والسُنّة، القديمة منها والحديثة.[1]

---

(١) إليك الآن بعضَ ما كتَبه المُؤرّخون حولَ هذه الظاهرة الغَريبة الّتي حَدَثَتْ يومَ عاشوراء عند مقتل الإمام الحسين (عليه السلام):

١ ـ ذكرَ الحافظ مُحبّ الدين الطبَري الشافعي ـ المتوفّىٰ سنة ٦٩٤هـ ـ في كتابه: ذَخائرُ العُقبىٰ، طبْع مصر، عام ١٣٥٦هـ، صفحة ١٤٥ قال: «وذكر ابونُعيم الحافظ في كتاب «دَلائل النُبوّة» عن نضرة الأزديّة انّها قالتْ: لمّا قُتِلَ الحسينُ بن علي امطرت السماءُ دَماً، فاصبَحْنا وجِبابُنا (اي: آبارُنا) وجِرارُنا (جَمْع: جَرّة) مَمْلوءَةٌ دَماً».

وعن مروان مَولىٰ هند بنت المهلّب، قال: حَدَّثَني بَوّاب عُبيد اللّه بن زياد انّه لمّا جِيء براس الحسين بين يديه رايتُ حِيطان دار الإمارة تَسايَلُ دَماً. خَرّجَه ابنُ بنت منيع. وعن جعفر بن سُليمان قال: «حَدّثَتْني خالتي أمّ سالم: قالت: لمّا قُتِلَ الحسينُ مُطرْنا مَطراً كالدَم علىٰ البُيوت والجُدُر. قالت: وبَلَغَني انّه كان بخراسان والشام والكوفة. خَرّجَه ابنُ بنت منيع. وعن أمّ سَلمة قالت: «لمّا قُتِلَ الحسينُ مُطرْنا دَماً». وعن ابن شهاب قال: «لمّا قُتِلَ الحسينُ ـ رضيَ اللّه عنه ـ لم يُرفَع او لم يُقْلَع حَجَرٌ بالشام إلاّ عن دَم» خَرّجَهما ابن السري.

٢ ـ ذكر العلاّمة الشيخ المحمودي في كتابه: عَبَرات المُصْطَفَين في مقتل الحسين عليه السلام، طبْع ايران عام ١٤١٧هـ، ص١٦٩: «ذكرَ ابوبكر محمّدبن ابي‌بكر التلمساني ـ المُتوفىٰ بعد عام ٦٤٤هـ في ترجمة الإمام الحسين، في كتاب الجَوهرة ج٢ ص٢١٨، طبْع الرياض، ←

← قال: رَوىٰ البُخاري ـ في ترجمة سليم القاص تحت الرقم ٢٢٠٢ مِن القِسم الثاني مِن المجلّد الثاني مِن التاريخ الكبير، ج٤ ص١٢٩ قال: وعن سليم القاص: مُطِرْنا يومَ قَتْل الحسين دَماً».

٣ ـ ورَوىٰ ذلك ابن حجر الهيثمي في كتابه: الصواعق.

٤ ـ ورَوىٰ ذلك القندوزي الحَنَفي في كتابه: ينابيع المَودّة ج٢ ص٣٢٠.

٥ ـ ورَوىٰ ذلك: سبطُ ابن الجوزي في كتاب (مِرآة الزَمان) ص١٠٢.

٦ ـ ورَوىٰ البلاذري في الحديث ٥٢ في كتابه (انساب الأشراف) طبْع بيروت ج٣ ص٢٠٩ قال: حَدّثَني عمر بن شبة، عن موسىٰبن اسماعيل، عن حَمّادبن سلمة، عن سليم القاص قال: مُطرْنا ايامَ قَتْل الحسين دَمَاً.

٧ ـ ورَوىٰ الشيخ المحمودي ـ ايضاً ـ عن ابن العديم، عن هلالبن ذكوان قال: لمّا قُتِلَ الحسينُ مُطِرْنا مَطراً بَقيَ اثَره في ثِيابنا مِثْل الدَم.

وعن قرط بن عبداللّه قال: مُطرْتُ ذاتَ يوم بنصف نهار فاصابَ ثوبي فإذا دَم، فذَهبَت الإبل إلى الوادي فإذا دَم فلمْ تَشربْ، وإذا هو يوم قتل الحسين.

٨ ـ وذكرَ القرطبي ـ المُتوفىٰ سنة ٦٧١هـ، في تفسيره المسمّىٰ بـ«الجامِع لأحكام القرآن» ج١٦ ص١٤١، طبْع بيروت عام ١٤٠٥هـ: «. . . قال سليمان القاضي: مُطرْنا دَماً يومَ قَتْلِ الحسين». ←

وكان هذا المَطر الأحمر كإعلان سَماوي ـ علىٰ مُستوىٰ الكون ـ لِفَظاعة حادث قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) واستنكاراً لهذه الجريمة النَكراء، ولكن.. «ما أكثَرَ العِبَر واقَلّ الإعتبار».

وقد بقيتْ آثار تلك الدماء مِن ذلك المطر علىٰ جُدران مدينة الكوفة وحيطانها وعلىٰ ثياب اهلها مُدّةً تَقربُ مِن سنة كاملة.

لقد كان ذلك المطر تَنديداً بفظاعة الجريمة، وإنذاراً للعاقِبَة السيّئة لأهل الكوفة في يوم القيامة.

«ولَعَذابُ الآخرة اخزىٰ»

أي: إنّ العقاب الصارم لِقَتَلة الإمام الحسين (عليه السلام) سوف لايَقتَصر ولا يَنحَصر بالعذاب الدنيوي، والصَفَعات الدنيويّة المُتَتالية، بل إنّ العذاب الإلهي يَنتظرهم في الآخرة.

إنّ الدنيا سوف تَنْتَهي ويَخْرجُ كلّ إنسانٍ مِن قاعة

← ٩ـ وروىٰ ذلك الحافظ إبن عساكر الشافعي ـ المُتوفّىٰ عام ٥٧١ هـ ـ في كتابه: تاريخ مدينة دمشق قال: حَدّثتنا أُمّ شرف العبديّة، قالت: حدّثتني نضرة الأزديّة قالت: لمّا قُتل الحسين بن علي مَطرَتِ السماء دَماً، فاصبَحتُ وكلّ شيء لنا مَلآن دَماً. «المحقّق»

الإمتحان، وعندها يكون المُجرمون في قَبضة مَحْكمة العدالة الإلهيّة، فمَن يُخلّصُهُم - في ذلك اليوم - مِن رسول اللّه جَدّ الحسين؟!

«وأنتُم لا تُنصَرون»

أي: لا تَجِدون مَنْ يَنصركم يومَ القيامة، ومَن يُنجّيكم مِن العذاب الأليم، لأنَّ طرَفَ النِزاع: هو الإمامُ المظلومُ البَريءُ المَقتول: الإمامُ الحسين (عليه السلام) ذاكَ الرجلُ العظيم الّذي زَيّنَ اللّهُ تعالىٰ العَرشَ الأعلىٰ باسمه «إنّ الحسين مِصباحُ الهُدىٰ وسَفينةُ النجاة» ومِن الواضح أنّه سوف لا يَتَنازلُ عن حَقّه.. مهما كانتْ نفسيَّتُه المُقدّسة عالية وفوق كلِّ تصوّر. لأنّ المجرمين ضَرَبوا ارقاماً قياسيّة في اللُؤم والخُبْث والغَدْر والجناية!

والمُخاصِمُ لأهل الكوفة: هو اشرفُ الخَلْق واعزّ البَشَر عند اللّه تعالىٰ: وهو سيّدنا محمد رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وهو ايضاً لا يَتنازل عن دَم إبنِه الحَبيب العزيز، وعن سَبْي بناته الطاهِرات!

والمُحامي: هو جبرئيل سيّدُ أهلِ السماء، حيثُ يَقِفُ ظهْراً لِرسول اللّه في قضيّة مَلَف مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

ونوعيةُ الجريمة وحَجْمُها ومُضاعَفاتُها. . تابىٰ شُمولَ الغُفْران والعفو الإلهي لها، لعدم وجود الفوضىٰ في أجهزة القضاء الإلهيّة، فاللازم إعطاء كلّ ذي حَقٍ حَقَّه.

هذا أوّلاً. .

وثانياً: إنّ من آثار هذه الجريمة النَكراء: هو انّها تَمنَعُ المُجرِمَ مِن التوفيق للتوبة والإنابة إلى اللّه، كما صرَّح بذلك الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

ويَجبُ علينا انْ لا نَنْسىٰ انّ كِبار قُوّاد جيش الكوفة. . كانوا مِن الّذين قد كتَبُوا إلى الإمام الحسين بانْ ياتي إليهم في الكوفة، ووَعَدوه بالنَصْر. . حتّىٰ لو آلَ الأمرُ إلى القَتْل والقِتال، وإلى التضحية بِبَذْلِ دِمائهم وأرواحِهم، وخَتموا رسائلَهم بتَوقيعاتهم وأسمائهم الصَريحة.

إلى درجة انّ البعض مِنْهم اعطىٰ لِنَفْسه الجُراة في انْ يَكتُب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الكلمات: «إنْ لَم تَاتِنا فسوف نُخاصِمُك غَداً ـ يومَ القيامة ـ عند جَدّك رسول اللّه»!!

فَهُمْ ـ إذنْ ـ كانوا يَعرفون الإمامَ الحسين، «وليس مَن يَعرف كمَن لا يَعرف» والأحاديثُ الشريفة تَقول: «إنّ اللّه تعالىٰ يَغْفِرُ للجاهِل سبعين ذَنْباً. . قَبْلَ ان يَغْفِرَ للعالِم ذَنْباً واحِداً».

«فلا يَسْتَخِفنّكمُ المُهَل»

المُهَل ـ بضَمّ الميم ـ جَمْع المُهْلة: وهي بمعنىٰ الإنظار والإمهال وعَدَم العَجَلَة.[1]

أي: لا يَصيرُ الإمْهالُ والتأخير في الإنتقام سَبَباً لِخِفّة نُفوسِكم وانتِعاشِها مِن الطرَب والفَرَح، وبذلك تأخذُكم سَكْرة الإنتِصار والظفَر. فالإنتصار الذي يَتعَقّبُه العذابُ الأليم ـ مع فاصِلٍ زَمَني قَصير ـ لا يُعتَبرُ إنتصاراً حقيقيّاً، بل هو سَرابٌ مُؤقّت، لايَعترفُ به العُقَلاء، فـ«لا خَيرَ في لَذّةٍ وَراءَها النارُ»!

إنّ الإمْهال ليسَ دليلاً علىٰ الإهْمال، فإنّ اللّه تعالىٰ قد يُمْهِل، ولكنّه (سُبحانه) لا يُهْمِل.

وبناءً علىٰ هذا.. فلا يكون الإمْهال سَبَباً لِتَصوّرٍ خاطيء منْكم بانّ عِلّةَ تاخير العِقاب هي انّ الجريمة قد تَمّ التَغاضي والتَغافُل عنها، ولَسَوف تُنسىٰ بِمُرور الأيّام، لأنّها شيء حَدَث وانتَهىٰ.. بلا مُضاعَفات لاحِقة، او انّ الإنتقام غيرُ وارد حيث انّ الأمور قد فَلَتتْ مِن اليَد.

كلاّ.. ليسَ الأمرُ كذلك، بل شاءَ اللّهُ تعالىٰ ان يَجعَلَ الدنيا دارَ إمتحان لِجميع الناس: الأخيار والأشرار، وقرّر ان يَدفَع كلُّ مَن يُخالفُ أوامرَ اللّه ضَريبةَ مُخالَفَته.. إنْ عاجِلاً او آجِلاً.

---

(١) كما يُستفاد ذلك مِن «مجمَع البحرين» للطريحي.

فعَدَم تَعجيل العُقوبة لا يَعني ان الأمور مُنفَلتة مِن يَد اللّه الغالب القاهر العليّ القدير، فهو المُهَيمنُ علىٰ العالَم كلّه. لكنّه قد يُؤخّر الجزاء لأسرار وحِكم يَعلَمُها سبحانه، فهو لا يُعجّل العذاب للعاصِين - أحياناً او غالباً - ولكنّه بالمِرْصاد، فكما انّ الجُندي الذي يَجْلس وَراءَ المِتْراس يُراقِبُ ساحةَ الحرب، ويَنتظر الوقتَ المُناسِب للهجوم او لإطلاق القَذيفة، كذلك العذاب الإلهي يَنزل في التَوقيت المُناسِب.. مع مُلاحَظة سائر اسرار الكون. ولا مُناقَشَة في الأمثال.

قال تعالىٰ: ﴿ولا تَحْسَبَنّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعمَلُ الظالِمُون، إنّما يُؤخّرهُمْ لِيَومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصار، مُهْطِعين مُقْنِعي رُؤوسِهم، لا يَرتَدّ إليهِم طَرْفُهُمْ وأفئدتُهم هَواء﴾ .[1]

وقد رُويَ عن الإمام اميرالمؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال: «ولَئنْ أمْهَلَ اللّهُ الظالمَ فَلَنْ يَفُوتَ اخْذُه، وهو لَهُ بالمِرْصاد علىٰ مَجاز طريقِه وبمَوضِع الشجا مِن مَساغِ رِيقِه» .[2]

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢ و٤٣.

(٢) نهج البلاغة، طبْع لبنان، المَطبوع مع تعليقات صُبحي الصالح، ص ١٤١، خطبة ٩٧.

«فإنّه لا يَحفِزُهُ البِدار»

«يَحفِزُه» يُقال: تَحَفَّزَ في مَشْيه: اي جَدَّ واسرَعَ[١] فهو مُحْتَفِز: اي: مُسْتَعجِل[٢] والحَفْز: الإعجال في الأمر للبَطْش وغيره.

«البِدار» يُقال: بَدَرَ إلى الشيء مُبادرةً وبِداراً: أسرَعَ[٣] وبَدَرَ فُلاناً بالشيء: عاجَلَه به.[٤].

تَقول السيّدة زينب (عليها السلام): إعلموا ـ يا اهل الكوفة ـ: انّ عَدَمَ نُزولِ العَذاب الإلهيّ عليكم.. ليسَ سَبَبُه الإهمال، فإنّ اللّه تعالىٰ لا تَدْفَعُه العَجَلة إلى إنزال العذاب، لأنّ الحِكْمة الإلهيّة تَجْعَل إطاراً للمُقدّرات الكونِيَّة، ومنها: إختيار التوقيت المُناسب لِنُزول العذاب، وإختيار نَوْعِيّته.

هذا اوّلاً..

وثانياً.. لقد جاء في الحديث الشَريف انَّ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) سَالَ ربَّه انْ لا يُعاجِلَ أمَّتَه

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) مَجْمَع البحرين للطريحي.

(٣) نَفْس المصدر.

(٤) المُعْجَم الوَسيط.

بالعذاب في الدنيا، واستَجابَ اللّهُ تعالىٰ لِرسوله ذلك، فجَعَل مِن القوانين الكونيّة عدَم نزول العذاب الغَيْبي علىٰ الأُمّة الإسلاميّة ـ في الدنيا ـ كرامةً واحتراماً لِرَسول اللّه، وهذه الكرامة لم تكُن لِغَير نَبيٍّ الإسلام، مِن الأُمم السالفة، والأنبياء السابقين في الزمَن.

فمَعنىٰ قول السيّدة زينب (عليها السلام): «فإنّه لا يَحفِزُه البِدار» أي: لا يَحُثُّ اللّه ـ سُبحانَه ـ شيءٌ علىٰ تعجيل العقوبة والإنتقام، لِوجود اسباب وأسرار كونيّة، ولِعَدَم خوف إنفلات المُجرم مِن قَبْضة العدالة الإلهيَّة. ونَقرأ في الدعاء: «ولا يُمكنُ الفِرارُ مِن حُكومتكَ».

«ولا يَخافُ فَوْتُ الثار، وإنّ رَبّك لبالمرصاد»

فسَوف ياتي الإمامُ المهدي المُنتَظر (عجّلَ اللّه ظُهورَه) ويَنتَقِم مِن قَتَلة الإمام الحسين.. في الدنيا، أمّا في الآخرة.. فَسَتكون اولُ دُفعة ـ مِن البَشَر ـ يُؤمَرُ بهم إلى نار جَهنّم: هم قَتَلة الإمام الحسين (عليه السلام).

المِرْصاد: المَكْمَن، وهو المَكان الّذي يُختَفىٰ فيه عن أعين الأعداء، بانتظار التوقيت المُناسِب للهُجوم أو الدِفاع.

* * * *

قال الراوي:

«فواللّه لقد رأيتُ الناسَ ـ يومئذٍ ـ حَيارىٰ يَبكون، وقد وَضَعوا أيديَهم في أفواههم(١). ورأيتُ شَيخاً واقِفاً إلى جَنْبي يَبكي حتّىٰ اخضَلّتْ لحْيَتُه، وهو يَقول: «بأبي أنتُم وأمّي!! كُهولُكم خيرُ الكُهول، وشَبابُكم خيرُ الشباب، ونِساؤكم خيرُ النساء، ونَسْلُكم خيرُ نَسْل لايُخْزىٰ ولا يُبْزىٰ».

* * * *

إلى هنا إنتهىٰ ما هو مذكور في الكتُب حول نَصّ الخُطبة، وللقارىء الكريم أنْ يَتساءَل: ماذا حَدَثَ بَعدَ ذلك؟

الجواب: هذا ما سَتَقْرؤه في الصفَحات القادمة إنْ شاء اللّه.

---

(١) لعلّ وَضْع أيديهم في أفواهِهم كانَ مِن أجْل حَبْس أصوات بُكائهم كي لا تُغطّي علىٰ صوت السيّدة زينب (عليها السلام) وبذلك يَستمروا في الإستماع إلى خُطبتها، أو كانَ ذلك لِعَضّ أصابعهم بسَبَب شِدّة النَدَم والتأثُّر للجريمة التي ارتكبوها، أو المُصيبة الكبرىٰ الّتي نَزلَتْ بالإسلام والمسلمين. المحقّق

كيفَ ولماذا قَطعوا
علىٰ السيّدة زينب خِطابها؟

كانت السيّدة زينب (عليها السلام) الشُجاعة المَفْجوعة تَتكلّم بصوت شَجيّ، وكلّ كلمةٍ منها تُلْهِبُ احاسيس الحُزْن والأسىٰ والنَدَم في الناس، حتّىٰ ضَجَّ الناس بالبُكاء والعَويل، وارتَبَكتْ قُوّاتُ الأمن والشُرطة، وصارَ كلٌّ إحتمال لِلتَمَرُّد والإنتفاضة وارداً، فكيفَ يَتَصرّفون؟!

وماذا يَصْنَعون حتّىٰ يَقْطعوا علىٰ السيّدة زينب خِطابَها، ويَصْرفوا اذهانَ الناس إلى شيء آخَر؟!

هناك مَن يَقول: امَروا بحَركة القافلة، وجاؤا بالرُمح الذي عليه راس الإمام الحسين (عليه السلام) وقَرّبُوهُ مِن مَحْمِل السيّدة زينب، وتَعالتْ صَرخاتُ الناس: هذا راسُ الحسين.. هذا راس الحسين!!

وكانتْ عَينا الإمام مَفتوحَتين، وهو يَنظرُ نَظْرةً فَريدة، وَصَفَها المُؤرّخون بِقَولهم: «شاخِصٌ بِبَصره

نحو الأُفُق»!

وهُنا لم تَستَطع السيِّدة زينب أن تَستمرّ في الخُطبة رَغمَ شَجاعتها وانطلاقها بالكلام، فهاجَ بها الحُزْن من ذلك المَنْظر الذي وَتَّرَ اعصابَها، واوشَكَ انْ يَقْضي عليها.. بسَبَب الألَم الذي بَدا يَعْصِرُ قَلبَها العَطوف عَصْرةً يَعْلَمُ اللّهُ دَرَجَتها.

فكان رَدّ الفِعْل منها انّها نَطحَتْ جَبينَها بِمُقَدَّم المَحْمِل.. وبكلّ قوّة، حتّىٰ سال الدم مِن راسها وجَبْهَتها، وأوْماتْ (اي: اشارتْ) إليه بخِرْقة ـ حَسَب العادة العَشائريّة المُتّبَعة يومذاك، عند رؤية جَنازة الفَقيد الغالي ـ، وشاهَدتْ انّ الناس يُشيرون بأصابع أيديهم إلى راس الإمام الحسين، كما يُشيرون إلى مَكان وجود الهِلال في أول ليلةٍ مِن الشَهْر!

فنادَت السيّدة زينب (عليها السلام):

يا هِلالاً لَمّا اسْتَتَمّ كمالا

غالَه خَسْفُهُ فَابْدىٰ غُروبا

ما تَوَهّمْت يا شَقيقَ فُؤادي

كان هذا مُقَدّراً مَكْتُوبا

ويَتصوّر احَدُ الشُعراء ـ وهو الحاج هاشم الكعبي ـ ذلك

الـمَـوقف الحَزين ويَـقول: كانـت مع السيّـدة زينب (عليهـا السلام) في مَـحْمِـلـها بنـت صغيرة للإمام الحسين (عليه السلام) فحيـنَـمـا راتْ راس ابـيـهـا بَـدات تُـناديه: يـا ابَـه.. يـا ابـه.. كلّـمْـني اينَ كُـنـتَ! ولمّـا لَـمْ تَـسْـمَـع جَـواباً إنـفَـجَـرتْ بالبكـاء الـشَـديد، فـنادَتْ السيّـدة زينب مُخاطـبَـةً راس أخـيـها الـعَـزيز:

أخـي: فاطمَ الصَـغيرةَ كلِّـمْـها فـقـد كادَ قَـلْـبُـها انْ يَـذوبـا

* * * *

الإحـتـمـال الثاني: انّ الإمـام علي بن الحسين (عليه السلام) تَـقـدّم إلى عَـمّـتـه ـ ولـعـلّ ذلك كـان بامْـرٍ مِـن الـشُـرطـة ـ وقـال: ياعـمّـة! أسـكُـتي، فَـفي البـاقي مِـن الـمـاضـي إعـتـبـار، وانـتِ بحمْـداللّـه عـالِـمَـة غير مُـعَـلَّـمـة، وفَـهِـمَـة غـيـرُ مُـفَـهّـمَـة، إنّ الـبُـكاء والـحَـنين لا يَـرُدّان مَـنْ قـد ابـادَهُ الـدَهـرُ، فسَـكـتَـتْ.[1]

---

(١) الإحـتـجـاج للشيـخ الطـبـرسي، طـبْـع لبـنان، عـام ١٤٠٣هـ، ج٢ ص٣٠٥.



نَصّ خطبة السيّدة زينب

برواية أخرىٰ

ورَوىٰ الشيخ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» نَصّ الخُطبة مع وجود بعض الفُروق بين النُسختين، ونحن نَذكُرُ ذلك، تَتْميماً للفائدة:

قال حذيم الأسَدي: لم ارَ - واللّه - خَفِرةً قطّ انْطقَ مِنْها، كانّها تَنطِقُ وتُفْرغُ علىٰ لسان علي (عليه السلام) وقد اشارتْ إلى الناس بانْ انصِتُوا، فارتَدّتْ الأنفاسُ وسَكنَتْ الأجراس، ثمّ قالتْ - بَعْدَ حَمْد اللّه تعالىٰ والصلاة علىٰ رسوله -: «أمّا بَعْد، يا اهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَتْلِ والغَدْر والخَذْل.[1]

(١) الخَذْل: ترك النُصْرة والإعانة. مجمَع البحرين للطريحي.

الا فَلا رَقَات العَبْرة ولا هَدأتْ الزَفْرة.

إنّما مَثَلُكم كمَثَلِ الّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِن بَعْد قوّةٍ انكاثاً، تَتّخذون ايمانكم دَخَلاً بينَكم، هل فيكم إلّا الصَلف والعجب، والشنف، والكذب، ومِلْق الإماء وغمز الأعداء، أو كمَرْعىٰ علىٰ دِمنة، أو كفِضّةٍ علىٰ مَلْحُودة، الا بِئسَ ما قَدّمَتْ لكم انفسُكم انْ سَخِطَ اللّهُ عليكم وفي العَذاب انتُمْ خالِدون.

أتَبكونَ اخي؟!

أجَل ـ واللّه ـ فابكوا فإنّكم أحْرىٰ بالبكاء، فابكوا كثيراً واضحَكوا قليلاً، فقد أبْليتُم بِعارها، ومُنيتُم بِشَنارها، ولَن تَرحَضُوها ابَداً، وانّىٰ تَرحَضونَ قَتْلَ سَليلِ خاتَم النُبوّة، ومَعدن الرسالة، وسيّد شباب اهل الجَنّة، ومَلاذ حَربِكم، ومَعاذ حِزْبِكم ومَقَرّ سِلْمِكم وآسي كلمكم، ومَفْزَع نازِلتكم، والمَرْجع إليه عند مُقاتَلتكم، ومِدرةَ حُجَجكم، ومَنار مَحَجّتكم.

الا ساءَ ما قَدّمَتْ لكم انفسُكم، وساءَ ما تَزِرون لِيَوم بَعْثِكم، فَتَعْساً تَعساً!! ونَكساً نَكساً!! لقد خابَ السَعيُ، وتَبّت الأيدي، وخَسِرت الصَفْقةُ، وبُؤتُم بغَضَبٍ مِن اللّه، وضُربتْ عليكم الذِلّة والمَسْكَنة..

اتَدْرون ـ وَيلَكم ـ ايَّ كبدٍ لمُحمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله

وسلّم) فَرثتُم؟!

وايّ عَهْدٍ نَكثْتُم؟!

وايّ كريمةٍ لَهُ ابرَزْتُم؟!

وايّ حُرْمة له هَتكْتُم؟!

وايّ دَمٍ له سَفَكتُم؟!

لقد جِئتُمْ شيئاً إدّاً، تَكادُ السَماواتُ يَتفطّرنَ مِنْه، وتَنْشَقّ الأرضُ، وتَخِرّ الجبالُ هَدّا؟!

لقد جئتُم بها شَوْهاء، صَلْعاء، عنقاء، سوداء، فَقْماء، خَرقاء، كطِلاع الأرض، او مِلْء السماء.

افَعَجبْتُمْ انْ تُمطرَ السماءُ دَماً، ولَعذابُ الآخرة اخزىٰ، وهم لا يُنْصَرون.

فلا يَسْتخِفَنّكم المُهَل، فإنّه (عزّوجلّ) لا يحفزه البِدار، ولا يُخشىٰ عليه فَوتُ الثار، كلاّ إنّ ربّك لنا، ولَهُم لَبالمِرْصاد، ثمّ انشَاتْ تَقول (عليها السلام):

ماذا تَقولونَ إذْ قالَ النبيُّ لكم
ماذا صَنَعْتُمْ وانتُم آخِرُ الأُمَمِ

باهلِ بيتي واولادي وتكرمَتي
مِنْهمْ أُساریٰ ومنْهم ضُرّجوا بدَمِ

ما كان ذاك جَزائي إذ نَصحْتُ لكم
انْ تَخلُفوني بسُوءٍ في ذَوي رَحِمي
إني لأخشىٰ عليكم ان يَحِلّ بكم
مِثْلُ العذاب الذي اودىٰ علىٰ إرم
ثمّ ولّتْ عنهم ... . » إلى آخر الرواية. [1]

(١) كتاب «الإحتجاج» للشيخ الطبرسي ج٢ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥، طبْع ايران، عام ١٤٠١هـ، وذُكرت هذه الخطبة في الكُتُب التالية:

١ ـ مَجالس الشيخ المفيد.
٢ ـ امالي الشيخ الطوسي.
٣ ـ بَلاغات النساء، لابن طيفور.
٤ ـ مقتل الإمام الحسين، للخوارزمي.
٥ ـ البيان والتبيين، للجاحظ.
٦ ـ روضة الواعظين، للفَتّال.
٧ ـ مَطالب السؤول، لمحمّد بن طلحة الشافعي.
٨ ـ مَناقِبُ آل ابي طالب، لإبن شهر آشوب.

الفَصل الرابع عشر

- دار الإمارة
- السيّدة زينب في مجلس ابن زياد
- ماذا جَرىٰ بَعْدَ ذلك؟



دار الإمـارة

كـانـت دار الإمـارة في الكوفـة ـ قـبْـل حـوالي عـشريـن سنة مِن فـاجعـة كربلاء ـ مَـقراً للإمـام أمير المـؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) وكـانـت الـسـيّدة زيـنـب تعـيش في ذلـك المكـان في ظِـلِّ والـدها أميرالمؤمنين، وهـي فـي أوج الـعِــزَّة والعـظمة، وفـي جـوٍّ ممْـلوء بالعواطـف والإحـتـرام، فيما بـيـن إخـوتها وذَويـها.

والآن! وبعد عـشرين سنة أصبحتْ دارُ الإمـارة مَسكنـاً للدَعيِّ بن الدعيّ: عـبيـد الله بن زياد، وتَـبـدَّلتْ مـعنويّـات دار الإمـارة مـائـة بالمـائـة، فـبعـد أنْ كـانتْ مَـسكن أولـيـاء اللّـه، صـارتْ مـسْـكن ألـدِّ اعـداء اللّه، والأم خَـلْـق اللّه.

واليـوم دخلت السـيّـدة زينب إلى دار الإمـارة، وهي في حـالة تَـخـتـلـف عمّـا مضىٰ قبل ذلك.

ذكـرَ الـشـيـخُ المفيد في كتاب (الإرشاد) ما يلي:

ثمّ إنّ ابـن زياد جَلسَ في قـصـرْ الإمــارة، واذِنَ للنـاس إذْنـاً عامّـاً، وامَـرَ بإحـضار راس الإمام الحسيـن (عليه السـلام) فأحـضِـرَ

ووُضعَ بينَ يديه، وجَعَل يَنظر إليه ويَبتَسم، وكان بيده قضيب فجعلَ يَضرب به ثناياه!!

وكان إلى جانبه رجل مِن الصَحابة يُقال له: «زيدبن أرقم» وكان شيخاً كبيراً، فلمّا رآه يَفعل ذلك قال له: «إرفَعْ قضيبَك عن هاتين الشَفَتين، فواللّه الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيتُ ثنايا رسول اللّه ترتَشِفُ ثناياه»[1] ثمّ انتَحَبَ وبكىٰ!

فقال ابن زياد: أتَبكي؟ أبكىٰ اللّه عينَيك، واللّه لولا انّك شيخ قد خَرِفْتَ وذَهبَ عقلُك لأضربنّ عُنقَك، فنَهضَ مِن بين يديه وصارَ إلى منزله.[2]

وجاءَ في التاريخ: انَّ إبنَ زياد أمَرَ بالسَبايا إلى السِجن، فحُبِسُوا وضُيِّقَ عليهم، ثمّ أمَرَ انْ ياتوا بعلي بن الحسين (عليهما السلام) والنِسْوَة إلى مَجلِسِه.[3]

---

(١) وفي نسخة: لقد رايتُ شَفَتي رسول اللّه عليهما ما لا أحصيه كثْرةً يُقبّلهما.

(٢) كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد ص ٢٤٣ وكتاب «المنتخَب» للطريحي ص ٤٦٤، المجلس العاشر.

(٣) كتاب «امالي الصدوق»، ص ١٤٠، وكتاب «رَوضة الواعظين» للفَتّال، ج١، ص١٩٠.

السيّدة زينب في مجلس ابن زياد

ذكرَ الشيخُ المفيد في كتاب «الإرشاد»:

«وأدخِلَ عيالُ الحسين (عليه السلام) علىٰ ابن زياد، فدخلتْ زينب أختُ الحسين في جُملَتهم مُتنَكّرةً وعليها أرذَلُ ثيابها، فمَضَتْ حتّىٰ جَلستْ ناحيةً مِن القَصْر، وحَفّتْ بها إماؤها.

فقال ابنُ زياد: مَن هذه التي انحازتْ ناحيةً ومعَها نساؤها؟!

فلمْ تُجبْه زينب.

فأعادَ القول ثانيةً وثالثةً يَسأل عنها؟

فقالتْ له بعضُ إمائها: هذه زينبُ بنتُ فاطمة بنت رسول اللّه.

فاقبَلَ عليها ابنُ زياد وقال لها: الحمْدُ للّه الذي فَضَحكم

وقَتَلكم وأكذبَ أحدوثتكم.[١]

فقالت زينب: الحمْدُ للّه الّذي أكرمَنا بنَبيّه محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وطهّرَنا مِن الرجْس تطهيرا، وإنّما يُفتَضَحُ الفاسقُ ويكذبُ الفاجرُ، وهو غيرنا والحمدُ للّه.

فقال ابنُ زياد: كيفَ رايتِ فِعْلَ اللّهِ باهلِ بيتكِ؟![٢]

فقالت: ما رأيتُ إلّا جَميلاً، هؤلاء قومٌ كتَبَ اللّهُ عليهمُ القتْلَ، فَبَرزوا إلى مَضاجِعِهم، وسَيَجْمعُ اللّهُ بينَك وبينَهم فتُحاجّون إليه وتَختَصِمون عنده[٣] فانظرْ لِمَن الفَلَج يومَئذٍ، ثَكلَتْكَ أمّك يابنَ مَرجانة!!

فغَضِبَ ابنُ زياد واستَشاط[٤]، فقال له عمْرو بن حُريث: أيّها الأمير، إنّها امرأة والمرأة لا تُؤاخَذ بشيء مِن مَنطقِها.

فقال ابنُ زياد: لقد شَفىٰ اللّهُ قلبي مِن طاغيتكِ الحسين

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس»: الأُحدوثة ـ بالضمّ ـ: ما يُتحدّث به. قال ابن بَرّي: الأُحدوثة: بمعنىٰ الأعجوبة، يُقال: قد صارَ فلانٌ أحدوثةً. وقال الطريحي في «مَجمَع البحرين»: «الأُحدوثة: مايَتحدّث به الناس».

(٢) وفي نسخة: «كيف رايتِ صُنْعَ اللّه باخيك واهل بيتك»؟

(٣) وفي نسخة: فتُحاجُّ وتُخاصَم.

(٤) وفي نسخة: «فغَضبَ وكانّه هَمَّ بها»: اي: اراد ضَرْبَها او قتْلَها.

والعُصاةِ المَرَدة مِن اهل بيتكِ.

فَرَقّتْ زينبُ وبكتْ وقالت له: لَعَمْري لقد قَتَلْتَ كَهْلي، وقَطعْتَ فَرعي، واجتَثَثْتَ أصْلي، فإنْ كان هذا شِفاؤك فقد اشتَفيت.

فقال ابنُ زياد: هذه سَجّاعة، ولَعَمْري لقد كان أبوها سَجّاعاً شاعراً.[١]

ثمّ التفَتَ ابنُ زياد إلى عليّ بن الحسين وقال له: مَن أنتَ؟[٢]

فقال: أنا عليٌّ بن الحسين.

فقال: أليسَ اللّه قد قَتَلَ عليّ بن الحسين؟

فقال علي: قد كان لي أخٌ يُسمّىٰ عليّ بنَ الحسين، قَتَلَه الناس.

فقال ابنُ زياد: بلْ اللّه قَتَلَه.

فقال عليُ بن الحسين: اللّه يَتوفّىٰ الأنفُسَ حينَ موتها.

---

(١) وفي نسخة: هذه شُجاعة ولَعمْري لقد كان ابوها شُجاعاً. كما في نسخة «تاريخ الطبري» ج٥ ص٤٥٧.

(٢) وفي نسخة: «مَن هذا»؟

فغَضبَ ابنُ زياد وقال: ولك جُراة علىٰ جَوابي[1] وفيك بَقيّة للرَدّ عليّ؟! إذهَبوا به فاضرِبوا عُنُقَه.

فتَعَلّقَتْ به زينبُ عمّتُه، وقالت: يابنَ زياد! حَسْبُك مِن دِمائنا. واعتَنَقتْهُ وقالت: واللّه لا أفارقُه، فإن قَتَلْتَه فاقتُلْني معه.

فنَظَر ابنُ زياد إليها وإليه ساعة، ثمّ قال: عَجَباً للرَحِم! واللّه إنّي لأظنّها وَدّتْ انّي قتَلْتُها معه، دَعوهُ فإنّي أراه لِما به.[2]

ثمّ امَرَ ابنُ زياد بعليّ بن الحسين وأهله فحُمِلوا إلى دارٍ جَنْب المسجد الأعظم، فقالت زينبُ بنت علي: «لايَدخُلَنّ علينا عَرَبيّة إلاّ أمّ ولَد او مَمْلوكة، فإنّهنّ سُبينَ وقد سُبينا.[3][4]

* * * *

(١) وفي نسخة: ويك جُراة لِجَوابي.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤، وكتاب المَلهوف، لابن طاووس، ص٢٠١ ـ ٢٠٢، وتاريخ الطبري ج٥ ص٤٥٧.

(٣) سُبينَ: أُسِرْنَ.

(٤) بحار الأنوار ج٤٥ ص ١١٨، والملهوف ص ٢٠٢.

في هذا الحِوار القَصير بينَ الخَير والشرّ، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين القداسة والرجْس، وبين رَبيبة الوحي وعقيلة النبوّة وبين الدعيّ ابن الدعيّ! إنكشَفَتْ نَفسيّات كلّ مِن الفَريقين.

أرأيتَ كيفَ صَرّح ابنُ زياد بالحِقْد والعِداء لأهل بيت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) والشماتة وبِذاءة اللسان، وحقارة النفس ودناءة الروح، وقذارة الأصل؟

فهو يَحمدُ اللّه تعالىٰ علىٰ قَتْل أولياء اللّه، وتَدفعُه صلافةُ وجْهه أن يقول: «وفَضَحكم»، وليتَ شِعري أيّة فضيحة يَقصدها؟!

وهل في حياة أولياء اللّه مِن فضيحة؟!

أليسَ اللّه تعالىٰ قد أذهَبَ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟!

أليسَ نَسَبُهُم أرفع نَسَبٍ في تاريخ العظماء؟!

أليستْ حياتهم مُتلألأة بالفضائل والمكارم؟!

وهل ـ والعياذ باللّه ـ توجد في حياتهم مَنقَصة واحدة أو عيب واحد حتّىٰ يُفتَضحوا؟

ولكن ابن زياد يقول: «وفضحكم».

ويَزدادُ ذلك الرجْس عُتُوّاً ويقول: «واكذب أحدوثتكم» الأُحدوثة: ما يَتحدّث به الناس، والثناء والكلام الجميل،

والقرآنُ الكريم هو الذي يُثْني علىٰ آل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فهل أكذبَ اللّه تعالىٰ القرآنَ الذي هو كلامه (عزّوجلّ)؟!

والرسول الأقدس ـ الذي ما يَنطق عن الهَوىٰ إنْ هو إلاّ وَحيٌ يوحىٰ ـ قد أثنىٰ علىٰ أهل بيته بالحقّ والصِدْق، فهلْ أكذَبَ اللّه تعالىٰ رسولَه الأطهر، الذي هو أصدقُ البَريّة لَهْجةً؟!

وقد فَرَضَتْ الضَرورَةُ علىٰ حفيدة النبوّة، ووَليدة الإمامة، ورَضيعة العِصْمة أن تَتنازل وتُجيب علىٰ تلك الكلمات الساقطة السافلة.

مـاذا جَـرىٰ بَـعْـدَ ذلـك؟

قال الشيـخُ المفيـد في (الإرشاد): ولمّا أصبَـحَ عبيـدُ اللّـه بـن زياد بَعثَ بـراس الحسين (عليه السلام) فَـدير بـه (أي: طِـيفَ به) في سِـكـك الكوفـة كلّـهـا وقبائـلهـا.

فـرُويَ عن زيـد بن أرقـم انـه قال: مُـرَّ بـه عليّ وهـو علىٰ رُمـح وانا في غـرفـةٍ لي[1] فلمّـا حـاذاني سَـمـعْـتُـه يَـقـرأ: «أمْ حـسِـبتَ أنّ أصحابَ الكـهْـفِ والرَقـيـمِ كانوا مِـن آياتـنـا عَـجَـبا»[2].

فــوَقَــف ـ واللّــه ـ شَـعْـري ونـاديتُ: راسُـكَ ـ واللّـه ـ يـابنَ رسول اللّـه أعجَـب وأعجَـب.[3]

---

(١) الغُـرفـة: الحُـجْـرة الـمُـطـلّـة علىٰ الطـريـق.

(٢) سورة الكـهـف، الآيـة ٩.

(٣) الارشـاد للشيـخ المفيـد ص ٢٤٥.

وذكرَ السيّد ابن طاووس في كتاب (المَلهوف): قال الراوي: ثمّ إنّ ابن زياد صَعدَ المنبر فحَمَدَ اللّهَ واثنىٰ عليه، وقال ـ في بعض كلامه ـ: «الحمْدُ للّه الّذي اظهَرَ الحقّ واهْلَه، ونَصَرَ اميرَ المؤمنين يزيد واشياعه، وقَتلَ الكذّاب بن الكذّاب!!

فما زادَ علىٰ هذا الكلام شيئاً حتّىٰ قامَ إليه عبدُاللّه بن عفيف الأزدي ـ وكان مِن خِيار الشيعة وزُهّادها، وكانت عَينُه اليُسرىٰ قد ذَهبتْ يومَ الجَمَل، والأُخرىٰ يومَ صفّين، وكانَ يُلازمُ المسجدُ الأعظم فيُصلّي فيه إلى الليل ـ فقال: يابنَ مَرجانة! إنّ الكذّاب ابن الكذّاب انتَ وابوك ومَن استَعملَك وابوه، يا عدوّ اللّه! اتَقتُلونَ اولادَ النبيّين وتَتكلّمون بهذا الكلام علىٰ مَنابر المسلمين؟!

فغَضِبَ ابنُ زياد وقال: مَن هذا المُتكلّم؟

فقال: انا المُتكلّم يا عدوّ اللّه! اتَقتُل الذُريّة الطاهِرة التي قد اذهَبَ اللّه عنها الرجْس، وتَزعم انّك علىٰ دين الإسلام.

واغوثاه! اينَ اولادُ المهاجِرين والأنصار، لِيَنتَقِمُونَ مِنْك ومِن طاغيتك، اللعين بن اللعين علىٰ لسان محمّد رسول ربّ العالَمين.

فازدادَ غضَبُ ابن زياد حتّىٰ انتَفَخَتْ اوداجُه، وقال: عليّ به، فتَبادَرتْ الجَلاوزةُ مِن كلّ ناحية لِياخذوه، فقامتْ

الأشـراف مِن بَـني عـمّـه، فـخَـلّـصـوهُ مِـن ايـدي الجَـلاوزَة واخـرجـوه مِن باب المسجد، وانطـلَـقوا به إلى مَـنزله.

فـقالَ ابـنُ زيـاد: إذهَـبوا إلى هذا الأعـمىٰ ـ اعمىٰ الأزد، اعمىٰ اللّـهُ قلبَـه كما اعمىٰ عَـينَـه ـ فـإيـتوني بـه.

فـانـطـلَـقـوا إليـه، فلمّـا بَـلَـغَ ذلـك الأزد إجـتَـمَـعـوا واجـتَـمَـعـتْ معَـهـم قَـبائـلُ اليَـمَـن لِـيَـمـنَـعوا صاحبَـهم.

وبَـلَـغَ ذلك ابنَ زيـاد، فـجَـمَـعَ قَـبـائـل مُـضَـر وضَـمَّـهم إلى محمّـد بن الأشعـث، وامَـرَهم بقِـتـال القـوم.

قال الـراوي: فاقـتَـتـلوا قـتـالاً شـديـداً، حـتّـىٰ قُـتِـلَ بيـنَـهـم جماعـة مِـن العَـرب.

ووَصَـلَ أصـحـابُ ابـن زيـاد إلى دار عـبـداللّـه بن عـفـيـف، فكسَـروا البابَ واقـتَـحَـمُـوا عليه.

فصاحَـتْ ابـنـتُـه: اتـاك القـوم مِـن حيـث تَـحْـذر!

فـقـال: لا عليكِ ناوليـنـي سَـيفي، فـنـاولَـتْـه إيّـاه، فـجَـعَـلَ يَـذُبّ عـن نـفـسـه ويقـول:

انا ابنُ ذي الفَـضْـل عفيف الطاهر　　عـفيـف شيـخي وابن أمّ عـامِـر

كم دارع مِـن جَـمْـعكم وحـاسِـر　　وبطـلٍ جَـدَلْـتُـه مُـغـاور

وجَـعلـتْ ابنـتُـه تَـقـول: يا ابتِ ليـتَـني كنـتُ رجـلاً أخاصِـمُ بينَ يديـك اليـوم هـؤلاء القـوم الفَـجَـرة، قاتِلي العِـتْـرة الـبَـرَرة.

وجَعَلَ القومُ يَدورونَ عليه مِن كلّ جِهةٍ، وهو يَذبّ عن نفسه فلم يَقدر عليه احَد، وكلّما جاؤوه مِن جِهة قالت ابنتُه: يا ابتِ جاؤوك مِن جهة كذا، حتّىٰ تَكاثَروا عليه واحاطوا به.

فقالت ابنتُه: واذُلّاه يُحاطُ بابي وليسَ له ناصِرٌ يَستَعينُ به.

فجَعلَ يُديرُ سَيفَه ويَقول:

أُقسِمُ لو يُفسَحُ لي عن بَصَري   ضاقَ عليكم مَوردي ومَصدري

فما زالوا به حتّىٰ اخذوه، ثمّ حُمِلَ فأُدخل علىٰ ابن زياد.

فلمّا رآه قال: الحَمْدُ للّه الّذي اخزاك.

فقالَ له عبدُاللّه بن عفيف: يا عدوّ اللّه وبماذا اخزاني اللّه؟!

واللّه لو فُرّجَ لي عن بَصَري   ضاقَ عليك مَوردي ومَصدري

فقال له ابنُ زياد: ماذا تقول ـ يا عبداللّه ـ في أميرالمؤمنين عثمان بن عفّان؟

فقال: يا عبْد بَني علاج، يابن مَرجانة ـ وشَتَمه ـ ما انتَ وعثمان بن عفّان اساءَ امْ احسَن، واصلَحَ امْ افسَد، واللّه تعالىٰ وليُّ خَلْقه يَقضي بينَهم وبين عثمان بالعَدل والحقّ، ولكنْ سَلْني عنك وعن ابيك وعن يزيد وابيه؟

فقالَ ابنُ زياد: واللّه لا سالتُك عن شيء او تَذوق الموتَ غصّةً بعدَ غصّة.

فقال عبداللّه بن عفيف: الحمدُ للّه ربّ العالَمين، اما إنّي قد كنتُ اسالُ اللّهَ ربّي ان يَرزقَني الشَهادة مِن قَبْل ان تَلدك أمُّك، وسالتُ اللّهَ انْ يَجعلَ ذلك علىٰ يَدَيْ العَن خَلْقه، وابغَضِهم إليه، فلمّا كُفَّ بَصَري يَئسْتُ مِن الشهادة، والآن.. فالحمْد للّه الّذي رَزقَنيها بعد الياس منها، وعَرّفَني الإجابةَ بِمَنّه في قديم دُعائي.

فقالَ ابنُ زياد: إضربوا عُنُقَه.

فضُربتْ عُنقُه وصُلِبَ في السَبْخة.[1][2]

---

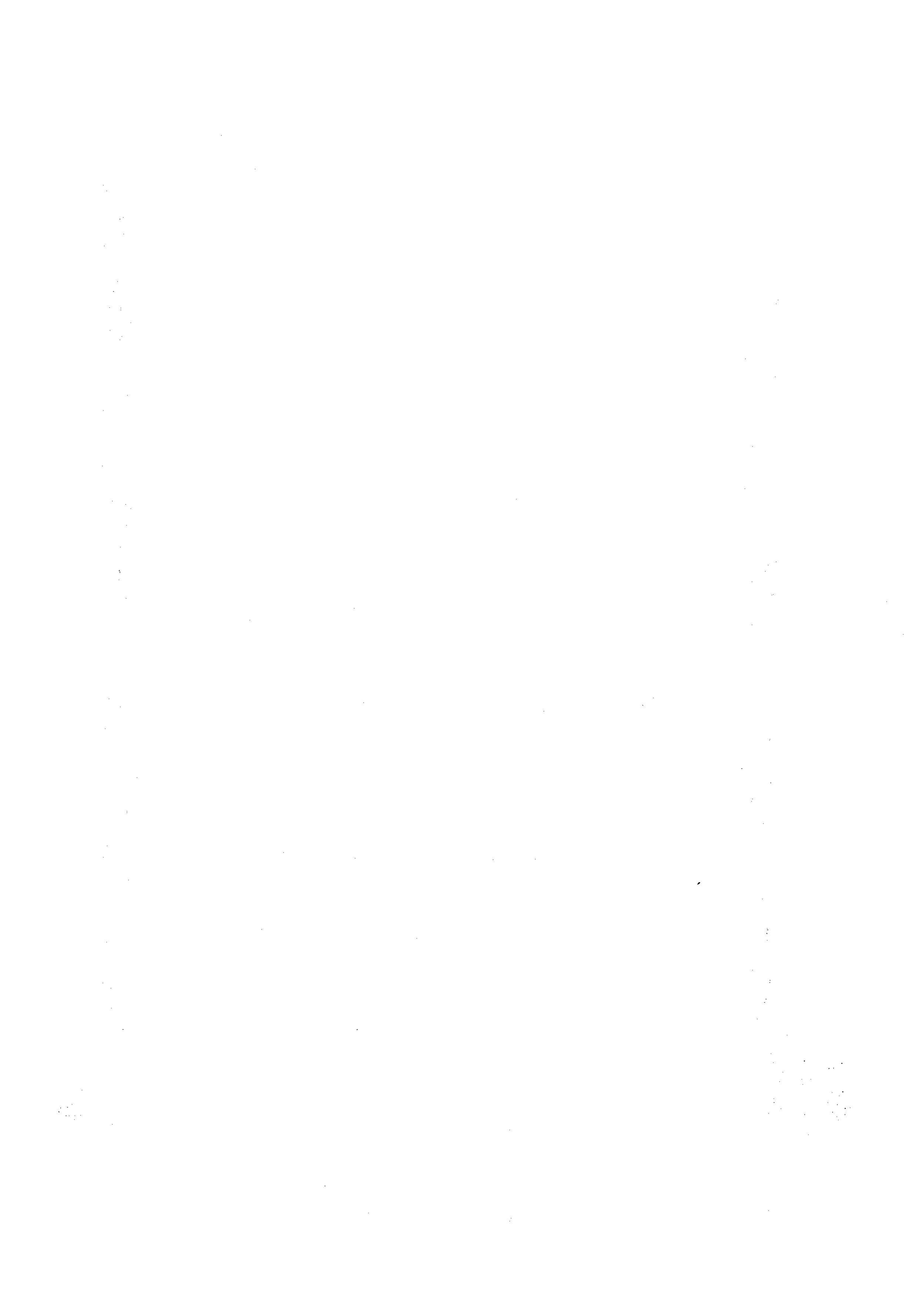
(١) السبخة: إسم موضع في الكوفة.

(٢) كتاب (المَلْهوف) للسيد ابن طاووس ص ٢٠٣ ـ ٢٠٧.



الفَصل الخامس عشَر

- تَرْحيل آل رسول اللّه إلى الشام
- السيّدة زينب الكبرىٰ في طريق الشام
- السيّدة زينب الكبرىٰ في الشام
- الدخول في مجلس الطاغية يزيد
- ماذا حَدَثَ في مجلس يزيد؟
- رأسُ الإمام الحسين في مجلس الطاغية يزيد



تَرْحيل آل رسول اللّه إلى الشام

وقد جاءَ في كُتُب التاريخ: أنّ ابنَ زياد كتَبَ إلى يزيدبن معاوية رِسالةً يُخبِرهُ فيها بقَتْل الإمام الحسين وأسْرِ نِسائه وعِياله، وتَفاصيلَ أُخرىٰ عن الفاجعة.

فكتَبَ يزيدُ في جواب رسالتِه: انْ يَبعثَ إليه براس الحسين ورؤوس مَن قُتِلَ مَعَه، والنساء الأُسارىٰ.

فاستَدعىٰ ابنُ زياد بـ«مخَفَّر بن ثعلبة العائذي» و«شمر ابن ذي الجَوشَن» للإشراف علىٰ القافلة ومَن مَعَها مِن الحَرَس، وسَلَّم إليهم الرؤوس والأسرىٰ، وأمَرَ بـ«عليّ بن الحسين» ان تُغَلَّ يَدَيه إلى عُنُقه بسِلْسِلَةٍ مِن حَديد!

فساروا بِهِنَّ إلى الشام كما يُسارُ بسَبايا الكُفّار، يَتَصفَّحُ وجوهَهُنّ اهلُ الأقطار![1]

---

(١) كتاب «المَلْهوف» ص ٢٠٨، و«الإرشاد» للشيخ المفيد ص ٢٤٥.



السيّدة زينب الكُبرىٰ في طريق الشام

لا نَعلَم ـ بالضَبط ـ كم طالت المُدّة الّتي تَمَّ فيها قطعُ المَسافة بَينَ الكوفة والشام، ولكنّنا نَعلَم أنّها كانتْ رحْلة مَليئة بالإزعاج والإرهاق وأنواع الصعوبات، فَقَد كانَ الأفراد المُرافِقون للعائلة المُكرّمة قد تَلقَّوا الأوامر بأن يُعاملوا النساء والأطفال بِمُنتهىٰ القساوة والفَظاظة، فلا يَسمَحوا لَهم بالإستراحة اللازمة مِن أتعاب الطريق ومَشاقّه وصُعوباته، بل يُواصلوا السَير الحَثيث، للوصول إلى الشام وتقديم الرؤوس الطاهرة إلى الطاغية يزيد.

ومِن الثابت ـ تاريخيّاً ـ أنّه كانَ للسيّدة زينب (عليها السلام) الدَورَ الكبير في: إدارة العائلة، والمُحافَظة علىٰ حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وحِماية النساء والأطفال، والتَعامُل معَهم بكلِّ عاطفة وحَنان.. مُحاولةً منها مَلأُ بعض ما كانوا يَشعرون به مِن الفَراغ العاطفي،

والحاجَة إلى مَن يُهَوِّن عليهم مَصائبَ الأسْر ومَتاعِبَ السَفَر.

ورُويَ عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال:

«إنّ عَمَّتي زينب كانتْ تُؤدّي صَلَواتها: الفَرائضَ والنَوافِلَ.. مِن قِيام، عند سَيْر القوم بِنا مِن الكوفة إلى الشام!

وفي بعض المَنازل كانتْ تُصلّي مِن جُلوس! فسَألتُها عن سَبَب ذلك؟

فقالت: أصلّي النوافِلَ مِن جُلوس لِشِدَّة الجوع والضَعف، وذلك لأني مُنذُ ثلاث لَيال، أوزّعُ مايُعطونَني مِن الطعام على الأطفال، فالقوم لا يَدفَعونَ لكلٍّ مِنّا إلّا رَغيفاً واحِداً مِن الخُبْز في اليوم والليلة!!»[1]

أجل..

وقد كانت الحِكْمةُ والمصْلَحةُ تَقتضي انّ الإمامَ زينَ العابدين (عليه السلام) يَبقىٰ بمَعْزِل عن انتباه الأعداء والجواسيس المُرافقين، ولا يَتكلّم بايّة جُملةٍ مِن شانها جَلْب الإنتباه إليه. ولذلك فقد جاء في التاريخ: انّ الإمام علي بن الحسين ماكانَ يُكلِّمُ أحَداً مِن القوم.. طِوالَ الطريق

(١) كتاب «زينب الكُبرىٰ» للشيخ جعفر النَقدي، ص ٥٩.

إلى أنْ وَصَلوا إلى باب قَصْر يزيد بدمشق![1]

مِن هنا . . فقد كان الدَور الأكبر مُلْقىٰ علىٰ عاتِقِ السيّدة الكفوءة زينب العظيمة (عليها الصلاة والسلام).

ورغم قِلّة المَعْلومات التي وَصَلتْنا عَمّا جَرىٰ علىٰ السيّدة زينب في طريق الشام مِن الحوادث، إلّا انّنا نَذكر هذه المَقطوعات والعَيّنات التاريخيّة الّتي تُعبّر للقارىء المُتدبِّر الذكيّ عن أمور كثيرة، وعن الدَور العظيم والمَسؤوليّات الجَسيمَة التي قامتْ بها السيّدة زينبُ الكبرىٰ (عليها السلام) طِوالَ هذه الرِحْلة:

ونَقرأ في بعض كتُب التاريخ: انّ في طريقهم إلى الشام مَرّوا علىٰ منطقة «قَصْر مُقاتل»[2] وكان ذلك اليوم يوماً شَديدَ الحَرّ، وقد نُزفَت القِربةُ التي كانَت مَعَهم وأُريق ماؤها[3] فاشتَدَّ بهمُ العطش، وأمَرَ عمرُبنُ سعد جماعةً مِن قومه أن يَبحَثوا عن الماء، وأمَرَ أن تُضرَب خَيمة لِيَجلسَ

---

(١) كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد، ص ٢٤٥.

(٢) قصر مقاتل: قصر كان بين «عين التمر» والشام. مَنسوب إلى مُقاتل بن حسان. وقيل: كان ذلك قُربَ القطقطانة. كما في «مَراصِد الإطلاع في اسماء الأمكنة والبِقاع» للبغدادي.

(٣) نُزفَت القِربة: نَفَدَ ماؤها وجَفَّتْ.

فيها هو واصحابُه، لكي تَحْميهِم مِن حَرارة الشمس، وتَركوا عائلةَ الإمام الحسين (عليه السلام) وجميعَ النساء والأطفال. . تَصْهَرُهم الشمس، واقبَلَت السيّدة زينبُ (عليها السلام) إلى ظلّ جَمَلٍ هناك، وقد امسَكتْ بالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) وهو في حالةٍ خطيرة. . قد أشرف علىٰ الموت مِن شِدّة العطش، وبيَدها مِروَحة تُروِّحُه بِها مِن الحَرّ، وهي تَقول: «يَعُزُّ عليَّ انْ اراك بهذا الحال يابنَ أخي»!

وذَهبَتْ السيّدةُ سكينة بنتُ الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ظِلّ شجرة كانت هناك، وعَمِلَتْ لِنَفسها وِسادةً مِن التُراب ونامَتْ عليها، فما مَضَتْ ساعة إلّا وبَدا القومُ يَرحَلون عن ذلك المكان مع السَبايا، وتَركوا سكينة نائمة في مكانها.

فقالتْ فاطمةُ الصُغرىٰ ـ وكانتْ عديلة سكينة[1] ـ للحادي[2]: «اينَ أختي سكينة؟! واللّه لا اركبُ حتّىٰ تاتي بأختي».

فقال لها: وأينَ هي؟

---

(١) عَديلة: العَديلُ: الّذي يُعادلُك في المَحْمل. كما في كتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٢) الحادي: السائق للإبل.

قالت: لا أدري اينَ ذَهبَتْ.

فصاحَ السائق للقافلة باعلىٰ صوته: ياسكينة هَلُمّي واركبي مَعَ النساء؟

فلمْ تَستَيقِظ سكينة مِن نَومَتها لِشِدّة ما بِها مِن التَعَب والإرهاق، وبَقيتْ نائمة.

ولمّا أضَرَّ بها الحَرُّ والعطش إنتَبَهَتْ مِن نَومتها، وجَعَلَتْ تَمشي خَلْفَ غُبار القافلة وهي تَصيح: «أخيّه فاطمة! السْتُ عَديلَتَك في المَحْمِل! وانتِ الآن علىٰ الجَمَل وانا حافية؟!».

فعَطفَتْ عليها أختُها، وقالتْ للحادي: «واللّه لَئنْ لم تاتني بأختي لأرمِينَّ نفسي مِن هذا الجَمَل، وأطالبُك بِدَمي عند جَدّي رسول اللّه يومَ القيامة»!

فقالَ لها: مَن تكونُ أختُكِ؟

قالت: سكينة التي كان الحسين يُحبّها حُبّاً شديداً، فَرَقّ لها الحادي، ورَجَعَ إلى الوَراء حتّىٰ وَجَد أختَها وأركبَها معَها.[1]

---

(١) كتاب (الدَمعة الساكبة) للبهبهاني المُتوفّىٰ عام ١٢٨٥هـ، طبْع لبنان، ج٥، ص٧٥. وقد نَقلْنا الحادثة مع تغييرٍ يَسير في بعض العبارات. المُحقّق

وقد جاءَ في التاريخ - أيضاً - انَّ في ليلة مِن الليالي، بَينَما القومُ يَسيرونَ في ظَلام الليل، بَدأتْ السيّدةُ سكينةُ بنتُ الإمام الحسين (عليهما السلام) بالبُكاء، لأنَّها تَذكّرتْ أيّامَ أبيها، وماكانَ لَها مِن العِزِّ والإحترام، ثمّ هي - الآن - أسيرة بعْدَ انْ كانتْ أيّامَ ابيها عَزيزة، واشتَدَّ بُكاؤها، فقال لها الحادي: أُسكُتي يا جارية! فقد آذَيْتيني بِبُكائكِ!

فما سَكتَتْ، بل غَلَب عليها الحُزْنُ والبكاء، وانَّتْ انَّةً مُوجِعَة، وزَفَرَتْ زَفْرَةً كادَتْ رُوحُها انْ تَخْرُج!!

فَزَجَرَها الحادي وسَبَّها، فَجَعَلَتْ سكينةُ تَقول -في بُكائها- واأسَفاهُ عليك يا أبي! قَتَلوك ظُلْماً وعُدْوانا!

فغَضِبَ الحادي مِن قَولها وأخَذَ بِيَدها وجَذَبَها ورَمىٰ بها علىٰ الأرض!!

فلمّا سَقَطتْ غُشِيَ عليها، فما افاقَتْ إلّا والقافِلة قد مَشَتْ، فقامَتْ وجَعَلتْ تَمشي حافيةً في ظلام الليل، وهي تَقومُ مَرَّةً وتَقعُدُ مَرَّةً!! وتَسْتَغيثُ باللّه وبابيها، وتُنادي عَمَّتَها، وتَقول: ياأبتاه مَضَيتَ عَنّي وخَلَّفْتَني وَحيدةً غَريبةً، فإلىٰ مَن التَجِيءُ وبِمَنْ الوذُ في ظُلْمة هذه الليلة في هذه البَيْداء؟!!

فركضَتْ ساعةً مِن الليل وهي في غاية الوَحْشَة! فَلَمْ تَرَ اثَراً مِن القافِلة، فسَقَطتْ مَغْشِيَّةً عليها!!

فعِنْدَ ذلك إقتُلعَ الرُمح ـ الذي كانَ عليه رأسُ الحسين ـ مِن يَدِ حامِله، وانشَقَّت الأرضُ ونَزلَ الرُمحُ إلى نِصْفِه في الأرض، وثَبُتَ كالمِسْمار الّذي يُثَبَّتُ في الحائط!!

وكلّما حاولَ حامِلُ الرُمح انْ يُخرجَه مِن الأرض.. لم يَتَمكَّن! واجتَمَعتْ جماعة مِن القوم وحاولوا إخراج الرُمح فلمْ يَستَطيعوا ذلك.

فاخبَروا بذلك عمرَ بنَ سعد، فقال: إسالوا عليّ بنَ الحسين عن سَبَب ذلك.

فلمّا سالوا الإمام (عليه السلام) قال: قُولوا لِعَمَّتي زينب تَتَفَقَّد الأطفال، فَلَرُبَّما قد ضاعَ مِنْهم طفل.

فلمّا قيلَ لِزَينب الكبرىٰ ذلك، جَعَلَتْ تَتَفَقَّدُ الأطفال وتُنادي كلَّ واحدٍ مِنْهم باسْمِه، فلمّا نادتْ: بُنَيَّه سكينة لم تُجِبْها! فَرَمَتْ السيّدة زينبُ (عليها السلام) بِنَفسِها مِن علىٰ ظهر الناقة! وجَعَلَتْ تُنادي: وا غُربَتاه! وا ضَيعَتاه! وا حُسَيناه!

بُنَيَّه سكينة: في ايِّ ارضٍ طرَحُوكِ!

امْ في ايّ وادٍ ضَيَّعُوكِ! ورَجَعَتْ إلى وَراءِ القافِلة وهي تَعْدو في البَراري حافِية، واشواكُ الأرض تَجْرَحُ رِجْلَيها، وتَصْرَخ وتُنادي!!

وإذا بِسَوادٍ قد ظهَر فَمَشَتْ نَحْوَه وإذا هي سكينة، فَرَجَعَتا مَعاً نحو القافلة.[١]

ورُويَ عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) انّه سَالَ اباهُ عليَّ بنَ الحسين (عليهما السلام) عَمّا جَرىٰ لَه في طريق الشام؟

فقالَ الإمامُ عليُّ بنُ الحسين: حُمِلْتُ علىٰ بَعيرٍ هَزيل، بِغَير وِطاء، وراسُ الحسين (عليه السلام) علىٰ عَلَم، ونِسْوَتُنا خَلْفي، علىٰ بِغال، والحَرَسُ خَلْفَنا وحَولَنا بالرماح، إنْ دَمِعَتْ مِنْ احَدِنا عَينٌ قُرِعَ راسُه بالرُمح! حتّىٰ دَخَلْنا دمشق، صاحَ صائحٌ: يا اهلَ الشام: هؤلاء سَبايا أهل البيت.[٢]

(١) كتاب «مَعالي السِبطين» ج٢، الفَصل الثالث عشر، المجلس الثالث عشر، وهو يَنقل ذلك عن كتاب «مِصْباح الحرمَين».

(٢) كتاب «الإقبال» للسيّد ابن طاووس.

السيّدة زينب الكُبرىٰ في الشام

ووَصَل موكبُ الحُزْن والأسىٰ إلى دمشق: عاصمة الأمويّين، ومَركز قِيادَتهم، وبُؤرة الحِقْد والعِداء، ومَسْكن الأعداء الألدّاء.

وقد إتّخَذَ يزيدُ التَدابيرَ اللازمة لِصَرْف الأفكار والأنظار عن الواقع والحقيقة، مُحاوِلاً بذلك تَغْطيةَ الأُمور وتَمْويهَ الحقائق، فأمَرَ بتَزيين البلدة بأنواع الزينة، ثمّ الإعلان في الناس عن وصول قافلة أُسارىٰ وسَبايا، خَرجَ رجالُهم مِن الدين فقَضىٰ عليهم يزيد وقتَلَهم وسَبىٰ نساءَهم لِيَعتَبر الناسُ بهم، ويَعْرفوا مَصيرَ كلّ مَن يَتَمَرّد علىٰ حُكْم يزيد!

ومِن الواضح انّ الدعاية والإعلام لها دَورُها في تَمْويه الحقائق، وخاصّةً علىٰ السُذّج والعَوام مِن الناس.

إستمعْ إلى الصحابي: سَهْل بن سعد الساعدي قال: «خَرجْتُ إلى بيت المقدس، حتّىٰ تَوَسّطتُ الشام، فإذا انا بمدينةٍ مُطّرَدةِ الأنهار، كثيرةِ الأشجار، قد عَلّقُوا السُتور والحُجُب والديباج، وهم فَرِحون مُستَبشِرون، وعندهم نساءٌ يَلعَبْنَ بالدُفوف والطبُول.

فقلتُ ـ في نفسي ـ: لا نَرىٰ لأهل الشام عيداً لا نَعْرفه نحن. فرايتُ قوماً يَتحدّثون، فقلتُ: ياقوم لكم بالشام عيدٌ لا نَعْرفه نحن؟!

قالوا: ياشيخ نَراك اعرابياً غريباً!

فقلتُ: انا سَهلُ بنُ سعد، قد رايتُ محمّداً (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

قالوا: ياسَهْل، ما اعجَبَك السماء لا تُمْطِر دَماً، والأرض لا تَنْخَسِف باهلِها!

قلتُ: ولِمَ ذاك؟

قالوا: هذا راس الحسين عِتْرة محمّد يُهْدىٰ مِن ارض العراق!

فقلتُ: واعَجَباه.. يُهْدىٰ راسُ الحسين والناسُ يَفرحون؟!

ثمّ قلتُ: مِن ايّ باب يَدخل؟

فأشاروا إلى بابٍ يُقال له: «باب الساعات».

فبينا انا كذلك إذْ رأيتُ الرايات يَتْلُو بَعْضُها بعضاً، فإذا نحنُ بفارس بيده لواء مَنزوع السنان(١) عليه رأسٌ مِن أشْبَه الناس وَجْهاً بِرَسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

فإذا انا مِن وَرائه رأيتُ نِسْوةً علىٰ جِمال بغير وِطاء، فدَنَوتُ مِن أُولاهنّ، فقلتُ: ياجارية: مَن انتِ؟

فقالت: أنا سكينة بنتُ الحسين.

فقلتُ لها: ألَكِ حاجة إليَّ؟ فأنا سَهْل بنُ سعد ممّن رأىٰ جَدّكِ وسمِعَتُ حَديثَه.

قالتْ: ياسَهل: قُلْ لِصاحِب هذا الرأس انْ يُقدّم الرأس امامَنا، حتّىٰ يَشتَغِل الناسُ بالنظر إليه ولا يَنظروا إلى حُرَم رسول اللّه.

قال سَهلُ: فدَنوتُ مِن صاحِب الرأس فقلتُ له: هل لكَ انْ تَقضي حاجتي وتأخذ مِنّي اربعمائة ديناراً؟

قال: ما هي؟

قلتُ: تُقدّمُ الرأسَ امامَ الحرَم.

---

(١) اللواء: العَلَم، وهو دون الراية. كما في «المعجَم الوسيط».
والسِنان: الحَديدة التي في راس العَلَم او راس الرُمح.

فـفَـعَـلَ ذلـك .

فـدَفَـعـتُ إليـه مـا وَعَـدْتُـه ... . »[١].

* * * *

ولمّا ادخَـلوهُـنّ دمشـق طـافـوا بـهِـنّ فـي الشـوارع الـمُـؤدّيَـة إلى قَـصْـر الطاغيـة يـزيـد، ومـعَـهُـنّ الـرؤوس علىٰ الـرمـاح، ثـمّ جـاؤا بـهِـنّ حـتّـىٰ اوقَـفـوهُـنّ علىٰ دكّـةٍ كـبـيـرةٍ كـانـتْ أمـامَ بـاب المسجـد الجامـع، حيـث كـانـوا يـوقِـفُـون سَبـايـا الـكـفّـار علىٰ تـلـك الدكّـة[٢]، ويُـعْـرضـونَـهـم لـلـبـيـع، لِـيَـتـفَـرَّج علـيـهـم الـمُـصـلّـون لَـدىٰ دخـولهـم إلى المـسـجـد وخـروجـهـم مـنـه، وبـذلـك يَـخْـتـاروا مَـن يُـريـدونَـه للإسـتـخـدام ويَـشْـتـروه.

نـعـم، إنّ الّـذيـن كانـوا يَعتـبرون انـفـسَـهم مُـسـلـمـين، ومِـن أمّـة محمّد رسول اللّه. . اوقَـفوا آلَ الرسول علىٰ تلك الدكّـة.

يـا لَـلأسَـف !

يـا لَـلـمـاسـاة !

يـا لَـلـفـاجـعـة !

---

(١) بحـار الأنـوار للـشيـخ المجـلـسي، ج٤٥ ص١٢٧ باب ٣٩. وكـتـاب «تَـظـلّـم الزهـراء»، ص ٢٧٥.

(٢) كـتـاب «مَـعـالـي الـسـبـطـيـن» ج٢، ص ١٤٠ الـفـصـل الـرابـع عـشَـر، المجـلـس الـرابـع. وقـد نَـقـلْـنـا مَـضـمـونَ ذلـك.

يا لَلمُصيبة!

وجاءَ شيخ[١] ودَنىٰ مِن نساء الحسين (عليه السلام) وقال:

«الحمْدُ للّه الذي قَتَلَكم واهلَككم، واراحَ البلاد مِن رجالكم، وامكنَ امير المؤمنين مِنْكم».

فقالَ لَه عليُ بنُ الحسين (عليه السلام): «يا شيخ: هلْ قَراتَ القرآن»؟

قال: نعم.

قال: فهَل عَرفْتَ هذه الآية: ﴿قُلْ لا اسالُكم عليه اجراً إلاّ المَودَّةَ في القُربىٰ﴾[٢]؟

قال الشيخ: قد قَراتُ ذلك.

فقال له الإمام: «نَحنُ القُربىٰ يا شيخ، فهل قَراتَ: ﴿وآتِ ذا القُربىٰ حَقّه﴾؟[٣]

فقالَ الشيخ: قد قَراتُ ذلك.

فقال الإمام: «فنَحنُ القُربىٰ يا شيخ، فهَلْ قَراتَ

---

(١) شيخ: اي: رجل طاعِن في السِن.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية ٢٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية٢٦.

هذه الآية ﴿واعلَمُوا انّما غَنِمْتُم مِن شيء فانّ لِلّه خُمُسَه وللرسول ولِذِي القُربىٰ﴾»؟[١]

قال: نعم.

فقال الإمام: «فنَحنُ القُربىٰ يا شيخ، وهل قرأتَ هذه الآية: ﴿إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾».[٢]

قال الشيخ: قد قرأتُ ذلك.

فقال الإمامُ: «نَحنُ أهلُ البيت الّذين خَصّنا اللّه بآية الطهارة يا شيخ».

قال الراوي: بَقيَ الشيخُ ساكتاً نادِماً علىٰ ما تَكلّم به، وقال ـ مُتَعَجّباً ـ: تاللّه إنّكمْ هُمْ؟!

فقالَ عليُ بنُ الحسين: «تاللّه إنّا لَنَحْنُ هُمْ.. مِن غير شَك، وحَقّ جَدّنا رسول اللّه إنّا لَنَحنُ هُمْ».

فبكىٰ الشيخُ ورَمىٰ عِمامَتَه، ثمّ رَفَع راسَه إلى السماء وقال: اللهُمّ إنّي ابرأ إليك مِن عَدوّ آلِ محمّد، مِن الجِنّ والإنس.

---

(١) سورة الانفال، الآية ٤١.

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

ثمّ قال: هلْ لي مِن تَوْبة؟

فقالَ له الإمامُ: «نعم، إنْ تُبْتَ تابَ اللّهُ عليك، وأنتَ مَعَنا».

فقال الشيخ: أنا تائب.

فبَلَغ يزيدَبنَ معاوية حديثَ الشيخ، فأمَرَ به فقُتِلَ.[1]

---

(١) كتاب «المَلهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف» ص ٢١١. وكتاب «تَظلُّم الزهراء»، ص ٢٧٨



الدخول في مجلس الطاغية يزيد

رُويَ عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) أنّه قال: «لمّا ارادوا الوفود بنا علىٰ يزيد بن معاوية أتَوْنا بحبال وربَطونا مِثْلَ الاغنام[1] وكان الحَبْلُ بِعُنُقي وعُنُق أمّ كلثوم، وبكتِف زينب وسكينة والبُنَيّات، وساقُونا وكلّما قَصُرْنا عن المَشي ضَرَبونا، حتّىٰ اوقَفُونا بينَ يَدَي يزيد، فتَقدّمتُ إليه - وهو علىٰ سَرير مَمْلَكته - وقلتُ له: ماظنُّك برسول اللّه لو يَرانا علىٰ هذه الصِفة»؟!

فامَرَ بالحِبال فقُطّعتْ مِن اعناقنا واكتافنا.[2]

ورُويَ - ايضاً - انّ الحَريم لما أُدخِلنَ إلى يزيد بن

---

(1) وفي نسخةٍ: و رَبّقُونا.

(2) كتاب «المنتَخَب» للطريحي، ج ٢ ص ٤٧٣، المجلس العاشر. وكتاب «تَظلُّم الزهراء» ص ٢٧٨.

معاوية، كان يَنظرُ إليهنّ ويَسأل عن كلّ واحدةٍ بعَينها وهُنّ مُربَّطات بِحَبْلٍ طويل، وكانتْ بينَهنّ امرأة تَسْتُر وَجْهَها بِزَنْدها، لأنّها لم تَكُنْ عندَها ما تَسْتُر به وَجْهَها.

فقال يزيد: مَن هذه؟

قالوا: سكينة بنت الحسين.

فقال: أنتِ سكينة؟

فبَكتْ واختَنَقتْ بعَبْرتها، حتّىٰ كادتْ تَطلُع روحُها!!

فقال لها: وما يُبكيكِ؟

قالت: كيف لا تَبكي مَن ليسَ لها سِتْرٌ تَسْتُر وَجْهَها وراسَها، عنك وعن جُلسائك؟![1]

---

(١) كتاب «المنتَخَب» للطريحي، ج٢ ص٤٧٣، المجلس العاشر. وكتاب «تَظلُّم الزهراء» ص ٢٧٩.

مـاذا حَـدَث فـي مجلـس يـزيـد؟

ورَوىٰ الشيـح المُـفـيـد فـي كـتـاب (الإرشـاد): قالـتْ فاطمـة بـنـت الحسيـن (عليـه السـلام):

«فلمّـا جَـلَـسْـنـا بـين يَـدَي يـزيـد رَقَّ لـنـا! فـقـامَ إليـه رجـل مِـن أهـل الشام أحمـر[1] فـقـال: «يا اميرَ المـؤمـنـين! هَـبْ لـي هـذه الجـاريـة ـوهـو يُـعْـنـيـنـي ـ[2]، وكـنـتُ جـاريـة وَضـيئـة[3] فـأُرعِـدْتُ، وظَـنَـنْـتُ انّ ذلـك جـائـزٌ لـهـم، فـاخـذْتُ بـثـيـاب

---

(١) رجـلٌ احـمـر: اي ابـيـض. قـال إبـن مَـنـظـور ـ فـي كـتـابـه «لسـان العـرب» ـ: «... لانّ العَـرب لاتَـقـول: رجلٌ أبـيـض» مِـن بـيـاض اللـون، إنّـمـا الأبـيـض ـ عنـدهـم ـ: الطـاهِـر النَـقـيّ مِن العُـيـوب. فـإذا ارادوا الأبـيـض مِـن اللـون قـالـوا: احـمَـر.   المُـحـقّـق

(٢) يُـعـنـيـنـي: يَـقـصُـدنـي.

(٣) جـاريـة: فَـتـاة. وَضـيـئـة: مُـشـرِقـة جَـمـيـلـة.

عَمَّتي: زينب، ـ وكانتْ تَعلَم انّ ذلك لا يكون ـ وقلتُ:

«يا عَمّتاه: أُوتِمْتُ وأستَخْدَم»؟[١]

فقالت زينب: «لا، ولا كرامة لهذا الفاسق»، وقالت ـ للشامي ـ:

«كذبتَ ـ واللّه ـ ولَؤُمتَ، واللّه ماذلكَ لك ولا لَه[٢]».

فغَضبَ يزيد، وقال: كذبتِ واللّه، إنّ ذلك لي! ولو شِئتُ انْ افعَل لَفَعلْتُ.

قالت [زينبُ]: «كلاّ، واللّه ماجَعَلَ اللّهُ ذلك لك إلاّ انْ تَخرَج عن مِلَّتِنا، وتَدينَ بغير ديننا»!

فاستَطارَ يزيدُ غَضَباً، وقال:

«إيّاي تَسْتقبِلين بهذا؟ إنّما خَرجَ مِن الدين أبوكِ واخوكِ»!!؟

فقالتْ زينبُ: «بدين اللّه، ودين أبي، ودينِ اخي إهتَديتَ انتَ وجَدُّك وابوك.. إنْ كُنتَ مُسْلماً»!

قال: كذبتِ يا عدُوَّةَ اللّه!!

قالتْ له: «انتَ امير تَشْتُم ظالماً، وتَقْهَر

(١) أوتمتُ وأستَخْدَم؟: اي صِرْتُ يتيمة واصير خادمة ايضاً؟

(٢) اي: ولا لِيزيد.

بِسُلْطانِك».

فكأنّه استَحيىٰ وسكت، فعادَ الشامي فقال: هَبْ لي هذه الجارية؟

فقال يزيد: «أعزُبْ! وَهَبَ اللّهُ لك حَتْفاً قاضِياً»!

فقال الشامي: مَن هذه الجارية؟

قال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب!!

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة.. وعلي بن أبي طالب؟!

قال: نعم.

فقال الشامي: لعَنَك اللّه -يايزيد- اتَقتُل عِتْرة نبيّك، وتَسْبي ذرّيته؟ واللّه ماتَوَهَّمْتُ إلاّ انّهم سَبْيُ الروم.

فقال يزيد: واللّه لألحِقَنّك بِهم.

ثمّ امَرَ به فضُربَ عُنُقه.(١)

---

(١) الإرشاد، ص ٢٤٦، وقد حكىٰ ذلك المازندراني في «معالي السبطين» عن الإرشاد، مع بعض الفُروق في الكلمات، ونحن جَمَعْنا بين النسختين. وجاء ذلك ـ ايضاً ـ في تاريخ الطبرى ج٥ ص٤٦١. المحقّق



رأسُ الإمام الحسين (عليه السلام)
في مَجلس الطاغية يزيد

وجاء في التاريخ: ثمّ وُضعَ رأسُ الحسين (عليه السلام) بين يَدَي يزيد، وأمَرَ بالنساء أنْ يُجلَسْن خَلْفه، لِئلاّ يَنظرن إلى الرأس، لكنّ زينب لمّا رأتْ الرأسَ الشريف هاجَ بها الحُزن، فأهوَتْ إلى جَيْبِها فَشَقَّتْهُ ثمّ نادتْ ـ بصوتٍ حَزينٍ يُقْرح القلوب ـ: «يا حُسيناه!

يا حبيبَ رسول اللّه!

يابنَ مكّة ومِنىٰ!

يابنَ فاطمة الزهراء سيّدة النساء!

يابنَ المصطفىٰ»![1]

---

(١) كتاب «المَلْهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف» ص ٢١٣.

قال الراوي: فابكتْ ـ واللّه ـ كلّ مَن كان حاضِراً في المجلس، ويزيد ساكت!

ثمّ دَعىٰ يزيد بِقَضيب خَيزران، فجَعَلَ ينْكُتُ به ثنايا الإمام الحسين عليه السلام.

فاقبَلَ عليه ابو برزة الأسلمي وقال: وَيحك يا يزيد! اتنكُتُ بقضيبك ثَغرَ الحسين بن فاطمة؟! اشهَدُ لقد رأيتُ النبي يَرشِفُ ثَناياه وثَنايا اخيه الحسن ويقول: «انتُما سيّدا شباب اهل الجنّة، قَتلَ اللّهُ قاتليكُما ولعَنَه واعَدّ لَه جهنّم وساءتْ مَصيرا».

فَغَضِب يزيدُ وامَرَ بإخراجه، فأُخرِجَ سَحْباً.[1]

* * * *

وجَعَل يزيد يقول:

لَيتَ اشياخي ببَدْرٍ شَهِدوا
جَزَعَ الخزرج مِن وَقْع الأسَلْ

لأهَلّوا واستَهلّوا فَرَحا
ثمّ قالوا: يا يزيدَ لا تُشَلْ

---

(١) كتاب «المَلْهوف» ص ٢١٤.

قـد قَـتَـلْـنـا القـرم[١] مِـن ساداتـهـم

وعَـدَلْـنـاه بِـبَـدْرٍ فـاعـتَـدلْ

لَـعِـبَـتْ هـاشـمُ بـالـمُـلْـك فـلا

خَـبَـرٌ جـاءَ ولا وَحـيٌ نَـزَلْ

لَـسْـتُ مِـن خِـنْـدَفَ إنْ لـمْ انـتـقِـمْ[٢]

مِـن بَـنـي أحمـدَ مـا كـان فَـعَـلْ[٣]

---

(١) الـقَـرْم: السيِّـد المُـعَـظَّـم. كـمـا فـي المـعـجَـم الوَسـيـط. وفي نـسـخـة: «قـد قـتـلْـنـا الـقَـومَ مِـن ساداتـهـم».

(٢) خِـنْـدف: إسـمُ واحـدةٍ مِـن جَـدّات معاويـة.

(٣) كتاب «المَـلْـهـوف» لابـن طاووس ص ٢١٤ .



الفَصل السادس عشَر

- لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟
- خُطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية يزيد
- شَرح خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد
- نَصّ خُطبة السيّدة زينب على رواية أُخرىٰ



لماذا خُطبة السيّدة زينب في مجلس يزيد؟

لقد شاهَدَت السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) في مجلس يزيد مَشاهِد وقضايا، وسَمِعتْ مِن يزيد كلماتٍ تُعتبر مِن اشدّ انواع الإهانة والإستخفاف بالمُقدّسات، واقبَح اشكال الإستهزاء بالمُعتَقَدات الدينيّة، وابشَع مَظاهِر الدناءة واللُؤم.. في تصرُّفاته الحاقدة!!

مَظاهِر وكلمات يَنكشِفُ منها إلحادُ يزيد وزَندقته وإنكاره لأهمّ المُعتقدات الإسلاميّة.

مُضافاً إلى ذلك.. انّ يزيد قامَ بجريمة كُبرىٰ، وهي انّه وَضَع راسَ الإمام الحسين (عليه السلام) امامَه وبَدا يَضربُ بالعَصا علىٰ شَفَتَيه واسنانِه، وهو ـ حينذاك ـ يَشربُ الخَمر!!

فهَل يَصحّ ويَجوز للسيّدة زينب أن تَسكُت، وهي إبنة صاحب الشريعة الإسلاميّة، الرسول الأقدس سيّدنا محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)؟!

كيف تَسكُت.. وهي تَعلَم أنّ بإمكانها أنْ تُزيّف تلك الدعاوىٰ وتُفَنّد تلك الأباطيل، لأنّها مُسلّحَة بسِلاح المَنطق المُفْحِم، والدليل القاطع، وقُدرة البَيان وقوّة الحُجّة؟!

ولَعلّ التكليف الشرعي فَرَضَ عليها أن تَكشِفَ الغِطاء عن الحقائق المَخفيّة عن الحاضرين في ذلك المَجْلِس الرَهيب، لأنّ المَجْلس كان يَحتوي علىٰ شخصيّات عسْكريّة ومَدَنيّة، وعلىٰ شَتّىٰ طبَقات الناس. فقد كان يزيد قد أذِنَ للناس إذْناً عامّاً لِدخول ذلك المجلس، فمِن الطبيعي أن تَموج الجماهير في ذلك المكان وحول ذلك المكان، وقد خَدَعَتْهم الدعايات الأمويّة، وجَعَلتْ علىٰ أعينهم أنواعاً مِن الغِشاوة، فصاروا لا يَعرفون الحقّ مِن الباطل، منذ أربعين سنة، طيلةَ أيام حُكْم معاوية بن أبي سفيان علىٰ تلك البلاد.

وعلاماتُ الفَرَح والسُرور تَبدو علىٰ الوجوه بسَبَب إنتصار السُلطة علىٰ عِصابةٍ عَرّفَتْهم أجهِزة الدعاية الأمويّة بصورة مُشَوَّهة.

وقد تَعَوَّدَ أهلُ الشام علىٰ مُشاهَدة قَوافل الأسرىٰ التي كانت تُجلَب إلى دمشق بعد الفُتُوحات.

اما يَنبغي لِحَفيدة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أن تَنتَهز هذه الفرصة، وتُجازف بحَياتها في سبيل اللّه، وتَنفُض الغُبار عن الحقّ والحقيقة، وتُعَرّف الباطلَ بكلّ صِراحةٍ ووضوح؟

بالرَغم مِن أنّها كانت أجلّ شأناً، وأرفَع قَدراً مِن أن تَخْطب في مَجْلس مُلَوّث لا يَليقُ بها، لأنّها سيّدة المُخَدّرات والمُحَجَّبات!

ولكنّ الضَرورة أباحَتْ لها أن توقِظ تلك الضمائر التي عاشَتْ في سُبات، وتُعيد الحياة إلى القلوب التي أماتَتْها الشهَوات، وغَمَرتْها أنواعُ الفُجور، والإنحراف عن الفِطْرة، فباتَتْ وهي لم تَسْمَع كلمة موعظة مِن واعظ، ولا نصيحة مِن ناصِح.



خُطبة السيّدة زينب عليها السلام

في مجلس الطاغية يزيد

لقد رَوىٰ الشيخُ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» خُطبة السيّدة زينب الكُبرىٰ (عليها السلام)، ورَواها ـ أيضاً ـ السيّد ابن طاووس في كتاب «المَلهوف».

وبين الروايتين بعضُ الفُروق والإضافات المُهمّة، ونحن نَذكُر ـ أوّلاً ـ نَصَّ الخُطبة علىٰ رواية الطبرسي، ثمّ نَذكُر شَرحاً مُتواضعاً للخُطبة.. وبَعْدَ الفَراغ مِن شَرحِها، نَذكر نصّاً آخَر للخُطبة علىٰ رواية أُخرىٰ مِن دون أن نَشْرح كلمات النَصّ الثاني.

ونَكتفي بذِكْر توضيحات مُختصرة لِبعض كلمات الخطبة ـ علىٰ رواية ابن طاووس ـ في هامش الصفحة، واللّه المُستعان.

رَوىٰ الشيخُ الطبرسي في كتاب «الإحتجاج» مايَلي:

«إحتجاجُ زينب بنت علي بن أبي طالب، حِينَ رَأَتْ يزيد (لعَنَه اللّه) يَضربُ ثَنايا الحسين عليه السلام بالمِخْصَرة[١]».

«رَوىٰ شيخٌ صَدُوق مِن مَشايخ بَني هاشم، وغيرُهُ مِن الناس: أنّه لمّا دَخَلَ عليُ بن الحسين(عليه السلام) وحُرَمُه علىٰ يزيد، وجِيءَ برأس الحسين (عليه السلام) ووُضِعَ بين يَديه في طست، فجَعَل يَضْربُ ثَناياه بمِخْصَرَةٍ كانتْ في يَده، وهو يقول:

لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْك فَلا

خَبَرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نَزَلْ

لَيتَ أشياخي ببَدْر شَهِدوا

جَزَعَ الخَزْرجِ مِن وَقْعِ الأسَلْ

لأهَلّوا واسْتَهلّوا فَرَحا

ولَقالوا: يا يزيدُ: لا تُشَلْ

---

(١) المِخصَرة ـ علىٰ وَزْن مِكنَسَة ـ: عَصا أو شِبْهها، يُتَوكّا عليها.. ويأخذها المَلِك بيده لِيُشيرَ بها إلى ما يُريد. وقيل: هي عصا في رأسِها حَديدة مُحَدَّدة، مِثْل حديدة رأس السَهم. المحقّق

فَجَزيناهُ بِبَدْرٍ مثلاً[1]

واقمْنا مِثْلَ بَدْرٍ فاعتَدلْ

لَسْتُ مِن خِنْدَفَ إنْ لم أنتَقِمْ

مِن بَني احمدَ ما كان فَعَلْ[2]

قالوا: فلمّا رأتْ زينبُ ذلك أهوَتْ إلى جَيْبِها فشَقّتْه[3]، ثمّ نادتْ بِصَوتٍ حَزين يُقْرِحُ القُلوب: «ياحُسَيناه! ياحَبيبَ رسولِ اللّه، يابنَ مكّة ومِنىٰ، يابنَ فاطمةَ الزهراء سيّدة النساء، يابنَ محمّد المصطفىٰ».

---

(١) وفي نسخة: قد قَتَلْنا القومَ مِن ساداتِهم.

(٢) خِنْدَف: لَقَبُ امرأةٍ في الجاهليّة وإلى لَقَبِها إنتَمَتْ قبيلتُها. كما يُستَفاد ذلك مِن كتاب «لسان العرب» لإبن مَنظور. وقيل: هي مِن جَدّات معاوية. المحقّق

(٣) جَيْبُ القَميص: ما يُدْخَل منه الراس عند لبْس القميص. كما في «المُعجَم الوسيط». قال بعضُ المُحقّقين مِن الخُطباء «كانت المراة المُحَجّبة تَلبَس اكثر مِن ثوب ـ في ذلك الزمان ـ، فإذا هاجَ بها الحُزن لِدَرجةٍ كبيرة، تَشُقُّ جَيبها كرَد فِعْل طبيعي للحُزن الشديد الّذي صارَ يَعصِرُ قلبَها بكيفيّة خَطرة، ويَبقىٰ عليها اكثر مِن ثوب غير الثوب الذي شَقّتْ جَيبه.

المُحقّق

قال: فأبْكَتْ ـ واللّه ـ كلَّ مَن كان، ويزيد ساكت، ثمّ قامَتْ علىٰ قَدَمَيها، وأشرَفَتْ علىٰ المجلس، وشَرَعتْ في الخُطبة، إظهاراً لكمالات محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وإعلاناً بأنّا نَصْبِر لِرضىٰ اللّه، لا لِخَوفٍ ولا دَهْشة، فقامَتْ إليه زينبُ بنتُ علي، وأمُّها فاطمة بنتُ رسول اللّه، وقالت:

«الحَمْدُ لِلّه رَبّ العالَمين، والصلاة علىٰ جَدّي سيّد المُرسَلين.

صَدَقَ اللّهُ سُبْحانه، كذلك يَقول: ﴿ثمّ كانَ عاقبةَ الّذين أساؤا السُوئىٰ انْ كذّبوا بآياتِ اللّه، وكانوا بها يَسْتَهزئون﴾.[1]

اظنَنْتَ ـ يا يزيد ـ حِينَ اخذْتَ علينا اقطارَ الأرض[2]، وضَيّقْتَ علينا آفاقَ السَماء، فأصْبَحْنا لك في إسار، نُساقُ إليكَ سَوْقاً في قِطار، وانتَ علينا ذو اقتِدار، انّ بِنا مِن اللّه هَواناً، وعليك مِنْه كرامةً

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

(٢) وفي نسخة: حيثُ اخذتَ...

وامتنانا[١]، وانّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بانفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[٢] والأمور لديك متّسقة، وحين صفى لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا، فمهلاً مهلا، لا تطش جهلا، أنسيت قول اللّه (عزّوجلّ): ﴿ولا يحسبنّ الّذين كفروا انّما نملي لهم خير لأنفسهم، إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً، ولهم عذاب مهين﴾[٣].

أمن العدل ـ يابن الطلقاء ـ تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول اللّه سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تحدُوا بهنّ الأعداءُ من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناقل، ويتبرّزن لأهل المناهل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والشريف والوضيع، والدنيء والرفيع، ليس معهنّ

(١) وفي نسخة: ولك عليه كرامةٌ وامتنانا. المُحقّق

(٢) لعلّ الأصح: مُستوثقة. المحقّق

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

مِن رِجالِهنّ وَلي، ولا مِن حُماتِهنّ حَمِي، عُتُوّاً مِنْك علىٰ اللّه، وجُحُوداً لِرَسول اللّه، ودَفْعاً لِما جاءَ به مِن عند اللّه.

ولا غَرْوَ مِنْك ولا عَجَبَ مِنْ فِعْلِك، وانّىٰ تُرْتَجىٰ مُراقَبَةُ إبنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشُهَداء، ونَبَتَ لَحْمُه بدِماء السُعَداء، ونَصَبَ الحَرْبَ لِسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحِراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسولِ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم). أشَدُّ العَرَبِ لِلّه جُحُوداً، وأنكرُهُم له رَسولاً، وأظهرُهُم لَهُ عُدْواناً، وأعتاهُمْ علىٰ الرَبّ كُفْراً وطُغياناً.

الا إنّها نَتيجَةُ خلالِ الكُفْر، وضَبٌّ يُجَرجِرُ في الصَدْر لِقَتْلىٰ يومِ بَدْر.

فلا يَسْتَبْطيءُ في بُغْضِنا ـ أهلَ البيت ـ مَن كان نَظرُهُ إلينا شَنَفاً وإحَناً واضْغانا، يُظْهِرُ كُفْرَه برسول اللّه، ويُفْصِحُ ذلك بِلِسانِه وهو يَقول ـ فَرِحاً بقَتْل وُلْده وسَبْي ذُرّيّتِه، غيرَ مُتَحَوِبٍ ولا مُسْتَعْظِم، يَهْتِفُ بأشياخه ـ:

لأهَلّوا واسْتَهَلّوا فَرَحاً ولَقالوا: يا يزيدُ: لا تُشَلْ

مُنْحَنِياً علىٰ ثَنايا أبي عبد اللّه ـ وكانَتْ مُقَبَّلُ رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ـ يَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِه، قد التَمَعَ السُرورُ بِوَجْهِه.

لَعَمْري لقد نَكأتَ القُرْحةَ، واستَأصَلْتَ الشأفة، بإراقَتِك دَمَ سيِّدِ شَباب أهلِ الجَنّة، وابنِ يَعْسُوب الدين[1]، وشَمس آلِ عبْد المُطّلب.

وهَتَفْتَ باشياخِك، وتَقَرَّبْتَ بِدَمِه إلى الكَفَرة مِن اسْلافِك، ثمّ صَرَخْتَ بِندائك، ولَعَمْري لقد نادَيتَهم لو شَهِدوك، ووَشيكاً تَشْهَدُهم ولَنْ يَشْهَدوك، ولَتَودُّ يَمينُك ـ كما زَعَمْتَ ـ شُلّتْ بِك عن مِرفَقِها وجُذَّتْ، وأحبَبْتَ أُمَّك لم تَحْمِلْكَ، وإيّاك لمْ تَلِدْ[2]، حِينَ تَصيرَ إلى سَخَط اللّه، ومُخاصِمك رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

اللهُمّ خُذْ بِحَقّنا، وانتَقِمْ مِن ظالِمنا، واحْلُلْ غَضَبَك علىٰ مَن سَفَكَ دِماءَنا، ونَقَضَ ذِمارَنا، وقَتَلَ

---

(١) وفي نسخة: وابن يَعسُوب دين العَرَب. وفي نسخة: وابن يَعسُوب العَرَب.

(٢) وفي نسخة: وإباكَ لمْ يَلِدْك.

حُماتَنا، وهَتَك عَنّا سُدُولَنا.

وفَعَلْتَ فِعْلتَك التي فَعلْت، وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك، وما جَزَرْتَ إلّا لَحْمَك، وسَتَرِدُ علىٰ رسولِ اللّه بما تَحَمّلْتَ من دَم ذُرِيّتِه، وانتَهَكْتَ مِن حُرمَتِه، وسَفكْتَ مِن دِماء عِتْرته ولُحْمَتِه، حيثُ يُجْمَعُ به شَمْلُهم، ويُلَمُّ به شَعَثُهُم، ويَنْتَقِمُ مِن ظالِمِهم، ويأخُذُ لَهُم بحَقِّهِم مِن أعدائهم، فلا يَسْتَفِزنّك الفَرَحُ بقَتْلِهم، ﴿ولا تَحْسَبَنّ الّذين قُتِلوا في سبيل اللّه أمواتاً، بل أحياءٌ عند رَبّهِمْ يُرزَقون، فَرِحِين بما آتاهُمُ اللّهُ مِن فَضْله﴾.[1]

وحَسْبُك باللّه وَلِيّاً وحاكِماً، وبرسول اللّه خَصْماً، وبجَبْرائيل ظَهِيرا.

وسَيَعْلَمُ مَن بَوّاك ومَكّنَكَ مِن رِقابِ المُسلمين انْ ﴿بِئْسَ للظالمين بَدَلاً﴾ وأيّكُمْ شَرٌّ مَكاناً وأضَلُّ سَبيلا.

وما استِصْغاري قَدْرَك، ولا استِعْظامي تَقْريعَك تَوَهُّماً لانتِجاع الخِطاب فيك، بعد انْ تَركْتَ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ ـ ١٧٠.

عيونَ المُسْلمين ـ به ـ عَبْرىٰ، وصُدورَهم ـ عند ذِكْره ـ حَرَّىٰ.

فَتِلْك قُلوبٌ قاسِية، ونُفوسٌ طاغية، وأجسامٌ مَحْشُوَّةٌ بِسَخَط اللّه، ولَعْنةِ الرسول، قد عَشّشَ فيها الشيطانُ وفَرّخ، ومِن هناك مِثلُك مادَرَجَ[1].

فالعَجَبُ كلُّ العَجَب لِقَتْلِ الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسَليلِ الأوصياء، بأيدي الطُلَقاء الخَبيثة، ونَسْلِ العَهَرَة الفَجَرة!!

تَنْطفُ أكُفُّهُم مِن دِمائنا، وتَتحَلّبُ أفواهُهُم مِن لُحومِنا.

تلك الجُثَثُ الزاكية علىٰ الجُبُوب الضاحية، تَنْتابُها العَواسِل، وتُعَفّرُها أُمُّهات الفَواعِل.[2]

فلَئنْ اتّخَذتَنا مَغْنَماً، لَتَجِدُ بِنا ـ وَشيكاً ـ مَغْرماً، حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدّمتْ يَداك، وما اللّه بِظَلاّمٍ للعَبيد.

---

(١) وفي نسخة: مادَرَج ونَهَض.

(٢) وفي نسخة: الفراعل.

فإلىٰ اللّه المُشْتَكىٰ والمُعَوَّل، وإليه المَلْجَأُ والمُؤمَّل.

ثُمَّ كِدْ كيْدَك، واجهَد جُهْدَك.

فواللّه الّذي شَرَّفنا بالوَحي والكتاب، والنُبُوَّة والإنتِخاب[1]، لا تُدْرِكُ أمَدَنا، ولا تَبْلُغُ غايَتَنا، ولا تَمْحُو ذِكْرنا، ولا يَرحَضُ عنك عارُها.

وهَل رَأيُك إلّا فَنَد؟ وأيّامُك إلّا عَدَد؟ وجَمْعُك إلّا بَدَدٌ؟

يَومَ يُنادي المُنادي: ألا: لَعَنَ اللّهُ الظالِمَ العادي.

والحمْدُ لِلّه الّذي حَكَمَ لأوليائه بالسَعادة، وخَتَمَ لأصفيائه بالشَهادة، بِبُلُوغ الإرادة، ونَقَلَهم إلى الرَحْمة والرأفة، والرِضْوان والمَغْفِرة.

ولم يَشْقَ ـ بِهم ـ غيرُك، ولا ابتُليَ ـ بِهم ـ سِواك.

ونَسألُهُ انْ يُكمِلَ لهُمُ الأجْر، ويُجْزِلَ لهُمُ الثَواب والذُخْر، ونَسألُه حُسْنَ الخلافة، وجَميلَ الإنابة، إنّه رَحيم وَدود».

---

(١) وفي نسخة: والإنتِجاب.

فقال يزيد ـ مُجيباً لها ـ:

يا صَيحةً تُحْمَدُ مِن صَوائحِ

ما أهونَ الموت[١] علىٰ النَوائحِ[٢]

(١) وفي نسخة: ما أهْوَنَ النَوْح علىٰ النَوائح.

(٢) كتاب «الإحتجاج» للطبرسي، طبْع لبنان عام١٤٠٣هـ، ج ٢ ص٣٠٧ـ ٣١٠.

شَرح خُطبة السيّدة زينب
في مجلس يزيد

قبلَ ان نَبْدأ بِشَرح بعض كلمات هذه الخُطبة نَجْلبُ إنتباهَ القارىء الكريم إلى هذا التمهيد:

تَدَبّرْ قليلاً لِتَتَصوّر أجواءَ ذلك المجلس الرَهيب، ثمّ مُعجزَةَ السيّدة زينب الكبرىٰ في مَوقِفِها الجَريىء!

باللّه عليك! اما تَتَعَجّب مِن سيّدةٍ أسيرة تُخاطبُ ذلك الطاغوت بذلك الخطاب؟

وتَتَحدّاه تحَدّياً لا تَنقَضي عَجائبُه؟

ولا تَهابُ الحَرَس المُسلَّح الّذي يُنفّذ الأوامر بكلّ سرعة وبدون ايّ تامُّل او تَعَقُّل؟!

واعجَب مِن ذلك سكوت يزيد أمامَ ذلك الموقف مع قدرته وإمكاناته؟

وكأنّه عاجِز لا يَستطيع أنْ يَقولَ شيئاً أو يَفعَلَ شيئاً!

أليسَ مِن العَجيب أنّ يزيد ـ وهو طاغوت زَمانه، وفرعون عصْره ـ لم يَستَطع أو لم يَتَجرّأ علىٰ أن يَرُدّ علىٰ السيّدة زينب كلامَها، بل يَشعر بالعَجْز والضعف عن مُقاومة السيّدة زينب، ويَكتفي بقَراءة قول الشاعر:

«يا صَيْحَةً تُحْمَد مِن صَوائح»!

فما معنىٰ هذا البيت في هذا المقام؟!

وما المُناسَبة بين هذا البيت وبين كلمات خُطبة السيّدة زينب؟

فهَلْ كانتْ حِرفَة السيّدة زينب النِياحة حتّىٰ يَنطبِق عليها قولُ يزيد: «ما أهْوَن النَوْح علىٰ النَوائح»؟

وما يُدرينا مَدىٰ نَدم يزيد بن معاوية مِن مُضاعفات جرائمه التي ارتكبَها؟ وخاصّةً تَسيير آل رسول اللّه مِن العراق إلى الشام.

فإنّه ـ بالقَطْع واليقين ـ ما كان يَتصوّر أنْ سيّدةً أسيرة سوف تَغمِسُه في بحار الخِزْي والعار،

فلا يَستطيعُ يزيد أن يَغسل عن نفسه تلك الوصمات.. إلى يوم القيامة.

وتكشف الغطاء عن هَويّة يزيد، وتَرفع الستار عن ماهيّته وأصْله، وحَسَبه ونَسَبه، وسوابقه ولواحِقه، وتُخاطبُه بكلّ تحقير، وتَقرع كلماتُها مَسامعَ يزيد، وكأنّها مِطرَقة كهربائيّة، تَرتجّ مِنْها جميعُ أعصابه، فيَعجَز عن كلّ مُقاومة!!

والآن إليك شَرْحاً موجَزاً لبعض كلمات هذه الخُطبة الحَماسيَّة المُلْتهبة:

«الحمْدُ لِلّه ربّ العالَمين، والصلاة علىٰ جَدّي سيّد المرسَلين»

إفتَتحَتْ كلامَها بحَمْد اللّه رَبّ العالَمين، ثمّ الصلاة علىٰ جَدّها: سيّد المرسَلين، فهي ـ بهذه الجملة ـ عَرَّفتْ نفسَها للحاضرين انَّها حفيدةُ رسول اللّه سيّد المرسَلين (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) حتّىٰ يَعرفَ الحاضرون أنَّ هذه العائلة المَسْبيّة الأسيرة هي مِن ذَراري رسول اللّه، لا مِن بلاد الكُفر والشِرْك. ثمّ قَرأتْ السيّدةُ هذه الآية:

«صَدقَ اللّهُ سُبْحانَه، كذلك يَقول: ﴿ثمّ كانَ عاقبةَ الّذين اساؤا السُوئىٰ انْ كذّبوا بآيات اللّه وكانوا بها

يَستهزؤن﴾[١]».

وما اروعَ الإستِشْهاد بِها، وخاصّةً في مُقدّمة خُطبَتها!!

وعاقبةُ كلِّ شيء: آخِرُه، أي: ثمّ كان آخِرُ أمْر الّذين أساؤا إلى نُفوسهم ـ بالكُفْر باللّه وتكذيب رُسُله، وارتكاب مَعاصيه ـ السُوئىٰ، أي: الصِفَة التي تَسُوءُ صاحِبَها إذا أدركتْه، وهي عذابُ النار.

﴿أنْ كذّبوا بآيات اللّه وكانوا بها يَستهزؤن﴾ أي: بسبَب تَراكُم الذنوب والمَعاصي في مَلَفّ اعمالهم حَصَلَ منهم التكذيب بآيات اللّه والحقائق الثابتة، وظهَرَ منْهم الإستهزاء بها وبالمُقدّسات الدينيّة.

وهي (عليها السلام) تُشير بكلامها ـ هذا ـ إلى تلك الأبيات التي قالَها يزيد:

«لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْك فَلا خَبَرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

ومعنىٰ هذا البيت مِن الشِعْر: ان بَني هاشم ـ والمَقصود مِن بَني هاشم: هو رسول اللّه ـ لَعِبَ بالمُلْك بإسم النبوّة والرسالة، والحال انّه لم يَنزِل عليه وَحيٌ مِن السماء، ولا جاءَه خَبَرٌ مِن عند اللّه تعالىٰ.

---

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

فتَراه يُنكِر النُبوّةَ والقرآنَ والوَحي!!

وهل الكفر والزَندقة إلاّ هذا؟!

ثمّ إنّ بعض الناس ـ بسَبَب افكارهم المَحْدودة ـ يَتصوّرون ـ خَطأً ـ انّ الإنتصار في الحَرب يُعتَبرُ دليلاً علىٰ انّهم علىٰ حَقّ، وعلىٰ قُربِهم مِن عند اللّه تعالىٰ، فتَسْتَولي عليهم نَشْوةُ الإنتصار والظَفَر، ويَشْملُهُم الكِبْرياء والتَجَبّر بسَبَب التَغَلّب علىٰ خُصومهم؛

ولكنّ السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) فَنَّدتْ هذه الفِكْرة الزائفة، وخاطبَتْ الطاغية يزيد باسمه الصَريح، ولم تُخاطبه بكلمة: «ايّها الخليفة» أو «يا امير المؤمنين» وامثالهما مِن كلمات الإحترام.

نعم، خاطبَتْه باسمِه، وكانّها تُصرّح بِعَدَم إعترافها بخلافة ذلك الرجس، فقالت:

«اظنَنْتَ ـ يا يزيد ـ حينَ اخذْتَ علينا اقطارَ الأرض وضَيَّقتَ علينا آفاقَ السماء، فاصبحْنا لك في أسار، نُساق إليك سَوْقاً في قِطار، وانتَ علينا ذو اقتدار، انّ بِنا مِن اللّه هَوانا، وعليك منه كرامة وامتِنانا»؟!

تَصِفُ السيّدة زينب حالَها، واحوالَ مَن معها مِن العائلة المُكرّمة، انّهم كانوا في اشدّ الضيق، كالإنسان

الذي أخَذوا عليه، أي: مَنَعُوه وحاصَروه مِن جميع الجوانب والجِهات، بحيث لا يَستطيع الخروج والتخلّص مِن الأزمة.

وبعد هذا التَضييق والتَشديد، والمَنْع والحَبْس «أصبَحْنا نُساق» مِثْل الأُسارىٰ الّذين ياتون بهم مِن بلاد الكُفر عند فَتْحِها.

«سَوْقاً في قِطار» يُقال ـ ولا مُناقَشَة في الأمثال ـ: «قطار الإبل» أي: عدد مِن الإبل علىٰ نَسَق واحد وفي طابورٍ طويل، وقد قرأنا انّ جميع أفراد العائلة ومعَهم الإمام زين العابدين والسيّدة زينب (عليهما السلام) كانوا مَربوطين ومُكتّفين بحَبْلٍ واحد!

«وأنتَ علينا ذو اقتِدار» أي: نحنُ في حالة الضعف وأنت في حالة القُدرة.

«أنّ بِنا مِن اللّه هَواناً، وعليك منه كرامة وامتنانا»؟!

أي: أظنَنْتَ ـ لمّا رأيتَنا مَغْلوبين، ووَجَدتَ الغَلَبة والظَفَر لِنفسك ـ انْ ليسَ لَنا جاه ومَنزلة عند اللّه، لأنّنا مَغلوبون؟!! وظننتَ انّ لك عند اللّه جاهاً وكرامة لأنّك غَلبْتَنا وظَفَرتَ بِنا، وقَتلْتَ رِجالَنا، وسَبَيتَ نساءَنا؟!!

«و» ظَنَنْتَ: «أنّ ذلك لِعِظَم خَطرك»

أي: لِعُلوّ مَنْزلَتِك.

«وجَلالة قَدْرك» عند اللّه تعالىٰ؟!

وعلىٰ أساس هذا الظنّ الخاطىء الذي «لا يُغني مِن الحقّ شيئاً» و«إنّ بعضَ الظنّ إثمٌ»، إستَولَتْ عليك نَشْوَة الإنتصار.

«فَشَمَخْتَ بانفِك» يُقال: شَمَخَ بانفه: أي رَفَع أنفَه عِزّاً وتكبُّراً.

«ونَظَرتَ في عِطْفك» العِطف ـ بكسْر العين ـ: جانبُ البَدن، والإنسانُ المُعْجَب بنفسه يَنظر إلى جسمه وإلى مَلابسه بِنوعٍ مِن الأنانيَّة وحُبِّ الذات والغُرور.

«تَضرب أصْدرَيك فَرَحاً» الأصْدَران: عِرقان تحت الصُّدْغَين، وضَرَبَ أصدريه: أي: حَرّكَ رأسَه ـ بكيفيّةٍ خاصّة ـ تَدلُّ علىٰ شِدّة الفَرَح والإعجاب بالنَفْس.. إزاءَ ما حَقّقَهُ مِن إنتصارٍ مَوْهوم.

«وتَنفَض مِذْرَوَيك مَرَحاً»

يُقال: جاءَ فلان يَنْفَض مِذْرَويه: إذا جاءَ باغِياً يُهدّد

الآخَرين.

هذا ما ذكرَه اللُغويّون، ولكنّ الظاهر انّ معنىٰ «يَنفَض مِذْرويه» اي يَهُزّ إليَتيه، وهو نوع مِن حَركاتِ الرَقْص عند المُطْربين حينَما تاخُذُهم حالةُ الطَرَب والخِفّة.

«حينَ رأيتَ الدنيا لك مُستوسَقة»

أي: مُجتَمِعة.

«والأمور لَديكَ مُتّسِقة»

أي: مُنتَظَمة، بمعنىٰ: انّك رأيتَ الأُمور علىٰ ماتُحِبّ وتَرضىٰ، وعلىٰ مايُرام بالنسبة إليك، فكلُّ شيء يَجري كما تُريد.

«وحينَ صَفىٰ لك مُلْكُنا، وخَلُص لك سُلْطانُنا»

أي: ومِن أسباب فَرَحِك، وقِيامك بالحَركات الطائشَة الّتي تَدلُّ علىٰ شِدَّة سُرورك، انَّك رأيتَ مِن نَفْسِك مَلِكاً وسُلْطاناً قد نَجَحَ في خُطَتِه الّتي رَسَمَها لإبادة مُنافِسِه، واسْرِ نِسائه.

لكن.. إعلَمْ ايّها المَغرور: انّ هذه القُدرة والمكانة التي اغتَصَبْتَها ـ وهي الخلافة ـ هي لنا اساساً، لانّ يزيد

كان يَحْكُمُ بِإسْم خِلافة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

ومِن الواضح أنّ خلافة رسول اللّه لها مَوارد خاصّة، وأنّ خلفاءَ رسول اللّه أفراد مُعَيَّنون، مَنصوصٌ عليهم بالخلافة، وهم: الإمام علي بن أبي طالب، والأئمّة الأحدعشَر مِن وُلْده (عليهم السلام)، ولكن الآن.. صارتْ تلك القُدرة والسُلطة بِيَد يزيد!!

بعد هذه المُقدّمة والتَمْهيد قالت:

«فَمَهْلاً مَهْلاً»

يُقال ـ للْمُسْرع في مَشْيه، أو المُتفَرّد بِرأيه ـ: مَهْلاً. أو: علىٰ مَهْلِك، أي: امهِلْ، ولاتُسْرِعْ، أي: ليسَ الأمرُ كما تَعتقِد أو كما تَظنّ، أو: ليسَ هذا الإسراع في العَمَل صحيحاً مِنْك فَلا تَعْجَلْ حتّىٰ نُبيّن لك حقيقةَ الأمْر.

«لا تَطِشْ جَهْلاً» طاشَ فلان: أخَذَهُ الغُرور وفَقَدَ إتِّزانَه، فصارَ غيرَ ناضِجٍ في تَصَرُّفاته.

أي: يا يزيد! لا تَطِشْ.. بسَبَب جَهْلك بالحَقائق، وخَلْطِك بينَ المَفاهيم والقِيَم، والإغترار بالظواهِر.

«أنَسِيتَ قولَ اللّه (عزّوجلّ): «ولايَحْسَبنَّ الّذين كفَروا أنّما نُمْلي لَهُمْ خيرٌ لأنفسهم، إنّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزدادوا إثماً ولَهُمْ عذابٌ مُهين» ؟!! (١)

نُمْلي: أي نُطيلُ لَهُمُ المُدّة والمَجال، أو نُطيل أعمارَهم ونَجْعَلُ الساحة مَفتوحةً أمامَهم «خَيرٌ لأنفسِهم»، بلْ: إنّما نُطيلُ أعمارَهم ومُدَّةَ سُلْطتِهِم وحُكومتِهم.. لِتكون عاقِبةَ أمْرهم هي إزديادُ الإثم والمعاصي في مَلفّ أعمالهم، ولهُم عذاب مُهين، أي: يَجزيهم ـ في جَهنّم ـ تَعذيباً مَمْزوجاً مع الإهانة والتَحقير.

ثمّ خاطبَتْه وذكّرَتْه بأصْله السافِل، ونَسَبه المُخزي، فقالت:

«أمِنَ العَدْل يابنَ الطُلَقاء»

وهذه الكلمة إشارة إلى ماحَدَث يوم فَتْح مكّة، فإنّ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) لمّا فَتَح مكّة ـ وصارتْ تحتَ سُلْطتِه ـ كانَ بإمكانه أن يَقتُلَهم لِما صَدَرتْ مِنْهم مِن مَواقف عِدائيّة وحُروب طاحِنة ومُتتالية ضدّ النبيّ الكريم ـ بالذات ـ وضدّ المسلمين بصورة عامّة، لكنّه رَغم كلّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

ذلك.. إلتفَتَ إليهم وقال لهم:

«يا مَعاشِرَ قُريش! ماتَرَونَ أنّي فاعلٌ بكم؟»

قالوا: «خَيراً، أخٌ كريم، وابنُ أخٍ كريم»

فقال لَهم: «إذْهَبوا فأنتُمُ الطُلَقاء»[1]

وكان فيهم: معاوية وأبوسفيان.

ويزيد هو ابنُ معاوية، وحفيدُ أبي سفيان، ويُطلَق عليه (ابن الطلَقاء) إذْ قد يُستَعمَل ضميرُ الجَمْع في مَورد التَثْنية.

أمّا معنىٰ كلمة «يابنَ الطلقاء» فالطُلَقاء ـ جَمْع طَليق ـ: وهو الأسيرُ الذي أُطْلِقَ عنه إساره، وخُلّي سَبيلُه.

إنّ رسولَاللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فَتَحَ مكّة، فصارت البَلدة ومَن فيها تحتَ سُلطته وقُدرَته، وكان بإمكانه أن يَنتَقِم مِنْهم أشَدَّ إنتقام، وخاصّة مِن أبي سفيان الذي كان يؤَجِّجُ نارَ الفِتَن، ويُثيرُ الناسَ ضدّ رسول اللّه، ويَقودُ الجُيوش والعَساكر لِمُحاربة النبيّ والمسلمين، كما حَدَث ذلك يومَ بَدْر وأُحُد، وحُنين

(١) السِيرة النَبَويّة، لإبن هشام، طبْع لبنان عام ١٩٧٥م، ج ٤ ص ٤١، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٢١ ص ١٠٦.

والأحزاب، وهكذا إبنُه معاوية «الذي كان علىٰ دين أبيه»، ولكنّ الرسول الكريم اطلَقَهُما وخلّىٰ سَبيلَهُما في مَنْ أطلَقَهم.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿فإذا لَقيتُمُ الّذينَ كفَروا فضَرْبَ الرقاب، حتّىٰ إذا أثْخَنْتُمُوهُم فَشُدّوا الوثاق، فإمّا مَنّاً بَعْدُ وإمّا فِداءً، حتّىٰ تَضَعَ الحَربُ أوزارَها﴾[1]

«فإمّا مَنّا بَعْدُ» أي: إمّا أنْ تَمُنّوا عليهم مَنّاً بعد أنْ تاسِروهم، أي: تُحْسِنُوا إليهم فتُطْلِقوهم بِغَير عِوَض، وإمّا أنْ تفْدوهم فِداءً، أي: تَطْلُبوا مِنْهم دَفْعَ شيءٍ مِن المال إزاءَ إطلاقِكم سراحَهم.

وكانَ رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مُخَيّراً بينَ ضَرْب أعناقهم وبينَ المَنِّ والفِداء، فاختارَ الرسولُ الكريم المَنَّ وأطلَقَهم بِلا فِداء ولا عِوَض.

والظاهر أنَّ السيّدة زينب تَقصد مِن كلمة «يابنَ الطُلَقاء» واحِداً مِن مَعنَيين:

المَعنىٰ الأول: انْ تُذكّرَ يزيد بانّه ابن الطَليقَين الّذَين اطْلَقَهما رسولُاللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) مع أهل مكّة، وكانّهم عَبيد، فتكون الجملة تَذكيراً له بِسُوء

(١) سورة محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)، الآية ٤.

سوابِقِه المُخْزية ومَلَفّ والده وجَدّه !

والمعنىٰ الثاني : أن تُذكّرَ يزيد بالإحسان الذي بَذَلَه رسولُ اللّه لأسْلاف يزيد حيثُ أطلَقَهم، فقالت : «أمِنَ العَدْل» أي : هل هذا جَزاءُ إحسان رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مع أسلافِك . . أنْ تَتَعامَل مَعَ حَفيدات الرسول هذا التَعامُلُ السَيّئ ؟!

ولَعلّ السيّدة زينب قَصَدتْ المَعنَيَين مَعاً .

ومِن الواضح أنّها لا تَقصد - مِن كلامِها هذا - السؤال والإستفهام، بل تَقصد تَوبيخَ يزيد علىٰ سُلوكه القَبيح، ونَفسيّته المُنْحَطّة، وتُنْكِر عليه تَعامُله السيّىء، وتُعلنُ لَه أنّه بَعيدٌ - كلَّ البُعْد - عن أولّيات الفِطْرة البَشريّة، وهي جَزاءُ الإحسان بالإحسان!!

«تَخْديرُك حَرائرك وإماءَك»

يُقال : خَدَّر البِنتَ : ألْزَمَها الخِدْر، أي : أقامَها وَراءَ السِتْر .

الحرائر - جَمْعُ حُرّة - : نَقيضُ الأمَة .[1]

---

(١) لسان العَرَب لابن منظور .

«وسَوقُك بناتِ رسولِ اللّه سَبايا»

السَوق: يُقال: ساقَ الماشية يَسُوقُها سَوْقاً: حَثَّها علىٰ السَير مِن خَلْف[1] وذلك يَعني: الحَثّ علىٰ السَير مِن الوَراء مع عَدَم الإحترام.

أقول: لايُرجىٰ مِن يزيد العَدْل والعَدالة، ولكنّه لمّا ادّعىٰ الخلافة لنفسه، كانَ المَفروض والمُتوقّع مِنْه أنْ يكونَ عادلاً.

ولهذا خاطبَتْه السيّدةُ زينب بقولها: أمِنَ العَدْل أنْ تَجْعَل جَواريك والنساء الحرائر ـ الساكنات في قَصْرِك ـ وَراءَ الخِدْر، وتَسوقَ بنات الرسالة وعَقائل النُبوّة، ومُخدّرات الوحي.. سَبايا؟

«قد هَتكْتَ سُتُورَهُن، وأبدَيتَ وجوهَهُن»

فَبَعْد أنْ كُنَّ مُخَدَّرات مَسْتورات، لا يَرىٰ أحَدٌ لَهنّ ظِلاّ، وإذا بِهِنّ يَرينَ أنفُسَهُنّ أمامَ أنظار الرجال الأجانب، وبعدَ أن كُنّ مُحَجّبات.. وإذا بالأعداء قد سَلَبُوهُنّ ما كُنَّ يَسْتُرنَ به وجوهَهُن.. مِن البَراقِع والمَقانِع!

---

(١) أقرب الموارد للشرتوني.

«تَحْدو بِهِنّ الأعداءُ مِن بَلَد إلى بَلَد»

أي: يَسُوقُهُنّ الأعداءُ مِن كربلاء إلى الكوفة، ومنْها إلى الشام، ويَمُرّونَ بهِنّ علىٰ البلاد التي في طريق الشام.

وحينَما كان يَمُرّ موكبُهُنّ علىٰ البلاد والقُرىٰ والأرياف، كان الناس ـ علىٰ اختلاف طَبَقاتهم ـ يَخْرُجون للتَفرُّج عليهِنّ، وأحياناً كانوا يَصعَدون علىٰ سُطوحِ دُورِهِمْ لِلتَفرُّج عليهنّ، ولهذا قالت السيّدة:

«ويَسْتَشْرِفُهُنَّ أهلُ المَناقِل، ويُتَبرَّزْنَ لأهلِ المَناهِل»

المَناقل ـ جَمْعُ مَنقل ـ وهو الطريق إلى الجَبَل. والمَناهِل ـ جَمْع مَنْهَل ـ: وهو الماء الّذي يُنزَلُ عنده، والمقصود: المنازل الّتي في طريق المُسافرين، للتَزوُّد بالماء أو الإستراحة.

«ويَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنّ القَريبُ والبَعيد»

يَتَصَفّح: أي يَتأمّل وجوهَهُن لِيَنْظرَ إلى مَلامحِهِنّ!!

«والشَريفُ والوَضيع، والدنيءُ والرَفيع»

والحال أنّه «ليسَ مَعَهُنّ مِن رِجالِهنّ وَلِيٌّ، ولا مِن حُماتِهنّ حَمِيّ»، عائلة مُحترَمة، وليس مَعَهُنَّ مِن رجالهنّ أحَد يُشْرفُ علىٰ شؤونهن ويَحْرُسُهُنّ ويَحْميهِنّ مِن الأخطار والأشرار، لأنّ رِجالَهنّ قد قُتلوا بأجمَعِهم، ولم يَبقَ مِنْهم سِوىٰ الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

كلّ هذه الجرائم التي صَدرتْ مِنْك، وبأمْرك كانتْ «عُتُوّاً مِنك علىٰ اللّه»

العُتُوّ: هو التكبّر.

«وجُحُوداً لِرسول اللّه»

الجُحُود: هو الإنكار مع العِلْم بأنّ هذا هو الواقعُ والحَقّ، قال تعالىٰ ﴿وجَحَدوا بِها واسْتَيقَنَتْها أنفسُهم﴾ .[1]

---

(١) سورة النمل، الآية ١٤.

«ودَفعاً لما جاءَ به مِن عند اللّه»

الدَفْع : الإزالة والإبادة والرَدّ.

أي : قُمْتَ بهذه الأعمال لأجل القضاء علىٰ الإسلام، وعلىٰ ما جاءَ به رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مِن عند اللّه تعالىٰ.

«ولا غَروَ مِنْك، ولا عَجَبَ مِن فِعْلِك»

لا غَرْو: لا عَجَبَ.

إنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَعتَبرُ تلك الجرائم ـ الّتي صَدرتْ مِن يزيد ـ أموراً طبيعيّة وظواهِرَ غير عجيبة، فَـ«كُلّ إناءٍ بالّذي فيه يَنْضَحُ».

وإنّ الآثار السَلْبيّة لِعامِل ـ بل عَوامِل ـ الوراثة، والإستمرار علىٰ شُرب الخمر والفَحشاء والفُجور والعَيش في أحضان العاهِرات، كلّها أسبابٌ كان لها دورُها في إيجاد هذه النتائج والعَواقِب السَيِّئة للطاغية يزيد.

«وأنّىٰ تُرتَجىٰ مُراقَبَةُ ابنِ مَن لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الشُهَداء، ونَبَتَ لَحْمُه بِدِماء السُعَداء؟»

أي : كيفَ ومَتىٰ يُتوقّع الخوفُ مِن اللّه تعالىٰ.. مِن ابن مَن رَمتْ مِن فَمِها أكبادَ الشُهداء الأبرياء؟

هذه الكلمة إشارة إلى ما حَدَثَ في واقعة أحُد، وإلى مَقتَل سيّدنا حمزة بن عبد المطّلب سيّد الشهداء وعمّ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) حينَما جاءتْ هند ـ أمّ معاوية، وجَدَّة يزيد ـ وشَقَّتْ بطنَ سيّدنا حمزة، وأخرجَتْ كبِدَه وأخذَتْ قِطعةً مِن كَبِده، ووَضَعتْها في فَمِها وعَضّتْها بأسنانها وحاولتْ أنْ تأكلَها، بِسَبَب الحِقْد المُتأجّج في صَدرها، ولكنّ اللّه تعالىٰ أبىٰ أن تَدْخُل قطعة مِن كبد سيّدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة، فانقَلَبَتْ تلك القطعة صَلبةً كالحَجَر، فلم تُؤثّر أسنانُها في الكبد، فلَفَظَتْها، ورَمَتْها مِن فَمِها، فاكتَسَبَتْ بذلك لَقَب (آكِلَة الأكباد)!!

ويزيد: هو حفيد هكذا امرأة حَقُودة. وحِقْدُه علىٰ الدين وارتكابُه للجرائم الكبيرة ليسَ بشيء جديد!!

«ونَصَبَ الحَرب لِسيّد الأنبياء»

لقد ذكرْنا ـ في الفَصْل الرابع مِن هذا الكتاب ـ أنّ أبا سفيان هو الّذي كان يُجَهّزُ الجُيوش في مكّة، ويَخرجُ لحَرب رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وقِتالَ المسلمين، حينَما كان النبيُّ الكريم في المَدينة المنوَّرة.

«وجَمَعَ الأحزاب»

إنّ أباسفيان هو الّذي جَمَعَ العَشائر والقَبائلَ الكثيرة . . مِن المُشركين واليهود والنصارىٰ وغيرهم، وأمَرَ بِنَفيرٍ عام وشامِل لِمُختلف الأعمار والدِيانات، وخَرَجَ بجَيشٍ جَرّار كالسَيل الزاحِف، للقضاء علىٰ الرسول العظيم ومَن مَعَه مِن المسلمين، في واقعة الأحزاب التي عُرفتْ ـ فيمابَعْد ـ بـ «غَزوة الخَنْدق».

«وشَهَرَ الحِراب، وهَزّ السُيوف في وَجْه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم»

الحِراب ـ جَمْعُ حَرْبَة ـ: وهي آلةٌ قَصيرة مِن الحَديد، مُحَدَّدةُ الرأس، تُستعمَل في الحرب.[1]

«وهَزَّ السيوف» كِنايَة عن الخروج للحَرب وإصدار الأوامر للهُجوم والغارة، وبما أنّ أباسفيان كان هو السَبَب في هذه الحروب فقد جاءتْ كلمةُ «السُيوف» بصيغة الجَمْع.

«أشَدُّ العَرَب لِلّه جُحُوداً، وأنْكرُهم لَه رَسولاً، وأظهَرُهم له عُدواناً، وأعْتاهُمْ علىٰ الربّ كُفراً وطُغياناً».[2]

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) أعتاهم: العُتُو: الإسْتكبار والتَجَبُّر وتجاوز الحَدّ. كما في «العَين» للخليل، والمُعجَم الوسيط. المُحقّق

مِن الواضح أنّ العَرَب في مكّة وغيرها . . كانوا علىٰ دَرَجات مُتَفاوتة في نِسْبة إنكارهم لِوجود اللّه تعالىٰ، او إتّخاذهم الأصنام آلِهَةً مِن دونه سُبحانَه.

فهُناك مَن هو جاحِدٌ ومُنكِرٌ مائة بالمائة، وهناك مَن هو جاحِد ٧٠٪، وهكذا.

ومنهم: مَن هو عازمٌ علىٰ الإستمرار في الكُفر رَغْم عِلْمه بالتوحيد، ومِنهم: مَن كانَ يَعيشُ حالةَ الشَكّ في الإستمرار في الكُفْر أو الشِرْك.

ومِنهم: مَن كانَ يَحيكُ المُؤامرات ضِدّ النبيّ الكريم بصورة سِريّة، ومنهم: مَن كانَ يَخرُجُ لِحَرب رسول اللّه . . بِشكلٍ مَكشوف.

ومنهم: مَن كان مُنكراً لِلّه تعالىٰ . . ولكنّه يَتّخِذُ مَوقفَ المُحايد تِجاه النبيّ الكريم، ولا يَبْذل أيّ نشاط ضِدّ الإسلام والمسلمين.

ولكنّ الكافر الّذي ضَربَ الرقمَ القياسي في إنكار اللّه تعالىٰ، وإنكار رسالة النبيّ الكريم (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم): هو أبو سفيان.

هذه كلُّها صِفات ومُواصفات أبي سُفيان، وقد وَرِثَها مِنهُ حَفيدهُ يزيد، حيثُ كانَ يَشتَرك مع جَدّه في جميع هذه الأوصاف والأحقاد، وبِنَفْس النِسْبة والدَرَجة، لكنْ مَع

تَبدُّل الظروف!

فلقد وَقَفَ أبو سفيان في وَجْه رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وحارَبَه وأظهَرَ أحقادَه.

وجاءَ - مِن بَعْده - إبنُه معاوية، فَوَقَفَ في وَجْه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحارَبَه بكلِّ مالَدَيه مِن طاقةٍ و قوّة، و علىٰ مُختَلَف الأصعِدَة والمَجالات، الإعلاميّة والعَسْكريّة وغيرها.

إنّ الوثائق التاريخيّة تَقول: «ماتَ معاوية وعلىٰ صَدره الصَنَم»، فكمْ تَحملْ هذه الكلمة مِن معانٍ ودِلالات، «والحُرُّ تكفيه الإشارة»!!

وقد جاء في التاريخ - أيضاً -: «ماتَ معاوية علىٰ غير مِلَّةِ الإسلام».[1]

ثمّ جاءَ يزيد - مِن بَعْد معاوية - فكانَ كالبُركان يَتَفجَّرُ حِقْداً علىٰ آلِ رسول اللّه وأبناءِ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فماذا تَراه يَفعَل؟!

(١) جاء هذا النصّ - بالحرف الواحِد - في كتاب «سِيَرُ أعلام النُبَلاء» للذَهَبي، ج١٠، ص٥٣٣ وكتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج١٤، ص١٨١ وكتاب «خلاصةُ عبقات الأنوار» ج٧، ص٣٠٥.

وماذا تَتَوَقَّع مِنه؟!

وخاصّةً وأنّه يَرىٰ تحتَ تَصرُّفه جَيشاً كبيراً يُنفّذ أوامِرَه بكلّ سُرعة، ويُطيعُه طاعةً عَمْياء، دونَ رِعاية الجوانب الإنسانيّة أو العاطفيّة أو الدينيّة. وكانَ لَه مُستَشارٌ مَسيحيّ حاقِد إسمه: «سرجون» يُمْلي عليه مايَتبادرُ إلى ذِهْنه في كيفيّة القضاء علىٰ الإسلام، ويَرسِمُ لَه الخُطط للوصول إلى هذا الهَدَف!

«ألا: إنّها نتيجة خِلال الكفر»

ألا: حَرفٌ لجَلْب الإنتباه، أو للتأكيد علىٰ مايُخْبَر عنه.[1]

النتيجة ـ هنا ـ العاقبة.

خلال ـ جَمْع خلّة ـ وهي الخصْلة.

أي: إنّ يزيد حينَما أمَرَ بقَتْل رَيحانة رسول اللّه الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكنْ لمُجَرَّد أنّه كان يَرىٰ مِنْه مُنافِساً لَه في السُلْطة فقَضىٰ عليه، بلْ إنَّ ذلك كان مِن مُنطَلق الكُفْر والإلحاد، ولذلك.. فهو لم يكْتَفِ بقَتْل الإمام، بل أمَرَ بسَبْي نِسائه وأطفاله، وقامَ بغير ذلك مِن الجرائم والجِنايات.

---

(١) كما يُستفاد مِن كتاب «مُغْني اللبيب» لإبن هشام.

وهذه الأُمور: هي نتيجة خُبْث نَفْسيَّته الطائشة وأثَرُ صِفاته الكُفْريّة المَوْروثَة مِن أبيه وجَدِّه!

«وضِبٌّ يُجَرْجِرُ في الصَدْر لِقَتْلىٰ يوم بَدْر»

والضِبّ ـ بكَسْر الضاد ـ: الغيظ الكامِن والحِقْد الخَفي.

جَرْجَرَ البَعيرُ: إذا رَدّدَ صوتَه في حَنْجرته.

أي: وحِقْدٌ يَتأجَّجُ في الصَدْر، ويُطالبُ يزيدَ للأخْذ بثارات المَقتولين في غَزْوة بَدْر، وهم أقطاب المُشركين الّذين كانوا قد خَرجوا مِن مكّة لمحاربة رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وقِتالِ المسلمين.

وهم المشركون الّذينَ تَمَنّىٰ يزيد حُضورهم بِقوله: «ليتَ أشياخي ببَدْرٍ شَهِدوا» وهم: عُتْبة بن ربيعة، وشَيبة، والوليد بن شيبة.

أمّا عُتْبة فقَتَلَه عُبيدةُ بنُ الحارث بن عبْد المطّلب، وأمّا شَيبة وابنه الوليد فقد قتَلَهما الإمام اميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

إنّ جميع ما قامَ به الطاغية يزيد، مِن قَتْله الإمامَ الحسين وأصحابه وأهل بيته، وسَبْي الطاهِرات مِن نِسائه وحُرَمه، وإهانَتِه لرأس الإمام الحسين (عليه السلام) تُعتَبرُ

نَتيجةً طبيعيّة للكُفْر المَكْشوف والحِقْد الدَفين في قَلْب يزيد، فلمْ يكُنْ يوجَد في قَلْبه مِقْدارَ ذَرّة مِن الإيمان باللّه تعالىٰ وبيوم القيامة، بل إنّه إتّخذَ مَنصِبَ خلافة الرسول الكريم، وَسيلَةً لسلطته علىٰ الناس، وانهماكه في الشهَوات، ومُحارَبته للدين وعُظماء الدين.

فقد كان يَتَجاهَرُ بشُرْب الخَمْر، ولعْب القمار وغيرهما مِن المُنكرات الّتي حَرّمها اللّه سبحانه وبذلك أعطىٰ الجُرأة لجميع الناس كي يَجْلسوا في الأماكن العامَّة، ويَرتكبوا ما شاؤا مِن المعاصي والذنوب، مِن دون أيّ خوفٍ أو حَذَر، أو حَياءٍ أو خَجَل، أو إحترام لحُدود اللّه تعالىٰ، او رعايةٍ للخطوط الحَمْراء الّتي وَضَعَها اللّه سُبحانه حَولَ بعض الأعمال المُحرَّمة.

لقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا (عليهما السلام) أنّه قال: «... مَنْ نَظرَ إلى الشطرنج فَلْيَلْعَن يزيد وآل يزيد ...»[1]

«فلا يَستَبْطىء في بُغْضِنا ـ أهلَ البيت ـ مَن كان نَظرُه إلينا شَنَفاً وإحَناً وضِغناً»

وفي نسخة: **«وكيف يَستَبْطىء في بُغضنا»**

---

(١) كتاب «عُيون اخبار الرضا عليه السلام» للشيخ الصَدوق.

أي: كيف لا يُسْرِع إلى بُغْض أهل بيت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مَن كانت نَظْرَتُه وعقيدتُه فيهم عَقيدة الكراهة والحِقْد.

والشنف والشَنآن والإحَن والأضغان: مَعانيها مُتقاربة، والمقصود منها: شِدَّة الحِقْد والبُغْض.

«يُظهِرُ كفْرَه بِرسوله، ويُفصِحُ ذلك بِلسانه»:

إشارة إلى الأبيات التي أنشَدَها يزيد:

«لَعِبتْ هاشمُ بالمُلْك فلا خَبرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نَزَل»

فقد أظهَرَ كُفْرَه بِرسالة النبيِّ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وتَجاهَرَ بذلك، واعتَبَر النبوّةَ والرسالة والوَحي والقرآن كلَّها العاب، وأنكرَها جميعاً.

يُفصِح: أي يُظهِرُ ما في قلْبه علىٰ لسانه.

«وهو يَقول ـ فَرَحاً بقَتْل ولَده، وسَبْيِ ذُريّته، غيرَ مُتَحوّبٍ ولا مُسْتَعْظم:

لأهَلّوا واستَهَلّوا فَرِحاً ولَقالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ»

غيرَ مُتَحوّب: أي غيرَ مُتَأثِّم[1] أو غيرَ مُتَحَرِّجٍ مِن

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي.

القَبيح. والحُوبَة: مَن يَأثَمُ الإنسان في عُقوقه.. كالوالدَين.[١]

والظاهر: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَقصُد أنّ يزيد كانَ يَعيشُ حالةَ عَدَمِ الإكتراث أو المُبالاة بما قامَ به مِن جَرائم، وبما يُصرِّح به مِن كلمات كُفريّة، وبما يَشْعُر به مِن الفَرَح والسُرور لقتْله ابن رسول الله، وسَبْي ذُريّته الطاهرة. إذ مِن الواضح أنّ الذي لا يؤمنُ بِيَوم الجَزاء لا يُفكّرُ في مُضاعَفات جَرائمه، ولا يَشْعر بالحَرَج أو الخوف مِن أعماله الّتي سوف تَجُرُّ إليه الوَيْل!!

«مُنْحَنِياً علىٰ ثَنايا أبي عبْد الله ـ وكانَ مُقَبَّل رَسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ يَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِه»

ثَنايا ـ جَمْعُ الثَنِيَّة ـ: وهي الأسنان الأربع الّتي في مُقَدَّم الفَم، ثِنْتان مِن فَوق وثِنْتان مِن تحت.[٢]

مُقَبَّل: مَوْضعُ التَقْبيل.

يَنْكُتُ: يَضْربُ

مِخْصَرَة: العَصا، وقيل: هي العصا الّتي في أسْفَلها

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) كتاب «لسان العَرَب»، و«المُعْجَم الوَسيط».

حَديدة مُحَدَّدة، كحَديدة رأس السَهْم.

أقول: إنّ القَلَم لَيَعْجَزُ عن التَعبير عن شَرح هذه المَقْطوعة مِن الخُطبة!! وذلك لِهَوْل المُصيبة، فكيف تَجرّأ الطاغية يزيد علىٰ أنْ يَضْربَ تلك الثَنايا المُقَدّسَة، التي كانتْ مَوْضِعاً لِتَقبيل رسول اللّه.. مِئات المَرّات. وفَعَلَ يزيد ذلك بِمَرأىٰ مِن عائلة الإمام الحسين ونِسائه وبَناته؟!

ولم يكْتَفِ يزيد بالضَرْب مَرّةً واحدة أو مَرّتين، بَلْ مَرّات مُتَعدّدة، وهو في ذلك الحال في أوجِ الفَرَح والإنتعاش!!

ولم يكنْ الضَرْب علىٰ الأسنان الأماميّة فقط، بل كان يَضْربُ علىٰ شَفَتَيه ووَجهه الشَريف، ويُفَرّقُ بينَ شفتيه بعَصاه لِيَضْرب علىٰ أسنانه!

إنّا لِلّه وإنّا إليه راجعون، وسَيَعْلَمُ الّذين ظَلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبون!!

«قد التَمَعَ السُرور بِوَجْهه»

قد يكونُ الفَرَحُ شَديداً فَيَتَدَفّقُ الدَمُ إلى الوَجْه فيَحْمَرُّ، وبذلك تَظهَرُ آثارُ الفَرَح علىٰ مَلامحه، فيُقال: إلتَمَع السُرور بوَجْهه.

هكذا كانتْ فَرْحَةُ يزيد حِين ضَرْبِه تلك الثَنايا

الشَريفة.[١]

«لَعَمْري لَقَدْ نَكاتَ القُرْحَة»

نَكأَ القُرْحَة: قَشَّرَها بَعْدَ ما كادَتْ تَبْرأ.[٢]

لَعلَّ المعنىٰ: أنّ ضَرْبَ يزيد تلك الثَنايا صارَ سَبَباً لِهَيَجان الأحزان مِن جَديد، وفَجَّرَ دُموعَ العائلة الكريمة، فاستولىٰ عليهِنَّ البُكاء والنَحيب، وخاصَّةً أنّ بِنْتين مِن بَنات الإمام الحسين (عليه السلام) جَعَلَتا تَتَطاولان (أي: تَقِفان علىٰ رؤوس أصابع رِجْليهما) لِتَنْظرا إلى الرأس الشريف، مِن وَراء كراسي الجالسين، فلمّا نَظرتا إلى يزيد وهو يَضْربُ الرأس الشريف، ضَجَّتا بالبُكاء والعَويل، ولاذَتا بِعَمَّتهما السيّدة زينب، وقالَتا: ياعَمّتاه! إنّ يزيد

(١) كتاب «الكامل» لإبن الأثير، ج٣، ص٣٠٠، وكتاب «تاريخ دمشق» لإبن عساكر، في ترجمة أبي برزة الأسلمي، وكتاب «انساب الأشراف» للبلاذري، ج٣، ص٢١٤، وكتاب «مَقتل الحسين» للخوارزمي، ج٢، ص٥٥ ـ ٥٧، وكتاب «تاريخ اليَعقوبي»، ج٢، ص٢٣٢ مِن الطبعة الأولىٰ، وكتاب «الجوهرة» للبُرّي، طبْع الرياض، ج٢، ص٢١٩، وكتاب «الرَد علىٰ المُتعصّب العَنيد» لإبن الجوزي، طبْع لبنان، ص٤٥، وكتاب «تاريخ الإسلام» للذهَبي، ج٢، ص٣٥١.

(٢) كتاب «العَين» للخليل بن أحمد.

يَضْرب ثَنايا أبينا، فَقُولي لَه: لا يَفعَل ذلك؟![1]

فَقامَتْ السيِّدة زينب (عليها السلام) ولَطَمَتْ علىٰ وَجْهها ونادتْ: «واحُسَيناه! يابنَ مكّة ومِنىٰ! يا يزيد: إرفَعْ عُودَك عن ثَنايا أبي عبداللّه».

«واستاصَلْتَ الشَافة»

يُقال: إسْتَاصَلَ شأفَتَه: أي أزالَه مِن أصْلِه.[2]

ولعلَّ المعنىٰ: يا يزيد: لقد قَطعْتَ شَجَرَة النُبوّة مِن جُذورها بقَتْلك الإمامَ الحسين (عليه السلام) فهو آخِرُ مَن كانَ باقياً مِن أصحاب الكساء، الّذين نَزلَتْ فيهم «آيةُ التَطْهير» وعَبَّرَ اللّهُ تعالىٰ عَنْهم - في القرآن الكريم - بكلمة «أهل البيت»، فكلُّ مَن كان يُقتَل مِن هؤلاء الخَمسة الطيّبة.. كانَ في الباقينَ - مِنْهم - سَلْوة لآل رسول اللّه، وبقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) إنقطَعتْ شَجَرة أهل البيت مِن جُذورها، وكانَ ذلك بأمْرِ يزيد وتَنْفيذ إبن زياد.

«بإراقَتِكَ دَمَ سيّد شباب أهلِ الجَنَّة، وابنِ يَعْسُوبِ

---

(١) كتاب «المُعْجَم الكبير» للطبراني، طبْع بغداد، ج٣، ص١٠٩.

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

الدين، وشَمْسِ آل عبد المُطّلب»

يَعْسُوب: النَحْلَة الّتي يُعبَّرُ عنها بـ«المَلِكة» في مَمْلَكة النَحْل(١)، وقد لَقَّبَ رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) الإمامَ أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بِلَقَب «يَعْسوب الدين» وشَبَّه شيعتَه بالنَحل الّذي يَعيشُ في ظلِّ تلك المَمْلَكة ويَتَّبِعُ ذلك اليَعْسُوب، واشتُهرَ بين المسلمين ـ في ذلك اليوم ـ هذا اللَقَب للإمام علي (عليه السلام) ولذلك قالَ الشاعِر:

وِلايَتي لأميرِ النَحْلِ تَكْفيني
عندَ المَمات وتَغْسيلي وتَكْفيني

(١) قال الخليل في كتاب «العين» اليَعْسوب: أميرُ النَحْل وفَحْلها، ويُقال: هي: عَظيمة مُطاعَة فيها، إذا اقبَلَتْ اقبَلَتْ، وإذا أدبَرَتْ أدبَرَتْ. وقال الزبيدي ـ في «تاج العَروس» ـ: اليَعْسُوب: أميرُ النَحْل، واستُعْمِلَ بعد ذلك في الرئيس الكبير والسيِّد والمُقدَّم، ... وفي حديث علي (عليه السلام): «انا يَعْسوبُ المؤمنين» أي: يَلُوذُ بي المؤمنون كما تَلُوذُ النَحْلُ بِيَعْسُوبها». وقال إبنُ مَنظور ـ في «لسان العرب» ـ: «اليَعْسوب: أميرُ النَحْل، ويُقال للسيِّد: يَعْسُوبُ قومه، وفي حديث علي [عليه السلام]: انا يَعْسُوب المؤمنين، يَلُوذُ بي المؤمنون كما تَلوذُ النَحلُ بيعسوبها». المُحقّق

وطِيْنَتي عُجِنَتْ مِن قَبْلِ تكْويني

بِحُبّ حَيْدرَ، كيفَ النارُ تكْويني؟!

ثمّ عَبَّرتْ السيّدة زينب عن الإمام الحسين (عليه السلام) بـ«شَمسِ آلِ عبْدالمُطّلب»، ويا لِهذا التَعبير مِن بَلاغةٍ راقية، وتَشْبيهٍ جميل، فإنّ الإمام الحسين كانَ هو الوَجْه المُشْرِق الوَضّاء والواجِهَة المُتَلألأة لآل عبْد المُطّلب بن هاشم، وسَبَب الفَخْر والإعتزاز لَهُم، وهم كانوا المجموعة أو العَشيرة الطيّبة لِقَبيلة قُريش، وقُريش كانتْ أشرف قَبائل العَرَب.

«وهَتَفْتَ باشْياخِك»

حينَما قُلْتَ: «لَيتَ أشياخي بِبَدْر شَهِدوا» فَتَمَنَّيتَ حُضورَهم لِيَرَوا إنتصارَك المَوهوم، وأخْذكَ لِثارهم مِن آل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)، مع أنّ أشياخك هُمُ الّذين خَرجوا ـ مِن مكّة إلى المدينة ـ لِقتال رسول اللّه، وهم الّذين بَدَؤا الحربَ مع المسلمين، فكانوا بمَنْزلة الغُدّة السَرطانيّة الخَبيثة في جسم البَشَريّة، وكان يَلزم قَطْعُها كي لا يَنْتَشِرَ المرضُ والفَسادُ في بَقيَّة أجزاء الجسم.

«وتَقرَّبْتَ بدَمِه إلى الكَفَرة مِن أسْلافِك»

أي: قُمْتَ بإراقَة دَمِ الإمام الحسين (عليه السلام) تَقَرُّباً إلى أسلافِك، وقلتَ:

قد قَتَلْنا القَرْمَ مِن ساداتهم

وأقمْنا مِثْلَ بَدْرٍ فاعتَدَلْ

«ثمَّ صَرَخْتَ بِنِدائك»

أي: بِنِدائك لأشياخِك. ومِن هذه الجُملة يُستَفاد انّ يزيد كانَ رافِعاً صَوتَه حينَ قِراءتِه لِتلك الأبيات الكُفْريّة، والشِعارات الإلحادية.

«ولَعَمْري لقد نادَيتَهُم لو شَهِدوك»

قال ابنُ مالك ـ ما مَعناه ـ: «لو: حَرفٌ يَقتَضي في الماضي إمتناعُ مايَليه، واستِلزامُه لتاليه»[(١)].

وبناءً علىٰ هذا.. يكون معنىٰ كلام السيّدة زينب (عليها السلام): يايزيد! لقد تَمَنّيتَ أسلافَك لو كانوا حاضِرين كي يَشْهَدوك ويَشْهَدوا أخْذَكَ لِثارهم، ولكنّ هذه الأُمنية لا تَتحقَّقُ لك، فاسْلافُك مَوتىٰ مُعَذَّبون في نار جَهنّم، ومِن المُستَحيل انْ يَعودوا الآن ويَشهدوا ماقُمْتَ به مِن الجرائم، وليَقولوا لك: سَلِمَتْ يَداك!!

«ووَشِيكاً تَشْهَدُهم ولَنْ يَشْهَدوك»

---

(١) حكىٰ عنه ذلك إبنُ هشام في كتاب «مُغْني اللَبيب» ص ٣٤٢.
المُحقّق

وَشِيكاً: أي: سَريعاً أو قَريباً[١] ويُقال: أمْرٌ وَشيكٌ: أي: سَريع[٢]

المعنىٰ: يا يزيد: سوف تَموتُ قَريباً عاجلاً، لأنّ مُلْكك يَزولُ سَريعاً، ولا تَطولُ أيامُ حياتك، وتَنْتَقِل إلى عالَم الآخِرة، إلى جَهنّم فَتَرىٰ أسْلافَك هناك في الأغلال والقُيود وفي صالات التعذيب، ومَمَرّات السُجُون، ولكنّهم لا يَرونك، أي: لا تَجتَمعُ مَعَهم في مكانٍ واحد، لأنّك ستكون في دَرَجةٍ أسْفَلَ مِنْهم في طبَقات نار جَهنّم، لأنّ جَرائمَك المُوبِقَة تَسْتَوجِبُ العذاب الأشَدّ، لكنّك حِينَ نُزولك إلى ذلك المكان الأسفَل، سوف يكونُ طريقُك عليهم، فتَراهم ولكنّهم لا يَرونَك، لأنّ شِدّةَ عَذابَهم يُشْغِلُهم عن الإلتفات إلى ما حولَهم ومَن حولهم مِن الجُناة!

وقد رُويَ عن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «إنَّ قاتِلَ الحسين بن علي . . في تابوتٍ مِن نار، عليه نِصْفُ عَذابِ أهل الدُنيا، وقد شُدَّتْ يَداهُ ورِجْلاه بِسَلاسِل مِن نار، مُنَكّسٌ في النار، حتّىٰ يَقَعَ في قَعْر جَهَنّم، ولَهُ ريحٌ يَتَعَوّذُ أهلُ النار إلى رَبّهم مِن شِدَّة نَتْنِه، وهو فيها خالدٌ ذائقٌ

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) كتاب «العَين» للخليل بن أحمد.

العَذاب الأليم، مَعَ جَميع مَن شايَعَ في قَتْله، كلّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلَ اللّه (عزّوجلّ) عليهم الجُلود حتّىٰ يَذوقوا العَذابَ الأليم، لا يُفَتَّرُ عَنْهم ساعة، ويُسْقَوْنَ مِنْ حَميم جَهَنّم، فالوَيْل لَهُمْ مِن عذاب اللّه تعالىٰ في النار» .[1]

«ولَتَودُّ يَمينُك - كما زَعمتَ - شُلّتْ بك عن مِرْفَقِها وجُذّتْ»

شُلّتْ: الشَلَل: تَعَطّلٌ أو تَيَبُّسٌ في حَركة العُضو أو وظيفَته، يُقال - في الدُعاء -: شُلَّتْ يَمينُك .[2]

جُذَّتْ: قُطعَتْ أو كُسِرَتْ[3]

المعنىٰ: يا يزيد! إنّك في الدنيا زَعمْتَ أن أسلافَك لو كانوا حاضرين.. لَقالوا لك: «يا يزيدُ لا تُشَلْ» أمّا في يوم القيامة، حينَ تُعاقَب تلك العقوبة الشديدة، سوف تَتَمَنّىٰ أنَّ يَمينَك كانتْ مَشْلُولة أو مَقْطوعة حتّىٰ لا تَستطيع أن تَضْربَ بعَصاك ثَنايا الإمام الحسين (عليه السلام) .

---

(١) كتاب «عُيونُ اخبار الرضا عليه السلام» ج٢، ص٤٧، حديث ١٧٨ .

(٢) المُعْجَم الوَسيط .

(٣) نَفْس المصدر .

وهذا إخبارٌ من السيّدة زينب (عليها السلام) بما يَدورُ في ذِهْن يزيد حِينَ يُلاقي جَزاء أعماله الإجراميّة.

وتَتَمَنّىٰ ـ أيضاً ـ حينَما تُلاقي أشدّ درجات العُقوبة والتعذيب:

«وأحبَبْتَ أنّ أُمَّك لم تَحْمِلْك، وإيّاك لم تَلِدْ حِينَ تَصيرُ إلى سَخط الله ومُخاصمك رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم»

أحبَبْتَ ـ هنا ـ: بمعنىٰ تَمَنّيتَ مِن أعماق قلبك أنْ أُمَّك لم تكُنْ تَحمِلُ بِك، ولم تَلِدْك حتّىٰ لا تكون مَخْلوقاً وموجوداً مِن أوّل يوم، ولم تَكتَسِبْ هذه السيّئة الكبيرة الّتي دَفَعَتْ بك إلى أسفل السافِلين في التابوت الموجود في أسْفَل طبَقات جَهنّم، حيث يَسْتَقرُّ فيه أفرادٌ مُعيّنونَ مِن الجُناة الّذين جَرّوا الوَيلات علىٰ البَشَريّة جَمْعاء، وعلىٰ كلّ الأجيال والبِلاد والشُعوب، وأسَّسُوا الأُسَس ومَهّدوا الطُرُق لِمَن يأتي مِن بَعْدهم مِن الطغاة والخَونَة، في أن يَقوموا بكلّ جَريمة، وبكلّ جُرأة!

إنّ الأحاديث الشريفة تَقول: إنّ أهلَ النار ـ جميعاً ـ يَستَغيثُون بالمُوكَّلين بِهم مِن الملائكة.. أن لا يَفتَحوا بابَ ذلك الصندوق، لأنَّ دَرجةَ الحَرارة فيها أشدُّ ـ بكثير ـ مِن

حَرارة جَهنّم نفسها!![1]

وتَقول الأحاديث الشريفة: إنّه كلّما خَفّتْ ونَزلَتْ دَرَجةُ حَرارة نار جَهنّم.. تَفْتَحُ الملائكة بابَ ذلك الصندوق لِمُدَّة قليلة فتَزداد حَرارةُ جَهنَّمَ كلّها بالحرارة الشَديدة الّتي أُضيفتْ إليها مِن ذلك التابوت، كالقِدْر الكبير للطّعام الّذي تُوضَع فيه البُقول، وتُوضَع علىٰ نارٍ خَفيفة، وفُجأةً يَرفَعون دَرَجة تلك النار إلى أقصىٰ نِسْبةٍ مُمْكِنَة، فيَحدُثُ إضطرابٌ عَجيبٌ في ذلك القِدْر ومافيه!

ويُعبّرُ عن ذلك الصندوق بـ«التابوت» وبالمُعذّبين فيه بـ«أهل التابوت».

وقد رُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «... إذا كانَ يومُ القِيامة أقبَلَ رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ومَعَه الحسين (عليه السلام) ويَدُهُ علىٰ رأسه يَقْطرُ دماً، فيَقول: «يا رَبّ سَلْ أُمّتي فِيْمَ (أي: لماذا) قَتَلوا وَلَدي!»[2]

---

(١) كتاب (بحار الأنوار) ج ٨، ص٢٩٦، وهو يَنقل ذلك عن كتاب «تفسير علي بن إبراهيم»، وقد نَقَلْنا مَضمون الحديث.

(٢) كتاب «امالي الطوسي» ص ١٦١، حديث ٢٦٨، ونَقَلَه المجلسي في «بحار الأنوار» ج٤٥، ص٣١٣.

ثمّ بَدأتْ السيّدة زينب (عليها السلام) بالدُعاء علىٰ يزيد ومَن شاركَهُ في ظُلم آل رسول الله الطيّبين الطاهرين، دَعَتْ عليهم مِن ذلك القلب المُلْتَهِب بالمصائب المُتَتالية، فقالت:

«اللهُمّ! خُذْ بحَقّنا، وانتَقِمْ مِن ظالِمِنا، واحْلُلْ غَضبَك علىٰ مَن سَفَك دِماءَنا، ونَقَضَ ذمارنا، وقَتَلَ حُماتَنا، وهَتَك عَنّا سُدولَنا»

نَقَضَ: لم يُراعِ الحُرْمَة والعَهْد.

الذِمار: ما يَنبغي حِفْظُه والدِفاعُ عنه، كالأهْل والعِرْض.[١]

وقيل: ذِمارُ الرَجُل: كلُّ شيء يَلْزَمُه الدَفْع عَنْه.[٢]

سُدُول ـ جَمْع سِدْل ـ: السِتْرُ.[٣]

ثمّ أرادتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) انْ تُبَيّنَ ليزيد حقيقةً واقعيّة: وهي أنَّ جميعَ ما قُمتَ به ضِدَّ آل رسول الله، مِن: قَتْل وسَبْي، وحَمْل الرؤوس مِن بَلَد إلى بَلَد، وإهانة

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) كتاب «العين» للخليل بن احمد.

(٣) نَفس المصدر.

الرأس الشريف، والإفصاح عن الكلمات الكُفْريّة الكامِنَة في الصَدر، وغيرها.. لا تَعُودُ عليك بالفائدة والنَفْع، بل تَعُودُ عليك بالخُسران والعقوبة، حتّىٰ لو جَعَلَتْك تَفْرَح لِمُدّةٍ قَصيرة، لكنّ هذا الفَرَح سوف لا يَستَمرّ، بل يَتَعَقّبُه سِلْسِلة مُتَواصِلة مِن أنواع الخسارة والعَذاب الجَسَدي والنَفْسي، فقالت (عليها السلام):

«وفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ الّتي فَعلْت، وما فَرَيتَ إلّا جِلْدَك، وما جَزَرْتَ إلّا لحْمَك»

فَريتَ: شَقَقْتَ وفَتَتّ[1] وقَطعْتَ[2].

جَزَرْتَ: قَطعتَ[3] ويُستَعملُ غالباً في نَحْر البَعير وتَقْطيع لَحمه.

«وسَتَردُ علىٰ رسولِ اللّه بما تَحَمّلْتَ مِن دَمِ ذريّتِه، وانتَهَكْتَ مِن حُرْمَتِه، وسَفَكْتَ مِن دِماءِ عِتْرَتِه ولُحْمَتِه».

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) كتاب «العَين» للخليل.

(٣) المُعْجَم الوَسيط.

اللُحْمَة: القَرابَة، يُقال: بينَهم لُحْمَةُ نَسَب.[١]

المعنىٰ: سَتَرِدُ علىٰ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ـ بعد مَوتك ـ وأنتَ تَحمِلُ علىٰ ظهرك مِن الجَرائم ما لا تَحْمِلُها الجِبالُ الرَواسي، فيُخاصِمُك علىٰ كلّ واحدةٍ واحدةٍ منها.. أشَدّ أنواعَ الخُصُومة، مِن دون أنْ يخفىٰ عليه شيء!

«حيثُ يُجمَع به شَمْلُهُم، ويُلَمُّ بِه شَعَثُهُم، ويَنْتَقِمُ مِن ظالِمِهم، ويأخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِم مِن أعدائهم».

الشَعَث: ما تَفَرَّقَ مِن الأُمور أو الأفراد، يُقال ـ في الدعاء ـ: «لَمَّ اللّه شَعَثه».[٢]

المعنىٰ: سوف يَجْمَعُ اللّه تعالىٰ آلَ رسول اللّه عند النبيِّ الكريم في جَبْهة واحدة ـ وذلك في يوم القيامة ـ فيَشْكو كلُّ واحدٍ مِن آل الرسول إلى النبيِّ الكريم كلَّ ما لَقيَ مِن الناس مِن عِداءٍ وظُلْم، فيَنْتَقِمُ اللّه مِن أعدائهم أشدَّ الإنتقام. ومادام الأمر كذلك، فاسمَعْ يا يزيد:

«فلا يَستَفِزَّنَّك الفَرَحُ بقَتْلهم»

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) نَفْس المصدر.

لا يَسْتَفِزّنك: أي: لا يُخرِجُك الفَرَحُ عن حالتك الطبيعيّة، يُقال: إستَفزّهُ: أي استَخَفّه، أو خَتَلَه حتّىٰ ألقاهُ في مَهْلكة.[1]

فلا خيرَ في فَرْحَةٍ قَصيرة يَتعَقَّبُها حُزْنٌ دائم، وعذاب أليم، وخُلُودٌ في النار.

ثمّ أدمَجَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) كلامَها بالقرآن الكريم، فقالت:

«﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيل اللّه أمواتاً بَلْ أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزَقُون، فَرِحِينَ بما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْله... ﴾[2] وحَسْبُك باللّه وَليّاً وحاكماً»

لَعلَّ المقصود مِن قولها «وحَسْبُك باللّه وليّاً وحاكماً» أي: وَليّاً للدَمَ، وآخِذاً للثار، فالإمامُ الحسين (عليه السلام) هو: وَصيُّ رسول اللّه، وسيّد أولياء اللّه تعالىٰ، فمِنَ الطبيعي: أن يكون اللّه (عزّوجلّ) هو الطالبُ بِثاره، والوَليُّ لِدَمه، فهو الشاهِدُ لمُصيبَة قَتْل الإمام الحسين، وهو القاضي، وهو الحاكم، فهُنا. الحاكم والقاضي هو الّذي قد شَهِدَ الجَريمة

(١) كتاب «العين» للخليل، و«لسان العرب» لابن مَنظور، و«تاج العروس» للزبيدي. المُحقّق

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ ـ ١٧٠.

بِنَفْسِه، فلا يَحتاج إلى شهادة شُهود، وهو الّذي يَعرفُ عَظمةَ المقتول ظلماً، وهو الّذي يَعلمُ أهدافَ القاتِل مِن وَراء قَتْله للإمام، وهو يزيد.

«وبِرَسول الله خَصْماً، وبجبرائيل ظَهيرا»

لقد رُويَ عن الصحابي: إبن عباس أنَّه قال: «لمّا اشتَدَّ بِرَسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) مَرَضُه الّذي ماتَ فيه، حَضَرْتُه وقَد ضَمَّ الحسين إلى صَدْره، يَسيلُ مِنْ عَرَقِه عليه، وهو يَجُودُ بِنَفْسِه ويَقول: «ما لي ولِيَزيد! لا بارك الله فيه، اللهمَّ العَنْ يزيد».

ثمّ غُشِيَ عليه طويلاً وأفاقَ، وجَعَلَ يُقَبِّلُ الحسينَ وعَيناهُ تَذْرُفانِ ويَقول: أما إنَّ لي ولِقاتِلك مقاماً بينَ يَدَي الله».[1]

ثمّ صَعَّدَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) مِن لَهْجَتِها في تهديد يزيد وإنذاره، مُغامَرةً مِنها في حَرْبها الكلاميّة ومُخاطرَتها في كشْف الحقائق، وإهانَتها للطاغية يزيد، فقالتْ:

«وسَيَعْلَمُ مَن بَوّاكَ ومَكّنكَ مِن رِقاب المسلمين أنْ

---

(١) كتاب «الدُرّ النظيم» للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، المُتوفىٰ عام ٦٧٦ للهجرة، الطبعة الأولىٰ، طبع ايران، عام ١٤٢٠هـ، ص٥٤٠، وهو يَنقُلُ ذلك عن «مُثير الأحزان».

بِئسَ للظالمينَ بَدَلاً، وأيُّكم شرٌّ مَكاناً وأضَلُّ سَبيلاً»

مَكَّنَكَ: مَهَّدَ لِتسلُّطِك علىٰ كُرسيّ الحُكم علىٰ الناس والتَلاعُب بدماء المسلمين.

وهذا تَصْريحٌ مِن السيِّدة زينب (عليها السلام) ـ أمامَ يَزيد ومَن كانَ حَولَه في مَجلِسه ـ بِعَدَم شرعيّة تَسَلُّطه علىٰ رِقاب الناس، بل وعَدَم شرعيّة سُلْطَة مَن مَهَّدَ لِيَزيد هذه السلطة وهو أبوهُ مُعاوية بن أبي سفيان، فهو الّذي يَتَحَمّلُ ماقامَ به يزيد مِن الجرائم، مُضافاً إلى ماتَحَمَّلَهُ هو مِن الجنايات وقَتْل الأبرياء. فسيكون عذابُه أشدّ، لأن جرائمَه أكثر ووِزْرَهُ أثْقَل. ولعلَّ هذا المعنىٰ هو المقصود مِن قول السيّدة زينب ـ حِكايةً منها عن القرآن الكريم: «أيُّكم شرٌّ مَكاناً».

«وَما استِصْغاري قَدْرك، ولا استِعْظامي تَقْريعَك»

التَقْريع: الضَرْبُ مع العُنْف والإيلام.

وفي نسخة:

«ولَئنْ جَرَّتْ عليَّ الدَواهي مُخاطبتَك، إنّي لأسْتَصْغِرُ قَدْرك، وأستَعْظِمُ تَقْريعَك». [1]

(١) كتاب «المَلْهوف علىٰ قَتْلىٰ الطفوف» للسيّد ابن طاووس، ص٢١٧.

الدَواهي ـ جَمْع داهية ـ: دَواهي الدَهْر: ما يُصيبُ الإنسان مِن نُوَبِه.[(١)]

لَعلَّ السيّدة زينب (عليها السلام) تَقْصُد ـ مِن كلامِها هذا ـ: انّ يا يزيد! مِن الصَعْب عليَّ جِداً أنْ أُخاطبَك، لأنّي في مُنْتَهىٰ العِفّة والخِدارة، وأنتَ في غاية اللُؤم والحِقارة، ومِن الصَعْب عليّ أن أُخاطبُ رَجلاً نازِلَ القَدْر والمَكانة، لكنّ الضَرورة والظروف المؤسِفة وتَقلُّبات الدَهْر، جَعَلَتْني أكونَ طرَفاً لك في الخِطاب، لكي أُبيِّنَ لك فظاعَةَ تَقْريعِك لِرأس أخي الإمام الحسين (عليه السلام).

«تَوَهُّماً لإنتجاع الخِطاب فيك»

الإنتِجاع: إحتمالُ التأثير.[(٢)]

المعنىٰ: ليسَ هَدَفي مِن مُخاطَبَتِك إحتمال تاثير خِطابي فيك، بلْ هو رَدّ فِعْلٍ طبيعي لِما شاهَدْتُه وأُشاهِدُهُ مِن المَصائب، وعسىٰ أنْ يؤثّر كلامي في بعض الجالسين في هذا المجلس، ممّنْ خَفيَتْ عنهم الحقائق، بِسَبَب تأثير الدعايات، وأقولُ قَولي هذا.. لكي أُبطِلَ

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) كما يُستفاد هذا المعنىٰ مِن كتاب «العَين» للخليل، و«المُعْجَم الوَسيط». المُحقّق

وأدمَرَ ما احْرَزْتَه مِن الإنتصارات المَوْهومة.

«بَعْدَ أنْ تَرَكْتَ عُيونَ المسلمين به عَبْرىٰ»

أي: مُغْرَوْرَقَة ومَليئة بالدُموع بسَبَب استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بلا ذَنب، وبتلك الكيفيّة الفَجيعة!

«وصُدورَهُمْ عند ذِكْره حَرّىٰ»

أي: مُلْتَهِبَة مِن الحُزْن والأسىٰ، عند تَذكُّر ما جَرتْ عليه مِن المَصائب المُقْرِحة للقلوب.

وهذا أمرٌ طبيعي لِكلّ مُسْلمٍ - بل كلِّ إنسانٍ - لم تَتَغَيّر فيه الفِطرَة الأوّليّة الّتي فَطَرَ اللّه الناسَ عليها، فالتألّم مِن هكذا فاجعة.. هو رَدُّ فِعْلٍ طبيعي لِكلّ مَن تكونُ صِفَة العاطِفة سَليمة لَدَيه.

ثمّ ذكرتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) سَبَبَ عدم إحتمال تأثير خِطابها في نَفْسيّة يزيد وحاشِيَته، فقالت (عليها السلام):

«فتِلْك قُلوبٌ قاسِية، ونُفوسٌ طاغية، وأجسامٌ مَحْشُوّة بِسَخَطِ اللّه ولَعنَةِ الرسول، قد عَشّشَ فيها الشَيطانُ وفَرّخ»

مَحْشُوّة: أي: مَمْلوءَة.

إنَّ القلْب إذا صارَ قاسِياً، والنَفْس إذا أخَذَها الطغيان، فسَوفَ لا تكونُ الأرضيّة مُساعِدَةً فيهما لِتَقَبُّل المَواعِظ والنَصائح.

يُضافُ إلى ذلك.. أنّ الشيطانَ الرَجيم إذا وَجَدَ التَفاعُل والتَجاوب مِن شَخْص، فسوف يَتَربّعُ في فِكْره وذِهْنه، ويَتّخذُه لِنَفسه عِشاً ووكْراً، ومَسْكَناً ومَحَلاً للإقامة فيه، ويكونُ بِمَنزلة جَهاز التَحكُّم في الأشياء، يَتَحكَّمُ في مُيوله واتّجاهاتِه، فيُوَجِّهُ الشخصَ حيثما يُريد، ويأمرُه بأنواع الإنحراف والإنسِلاخ عن الفِطرة الإنسانيّة والعاطفة وجميع الصفات الحَميدة، ويُعطيه الجُرأة علىٰ اقتحام المَخاطر الدينيّة، فإذا أرادَ الشيطانُ مُغادَرة فِكْر هذا المُنْحَرف فإنّ هناك فراخه، أي: جُنوده، الّذين يَقومون مَقامه ويُؤدّونَ دَورَه في مُهمّة الإغراء والتَشْجيع علىٰ الجريمة مِن دون التفكير في مُضاعفاتها السَلْبيّة.

«ومِن هناك مِثلك مادَرَج»

ومِن هناك: أي: وبسَبَب ذلك، ونتيجةً لتلك الأسباب. وقيل: «ما» في «ما درج»: زائدة.

دَرَج: يُقال: دَرَج الصَبيّ: اي: اخَذَ في الحَركة ومَشىٰ

مَشْياً قَليلاً . . أوّلَ ما يَمشي .[1] وقيل : دَرَج أي : نَشَأَ وتَقَوّىٰ .

«فالعَجَبُ كلُّ العَجَب لِقَتْلِ الأتقِياء، واسباطِ الأنبياء، وسَليل الأوصياء، بايدي الطُلَقاء الخَبيثَة، ونَسْلِ العَهَرة الفَجَرَة»

الأتقياء ـ هُنا ـ : الإمامُ الحسين (عليه السلام) والمُسْتَشْهَدين مَعَه .

أسْباط ـ جَمْعُ سِبْط ـ : الحَفيد .

السَليل : الوَلَد .

العَهَرَة ـ جَمْعُ عاهِر وعاهِرَة ـ : الرجل الزاني ، والمَرأة الزانية .

الفَجَرة ـ جَمْعُ فاجِر وفاجِرة ـ : الرجل او المرأة الّتي تُمارس جَريمة الزنا والفُجُور .

حَقّاً إنّه عَجيب ، بل هو مِن اعجَب الأعاجيب انْ يُقتَلَ أشرف وأطيب خَلْق اللّه تعالىٰ علىٰ ايدي ذُرِّيَّة العاهِرين والعاهِرات ! !

ولكن . . هذه هي طبيعةُ الحياة الدُنيا ، انّها تكونُ

---

(١) المُعْجَم الوَسيط .

قاعةَ إمتحانٍ للأخيار والأشرار، ولِلذينَ يَضْربونَ أرقاماً قِياسِيّة في الطِيب أو الخُبْث.

ومِن هنا.. بَقِيتْ «فاجعةُ كربلاء» خالدةً إلى يوم القيامة، عند كلِّ مجتمعٍ يَمتازُ بالوَعي والإدْراك، وفَهْم المَفاهيم والقِيَم الإنسانيّة، وكلّما إزدادَ البَشَر نُضْجاً وفَهْماً أقبَلَ علىٰ دِراسة وتَحْليل هذه الفاجعة بصورةٍ أوسَع، والتفكير حولَها بشكلٍ أشْمَل، والكتابَة عنها بتفصيلٍ أكثر.

وقد شاء اللّه تعالىٰ أن يَبقىٰ هذا المَلَفُّ مَفْتوحاً لَدىٰ العُقَلاء المؤمنين، ويُجدَّدُ فَتْحُه في كلّ عام، بَلْ في كلّ يوم، لِتَحْليل ودراسة جُزئيّات هذه الفاجعة!!

ولخُلُودِ فاجعة كربلاء ـ وإمتيازها علىٰ بقيّة فَجائع وكوارث التاريخ ـ أسبابٌ مُتعدّدة، نَذْكُر بعضَها، لِيَعرفَ ذلك كلُّ مَن يَبْحَثُ عن إجابة هذا السؤال، ويُريدُ معرفة الواقع والحقيقة:

١ ـ إنّ الّذينَ انصَبَّتْ عليهم مُصيبةُ القَتْل او السَبْي.. ـ في هذه الفاجعة ـ كانوا هم أفضَلَ طبَقات البَشَر، وأشرفَ خَلْق اللّه تعالىٰ.. رِجالاً ونِساءً، بل كانوا في قمّة شاهقة، ودَرَجة عالية مِن العَظمة والجَلالة والإيمان باللّه تعالىٰ، والنَفسيّة الطيّبة، بحيث لا مَجالَ لأن نَقِيسَ بِهِم

غيرَهم مِن البَشَر.. مَهْما كانوا عُظماء.

٢ ـ إنّ الّذين ارتكبوا الجرائم ـ في هذه الفاجعة ـ.. كانوا أخبَثَ البَشر، واكثرَ الناس لُؤماً، وأنزلَهُم نَفْسيّةً.

٣ ـ إنّ هذه الفاجعة مَهَّدَتْ الطريق لِسِلْسِلَة مِن الفَجائع والجَرائم والجِنايات، فأعطت الناسَ الجُراةَ بانْ لا يَخافوا مِن أحَد، ولا يَلتزموا بعَقيدةٍ أو دين، فكانَ عمَلُ مُرتَكبي هذه الفاجعة.. بمنزلة تاسيس الأُسُس وفَتْح الطريق أمامَ كلّ خَبيثٍ ولَئيم، ، في أن يَقوم بما تَطيبُ له نَفْسُه القَذرة مِن الجرائم والجنايات!

ولقد جاءَ في التاريخ: انّ الإمام الحسين (عليه السلام) صَرَّح بهذه الحقيقة، اثناءَ مُقاتَلَتِه مع أهل الكوفة، فقال: «... يا أُمّة السَوء: بِئسَما خَلَفْتُمْ محَمّداً في عِتْرته، أما إنّكم لَنْ تَقتُلوا بَعْدي عَبْداً مِنْ عِباد اللّه فَتَهابُوا قَتْلَه، بَلْ يَهُونُ عليكم ذلك عِنْد قَتْلكم إيّاي...»[1].

٤ ـ إنّ طبيعة الحياة: هي أنّ التاريخ يُعيدُ نَفْسَه.. لكنْ.. مَع إختلاف الأفراد والأجيال، فكانَ ضَروريّاً علىٰ كلّ مُسْلمٍ أنْ يَسْتلْهِمَ الدُروس والعِبَر مِن هذه الفاجعة الكُبرىٰ، ويَقومَ بِدراستها ومَعرفة تَحليلها.. بِشكلٍ

(١) كتاب «بحار الأنوار» ج٤٥، ص٥٢.

شامِل، لكي لا يَسْقُط في الإمتحانات الإلهيّة الصَعْبَة، والمُنعَطفات الحادّة الخَطيرة، وحتّىٰ لا تَتكرَّر مَآسي وفَجائع مُشابِهَة.

وحتّىٰ لو تكرّرتْ ذلك فإنّه يُبادرُ إلى صُفوف الأخيار، ويَتّخِذُ مَوقِفَ الإنسان المؤمن الّذي يَخافُ اللّه تعالىٰ، ويؤمنُ بِيَوم الحِساب، وذلك لأنّ لَدَيه خَلْفيّة دينيّة واسِعة وشامِلة عن فاجعة كربلاء ومُضاعَفاتها.

٥ ـ إنّ فَتْحَ مَلَف «فاجعة كربلاء» والبُكاء حِينَ قراءة أو سِماع تفاصيلها يعني: تأمين جاذِبيّة قَويَّة، تَجذِبُ الناس نَحوَ الدين بـ«إسم الإمام الحسين عليه السلام»، وبجاذبيَّة عاطفيَّة لا يُمكن تَصَوُّر دَرَجة قُوّتها!!

وهنا.. يَنبغي الإلتفات إلى حقيقة مُهمَّة، وهي: أنّ الأدلّة العَقْليَّة والإستدلالات المَنطقيّة ـ في مَجال دَعْوة الناس إلى الإلتزام بالدين ـ تَقومَ بِدَور الإقناع فَقط، لكنْ لابدَّ لذلك مِن عامِلٍ يَجذِبُ الناسَ لإسْتِماع هذه الأدلّة، وأقوىٰ عَوامِل الجَذْب هو: العامل العاطفي، وهو مُتوفّر في كلِّ بَنْدٍ مِن بُنود هذه الفاجعة!

وهذه الجاذبيَّة لا تَقْتَصِرُ علىٰ جَذْبِ الناس نحو الدين فَحَسْب، بل تَجْذِبُهُم نحو الفضائل والأخلاق، والتَطبيق العَمَلي لِبُنود الدين، وتَعَلُّم مَعالم وعَقائد

وعِبادات الدين مِن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).. لا مِن غيرهم.

فإنّ اللّه تعالىٰ جَعَلَ شرطَ قَبُولَ الأعمال وِلاية أهل البيت وإتّباعَهُم، لا مُجَرَّد مَحَبّتِهم، وجَعَلَ اللّه (عزّوجلّ) الإسلامَ الواقعي يَنْحَصِرُ في مَذهب أهل البيت، لا المَذاهِب الأُخرىٰ.. حتّىٰ لو كانتْ تلك المَذاهِب مُشْتَمِلَةً علىٰ ظواهر ومَظاهر دينيّة، فالمَظهَر وَحْدَه لا يَكفي، بَلْ لابدّ مِن التمسُّك بالمُحْتَوىٰ الصحيح!

ولابُدّ مِن التوقيع الإلهي علىٰ شَرْعيّة ذلك المَذهَب، عن طريق نُزول الوَحي علىٰ رسول اللّه الصادق الأمين، أو ظهور المُعجزات مِن إمام ذلك المَذهَب.

ولذلك فقد اشتُهرَ وتَواتَرَ عن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) قولُه: «مَثَلُ أهلِ بَيْتي فيكُمْ كسَفينَةِ نوح، مَن ركِبَها نَجىٰ، ومَن تَخلّفَ عَنْها غَرِق».

والآن.. نَعودُ إلى شَرْح كلمات خُطبة السيّدة زينب (عليها السلام):

تقول السيّدة: إنَّ قَتْلَ الأتقياء وأحفاد الأنبياء وإبن الأوصياء، كانَ علىٰ أيدي الطُلَقاء الخَبيثَة، ونَسْل العَهَرة الفَجَرة.

إنّنا حينَما نُراجعُ التاريخَ الصحيح نَجِدْ أنَّ الّذين

ارتكبوا فاجعة كربلاء الدامية كانوا مِن أولاد الحَرام!! بِدْءاً مِن يزيد، إلى ابن زياد، إلى الشمر، إلى العَشَرة الّذين سَحَقُوا جَسَد الإمام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ شهادته، بِحَوافِرِ خُيولِهم!!

ولإلتحاق كلّ واحدٍ مِنْهم بأبيه قصّةٌ مَذكورةٌ في كُتُب «عِلْم الأنساب».[1]

فقد جاءَ في التاريخ: أنّ إمرأة نَصْرانيّة إسمها: «مَيْسُون بنت بَجْدل الكلبي» زَنَتْ مع عبْد أبيها، فحَمَلَتْ بـ«يزيد» وبَعدَ الحَمْل بِشُهور تزوّجَها معاوية.[2]

وأمّا عُبيد اللّه بن زياد، فإنّ أُمَّهُ «مَرْجانَة» كانتْ مَشهورة ـ عند الجميع ـ بالزنا المُستمرّ!![3]

وكلامُ الإمام الحسين (عليه السلام) مَشهور وصَريح بأنَّ عُبيدَ اللّه وأباهُ زِياد كانا إبنَيْ زنا، حيث قال الإمام: «... ألا وإنّ الدَعيَّ ابنَ الدَعيّ قد ركزَ بينَ اثنَتَيْن: بَينَ السِلَّة والذِلَّة، وهَيهات مِنّا الذِلَّة ...».

---

(١) إقرا كتاب «مَثالِبُ العَرَب» لهشام بن الكلبي وكتاب «إلزام النَواصب» للشيخ مُفْلح بن الحسين البحراني.

(٢) كتاب «مَجالس المؤمنين»، ج٢، ص٥٤٧، نَقْلاً عن كتاب «مَثالب الصحابة».

(٣) كتاب «مَعالي السِبطين» ج١، الفصل السابع، المجلس الرابع.

وقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «قاتِلُ الحسين (عليه السلام) وَلَدُ زنا».[١]

«تَنْطِفُ أكُفُّهُمْ مِن دِمائنا»

تَنْطِفُ: تَقْطُرُ أو تَسِيلُ.[٢]

والظاهر أنّ هذا الكلام - أيضاً - إستعارة بَلاغِيّة، وتَعني السيّدة زينب (عليها السلام) تلك الأيدي والأكُفّ الّتي كانتْ تَضْربُ بسُيوفها ورِماحِها علىٰ أجسام آل رسول اللّه: الإمام الحسين ورجالِ أهلِ بَيته وأصحابه، فتَتقاطر أكُفُّهُمْ وسيوفهم مِن دِماء أُولئك الطيّبين.

وتَتَحَلَّبُ أفواهُهُمْ مِن لُحومِنا»

تَتَحَلَّبُ: يُقال: حَلَبَ فُلانٌ الشاةَ أو الناقةَ: أي: إستَخْرجَ ما في ضَرْعِها مِن اللَبَن، واستَحْلَبَ اللَبَنَ: إستَدَرّهُ.[٣] وتَحَلَّبَ فُوهُ أو الشيء: إذا سال.[٤]

---

(١) كتاب «كامل الزيارات» لإبن قولويه، ص ٧٩، حديث ١١، وكتاب «بحار الأنوار» ج ١٤، ص ١٨٣.

(٢) علىٰ ما هو مذكور في اكثر كُتُب اللُغة. المُحقّق

(٣) كتاب «اقرب الموارد» للشرتوني.

(٤) كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

لعلَّ المراد: أنّه كما أنّ وَلَدَ الناقة تَتَحَلَّبُ وتَمتَصُّ بِفَمِها الحليبَ مِن مَحالِبِ أُمِّها، كذلك كانَ الأعداء يَمْتَصُّونَ بأفواهِهم مِن لُحومِ ودِماء آل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مَصّاً قَويّاً بِدافِع الحِقْد والبَغْضاء!!

وهذه - أيضاً - إستعارة بَلاغِيّة وكِنايَة عن شِدَّة حِقْدِهم وعِدائهم.

ويُمكن أنْ تكون هذه الكلمة إشارةً إلى ما فَعَلَتْه «هِنْد» جَدّة يزيد - في غَزوة أُحُد -: مِن شَقّها لِبَطن سَيِّدنا حمزة بن عبد المُطّلب، وإخراجِها كبده، ثمّ وَضْعه في فَمِها ومُحاولَتِها انْ تَمْضَغَهُ وتأكلَ مِنْه، حِقْداً منها عليه، لكونه عَمّاً لِرسول اللّه، وقائداً كُفُوءاً في جيش المسلمين.[1]

«تلك الجُثَثُ الزاكية، علىٰ الجَبُوب الضاحِية»

الجَبُوب: وَجْهُ الأرض الصُلْبَة[2] وقيل: الجَبُوبُ: التُراب.[3]

---

(١) المُحقّق.

(٢) كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

(٣) المُعْجَم الوَسيط.

الضاحِية: يُقال ضَحا ضَحْواً: بَرَزَ للشَمس، أو أصابَه حَرُّ الشَمس، وأرضٌ ضاحية الظِلال: أي: لا شَجَر فيها.[١]

إخبارٌ مِن السيّدة زينب (عليها السلام) عن مصيبة بَقاء الأجساد الطاهرة علىٰ وَجْه الأرض عِدَّة أيّام.. مِن غير دَفْن، تَصْهَرُها الشمس بأشِعَّتِها المُباشرة، كلّ ذلك.. رَغْم كونهم سادات أولياءِ اللّه تعالىٰ.

«تَنْتابُها العَواسِل»

تَنْتابُها: تأتي إليها مَرَّةً بَعْدَ مَرّة.

العَواسِل ـ جَمْع عاسِل ـ: وهو الذِئب.[٢]

وهنا إحتمالان في المَقصود مِن هذا الكلام:

الإحتمال الأول: إنّ المقصود مِن «العَواسِل»: هم الّذين حَضروا يومَ عاشوراء لِقَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) والصَفوة الطيّبة مِن ذُريّته وأهل بيته وأصحابه. عَبّرت السيّدة زينب (عليها السلام) عن أولئك الأعداء بالذئاب، لأنّهم كانوا يَحْملون صِفَة الذِئاب وهي الإفتراس، ويُعبّر

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) وقيل: العَواسِل ـ جَمْع عَسّال ـ: وهو الرُمح. المُحقّق

عن هذا النوع مِن التَشْبيه ـ في عِلْم البَلاغة والأدَب ـ بـ «الإستعارة».

وقد استَعمَلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) هذا النوع مِن الإستعارة في خُطبته الّتي ألقاها قبلَ خروجه مِن مكّة نحو العراق، حيث قال ـ فيها ـ: «... . خُيِّرَ لي مَصْرَع أنا لاقِيه، وكأنّي بأوْصالي تُقَطّعُها عُسْلانُ الفَلَوات، بينَ النَواويس وكربلاء ...»[1].

وبناءً علىٰ هذا . . يكون المقصود مِن كلمة «تَنْتابُها» الهُجُوم المُتَوالي والغارات المُتَتالية الّتي كانَ الأعداء يَشِنّونَها علىٰ أصحاب الإمام الحسين وخِيامه . . يومَ عاشوراء.

الإحتمال الثاني: هو أنّ الشأن والعادة تَقتضي أنْ لو بَقيتْ جُثَثُ أُناس علىٰ الأرض ـ مِن غير دَفْن ـ، وكانتْ المنطقة تَتَواجَدُ فيها الذئاب، فإنّها تأتي إلى تلك الجُثَث وتأكل مِن لحومها.

إلّا أنّ المعنىٰ لم يَحصَل ـ بكلّ تأكيد ـ بالنسبة إلى الجَسَد الطاهر للإمام الحسين (عليه السلام) وأجساد أصحابه وأهل بيته الطيّبين، الّذين قُتلوا معه، وبَقيتْ أجسادهم علىٰ

(١) كتاب «بحار الأنوار» ج٤٤، ص ٣٦٧. المُحقّق

الأرض لمُدّة ثلاثة أيّام، مِن غير دَفْن أو مُواراةٍ في الأرض، مِنْ دون أن يَتعرّضَ لها ذئبٌ أو أيُّ حيوان مُفْتَرسٍ آخَر.

«وتُعَفّرُها أمّهاتُ الفَراعِل»

الفَراعِل ـ جَمْعُ فُرْعُل ـ: ولَدُ الضَبُع.[1]

الظاهر انَّ هذا الكلام ـ ايضاً ـ إستعارةٌ بَلاغيَّة، ولَعلّها تُشيرُ إلى أولئك الأفراد العَشَرة الّذينَ ركبُوا خُيولَهم وسَحَقُوا جَسَد الإمام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ قَتْله.. بِحَوافِر الخَيل، في يوم عاشوراء، أو اليوم الحادي عشر مِن المُحرَّم.

قال الراوي: ثمّ نادىٰ عمرُبنُ سعد في أصحابه: مَن يَنْتَدِبُ للحسين فيُوطِئُ الخيلَ ظَهْره؟

فانتَدَبَ منهم عَشَرة وهم: إسحاق بن حوية، وأخنَس بن مرثد، وحَكيم بن طفيل، وعمر بن صبيح الصَيداوي، ورجاء بن مُنقذ العبدي، وسالم بن خَيثمة الجعفي، وصالحُ بنُ وَهَب الجعفي، وواحِظ بنُ غانم، وهاني بنُ ثَبيت الحَضْرمي، وأُسيد بنُ مالك (لَعنَهُمُ الله) فَداسُوا الحسينَ بِحَوافِر خُيولهم حتّىٰ رَضُّوا ظَهْرَه وصَدْرَه!!

---

(١) كتاب «أقرب المَوارد» للشَرتوني.

قال الراوي: وجاءَ هؤلاء العَشَرة حتّىٰ وَقَفُوا عند ابن زياد، فقال لَهُ أحَدُهم:

نَحنُ رَضَضْنا الصَدْرَ بَعْدَ الظَهْر

بِكلِّ يَعْبوبٍ شَديد الأسْر

فقال ابنُ زياد: مَن أنتُمْ؟

قالوا: نَحنُ وَطئْنا بِخُيولِنا ظَهْرَ الحسين.. حتّىٰ طحَنّا جَناجِنَ صَدْره!!

فأمَرَ لَهُم بجائزة.

قال أبو عَمرو الزاهد: فَنَظرْنا في نَسَب هؤلاء العَشَرة، فَوَجَدْناهم جميعاً أولادَ زنا![1]

«فلَئن اتّخَذْتَنا مَغْنَماً، لَتَجِدُ بِنا وَشِيكاً مُغْرَماً حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدَّمَتْ يَداك، وما اللّهُ بِظلاّمٍ للعَبيد»

مَغْنَماً: الغَنيمة، وجَمْعُها: مَغانِم[2] وقيل: المَغْنَم: هو كلُّ ما حَصَلَ عليه الإنسانُ مِن أموال الحرب.[3]

---

(١) كتاب «المَلْهوف» للسيد ابن طاووس، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

(٣) كتاب «لسان العرب».

مُغْرَماً: المُغْرَم: المُثْقَلُ بالدَّين[١] أو أسيرُ الدَّين[٢] وقيل: المغْرَم: مَصْدرٌ وُضِعَ مَوضِع الإسم، ويُرادُ به مُغْرَم الذُنوب والمعاصي.[٣]

المعنىٰ: يا يزيد! إنّك أمَرتَ بأسْرِنا، وتَعامَلَتْ جَلاوزتُك مَعَنا ـ في طريق الشام ـ تَعامُلَ السَبايا والغَنائم الحَربيّة، ولكن.. إعلمْ أنّك ـ في القَريب العاجِل ـ سَوفَ تَجِدُ نَفسَك مُثْقَلاً بالذُنوب ومُحاصَراً بالمعاصي الّتي يَلْزَم عليك دَفْعُ ضَريبتِها، والدفاعُ عن نَفْسِك في مَحكَمة العَدْل الإلهيّة، حيثُ لا تَجِدُ مَعَك إلاّ ما قَدّمَتْ يَداك: مِن جَرائم وجِنايات، والّتي مِنْ أبرَزها: سَبْي نِساء آل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم). وفي ذلك الحِين تَرىٰ نَفْسك وَحيداً ذَليلاً مُهاناً، مِن غير مُحامٍ يُدافِع عنْك، ولا عُذْرٍ لِتُبرّرَ به أعمالك، ولا مالٍ لِتَدْفَعُه رشوةً وتُخلّص به نفسك، بل تَبقىٰ أنتَ وأعمالُك!!

«فإلىٰ اللّه المُشْتَكىٰ والمُعَوَّل، وإليه المَلْجأُ والمُؤمَّل»

المُعَوّلُ: إسمُ مَفعول بمعنىٰ «المُسْتعان»، يُقال:

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) اقرب الموارد للشرتوني.

(٣) كتاب «مَجْمع البحرين» للطريحي.

عَوّلْتُ عليه: أي استَعَنْتُ به، وصَيَّرتُ أمْري إليه[1] وقيل: العَوْلُ: المُستَعان به، والعِولُ: الإتّكال والإستِعانة، يُقال: عَولَ الرجلُ عليه: أي: إعتَمَدَ وإتّكل عليه، واستَعانَ بِه.[2]

وبَعْدَ ما ذكَرَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) ما جَرىٰ علىٰ آل الرسول الطاهرين مِن المصائب، تَقول «فإلىٰ اللّه المُشْتكىٰ» وعليه الإعتماد والإتّكال والإستعانة به.. لا إلىٰ غيره، فقد كانَ تعالىٰ: هو الشاهِدُ علىٰ ما جَرىٰ، وسيكونُ هو المُنْتَقِمُ مِن الأعداء، المُقتَدرُ علىٰ إبادتهم وعُقوبتهم. «وإليه المَلْجأُ والمُؤمَّل» فهو ـ سُبحانه ـ المَلْجَأ لَنا ولِبقيّة أفراد العائلة المُكرَّمة، وخاصّةً بَعْدَ فَقْدنا لسيّدنا الإمام الحسين (عليه السلام) وتَواجُدِنا في عاصمة بَني أُميّة، في قَيْد الأسْر والسَبي!

وهو «المُؤمّل»: الّذي نَأمَلُ مِنه ان يُعينَنا علىٰ ما أصابَنا، ويُعطينا الصَبْر الجَميل علىٰ تحمُّل ذلك، ويَمْنَحَنا الأجرَ الجَزيل إزاءَ ما لاقَيْناهُ مِن المكاره والنَوائب.

---

(١) كتاب «العَين»، للخليل بن احمد.

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

ثمّ عادَتْ السيّدة زينب (عليها السلام) لِتَصُبُّ جاماً آخرَ مِن غَضَبِها علىٰ المُجْرم الأصلي لِفاجعة كربلاء، وهو يزيد الّذي قامَ بتلك الجَرائم مُباشَرةً، أو أصدَرَ الأوامِر لِعامِله اللَعين ابن زياد، الّذي نَفَّذَ أوامرَ يزيد مِن القتْل والسَبْي والضَرْب وغير ذلك.

وكأنّها تَرىٰ أن كلَّ ما خاطبَتْه به غيرُ كافٍ لِما يَستَحقُّه مِن شَجْبٍ وتَعْنيف!

فقالتْ:

«ثمّ كِدْ كيْدَك، واجهَدْ جَهْدَك»

الكيْدُ: إرادةُ مَضَرَّة الغَير خُفْيَةً، والحِيلة السَيِّئة، والخُدْعة، والمَكْر[1]

جَهَدَ جَهْداً: جَدّ، ويُقال: طلب حتّىٰ وَصَلَ إلى الغاية، والجُهْد: الوُسْع والطاقة.[2]

هذا كلامٌ يَطغىٰ عليه طابعُ التَهْديد الشَديد، مِنْ سَيّدة أسيرة، ولكنّها واثِقَة مِن نَفسها ـ أعلىٰ دَرَجات الثقَة ـ أنَّ جميعَ نِشاطات يزيد ـ والفُصول اللاحِقة مِنْ مُخَطَّطاتِه ـ

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) نَفْس المصدر.

سَوفَ تَفْشَل، وسوفَ لا يَتَوَصَّل إلى أيّ واحد مِن أهدافه!! بَلْ تَرجعُ عليه بشكلٍ مُعاكِس، فَكُرسِيُّه يَتَزعْزع، وسُلطتُه تَضْعُف، وقُدرتُه تَذهَب!

فالسيّدة زينب (عليها السلام) تُريدُ أنْ تَقول ليزيد: إصنَعْ مابَدا لك، مِن تَخطيطٍ وتفكير، وقَتْلٍ وإبادة، وسَبْي وأسْر، وابذِلْ مافي وُسْعِك مِن جُهود، فسَوفَ لا تَصِلُ إلى الهَدَف الّذي حَلِمْتَ به، وهو إسْتِئْصال شَجَرةِ النُبوَّة مِن جُذورِها.. بِكافّة أغصانها وفُروعها وأوراقها، وعَدَمُ إبقاء صَغيرٍ أو كبير مِن آل رسول اللّه.. رَجُلاً كان أو إمرأة!

«ـ فو اللّه الّذي شَرَّفَنا بالوَحي والكِتاب، والنُبُوَّة والإنْتخاب ـ»

القَسَم للتأكيد الأكثر، وهو ـ في الواقع ـ إنعِكاسٌ آخَر لِعُلوٍّ مُسْتوىٰ درجة الثِقَة بالنَفْس والإتّكال علىٰ اللّه تعالىٰ، واليَقين بما يَقولُه الإنسانُ ويَحْلِفُ مِن أجْله، وعِلْم السيّدة بِحَوادث المُسْتَقبل، وماسَتؤولُ إليه الأُمورُ، فإنّ حوادثَ اليوم، وأحداثَ المُسْتَقبَل تُعتَبرُ ـ أمامَ عَين السيّدة زينب عليها السلام ـ في حَدٍّ سَواء، لأنّ اللّه تعالىٰ مَيَّزَها عن بقيّة سيّدات البَشَر بأنْ يُوصّلَ إليها العُلوم مُباشرةً.. عن طريق الإلهام.. ودون التعلُّم مِن البَشَر،

ولِذلك فإنّ حَوادثَ المُسْتقْبَل معلومة وواضحة لها كاملاً كالحوادث المُعاصِرة، ومثالُها مثال مَنْ يُخرج رَأسَه مِن نافِذَة الغُرفة، فيَرىٰ ـ بكلّ وُضوح ـ كلَّ ما هو موجود إلى آخر الشارع، وليسَ مِثالُها مِثال مَن يَجلسُ في غُرفةٍ ويَفْتَح النافذة فلا يَرىٰ إلّا مايُقابِل النافِذة فقط.

إنّنا نَتَلَمَّسُ ـ مِن كلمات القَسَم هذه ـ المَعْنويّات العالية الّتي كانتْ تَمتازُ بها السيّدة زينب (عليها السلام) حِينَ إلقائها لخُطبتها، فهي تَفْتخِرُ وتَعْتَزّ بِمَزاياها الفَريدة فَتَقول: «فو اللّه الّذي شَرَّفَنا بالوَحي والكِتاب»، فالقرآن الكريم نَزلَ علىٰ جَدِّ السيّدة زينب وهو رسول اللّه سيّدنا محمد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وفي دارها.

وكذلك إختارَ اللّه هذه الأُسْرة وانتَخبَها لِتَكونَ فيهمُ النُبوَّة. وكأنّها تُعرِّض بكلامها لِيَزيد: أن أنتَ بماذا تَعْتَز؟ وبماذا تَفْتَخِر؟!

وهلْ توجَد فيك فضيلة واحدة حتّىٰ تَفْتخر بها؟!

ولَعلَّ السيّدة زينب كانتْ تَقصُد ـ أيضاً ـ إسماع الجماهير المُتَواجِدة في ذلك المجلس هذه الحَقائق، ومِنْ باب المَثَل الّذي يَقول: «إيّاك أعْني واسْمَعي يا جارَه».

وبعد كلمات القَسَم تَذْكر السيّدة زينب (عليها السلام) الأُمور الّتي أقسَمَتْ مِن أجْلِها:

لا تُدْرِكُ أمَدَنا، ولا تَبْلُغُ غايَتَنا، ولا تَمْحُو ذِكْرَنا»

أمَدَنا: الأمَد: الغايَة والنِهايَة.(١)

أي: مَهْما بَذَلْتَ مِن الجُهُود، وحاولْتَ مِن المُحاولات، فسوفَ تَفشَل في ذلك، فقد حاولَ ذلك مَن كان قَبْلك ـ وهو معاوية ـ فلم يَستطع ذلك، رَغْمَ أنّه كانَ أقوىٰ مِنْك.

«ولا يُرحَضُ عنْك عارُها»

يُرحَضُ: يُغْسَلُ.

تُصرِّحُ السيّدةُ زينب (عليها السلام) بحقيقة واقعيّة: وهي أنّ العار والخِزْي وسَبّة التاريخ، سوفَ تكونُ مُلازمَةً لِيَزيد إلى الأبَد، ولا يَتمكّن مِن غَسْلها، لا هو.. ولا مَن سَيأتي مِن بَعْده مِن الشَواذ الّذين يُشارِكونَهُ في الإتّجاه واللُؤم.

إنّ التاريخ يَقول: حينَما بَدأتْ الأُمور تَنْقَلب علىٰ يزيد، فقد صارتْ مَجالس تَعليم القرآن الكريم.. في الشام يتَحدَّث فيها المُعلِّم عن جَرائم يزيد في قتْله الإمام الحسين (عليه السلام) وسَبْيه نساء آل رسول الله، ثمّ بَدأَ الناسُ يُنقّبُونَ ويُنَبّشُون في مَلَف يزيد، لِيَروا الفارق الواسع بينَ سيرته وأعماله، وبينَ ما سَمِعُوه أو قَرأوه عن سيرة الرسول الأعظم (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم).

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

لمّا حَدَث كلُّ هذا.. بَدأ يزيدُ يُلْقي باللَوم علىٰ ابن زياد، وصار يَلْعَنُه ويَقول: إنّه قَتَلَ الحسين مِن تِلْقاء نَفْسه.

ولكنّ جميع هذه المُحاولات باءَتْ بالفَشَل والفضيحة الأكثر ليزيد!

«وهَلْ رَأيُك إلاّ فَنَد، وأيّامُك إلاّ عَدَد، وجَمْعُك إلاّ بَدَد»

فَنَد: الفَنَدُ: الخَطأ في القول والرأي. وقيل: الفَنَدُ: هو الكَذِب.[1]

لَعلّ المعنىٰ: أنّ رأيك ـ في تخطيطك ومُحاولتِك للتخلُّص مِن مُضاعَفات جَريمتك ـ خَطأ وضَعيف.

«وأيّامُك إلاّ عَدَد»

العَدَد: هو الكميّة المُتالّفَة مِن الوَحْدات، فيَخْتَصُّ بالمُتَعدِّد في ذاته. وعَدَد: للتقليل: أي: مَعْدود، هو نَقيضُ الكَثْرة.[2]

لَعلَّ المعنىٰ: يا يزيد إنّ أيّامك الباقية مِن عُمْرك قليلة،

---

(١) كتاب «تاج العروس» للزبيدي، و«العَين» للخليل بن احمد.

(٢) كما يُستفاد ذلك مِن كتاب «تاج العروس» للزبيدي.

فسَوفَ لا تَبقىٰ في هذه الحياة إلّا أياماً مَعْدودة، فأنتَ قَريب إلى الموت والهَلاك، وبَعْد ذلك سوف تلاقي جَزاء أعمالك، فالعذابُ منْك قَريب.

إنَّ جَريمَة قَتْل الإمام الحسين (عليه السلام) أثَّرَتْ تأثيراً سَلْبيّاً في مِقدار عُمْرك، فجَعَلَتْه قَصيراً جداً.

فقد جاءَ في التاريخ: أنّ يزيد عاشَ بَعْدَ فاجعة كربلاء سنتين وشهرين وأربعة أيّام[١]، فلمْ يَتَهنّأ بِطول الحياة وطول مُدَّة السُلطة، كما كانَ يتمنّىٰ ذلك، وكما كان يُتوقَّعُه بَعْدَ القضاء علىٰ مُنافِسه ـ حَسَبَ زعمه ـ وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

«وجَمْعُكَ إلّا بَدَد»

بَدَد: يُقال بَدَّهُ بَدّاً: أي فَرَّقَه، وبَدَّدَ الشيء: فَرَّقَه[٢] والتَبَدُّد: التَفرُّق.[٣]

المعنىٰ: سَوفَ يَتفرَّقُ جَمْعُك وجَلاوزتُك، وحاشِيتُك الّتي كُنتَ تَسْهَرُ مَعَهم علىٰ مائدة الخَمر والقمار والغناء،

(١) ذكرَ ذلك الطبَري ـ المتوفّىٰ عام ٣١٠ هـ ـ في تاريخه، طبع لبنان، ج٥، ص٤٩٩. المُحقّق

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

(٣) العَين للخليل.

فسوف يَغيبُونَ عن عَينك، لِمَرض أو موت، أو تَتغيّر نَظرتُهم بالنسبة إليك، أو غير ذلك مِن الأسباب الّتي تَجعَلُ كلَّ يومٍ مِن الأيام يَحمِلُ لك حُزْناً وهَمّاً جَديداً، فلا تَتَهنّا بِمَن حولك.

«يومَ يُنادي المُنادي: الا لَعَنَ اللّهُ الظالمَ العادي»

المعنىٰ: يومَ تَموتُ، وتَسْمع صوتاً مُرعِباً لِمُنادٍ يُنادي ـ مِن عند اللّه تعالىٰ ـ: «الا لَعَنَ اللّهُ الظالمَ العادي» فأوّلُ شيءٍ تَراه بعد موتِك هو: سِماعك لهذا الصوت.

وكلمة «لَعَنَ اللّهُ الظالمَ»: أي: أبعَدَه عن رَحْمَتِه وعَفْوه ومَغْفرَته.

ثُمّ.. بَدأت السيّدة زينب (عليها السلام) تُمهِّدُ لِختام خُطبَتِها الخالِدة، فقالتْ:

«والحمْدُ لِلّه الّذي حَكَمَ لأولِيائه بالسَعادة، وخَتَمَ لأصْفيائه بالشَهادة، بِبُلوغ الإرادة»

حَكمَ لأوليائه: قَضىٰ لَهم[1]، وقَدّر لَهم ذلك.

أصفيائه: الصَفيُّ مِن كلِّ شيء صَفْوُهُ، وجَمْعُه:

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

أصفياء.[١]

بِقَلْبٍ مُفْعَمٍ بالإيمان باللّه تعالىٰ، والرضا بما يَختارُه اللّهُ لِعباده، بَدأت السيّدةُ زينب (عليها السلام) تَختِمُ خُطبتَها بحَمْد اللّه سُبحانه الّذي قضىٰ لأوليائه بالسَعادة، وتَقصُد مِن الأولياء ـ هنا ـ: الإمامَ الحسين (عليه السلام) ـ الّذي هو سيّد أولياء اللّه تعالىٰ ـ وأصحابه الّذين قُتِلوا معه يوم عاشوراء، ونالوا ـ بِذلك ـ شَرفَ الشَهادة.

إنّ الإنسان الّذي يَلتَزِمُ بالدين، ويَصْنَعُ مِن نفسه وَليّاً لِلّه ـ وذلك بأدائه لِلَوازم العُبُوديّة للّه سبحانه ـ سوف يَحظىٰ بِنَتائج إلهيّة فَريدة، وهي عبارة عن المِنَحِ المُمَيَّزة، والألطاف الخاصَّة الّتي يُفيضُها اللّهُ عليه، والّتي لا تَشْمَلُ غيره مِن الناس، ومِن أبرز تلك الألطاف الخاصة: السَعادة الأبَديّة، ولَعلَّ إلى هذا المعنىٰ الرفيع أشارَ اللّهُ تعالىٰ بِقَوله: ﴿واللّهُ يَختَصُّ بِرَحْمَتِه مَن يَشاء﴾.[٢]

إنّ أولياء اللّه تعالىٰ كانوا يُفكِّرونَ ـ باستمرار ـ في جَلْب رِضى اللّه سُبحانه.

أجَل.. كانَ هذا هو الهدف الّذي يُشْغِلون به بالَهم،

---

(١) المُعْجَم الوَسيط.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

ويَتحرّكون في هذا المَدار ويَدورونَ حولَ هذا المِحْوَر.

ومِن الطبيعي أنّهم كانوا ـ ولا زالوا ـ علىٰ دَرَجات، فهناك مَن يكون وَليّاً لِلّه تعالى منذ السنوات الأُولىٰ مِن حَياته، وهناك مَن يَصير ولياً لِلّه تعالىٰ في مَرْحَلةٍ مُتَقدّمة مِن العُمْر.

وعلىٰ هذا الأساس يَقضي اللّه (عزّوجلّ) لَهم بالفَوز والتَفَوّق والسَعادة الأبَديّة، بجميع ما لهذه الكلمة مِن معنىٰ.

وأحياناً يُقدّر اللّهُ تعالىٰ لهم بعضَ المكاره والصُعوبات، وذلك لأسْرارٍ وحِكَمٍ يَعْلَمُها اللّه سُبحانه، فتَرىٰ الأولياء يُظهِرونَ من أنفسِهم كلَّ إستعدادٍ وتَحمُّلٍ وتَقَبُّل لِتلك المكاره ويَستَقبلونَها بصدْرٍ واسع وصَبْر جميل.

وخَتَمَ اللّه تعالىٰ لأصْفِيائه بالشَهادة، فقد كانَت حياتُهم كلّها خَير وبَركة مُنْذ البداية إلى النهاية، فمِن المؤسِف ـ حَقّاً أنْ يَموتَ الوَليُّ مِيْتَةً طبيعيةً علىٰ الفِراش، بل المُتَوقَّع لَه أنْ يوفّقه اللّه تعالىٰ للشهادة والقَتْل في سَبيله، لكي تكونَ لِمَوته أصداءٌ تَعودُ للدين بالفائدة، كما كانتْ حياتُه كذلك.

فقَتْلُهم يوقِظُ الغافِلين غير المُلْتَزمين بالدين، ويَجْعَلُهم يُفكّرون ويَتَساءَلُون عن سَبَب قَتْله رَغم كونه

إنساناً طيّباً، ويَبْحَثُون عن هَويّة القاتل، وهَدفه مِن قَتْل هذا الرجل!

فتكونُ هذا الأصداءُ سَبَباً لِعَودة الكثيرين إلى الإلتزام الشَديد بالدين ومَبادِئه.

اليسَ كذلك؟!

ولَعلّ أولئك الأولياء هم الّذين أرادوا أنْ يكونَ خِتام حياتهم بالشهادة، وسَألوا مِن اللّه (عزّوجلّ) ذلك، فاستَجابَ اللّه ـ سُبحانه ـ لَهُم دُعاءَهم، وقَدَّرَ لهم الشهادة في سبيل اللّه تعالىٰ، ولعلَّ هذا هو معنىٰ كلام السيّدة زينب (عليها السلام): «بِبُلوغ الإرادة».

«نَقَلَهُمْ إلى الرَحمة والرَأفَة، والرِضوان والمَغْفرة»

المعنىٰ: نَقَلَهُم إلى عالَمٍ يُرَفْرِفُ علىٰ رؤوسهم رَحمة اللّه الواسعة المُخَصَّصة للشُهَداء في سَبيل اللّه تعالىٰ، والرأفة: أي: العاطفة المَزيجة باللُطف والحَنان، الّتي لاتَشْمَل غير الشُهَداء الّذين باعوا أعزَّ شيء لَديهم ـ وهي حياتهم ـ للدين، وفي سبيل المحافظة علىٰ رُوح الدين الّذي كان يَتَجَسَّد في الإمام الحسين (عليه السلام)، وعدم الرُضُوخ لبيعة «يزيد» الكافِر.

«والرِضْوان والمَغْفرة» إنّ القرآن الكريم يُصرّحُ بأن أعلىٰ

واغلىٰ والذَّ نعْمَةٍ يَتَنَعَّمُ بِها بعضُ أهل الجنّة ـ وفي طليعتهم شُهَداء فاجعة كربلاء ـ هو شُعورُهم وإحساسُهُم بأنَّ اللّه تعالىٰ راضٍ عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللّهُ المؤمنينَ والمؤمنات جنّاتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ومَساكِنَ طَيِّبَةٍ في جَنّاتِ عَدْنٍ، ورِضْوانٌ مِن اللّهِ اكْبَرُ، ذلك هُوَ الفَوزُ العَظيم﴾ .(١)

هذا سِوىٰ ما يُعيّن لَهُم مِن أنواع النِعَم والكرامة والإحترام اللائق.. الّذي لا مَثيلَ لَه في عالَم الدنيا!

يُضافُ إلى ذلك: انَّ الرَجُل الّذي يُقتَلُ في سبيل اللّه بِنيّةٍ خالِصَة سَوفَ يَمرُّ نَسيمُ العَفْو والمَغْفرة علىٰ ما صَدَرَ مِنه مِن مخالَفات، فيَصيرُ مَلَفُّه ابيض لا سَواد فيه.

إنّنا نَقرا في دُعاء صلاة يوم عيد الفطر والأضحىٰ: «... اللهُمّ واهلَ العَفْو والرحْمة واهلَ التَقْوىٰ والمَغْفِرة»، وهذا لجميع المؤمنين التائبين، ولكنّ الشهيد يَمتازُ بمَزايا وتَسْهيلات خاصَّة قَرَّرها اللّه تعالىٰ للشُهَداء فقط.

هذا إذا كانَ الشَهيدُ إنساناً عاديّاً غيرَ مَعْصُومٍ مِن الذنوب، امّا إذا كان مَعصوماً فلا توجَدُ في صحيفة أعماله

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧٢.

ذُنوبٌ أو مَعاصي، فيكون معنىٰ «المَغْفرة» بالنِسْبة إليه عُلوّ دَرَجته في الجَنَّة، واختصاصه بِمِنَح فَريدة كالشفاعة للآخَرين، وغير ذلك مِن المُمَيّزات.

وأمّا سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فقد خاطبَهُ اللّهُ تعالىٰ ـ بقوله ـ: ﴿يا أيّتها النَفْسُ المُطمَئنَّة: إرجعي إلى ربّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّة، فادْخُلي في عِبادي وادْخُلي جَنَّتي﴾، فقد رُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّ المقصود والمُخاطَب بهذه الآية: هي نَفسُ الإمام الحسين (عليه السلام).[1]

وكم تَتَضمَّن هذه الآيات مِن كلمات وضمائر عاطفيّة!!

«ولمْ يَشْقَ بِهِم غيرُكَ»

المعنىٰ: إنّ الّذي صارَ شَقيّاً وتَعِيساً ومَطروداً مِن رَحمة اللّه.. هو أنتَ يا «يزيد»،.. بسَبَب قَتْلك إيّاهم وقَضائك علىٰ حَياتهم، وطعْنِك في قَلْب الإسلام النابض وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) كتاب (تفسيرُ البُرهان) للسيّد هاشم البحراني، عند تفسير الآية ٢٧ ـ ٣٠ مِن سورة الفَجْر. المُحقّق

«ولا ابتُليَ بِهِم سِواك»

إنّ الّذي امتُحنَ بالقُدرة والسُلْطة ومُشاهَدة كُرسيّ المُلْك الّذي مَهّدَه له معاوية، فأراد القضاء علىٰ كلِّ مَن لا يَركع لَه، وبذلك سَقَط في الإمتحان سُقوطاً ذَريعاً هو أنتَ أيّها الخامِلُ الحاقِد!

أمّا الّذين قُتِلوا مَعَ الإمام الحسين (عليه السلام) ونالُوا شَرَفَ الشهادة مَعَه.. فهُمْ قد نَجَحوا في الإمتحان نجاحاً باهِراً وفَوزاً مُتوالياً مُتواصِلاً، أي: كما كانوا مِن قَبْل الشَهادة ـ أيضاً ـ في مَرحلةٍ عاليةٍ مِن سَلامة الفِكْر والعقيدة والسُلوك، والطاعة التامّة لإمام زَمانهم الحسين (عليه السلام).

فَهُمُ ـ الآن ـ في أعلىٰ دَرَجات الجِنان والّتي يُعبَّرُ عَنْها بـ «الفِرْدوس الأعلىٰ».

أما أنت ـ يا يَزيدُ ـ فسوفَ يكونُ مَصيرُكَ في أسفل دَرَك مِن الجَحيم، وفي ذلك التابوت الذي يُمَوِّنُ جميعَ طبقات جَهنّم بالحَرارة العالية الّتي لا يُمكن للبَشر ـ في هذه الدنيا ـ أن يَتصوَّر دَرَجة حَرارتها وشِدّة اشْتِعالها.

قال تعالىٰ ـ بالنسبة لأهل النار ـ: ﴿ويأتيه المَوتُ مِن كلّ مَكان وما هو بمَيّت﴾[1] وقال (جَلّ ثَناؤه): ﴿وقالوا:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٧.

يا مالِك! لِيَقْضِ علينا ربُّك؟ قال: إنّكم ماكِثون﴾.[١]

«ونَسْأله أنْ يُكمِلَ لَهُمُ الأجْر، ويُجْزِلَ لَهُمُ الثَواب والذُخْر»

أكمَلَ الشيءَ: أتَمَّهُ، وفي القرآن الكريم: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لكم دِينَكم»[٢] ويُقال ـ أيضاً ـ: الكَمَلُ: الكامِل، يُقال: أعطاهُ حَقَّه كمَلاً: وافياً.[٣]

يُجْزِلَ: الجَزْلُ: العَطاء الكثير، ويُقال: أجزَلَ العَطاء.[٤]

والجَزْلُ: الكثير مِن كلِّ شيء.[٥]

الثَواب: الجَزاء والعَطاء[٦]، وقيل: هو الجَزاء الّذي يُعطىٰ مَعَ الإحترام والإجلال والتقدير.. وليسَ مُجَرَّد

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٧٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) المُعْجَم الوَسيط.

(٤) كتاب «العَين» للخليل بن أحمد.

(٥) المُعْجَم الوَسيط.

(٦) نَفْس المصدر.

إعطاء الجزاء(١)

الذُخْر: يُقال: ذَخَرَ لِنَفْسه حَديثاً حَسَناً.(٢)

المَعنىٰ: ونَسأل اللّه تعالىٰ أن يُكمِلَ لهم الجَزاء المُخَصَّص للشُهَداء، جَزاءً تامّاً يَليقُ بِتَقدير اللّه سبحانه للشُهداء المُخْلِصين، الّذينَ تَركوا زَوَجاتهم أرامِل، وأطفالهم أيتام، وأُمَّهاتِهم ثُكالىٰ.. كلٌّ ذلك.. في سبيل اللّه!

فيُعْطيهم العَطاءَ الكثيرَ الوافِر، مَعَ الإحترام والتَقْدير، إذْ قد يَدْفَعُ الإنسانُ الأُجْرة إلى العامِل.. مِن دون أنْ تكونَ كيفيّةُ الإعطاء مَقْرونةً بالإحترام، أمّا الثَوابُ: فهو إعطاءُ الأجْر.. مَعَ الإستقبال الحارّ، والإحترام والإبتسامة واللُطف.

ويَكتُبَ لَهُم الثَناءَ الجميل والذِكْرَ الحَسَن، علىٰ ألسِنة الناس وفي صَفَحات التاريخ.

وقد استجابَ اللّه تعالىٰ دُعاءَ السيّدة زينب العظيمة (عليها السلام)، فقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «ما مِنْ عَبْدٍ شَرِبَ الماء فَذكرَ الحسينَ (عليه السلام)

---

(١) كما يُستفاد مِن كتاب «مَجْمَع البحرين» للطريحي.

(٢) المُعْجَم الوَسيط.

ولَعَنَ قاتِلَه إلاّ كتَبَ اللّهُ لَه مائة الف حَسَنة، وحَطَّ عَنْه مائة الف سَيِّئة، ورَفَعَ له مائة الف دَرَجة، وكأنّما اعتَقَ مائة الف نَسَمة، وحَشَرَهُ اللّهُ تَعالىٰ يومَ القيامةِ ثَلْجَ الفُؤادَ». [١]

ورُوي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) انّهما قالا: «إنّ اللّهَ تعالىٰ عَوَّضَ الحسين (عليه السلام) عَنْ قَتْله انْ: جَعَلَ الإمامة في ذُرِيّته، والشِفاء في تُربَتِه، وإجابَة الدُعاء عند قَبْره، ولا تُعَدُّ ايّامُ زائريه.. ـ جائياً وراجِعاً ـ مِن عُمره». [٢]

وقد رُوي ـ أيضاً ـ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه أمَرَ رجلاً كانَ يُريد الذهاب إلى زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) ان يَزورَ قُبورَ الشهداء ـ بعد الفراغ مِن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ـ ويُخاطِبَهم بهذه الكلمات:

«... . بابي انتُمْ وامّي طِبْتُمْ وطابَتِ الأرضُ الّتي فيها دُفِنْتُمْ، وفُزْتُمْ فَوْزاً عظيماً... .».

(١) كتاب «كامِل الزيارات» لإبن قولويه، ص ١٠٦.

(٢) كتاب «بحار الانوار» ج٤٤، ص٢٢١، باب ٢٩، نَقْلاً عن كتاب امالي الطوسي.

«ونَسْألُهُ حُسْنَ الخِلافَة، وجَميلَ الإنابَة، إنّه رَحيمٌ وَدود»

الخِلافة: يُقال خَلَفَ فلانٌ فُلاناً.. خَلْفاً وخِلافَةً: جاءَ بَعْدَه فَصارَ مَكانه[1]. وفي الدعاء: اخلَفَ اللّهُ لَك وعليك خيرا».

وفي الدعاء ايضاً: «واخلُفْ علىٰ عَقِبِه في الغابِرين».

الإنابة: الرجوعُ إلى اللّه، قالَ سُبحانه: ﴿إرجِعي إلى ربّك﴾.

المعنىٰ: ونَسْألُ الله تعالىٰ انْ يُخَلِّفَ لَنا عَمَّنْ فَقَدْناهُ افراداً صالحِين، يَسُدّون بعضَ الفَراغ الّذي تَركه مَقتَل أولئك الصَفْوَة الطيّبة مِن رِجال آلِ رسول اللّه (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) بأنْ يَجْعَلَ في البَقيّة الباقِية مِنْهم خَيراً.

او: انْ يَجْعَلَ مُسْتَقْبَلَنا مُستَقبَلاً حَسَناً مُريحاً، بَعْدَ ما شاهَدْناهُ وعانَيْناهُ مِن المصائب الفَجيعة الّتي لَنْ تُنسىٰ!!

إنتَهتْ السيّدةُ زينبُ البَطلةُ الشُجاعَة، مِن إلقاءِ خُطبَتِها الخالدة.

والآن.. تَوجَّهَتْ انظارُ الحاضرين إلى يزيد الحاقِد

(١) كما يُستفاد مِن مَجْمَع البحرين للطريحي.

لِيَروا مِنه رُدودَ الفِعْل.

فما كان مِنْه سِوىٰ أنّه عَلّقَ علىٰ هذه الخُطبة المُفَصَّلة بِقوله:

يا صَيحةً تُحْمَدُ مِن صَوائحِ

ما أهونَ الموت علىٰ النوائحِ[1]

فهلْ إنعَقَدَ لسانُه عن إجابة كلِّ بَنْد مِن بُنُود تلك الخُطبة؟!

امْ انَّ اعصابَه أُصيبَتْ بالإنْهيار والإهتزاز، فلمْ يَسْتَطعْ التركيز والرَد؟!

امْ رأىٰ انَّ الإجابة والتَعْليق يُسبِّبُ له مَزيداً مِن الفَضيحة أمامَ تلك الجماهير الغَفيرة الحاشِدة في المَجلس، فرأىٰ السكوتَ خَيراً له مِن خَلْق اجواء الحِوار مع إبنة الإمام امير المؤمنين (عليها السلام) الّتي ظَهَرتْ جِدارَتُها الفائقة علىٰ مُقارَعَة اكبر طاغوت، بكلامٍ كلّه صِدْقٌ، واستدلالٌ منْطقي وعَقْلي مُقْنِع. وخاصةً انّ

(١) وفي نسخة: «ما اهونَ النَوْح علىٰ النوائح» ولَعلّه (لعنه الله) يَقْصُد مِن قراءته لهذا الشعر: انّها إمراة مَفْجُوعة.. دَعْها تَتكلّم بما تُريد، فإنّ ذلك لا يُهمّني! المحقّق

الجُملات الأخيرة ـ الّتي كانتْ تَحمِل في طَيّاتها التَهديد المُرْعِب ـ جَعَلَتْ يزيد يَنهار رَغْمَ ما كان يَشْعُرُ به مِن تَجبُّر وكِبرياء.(١)

---

(١) لقد ذُكرتْ خُطبة السيّدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد، في المصادر التالية:

١ ـ كتاب مَقتَل الإمام الحسين عليه السلام، للخوارزمي ج٢ ص٦٣.

٢ ـ كتاب نَثْرُ الدُرر، لمنصور بن الحسين الآبي، المتوفّىٰ عام ٤٢١هـ، طبْع مِصْر، ج٤، ص٢٦.

٣ ـ كتاب بَلاغات النساء، لإبن طيفور، المتوفّىٰ عام ٢٨٠هـ.

٤ ـ كتاب (معالي السبطين) للشيخ محمّد مهدي المازندراني الحائري.

٥ ـ كتاب «تَظلُّم الزهراء» للقزويني، طبْع بيروت، ص٢٨٣.

٦ ـ كتاب «الإيقاد» للسيّد الشاه عبد العظيمي ص ١٧٣ .

المُحقّق

نَـصّ خُـطبـة السـيّـدة زينـب
علىٰ روايـة أخـرىٰ

لقد ذكـرْنـا انّ السيّـد إبن طاووس قـد رَوىٰ خـطـبة السـيّـدة زينب الكبرىٰ (عليهـا السلام) بكيـفـيّـةٍ تَـخـتَـلف عَـمّـا ذكـرناه، وتَـمتـاز بـبـعـض الإضافات والـفُـروق، ولا تَـخْـلـو مِـن فَـوائـد، وإلـيـك نَـصُّـهـا:

قـال الراوي: فـقـامتْ زيـنـبُ بـنـتُ علي بن ابي طالب (عليـه السلام) فـقالت:

«الحمدُ للّـه رَبّ العالَمين، وصلّـىٰ اللّه علىٰ محمّـد رسوله وآله اجـمعين، صَـدَقَ اللّـهُ سبْحانه، كـذلك[1] يَـقـول: ﴿ثمّ كانَ عـاقـبـةَ

---

(١) وفي نـسـخـة: إذْ يَـقـول.

الّـذين أسـاؤا السُـوئـىٰ أنْ كـذّبـوا بـآيـات اللّـه وكـانوا بـهـا يَـسْـتَـهـزؤن﴾[١].

أظـنَـنْـتَ ـ يا يزيد! ـ حيثُ أخذتَ علينا أقطارَ الأرض وآفاقَ السَـمـاء ـ فأصْبَـحْـنا نُـساقُ كما تُـساقُ الأُساریٰ[٢] ـ أنّ بِنا علىٰ اللّه هَـواناً، وبكَ عليه كرامـة؟ وأنّ ذلك لِـعِـظَـم خَـطرك عنـده؟

فَـشَـمَـخْـتَ بـأنـفـك، ونَـظـرْتَ في عِـطـفـك، جَـذْلان مَـسْروراً[٣]، حينَ رأيتَ الدنيا لك مُـسْـتَـوثَـقـة، والأمورُ مُـتَّـسِـقَـة، وحينَ صَـفىٰ لك مُـلْـكُـنـا وسُـلْـطانُـنا!

فـمَـهْـلاً مَـهْـلاً! أنَـسِـيـتَ قَـولَ اللّـه ـ عَـزَّ وجَـلّ ـ: ﴿ولا يَـحْـسَـبَـنّ الّـذينَ كـفَـروا أنّما نُـمْـلي لهُمْ خَـيرٌ لأنـفـسِـهِم، إنّما نُـمْـلي لَـهُـمْ لِـيَـزدادُوا إثْـماً ولَـهُم عَـذابٌ مُـهِـين﴾[٤].

أمِـنَ العَـدْل يابنَ الـطُـلَـقـاء؟! تَـخْـديرُك إماءَكَ وحَـرائـرَك، وسَـوقُـك بناتِ رسولِ اللّه سَـبايـا؟

---

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

(٢) وفي نسخة: كما تُساقُ الإماء.

(٣) وفي نسخة: جَـذِلاً مَـسْروراً.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

قد هَتَكْتَ سُتُورَهُنّ، وأبْدَيتَ وجوهَهُنّ، تَحْدوا بهنّ الأعداءُ مِن بَلَد إلى بَلَد، ويَستَشْرفُهُنّ اهْلُ المَنازِل والمَناهِل[1]، ويَتصَفّحُ وجوهَهُنّ القَريبُ والبَعيد، والدَنيُّ والشَريف، ليسَ معَهنّ مِن رِجالِهنّ وَليّ، ولا مِن حُماتِهِنّ حَميّ.

وكيفَ تُرتَجىٰ مُراقَبةُ ابن مَن لَفَظَ فُوهُ اكبادَ الأزكياء؟ ونَبَتَ لَحْمُهُ بِدماء الشُهَداء؟

وكيفَ يَسْتَبطا في بُغْضِنا اهلَ البيت مَن نَظَرَ إلينا بالشَنَف والشَنآن، والإحَن والأضغان.

ثمّ تَقولُ ـ غيرَ مُتاثّم ولا مُستَعظِم ـ:

«لأهَلّوا واستَهَلّوا فَرَحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تُشَلْ»

مُنْحَنِياً علىٰ ثَنايا ابي عبدالله، سيّد شباب أهل الجنّة، تَنْكُتُها بمِخْصَرتِك.

وكيف لا تَقولُ ذلك؟ وقد نكاتَ القُرْحة، واستَاصَلْتَ الشافة، بإراقتِك دِماءَ ذُريّةِ محمّدٍ (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) ونُجومِ الأرض مِن آل عبدالمُطّلب.

---

(١) وفي نسخة: اهلُ المناهِل والمَناقِل.

وتَهْتِفُ بأشياخِك، زَعمْتَ أنّك تُناديهم، فَلَتَرِدَنَّ ـوَشيكاًـ مَورِدَهُم، ولَتَوُدّنَّ أنّك شُلِلْتَ وبَكِمْتَ[1]، ولم تكُن قُلْتَ ماقلْتَ، وفَعَلْتَ مافَعَلْتَ.

اللهُمّ خُذْ بِحَقّنا، وانتَقِم مِمّن ظَلَمَنا، واحْلُلْ غَضبَك بمَنْ سَفَك دِماءَنا، وقَتَلَ حُماتَنا.

فواللّه ما فَرَيْتَ إلاّ جِلْدَك، ولا حَزَزْتَ إلاّ لَحْمَك[2]، ولَتَرِدَنَّ علىٰ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) بما تَحمّلْتَ مِن سَفْك دِماء ذُريّته، وانتَهَكْتَ مِنْ حُرمَته في عِتْرَته ولُحْمَته، وحيثُ يَجْمَعُ اللّهُ شَمْلَهم، ويَلُمُّ شَعثَهُم، ويأخذُ بِحَقّهِم.

﴿ولا تَحْسَبَنّ الّذين قُتِلوا في سَبيل اللّه أمواتاً بَل أحياءٌ عند رَبّهم يُرزَقون﴾[3]

وحَسْبُك باللّه حاكِماً، وبمُحمّد خَصِيماً، وبجبرئيل ظهيراً.

---

(١) بَكِمْتَ: عجَزْتَ عن الكلام خِلْقَةً. المُعْجَم الوَسيط.

(٢) وفي نسخة: جَزَزْتَ.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

وسَيَعْلَمُ مَن سَوَّلَ لك[١] ومَكَّنَكَ مِن رِقابِ المُسلمين، بِئسَ للظالمين بَدَلاً، وايّكم شَرٌّ مَكاناً[٢]، وأضعَفُ جُنْداً.

ولَئنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَواهِي مُخاطَبتَك، فإنّي لأَستَصْغِرُ قَدْرَك، واستَعْظِمُ تَقْريعَك، واستَكْثِرُ تَوبيخَك، لكن العُيون عَبْرىٰ، والصُدورُ حَرّىٰ.

الا: فالعَجَبُ كلّ العَجَب! لِقَتْل حِزْب اللّه النُجَباء، بحِزْب الشيطان الطُلَقاء[٣]، فهذه الأيدي تَنطِف مِن دِمائنا، والأفواهُ تَتَحَلَّبُ مِن لُحومِنا، وتلك الجُثَثُ الطواهِرُ الزَواكي تَتَناهَبُها العَواسلُ، وتَعْفُوها أمّهاتُ الفَراعِل.

ولَئن اتّخذْتَنا مَغْنَماً لَتَجِدنّا - وَشيكاً - مَغْرَماً، حِينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدَّمَتْ يَداك، وما رَبّك بِظلاّم للعَبيد.

فإلىٰ اللّه المُشْتَكىٰ، وعليه المُعَوَّل.

---

(١) سَوَّلَ لك: زَيَّنَ لك عملك.

(٢) وفي نسخة: وايّنا شَرٌّ مَكانا.

(٣) لعلَّ الأصحّ: علىٰ ايدي حِزْب الشيطان. المُحقّق

فَكِدْ كيْدَك، واسْعَ سَعْيَك، وناصِبْ جُهْدَك[١]، فواللّه لا تَمْحُونَّ ذِكْرَنا، ولا تُميتُ وَحْيَنا، ولا تُدركُ أمَدَنا، ولا تَرحَضُ عنْك عارَها.

وهل رأيُك إلّا فَنَد، وأيامُك إلّا عَدَد، وجَمعُكَ إلّا بَدَد؟ يومَ يُنادي المُنادي: ألا: لَعْنةُ اللّه علىٰ الظالمين.

فالحَمْدُ لِلّه الّذي خَتَمَ لأوّلنا بالسَعادةِ والمَغْفِرة، ولآخِرنا بالشَهادةِ والرَحْمة، ونَسأل اللّهَ أن يُكمِلَ لَهُم الثَواب، ويُوجِبَ لَهُم المَزيد، ويُحْسِنَ علينا الخلافة، إنّه رَحيمٌ وَدودٌ، وحَسْبُنا اللّهُ ونِعْمَ الوكيل».

فقال يزيد:

«يا صَيْحَةً تُحمَدُ مِن صَوائحِ

ما أهوَنَ الموت علىٰ النَوائح»[٢]

---

(١) وفي نسخة: واجهَدْ جهْدك.

(٢) كتاب «المَلهوف» للسيّد ابن طاووس، ص ٢١٥ ـ ٢١٨.

الفَصل السابع عشر



آلُ رسول اللّه في خَرِبَة الشام

ماذا حَدَثَ بعد مجلس الطاغية يزيد؟

لقد جاءَ في التاريخ: انّ يزيد أمَرَ بهم إلى مَنزلٍ لا يُكِنّهُم مِن حَرٍّ ولا بَرْد، فاقامُوا فيه حتّىٰ تَقَشّرتْ وجوهُهم مِن حَرارة الشمس واشعَّتها المُباشرة، وكانوا مُدّة إقامتهم في ذلك المكان يَنوحون علىٰ الإمام الحسين (عليه السلام).[1]

---

(١) كتاب «المَلْهوف» لابن طاووس، ص ٢١٩.

حِوارٌ بين مِنهال
والإمام زين العابدين عليه السلام

وفي كتاب (الأنوار النعمانيّة) للجزائري: عن منهال بن عمرو الدمشقي قال:

كنتُ أتمشّىٰ في أسواق دمشق، وإذا أنا بِعَليّ بن الحسين يَمشي ويَتوكّأ علىٰ عصا في يَده، ورِجلاه كأنّهما قَصَبتان! والدم يَجري مِن ساقَيه! والصُّفْرَةُ قد غَلَبَتْ عليه!

قال منهال: فخَنقَتْني العَبْرة، فاعتَرضتُه[1] وقلتُ له: كيف أصبحْتَ يابنَ رسول اللّه؟!

قال: يا منهال! وكيف يُصبِح مَن كان أسيراً لِيَزيد بن معاوية؟!

يا منهال! واللّه، مُنذ قُتِلَ أبي، نساؤنا ما شَبعْنَ بُطونهن!

---

(١) اعترضتُه: أقبَلتُ نَحوَه وواجَهْتُه.

ولا كَسَوْنَ رؤوسَهن! صائمات النهار، ونائحات الليل.

يا مِنهال! أصبَحْنا مِثْلَ بَني إسرائيل في آل فرعون! يُذبّحون أبناءَهم، ويَستَحيون نِساءَهم، فالحاكمُ بينَنا وبينَهم اللّه، يومَ فَصْل القَضاء.

أصبَحَتِ العَرَبُ تَفْتَخِر علىٰ العَجَم بأنّ محمّداً منْهم، وتَفْتخِر قريشُ علىٰ العَرَب بأنّ محمّداً منها، وإنّا ـ عِتْرَة محمّد ـ أصبَحْنا مَقتولين مَذبوحين، مَأسورين، مُشَرّدين، شاسِعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد تُرْكٍ أو كابُل، هذا صَباحُنا أهلَ البيت.

ثمّ قال: يا منهال! الحَبْسُ الّذي نَحنُ فيه ليسَ له سَقفٌ، والشَمسُ تَصْهَرنا، فأفِرُّ منه سُوَيعةً لِضَعْف بَدَني، وأرجع إلى عَمّاتي وأخَواتي، خَشْيةً علىٰ النساء.

قال منهال: فبينَما أنا أخاطبُه وهو يُخاطبُني وإذا أنا بإمرأةٍ قد خَرجَتْ مِن الحَبْس وهي تُناديه، فتركَني ورَجَع إليها، فسَألتُ عنها وإذا هي عَمَّتُه زينب بنت علي تَدعوه: إلى أينَ تَمْضي يا قُرَّة عَيني؟

فرَجَع معَها، وتَركني، ولم أزلْ أذكرُه وأبكي.[1]

(١) كتاب «مَعالي السبطين» ج٢ ص ١٥٨، الفصل الرابع عشر، المجلس الثاني عشر، وذُكرَ أيضاً في كتاب «الأنوار النُعمانيّة»، للجزائري ج٣ ص٢٥٢ مع بعض الفُروق بين النسختين.

مَجيء زوجة يزيد إلى خَرِبَة الشام

لقد جاءَ في التاريخ أنّ إمرأةً كانت تُسمّىٰ «هند بنت عبداللّهبن عامر» لمّا قُتل أبوها جاءتْ إلى دار الإمام أميرالمؤمنين علي (عليه السلام) وبَقِيَتْ هناك مُدّةً مِن الزَمَن تَخْدم في دار الإمام، وكانت علىٰ قَدَرٍ مِن الجمال، ولمّا قُتل الإمام اميرالمؤمنين إنتَقلتْ إلى دار الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) وكانت تَخْدم هناك في دار الإمام أيضاً، فسَمعَ عنها معاوية فطلبها وزوَّجَها لإبنه يزيد، فبَقيتْ في دار يزيد، وهي تَسْتَخبِر ـ دائماً عن الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) وتُحاول ان تَسمَع اخبارَهم من القادمينَ مِن المدينة المنوّرة.

ولمّا قُتلَ الإمامُ الحسين (عليه السلام) لم تَعْلَم هند

بالخَبَر!!

ولمّا جاؤا بعائلة الإمام الحسين إلى الشام، دَخلتْ امرأة علىٰ هند وقالت لها: لقد أقبَلوا بسَبايا ولا أعلَم مِن أينَ هُم؟

فلَعلّكِ تَمْضين إليهنّ وتَتفرّجين عليهنّ؟!

فقامَتْ هند ولَبِسَتْ أفخَر ثيابها وتَخَمّرتْ بخِمارها، ولبِستْ إزارها ـ أي: عَباءتها ـ، وأمرتْ خادمةً لها أنْ تُرافِقَها وتَحمِل معها الكرسي حتّىٰ لا تَجلس علىٰ التُراب.

ويقول البَعض: انّ يزيد صادَفَها قَبْل الخروج مِن القَصْر فاستأذَنتْ منه، فاذنَ لها لكنّه تَغيّر لَونُه وبَقيَ مَذْهولاً حيث إنّه خَشيَ مِن مُضاعَفات ورُدود فِعْل هذه الزيارة، فهو يَعلَم انّ زوجتَه الحَظيّة عنده.. كانت ـ مُدّة سِنين ـ خادمة في دار أهل البيت، وهي تُحبّهم حبّاً كثيراً، لأنّها قَضتْ سنوات مِن حياتها خادمةً لهم، ولم تَرَ منهم إلّا العَطف والإحترام، والإنسانيّة والأخلاق العالية، فماذا يَصنع يزيد؟

هل يُوافق علىٰ الزيارة أم يَرفُض ذلك؟

ولكن يَبدو انّ شخصيّة هند كانتْ قويّة، فقد فَرضَتْ نفسَها علىٰ يزيد، فأذنَ لها إلّا انّه طلبَ منها أن تكون الزيارة بعد المَغرب، حينَما يُخيّم الظلام علىٰ الأرض،

فوافَقَتْ علىٰ ذلك.

وعند المَساء أقبَلَتْ هند ومَعَها الخَدَم يَحْمِلون مَعَهم القَناديل لإضاءة الطريق. فلمّا رأتْها السيّدة زينب (عليها السلام) مُقْبِلَةً هَمَسَتْ في أُذن أُختها أمّ كلثوم وقالت: «أُخيّه أتعْرفين هذه الجارية؟

فقالتْ: لا و اللّه.

فقالت زينب: هذه خادِمَتُنا هند بنت عبداللّه!!

فسَكتَتْ أمّ كلثوم ونَكّسَتْ رأسَها!

وكذلك السيّدة زينب نَكّسَتْ رَأسَها.

فأقبلَتْ هند وجَلَسَتْ علىٰ الكرسي قَريباً مِن السيّدة زينب ـ باعتبارها زَعيمة القافِلة ـ، وقالت: أُخيّه اراكِ طأطأتِ رأسَكِ؟

فسَكتَتْ زينبُ ولم تَردّ جواباً!

ثمّ قالت هند: أُخيّه مِن أيّ البلاد انتُم؟

فقالت السيّدة زينب: مِن بلاد المدينة!

فلمّا سَمعَتْ هند بذِكْر المدينة نَزلَتْ عن الكُرسي وقالت: علىٰ ساكِنها أفضلُ السلام.

ثمّ التَفتَتْ إليها السيّدةُ زينب وقالتْ: اراكِ نَزلْتِ عن الكرسي؟

قالت هند: إجْلالاً لِمَنْ سَكَن في ارض المدينة!

ثمّ قالت هند: أخيّه أريد ان اسالكِ عن بيتٍ في المدينة؟

فقالت السيّدة زينب: إسالي عمّا بَدا لكِ.

قالت: اسالكِ عن دار علي بن ابي طالب؟

قالت لها السيّدة زينب: ومِنْ أينَ لكِ المعرفة بِدار علي؟

فبَكتْ هند وقالت: إنّي كنتُ خادمة عندهم.

قالت لها السيّدة زينب: وعن أيّما تَسْالين؟

قالت: أسالكِ عن الحسين واخوته وأولاده، وعن بَقيّة اولاد علي، واسالكِ عن سيّدتي زينب! وعن أختها أمّ كلثوم وعن بَقيّة مُخَدّرات فاطمة الزهراء؟

فبَكتْ ـ عند ذلك ـ زينبُ بكاءً شديداً، وقالت لها يا هند: أمّا إنْ سالتِ عن دار علي فقد خَلّفْناها تَنْعىٰ اهلَها!

وأما إنْ سالتِ عن الحسين فهذا راسُه بين يَدَي يزيد!!

وامّا إنْ سالتِ عن العبّاس وعن بقيّة اولاد علي (عليه السلام) فقد خَلّفناهُم علىٰ الأرض.. مُجَزّرينَ كالأضاحي بِلا رؤوس!

وإنْ سالتِ عن زين العابدين فها هو عَليلٌ نَحيل.. لايُطيق النُهوض مِن كَثْرة المَرَض والأسقام، وإنْ سالتِ عن زينب فانا زينب بنت علي!! وهذه أمّ كلثوم، وهؤلاء بَقيّة مُخدّرات فاطمة الزهراء!!!

فلمّا سمِعَتْ هندُ كلامَ السيّدة زينب رَقّتْ وبكتْ ونادتْ: واإماماه! واسيّداه! واحُسَيناه! لَيتَني كنتُ قبلَ هذا اليوم عَمْياء ولا انظر بَنات فاطمة الزهراء علىٰ هذه الحالة، ثمّ تَناولتْ حَجَراً وضَربتْ به راسَها!! فسالَ الدمُ علىٰ وَجْهها ومَقنَعتِها، وغُشِيَ عليها.

فلمّا أفاقَتْ مِن غَشْيَتها اتَتْ إليها السيّدةُ زينب وقالتْ لها: ياهند قُومي واذْهَبي إلى دارِكِ، لأنّي أخشىٰ عليكِ مِن بَعْلِكِ يزيد.

فقالت هند: واللّه لا اذهَب حتّىٰ أنوحَ علىٰ سيّدي ومولاي أبي عبداللّه، وحتّىٰ أُدخِلَك وسائرَ النساء الهاشميّات.. مَعي إلى داري!!

فقامَتْ هند وحَسَرتْ راسها وخَرجَتْ حافية إلى يزيد وهو في مَجلسٍ عام، وقالت: يايزيد! انتَ امَرتَ راسَ الحسين يُشال علىٰ الرمح عند باب الدار؟

أراسُ ابنِ فاطمة بنت رسول اللّه مَصْلوب علىٰ فِناء داري؟!

وكان يزيد في ذلك الوقت جالساً وعلىٰ رأسه تاج مُكلَّل بالدُرّ والياقوت والجَواهر النَفيسَة!

فلَمّا رأىٰ زوجتَه علىٰ تلك الحالة وَثَبَ إليها وغَطّاها وقال: نَعَم فاعْوِلي ياهند وابكي علىٰ ابن بنت رسول اللّه وصَريخَة قُريش، فقد عَجّلَ عليه ابنُ زياد (لعنَه اللّه) فقَتَلَه.. قتَلَه اللّه!!!

فلمّا رأتْ هند أنّ يزيد غَطّاها قالتْ له: وَيلك يا يزيد! أخَذَتْك الحَميّة عليّ، فلِمْ لا اخَذتْك الحَميّة علىٰ بنات فاطمة الزهراء؟! هَتكْتَ سُتُورَهنّ وأبدَيتَ وجوهَهنّ وانزَلْتَهنّ في دارٍ خَرِبة!! واللّه لا ادخُلُ حَرَمَك حتّىٰ أُدخِلَهنّ معي.

فأمَرَ يزيدُ بهِنّ إلى مَنزله وأنزلَهم في داره الخاصّة، فلمّا دَخلتْ نساءُ أهل البيت (عليهم السلام) في دار يزيد، إستَقبَلَتْهُنّ نساءُ آل أبي سفيان، وتَهافَتْنَ يُقبّلْنَ أيدي بنات رسول اللّه وارجُلِهن، ونُحْنَ وبَكينَ علىٰ الحسين، ونَزَعْنَ ماعليهنّ مِن الحُلي والزينة، وأقَمْنَ المَآتَم والعَزاء ثلاثة أيام... .[1]

---

(١) المصدر: «مَعالي السبطين» ج٢، ص١٦٤، الفصل الرابع عشر، ، المجلس السادس عشر، وتاريخ الطبَري ج٥، ص٤٦٥، وكتاب «الإيقاد»، ص١٨٠ وبعض المصادر الأخرىٰ. المُحقّق

آلُ رسول اللّه يُقيمونَ المَآتِم

علىٰ الإمام الحسين (عليه السلام) في الشام

لقد جاءَ في كتُب التاريخ: انّ جَمْعاً كثيراً مِن اهل الشام تَغَيّرتْ نَظْرَتُهم الإيجابيَّة إلى حُكومة بَني أُميّة بشكلٍ عام، وإلى الطاغية يزيد بشكلٍ خاص، إلى نَظرة سَلْبيّة

وصارَ هذا الجَمْع الكثير يُشَكّلون الرأيَ العام الناقِم علىٰ السُلْطة، ممّا جَعَلَ يزيد يَضْطرّ إلى أنْ يَتظاهَرَ بِتَغيير مَوقِفه تِجاه اهل البيت (عليهم السلام) فَنقَلَهم إلى بيته الخاص حتّىٰ يُخفِّف التوتُّر السائد علىٰ عائلته وحَريمه، بل وعلىٰ كافّة نِساء آل ابي سفيان.

وجاءَ في التاريخ ـ أيضاً ـ: انّ يزيد إستَدعىٰ بِحُرَم

رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) وقال لَهُن: «أيّهما أحبُّ إلَيْكُنْ: المُقام عندي، أو الرُجوع إلى المدينة؟

فَقُلْنَ: نُحِبُّ أوّلاً أنْ نَنُوحَ علىٰ الحسين.

فَقال: إفعَلوا ما بَدا لَكم.

ثمَّ أخلِيَتْ الحُجُرات والبُيوت في دمشق، ولم تَبْقَ هاشِميّة ولا قُرشيّة إلّا ولَبِسَتْ السَواد علىٰ الحسين، ونَدَبوه سَبعةَ أيام، فلمّا كانَ اليومُ الثامِن ارادوا الرجوع إلى المدينة، فأمَرَ يزيد أنْ يُحضِرُوا لَهُنَّ المَحامل، واعطاهنّ أموالاً كثيرة وقال: هذا المالُ عِوَضَ ما أصابَكم!

فقالت أمُّ كلثوم: «يا يزيد! ما اقَلَّ حَياؤك وأصلَبَ وَجْهُك؟! تَقتُلُ أخي وأهلَ بَيتي وتُعطينا عِوَضَهم؟!

فرَدُّوا جميعَ الأموال، ولم يأخُذوا مِنها شيئاً.[1]

وجاء في بعض كُتُب التاريخ: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) أرسلَتْ إلى يزيد تسألُه الإذن ان يُقِمْنَ المآتِم علىٰ الإمام الحسين، فاجازَ ذلك، وأنزلَهُنّ في دار الحجارة، فاقَمْنَ المآتِم هناك سبعة أيّام، وكانتْ تَجْتَمِعُ عِنْدَهُنّ ـ في كلّ يومٍ ـ جماعة كثيرة لا تُحصىٰ مِن النساء».

فَقَصَدَ الناسُ أن يَهْجِموا علىٰ يزيد في داره ويَقتُلوه،

---

(١) كتاب «بحار الأنوار»، ج٤٥، ص١٩٦ ـ ١٩٧.

فاطّـلع علىٰ ذلـك مَـروان، وقال لـيـزيـد:

«لا يَـصْـلُـحُ لـك تَـوقُّـف أهل الـبـيـت في الـشـام فـاعِـدَّ لـهُـم الجـهـاز، وابعَـثْ بِـهِـمْ إلى الحِـجـاز».

فـهَـيّـأَ لَـهُـمُ المَـسـيـر، وبَـعَـثَ بِـهِـمْ إلى المديـنـة.[1]

---

(١) كتاب «كامل الـبـهـائـي».



بين الإمام زين العابدين (عليه السلام)
ويزيد بن معاوية

وقد جاءَ في التاريخ انّ يزيد قال للإمام زين العابدين (عليه السلام): «أذكُر حاجاتِك الثلاث التي وعَدْتك بقَضائهن»؟

فقال الإمام: «الأولىٰ: انْ تُريَني وَجْه سيّدي ومولاي الحسين، فأتزَوّد منه وانظر إليه وأودّعه؟

والثانية: انْ تَردّ علينا ما أُخِذَ مِنّا؟

والثالثة: إنْ كُنتَ عَزَمتَ علىٰ قَتْلي أن تُوَجّه مع هؤلاء النِسْوة مَنْ يَرُدّهنّ إلى حَرَم جَدّهنّ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم»؟

فقال يزيدُ: «امّا وَجْه ابيك، فلَنْ تَراه ابَداً!!

وأمّا قَتْلُك، فَقد عَفَوتُ عنْك، وأمّا النساء فلا يَرُدّهنّ إلى المدينة غيرُك.

وأمّا ما أخِذَ مِنْكم، فإنّي أعوّضكم عنه أضعافَ قِيمته».

فقال الإمام: «أمّا مالُك فلا نُريدُه، وهو مُوَفّرٌ عليك، وإنّما طلبْتُ ما أخِذَ منّا.. لأنّ فيه مِغْزَل فاطمة بنت محمّد، ومَقْنَعَتَها وقِلادَتها وقَميصَها».[1]

(١) كتاب (المَلْهوف) ص ٢٢٤.

تَرحيل عائلة آل الرسول
مِن دمشق إلى المدينة المُنوّرة

المُستفاد مِن مَجموع القضايا التاريخيّة أنّ خُطبة السيّدة زينب الكبرىٰ في مجلس يزيد، والوقائع التي حَدَثتْ في ذلك المجلس، ثُمَّ خُطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الجامع الأموي في دمشق، أوجَدَتْ في الناس وَعْياً و هِياجاً، واستِياءً عامّاً ضدّ الحُكم الأموي في الشام.

وخاصّةً: أنَّ بِلاط يزيد لم يَسْلَم مِن التَوَتُّر والإضطراب.

والعَجيب: أنّ يزيد ـ الّذي كان يَحْكُم علىٰ بلاد الشام وغيرها ـ شَعُر بانّ كُرسيَّه قد تَضَعْضَع، بل وانَّ حياتَه صارتْ مُهدَّدة، حتّىٰ زوجته إنقلب حُبُّها إلى عِداء، كلّ ذلك مِن نتائج خُطبة امرأة اسيرة، وشابٍ

أسيرٍ عَليل!!

فاستَشار يزيد جُلَساءَه حول إتّخاذ التدابير اللازمة لِدَفْع الخَطر المُتَوقَّع، فأشارَ عليه أصحابُه بِتَرحيل العائلة مِن دمشق، وإرجاعِهم إلى المدينة المنوّرة.

وتَبدَّل مَنطق يزيد، فبَعْد أنْ كان يقول: «لعِبتْ هاشمُ بالمُلْك» صارَ يَلعنُ عبيدَاللّه بنَ زياد الّذي قامَ بهذه الجناية مِن تِلْقاء نفسه، فكأنّ يزيد يُبرّأ نفسَه ممّا جَرىٰ، ويُلقي المسؤوليّة علىٰ عبيداللّه بن زياد.

وتَبَدَّلت تلك الخشونة والقَساوة، والشماتة والإهانة، إلى الرِفق واللِّين والإحترام المُزيَّف، فالظروف تَصنَع كلّ شيء، والسياسة التابعة للظروف والخاضعة للمَصالح ذوقابليّة لِلتلوُّن بكلّ لون.

فأمَرَ يزيد نعمانَ بن البشير أن يُهيّيء وسائلَ السَفَر لِتَرحيل أهل البيت مِن الشام، مَع رِعاية الإحترام اللائق بهم.

وجاءَ في كتاب (الفُصولُ المُهمَّة) لإبن الصَبّاغ المالكي: ثمّ إنَّ يزيد ـ بعد ذلك ـ امرَ النُعمانَ بنَ بَشير انْ يُجَهّزَهُم ـ بما يَصْلُح لَهُمْ ـ إلى المدينة الشَريفة، وسَيّرَ مَعَهم رَجُلاً امِيناً مِن أهل الشام، في خَيلٍ سَيَّرَها في

صُحْبَتِهِم، ... وكانَ يُسايِرُهم هُو وخَيلُهُ الّتي مَعَه، فيكونُ الحَريم قُدّامَه، بحيث أنّهم لا يَفوتُونه.

وإذا نَزَلْنَ تَنَحّىٰ عَنْهم ناحيةً. . هُوَ واصحابُه الّذين كانوا حَولَهم كهَيئة الحَرس، وكانَ يَسألُهُم عن حالِهِم، ويَتلَطّفُ بِهِم في جميع أمورهم، ولا يَشُقّ عليهم في مَسِيرهم ... إلى آخِره.



الفَصل الثامِن عشر

- يوم الأربعين
- الرجوع إلى مدينة الرسول



يـوم الأربـعـين

يوم الأربعين: هو اليوم العشرون مِن شهر صَفر، وفيه وَصَلتْ عائلةُ الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، قادِمين مِن الشام، وهُمْ في طريقِهم إلى المَدينة المنوَّرة.

وسُمّيَ بـ«يوم الأربعين» لأنّه يُصادفُ إنقضاءَ أربعين يوماً علىٰ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ويُعتبر تَحديد ـ أو تعيين ـ السَنة التي وَصَلتْ فيها قافلة آل الرسول إلى أرض كربلاء بعد رُجوعهم مِن الشام.. مِن غَوامض المسائل التاريخيّة.

فهلْ كان الوصول في نَفس السَنة التي حَدثتْ فيها فاجعة كربلاء الدامية، أي سنة ٦١ للهجرة، أمْ كان ذلك في السَنة التي بعدَها؟

فهُنا تَساؤل يقول: كيف يُمكن ذهاب العائلة مِن كربلاء إلى

الكوفة، ثمّ إلى دمشق، ثمّ الرجوع والوصول إلى كربلاء، كلُّ ذلك في أربعين يوماً، مع الإنتباه إلى نوعيّة الوسائل النَقليّة المُتوفّرة يومذاك؟!

وهذه معركة عِلْميَّة تاريخيّة لا تَزال قائمة علىٰ قَدَم وساق بين حَمَلة الأقلام مِن المُحدّثين والمُؤرّخين.

ونحن إذا أردنا دراسة هذا الموضوع فإنّ البحث يَحتاج إلى شرح وافٍ، وكلام مُفصّل مُطوّل، ونَرجوا اللّهَ تعالىٰ أن يوفّقنا للبحث والتحقيق عن هذا الموضوع في مؤلّفاتنا القادمة، إنْ شاء اللّه تعالىٰ.

ولعلَّ رجُوعَهم كان مِن طريق الأُردن إلى المَدينة المنوّرة، فحينَما وَصَلوا إلى مُفتَرَق الطُرُق طلبوا مِن الحَرَس ـ الذين رافَقوهم مِن دمشق ـ أن يَجعلوا طريقَهم نحو العراق وليس إلى المدينة. ولم يَستطع الحَرَس إلّا الخضوع لهذا الطَلَب والتوجّه نحو كربلاء.

وحينما وَصَلوا أرضَ كربلاء صادَفَ وصولُهم يومَ العشرين مِن شهر صَفر.

وكان الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري قد جاءَ إلى كربلاء يُرافقه عَطاء ـ أو عَطيّة ـ العَوفي[1].. وجماعة مِن

---

(١) وهو مِن مَشاهير التابعين.. الذين لم يَرَوا رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ولكنّهم رأوا صحابة الرسول.

بَنـي هاشم، جاؤا جميـعاً لِـزيـارة قـبر الامام الحسين عليه السلام.

واجتمعَ جماعة مِن اهل السَواد[1] وهم اهل القُرىٰ والأرياف التي كانت في ضواحي كربلاء يومذاك، فصار هناك اجتماع كبير ـ نِسْبيّاً ـ مِن شَتّىٰ الطبَقات، فالجميع حضَروا عند قبر رَيحانة رسول اللّه وسيّد شباب أهل الجنّة، يَزورون قبرَه ويُسلّمون عليه، والكآبةُ تُخيّم علىٰ وجوههم، والأسىٰ والأحزان تَعصِرُ قلوبَهم.

كانت القلوب تَشْتَعل حُزْناً، والدموع مُستعدّة لِتَجري علىٰ الخُدود، ولكنّهم يَنتظرون شرارة واحدة، حتّىٰ تَضطرم النفوسُ بالبكاء، وتَرتفع أصوات النَحيب والعَويل.

في تلك اللحظات وصَلَتْ قافلة العائلة المكرّمة إلى كربلاء، فكانَ وصولُها في تلك الساعات هي الشرارة المُترقّبة المُتوقَّعة، «فتَلاقَوا ـ في وقتٍ واحد ـ بالبكاء والعَويل». [2]

---

(١) أهل السَواد. كان يُعبَّر عن أراضي العراق بـ«ارض السَواد» لكثْرة وكثافة الأشجار فيها.. مع الانتباه إلى تُرْبتها الصالحة للزراعة لِدَرجة كبيرة، فالأراضي التي تُغطّيها الأشجار تَتراءىٰ مِن بعيد وكأنّها سوداء، ومِن هنا سَمَّوا المَزارع والبَساتين بـ«ارض السَواد» وسَمَّوا الذين يَسكنون هذه المَناطق بـ«اهل السَواد». المُحقّق

(٢) ذكَر السيّد ابن طاووس ـ في كتاب (المَلْهوف) ص٢٢٥ ـ: ولمّا رَجَعَتْ نساء الحسين (عليه السلام) وعياله مِن الشام وبَلَغوا العراق، قالوا للدليل: مُرَّ بِنا علىٰ طريق كربلاء. فوَصَلوا إلى موضع المَصْرَع، ←

كانت السيّدة زينب (عليها السلام) ـ في هذا المَقطع مِن الزمان، وفي هذه المنطقة بالذات، وهي أرض كربلاء، ـ لها الموقف العظيم، وكانت هي القلبُ النابِض للنشاطات والأحاسيس المَبْذولة عند قبور آل رسول اللّه (عليهم السلام) في كربلاء.

نشاطات مَشفوعة بكلِّ حُزن ونُدْبة، مِن قلوب مُلتهِبة بالأسىٰ!

وما تَظنّ بسيّدةٍ فارقتْ هذه الأرض قبل أربعين يوماً، وتَركتْ جُثَثَ ذَويها مُعفَّرةً علىٰ التراب بلا دَفْن، واليوم رَجَعتْ إلى مَحلّ الفاجعة.. فما تَراها تَصنع وماذا تَراها تَقول؟؟!

أقبلتْ نَحْو قبر أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) فلمّا قَربتْ مِن القبر صَرختْ ونادتْ أكثر مِن مرّة ومرّتين:

وا أخاه!! وا أخاه!! وا أخاه!!

كانت هذه الكلمات البسيطة، المُنْبعثة مِن ذلك القلب المُلتَهِب، سَبَباً لِتَهْييج الأحزان وإسالة الدُموع، وارتفاع أصوات البُكاء والنَحيب!

← فوَجَدوا جابر بن عبداللّه الأنصاري وجماعة مِن بَني هاشم، ورجالاً مِن آل الرسول، قد وَرَدوا لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فوافَوا في وقتٍ واحد، وتَلاقوا بالبكاء والحُزن واللَطم، واقاموا المَآتم المُقْرحة للأكباد، واجتمعتْ إليهم نساءُ ذلك السَواد، واقاموا علىٰ ذلك أيّاماً».

المُحقّق

واللّهُ العالِم كم كانت كلماتُ الشكوىٰ تَمرّ بخاطر السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) حين كانت تَبثّ آلامها وأحزانَها عند قبر أخيها الإمام الحسين؟! ممّا جرىٰ عليها وعلىٰ العائلة طيلةَ تلك الرِحْلة المُزْعِجَة.

وما يُدرينا.. ؟ ولَعلّها كانت سعيدة ومُرتاحة الضمير بما قامتْ به طيلةَ تلك الرِحْلة!

فقد أيقَظتْ عشَرات الآلاف مِن الضمائر الغافلة، وأحيَتْ آلافَ القلوب المَيّتة، وجعلتْ أفكارَ المُنْحرفين تَتغيّر وتَتَبَدّل مائة وثمانين درجة علىٰ خِلاف ماكانتْ عليه قبلَ ذلك!

كلُّ ذلك بسَبَب إلقاء تلك الخُطَب المُفَصّلة، والمُحاورات المُوجَزة التي دارتْ بينَها وبين الجانب المُناوىء، أو الأفراد المُحايدين الذين كانوا يَجهلون الحقائق ولايَعرفون شيئاً عن أهل البيت النَبوي الطاهر.

وتُعتبر هذه المساعي مِن أهمّ إنجازات السيّدة زينب الكبرىٰ، فقد أخذوها أسيرة إلى عاصمة الأمويّين، وإلى البلاط الأموي الذي أُسّسَ علىٰ عِداء أهل البيت النبَوي مِن أوّل يوم، والذي كانت مَوادُّه الإنشائيّة ـ يومَ بناء صَرحه ـ مِن النُصْب والعِداء لآل رسول اللّه، ومكافحة الدين الإسلامي الذي لايَنْسَجِمُ مع أعمال الأمويّين وهِواياتهم.

أخذوها إلى مَقرّ ومَسكن طاغوت الأمويّين، وبمَحْضَر منه ومَشْهد، ومَسمَع منه ومِن أُسرته. خَطبتْ السيّدة زينب تلك الخطبة الجَريئة، وصَبَّتْ جامَ غَضَبها علىٰ يزيد، ووَصَمَتْه بكلِّ عارٍ وخِزْي، وجَعلتْ عليه سَبَّة الدهر، ولَعنةَ التاريخ!!

نعم، قد يَتجرّأ الإنسان أن يَقوم بمُغامرات، إعتماداً علىٰ القدرة الّتي يَملكُها، أو علىٰ السلطة التي تُسانده، وأمثال ذلك.

ولكن ـ باللّه عليك ـ علىٰ مَن كانت تَعتمد السيّدة زينب الكبرىٰ في مُواجَهاتها مع أُولئك الطواغيت وأبناء الفراعنة، وفاقدي الضمائر والوجدان، والسُكارىٰ الذين أسكرتْهم خَمرةُ الحُكم والإنتصار، مع الخَمرة التي كانوا يَشربونها ليلاً ونهاراً، وسِراً وجهاراً ؟؟!

هل كانت تَعتَمد علىٰ أحَدٍ غيرَ اللّه تعالىٰ ؟!

ويُمكن أن نَقول: إنّها قالت ما قالتْ، وصَنَعت ما صَنَعتْ ـ في إصطدامها مع الظالمين ـ أداءً للواجب، وهي غير مُبالية بالعواقب الوخيمة المُحتَملة، والأضرار المُتوقَّعة، والأخطار المُتّجهة إلى حياتها. . فليكُنْ كلُّ هذا. فإنّ الجهاد في سبيل اللّه مَحْفُوف بالمَخاطر، والمُجاهِدُ يَتوقَّع كلَّ مكروه يُحيط به وبحَياته.

ونَقرأ في بعض كُتُب التاريخ: أنّ قافلة آل الرسول مَكَثَتْ في كربلاء مُدَّةَ ثلاثة أيام، مَشْغولةً بالعَزاء والنياحة، ثمَّ غادرتْ كربلاء نَحو المدينة المنوَّرة.

الـرجـوع إلـى مديـنـة الـرسـول

وصَـلَـت السـيّـدة زينبُ الكبرىٰ إلى وطنهـا الحبيب، ومَسقط رأسها، ومهاجَـر جدِّها الرسول الأعظم (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

وكـانت قد خـرجتْ من المـدينة قبلَ شـهور، وهي في غـاية العِـزّ والإحتـرام بصُحْبة إخـوتها ورجـالات أسرتهـا، واليوم قد رجـعتْ إلى المدينة وليسَ معها مِن أولئك السادة الأشاوس سوىٰ إبن أخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) فرأت الديار خالية مِن آل الرسول الطاهرين.

وتَرىٰ ديارَ أُميّـةٍ مَعْـمـورةً   وديار اهل البيت منهم خالية

وجـاءَ في التـاريـخ: أنّ السيّـدة زينب (عليـهـا السـلام) لمّـا وَصَـلتْ إلـى الـمَـدينـة تَوجَّـهـتْ نحـو مَـسجـدِ جَـدّها رسـول اللّه (صلّـىٰ اللّـه عـلـيـه وآلـه وسلّـم) ومَـعَـهـا جـمـاعـةُ مِـن نـسـاء

بَني هاشم، وأخَذتْ بعُضادَتي باب المسجد[١] ونادتْ: «يا جَدّاه! إنّي ناعِيةٌ إليك أخيَ الحسين»!!، وهي مَعَ ذلك لا تَجفُّ لَها عَبْرة، ولا تَفْتُرُ عَن البُكاء والنَحيب.[٢]

إنَّ الأعداء كانوا قد منَعوا العائلة عن البكاء طيلة مَسيرتهنّ مِن كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام، وهُنَّ في قَيد الأسْر والسَبْي، حتّىٰ قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) «إنْ دَمعَتْ مِن أحَدنا عينٌ قُرِعَ رأسُه بالرُمح»[٣].

والآن.. قد وَصلت السيّدة إلى بيتها، وقد ارتفعتْ المَوانع عن البكاء، فلا مانع أنْ تُطْلِق السيّدة سراح آلامها لتَنفَجر بالبكاء والعَويل، علىٰ أشرف قَتيل وأعزّ فَقيد، وأكرم أُسْرة فَقَدتْهم السيّدة زينب في معركة كربلاء.

وخاصةً إذا اجتَمعتْ عندها نساءُ بَني هاشم لِيُساعدْنَها علىٰ البكاء والنياحة علىٰ قَتْلاها، وحَضرتْ عندها نساءُ أهل المدينة ليُشاركْنَها في ذَرْفِ الدموع، ورفْع الأصوات بالصراخ والعويل.

والبلاغة والحكْمة تَتطلّب مِن السيّدة زينب أن تتحدَّث

(١) أي: الخَشَبتين المَنْصُوبَتين عن يَمين الباب وشِماله. كما في «لسان العرب».

(٢) كتاب «بحار الانوار» ج٤٥، ص١٩٨. المُحقّق

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٤، باب ٣٩، نَقلاً عن كتاب (إقبال الاعمال).

عـمّـا جـرىٰ عليـهـا وعـلىٰ أسـرتهـا طيلـةَ هذه الرِحْلة، مِن ظُـلم يزيد وآل أبي سفيان وعُـمّـلائهم الأرجاس الأنـذال.

وتَـتَـنـاوبُ عنهـا الـسيّـدات الـهـاشـمـيّـات اللاتي حـضَـرنَ في كربلاء ونَـظـرنَ إلى تلك المآسي والفجـائع، وشاهَـدْنَ المَـجازر التي قامَ بها اتباع الشياطين مِـن بَـنـي أُمـيّـة.

كانت النسوة يَخرُجـنَ مِـن مجلس العـزاء وقد احمرَّتْ عيونُـهـنَّ مِـن كثرة البكاء، وكلُّ امرأة مُرتبطة برَجلٍ أو أكثر، مِـن زوجٍ أو أبٍ أو أخ أو إبن، وتَـقصُّ عليهم مـا سمعتْـه من السيّدة زينب (عليهـا السلام) مِـن الفـجـائع التي وقَعتْ في كـربلاء وفي الكوفـة، وفي طريق الشـام، وفي مَجلس يزيد، وفي مدينة دمشق بصورة خاصَّـة.

كان التحدّث عن أيّ مشهـدٍ من تلك المشاهد المؤلمة يكفي لأن تَمتلىء القلوب حِـقْـداً وغـيظاً علىٰ يزيد وعلىٰ مَـن يَـدورُ في فَـلكه، وحـتّىٰ الذين كـانوا يَحـملون الـحُبّ والوداد لِبَـنـي أُمـيّـة، إنـقـلبت المَحبَّـة عندهم إلى الكراهية والبُغض، كمـا وأنّ الذين كانوا يُـكـنّـونَ الطاعة والإنقياد للسلطة الحـاكمـة صاروا علىٰ أعتـاب التمـرّد والثورة ضدّ السلطة.[1]

---

(١) وقـد جـاءَ فـي التاريـخ: انّ عـبداللّـه بن جـعـفـر كـانَ جـالـسـاً في داره يَـسـتَـقـبِـلُ الناسَ الّـذيـن يُـريـدونَ انْ يُـعـزّوه بإستِـشْـهـاد الإمام الحسين (عليه السـلام) واستِـشْـهـاد ولَـديـه عـون وجـعـفـر، إذْ دَخَـل عليه رجلٌ وعَـزّاه. ←

ومِن الطبيعي أنَّ الأخبار كانت تَصِل إلى حاكم المدينة، وهو مِن نفس الشجرة الّتي اثمَرَتْ يزيد وأباه وجَدّه، فكان يَرفع التقارير إلى يزيد ويُخبِره عن نشاطات السيِّدة زينب، ويُنذرهُ بالإنفجار، وانفلات الأمر مِن يده، قائلاً: «إنْ كان لك في المدينة حاجة فأخرجْ منها زينب».

جُبَناء، يَحكُمون علىٰ نصف الكُرة الأرضية ويخافون مِن بكاء امرأة لا تَملك شيئاً مِن الإمكانات والإمكانيّات.

← فقالَ عبدُ اللّه: إنّا لِلّه وإنّا إليه راجِعون!

فقال رجلٌ يُقالُ لَه: «أبو السلاسل»: هذا ما لَقِينا مِن الحسين بن علي! فحَذَفَهُ (اي: رَماهُ) عبْداللهِ بنُ جعفر بِنَعْله، وقال له: يابنَ اللَخناء! (يُقال في السَبّ: يابنَ اللَخْناء، أي: يابنَ المَراة المُنْتِنَة) اللحسين تَقولُ هذا ؟!

ثمّ قال: «واللّه لو شَهِدْتُهُ لاحْبَبْتُ انْ لا أفارقَه حتّىٰ أقتَلَ مَعَه، واللّه إنّه لَمِمّا يُسَكّن نَفسي، ويُهَوِّنُ عليَّ المُصابَ، انّ اخي وابنَ عمّي أصيبا مع الحسين، مُواسِيَيْنِ لَهُ، صابِرَين مَعَه.

ثمّ اقبَلَ علىٰ جُلَسائه فقال: الحمْدُ لِلّه، عَزَّ عليَّ مَصْرَعُ الحسين، إنْ لمْ اكُنْ واسَيتُ حُسيناً بِيَدَيّ فَقد واساهُ وَلَداي.

المصدر: كتاب «بحار الأنوار» ج٤٥، ص١٢٢ ـ ١٢٣. وذكرَهُ الطبَري في تاريخه، ج٥، ص٤٦٦. المُحقّق

إنهم يَعرفون أنفسَهم، ويَعرفون غيرَهم، يَعرفون أنفسَهم أنهم يَحكُمون علىٰ رقاب الناس، ويَعرفون أنَّ غيرهم يَملكون قلوبَ الناس.

مِن المؤسِف المُؤلم انْ يُحْسَب هؤلاء الظَلَمة مِن المسلمين، وأن تُحسَب جناياتهم علىٰ الدين الإسلامي.

وأيّ إسلام يَرضىٰ بهذه الجناية التي تَقشَعرّ منها السماوات والأرض؟!

هل هو إسلام النبيِّ محمّد صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم؟!

امْ إسلام بَني أميّة؟!

إسلام معاوية، ويزيد بن معاوية، وعمر بن سعد، والدعيّ بن الدعيّ عُبيداللّه بن زياد؟!!

ولا مانع لدىٰ يزيد أن يامر حاكمَ المدينة بإبعاد السيّدة زينب مِن مدينة جَدّها الرسول.

ولكنّ السيّدة إمتنعتْ عن الخروج مِن المدينة، وكأنَّها لاتَهاب الموت، ولاتخاف مِن أيِّ رجسٍ مِن أولئك الأرجاس.

وهل يَستطيع الأعداء ان يَحكُموا عليها بشيء أمرَّ مِن الإعدام؟

فلا مانع، فلقد صارت الحياة مَبغوضة عندها، والموت خيرٌ لها مِن الحياة تحتَ سُلْطة الظالمين.

إنّها تلميذة مدرسة كان اساتذتُها يَقولون: «إنّي لا ارىٰ

الـمَـوتَ إلاّ سَعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ بَـرَماً».

وتَحدَّت السلطة، وأعلنتْ إمتناعَـها عن الخروج من المدينة. ولكنّ عدداً مِن السيّدات الهاشميّات إجتمعن عندها وذكّرنَها بيزيد وطغيانه، وأنّه لايَخاف مِن اللّه تعالىٰ، ومِن المُمكن أن تتكرّر فاجعة كربلاء، بأن يَأمر الوالي بإخراج السيّدة مِن المَدينة قَسْراً وجَبراً، فيقومُ بعضُ مَن تَبقّىٰ مِن بَني هاشم لأجل الدفاع، وتَقع الحرب بين الفريقين، وتُقام المجزرة الرهيبة.

فقرّرتْ السيّدة زينب (عليها السلام) السفر إلى بِلاد مصر.

ولماذا اختارتْ مصر؟

إنّ أحسن بلاد اللّه تعالىٰ عند السيّدة زينب ـ بعد المدينة المُنوَّرة ـ هو مِصْر، لأنّه كان لآل رسول اللّه في بِلاد مِصْر رَصيدٌ عظيم.. مِن ذلك الزمان إلى هذا اليوم. والسَبَب في ذلك أنّ أفراداً مِن الخط المُوالي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كانوا قد حكموا مصر في تلك السنوات، أمثال: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومحمّد بن أبي بكر، وأخيراً مالك الأشتر النَخَعي.[1]

(١) وقد ذكرَ تفاصيلَ ذلك المَقريزي المُتوفّىٰ عام ٨٤٥هـ في كتابه «المواعظ والإعتبار»، طبع لبنان، سنة ١٤١٨هـ، ج٢ ص٩٣، وج٤، ص١٥١ حيث قال: «... ومصر ـ يومئذٍ ـ مِن جيش علي بن أبي طالب» وص١٥٦ و١٥٧.

الفَصل التاسع عشر

- بعض ما رُويَ عن السيّدة زينب
- ١ ـ خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء
- ٢ ـ حديث أُمّ أيمن
- ٣ ـ مُتفرِّقات

بعضُ ما رُويَ عن السيّدة زينب

مِن القطع واليقين انّ السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) كانتْ قد سمعتْ ما لا يُحصىٰ من الأحاديث مِن جدّها رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وأبيها اميرالمؤمنين (عليه السلام) واخويها: الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) ورَوتْ عنهم الشيء الكثير الكثير.

وكيف لا؟ وقد فَتحتْ عينَيها في مَهْبَط الوحي والتنزيل، وترعْرعتْ ونَمَتْ في أحضان مَصادر التشريع الإسلامي، وتَراجِمة الوحي الإلهي، ومَنابع المعارف والأحكام السماويّة.

ولكن.. هل ساعدتْها الظروف انْ تَتَحدَّث عمّا سمِعتْ وشاهدتْ في حياتها المُباركة مِن أسلافها الطاهرين؟

وما يُدرينا، فلعلّها حدَّثتْ شيئاً ممّا رأتْ ورَوَتْ، ولكنّ الدهر الخَؤون لم يَحتَفِظ بِمَرويّاتها، فضاعَتْ وتَلفتْ تلك الكنوز،

وأبادت الحوادثُ تلك الثروات الفِكريّة والعِلْميّة[1]، وقد بَقيَ منها الشيء اليَسير اليَسير، فمِنها:

(١) لقد تَعرّض التراثُ الإسلامي الشيعي لِغاراتٍ قاسِية مِن قِبَل أعداء الدين، منذ فاجعة وفاة الرسول الكريم.. وإلى عصْرنا الحاضر. فبَعد وفاة ذلك النبيِّ العظيم بَدأتْ حَمْلة شَعْواء وهجوم عنيف ضدّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) تحت اقنعة الدين والمصلحة الإسلاميّة العامّة!!، فبإسم «مُكافحة الأحاديث المنسوبة ـ كِذْباً ـ إلى النبي الكريم» مُنعَ تَداولُ الحديث وكتابته، وكان الهدف ـ الأوّل والأخير ـ مِن ذلك: هو مَنْع تَداول كلّ حديث نَبَوي يَرتبط بمَدح أهل البيت، وبتفسير الآيات القرآنيّة النازلة في شأنهم، وسَدّ الطريق أمامَ كلّ صَحابيّ يُريد الدفاع عن آل الرسول الطاهرين، عن طريق الإستدلال بالقرآن الكريم ـ المُؤيّد بالتفسير الصحيح ـ والأحاديث النبويّة الصحيحة الّتي كانتْ حَديثةَ عَهْدٍ بالصدور. وعلىٰ هذا النَهْج وروايَة (المَنْع مِن تَداول تلك الأحاديث) سارَ الأمويّون والعباسيّون والإمبراطوريّة العثمانيّة.. وإلى يومنا هذا.

ولولا ضيق المَجال لَذكرْنا استعراضاً سريعاً لأرقام مُذْهِلة عن التراث الشيعي العظيم الذي تَعرّض للإتلاف والإبادة، مع الوثائق والاثباتات التاريخيّة، كشاهد ودليل علىٰ هذا القول. المُحقّق

١ ـ خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء

لقد ذكرنا في كتاب (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد) أنَّ خُطبة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تُعتبر مُعجزة من معاجز السيّدة فاطمة، لأنّها في قمّة الفصاحة وذروة البلاغة، وذكرنا ـ هناك ـ بعض مَزايا الخطبة.

والعَجَب كلّ العجَب أنَّ السيّدة زينب رافَقتْ السيّدة فاطمة الزهراء ـ يومذاك ـ إلى المسجد، وسَجَّلت الخطبة كلَّها في قلبها وذاكرتها، لتكون راويةً لخطبة أمّها، ولتكون همزةَ وَصْل في إيصال صوت أُمِّها إلى مَسامع الأُمم والمِلَل، وجهازاً إعلامياً في بَثِّ هذه الخطبة إلى العالَم، وعلىٰ مَرِّ الأجيال والقرون.

ويَجب انْ لا نَنسىٰ أن عُمرَها كان ـ يومذاك ـ حوالي خمسة أعوام فقط، فانظُر إلى الذكاء المدْهِش والإستعداد الكامل والمؤهِّلات الفريدة مِن نوعها.

لقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب (عِلَل الشرائع) شيئاً من خطبة

السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بسَنده عن أحمد بن محمّد بن جابر، عن زينب بنت علي عليه السلام.[١]

وروىٰ أيضاً بسَنده عن عبدالله بن محمد العَلَوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت علي، عن فاطمة عليها السلام.

وروىٰ أيضاً بسنده عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمّته زينب بنت علي، عن فاطمة (عليها السلام) مِثْله.

و إليك نصّ الرِواية:

رَوىٰ عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه، انّه لمّا اجمَعَ ابوبكر علىٰ مَنْع فاطمة فدك، وبَلغَها ذلك، لاثَتْ خمارَها علىٰ راسها[٢] واشتَملتْ بجِلْبابها، واقبلتْ في لُمةٍ مِن حَفَدتها ونساء قومها[٣]، تَطأُ ذيولَها[٤]، ما تَخْرُم مِشْيَتُها مِشْيةَ رسول الله

(١) عِلَل الشرائع، ج١ ص ٢٨٩ باب١٨٢.

(٢) لاثَتْ: شَدّتْ، والخمار: ثوبٌ يُغطّىٰ به الراس.

(٣) اللُمة ـ بضَمّ اللام وتخفيف الميم ـ: الجماعة. الحَفَدة: الخَدَم والأعوان. كما في «القاموس» و«لسان العرب». والظاهر انّ المقصود ـ هنا ـ: مجموعة مِن نساء بَني هاشم ومِن النساء اللواتي كُنَّ يُشارِكْنَها في الفِكْر والإتّجاه والهَدَف، ورافَقْنَها إلى المسجد.

ويمكن انّه كانَ وَراء مجموعة النساء وكلاءُ السيّدة فاطمة، الّذين كانوا يُشرفون علىٰ شؤون اراضي فَدَك وبَساتينها. المحقّق

(٤) كناية عن شِدّة التَستّر.

(صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)[١] حتّىٰ دَخلتْ علىٰ أبي بكر، وهو في حَشْدٍ مِن المهاجرين والأنصار وغيرهم[٢].

فنِيطتْ دونَها مُلاءة[٣].

فجَلستْ ثمّ انَّتْ أنَّةً أجهَشَ القومُ بالبكاء فارتجَّ المَجلس، ثمّ امهَلتْ هُنيئة[٤] حتّىٰ إذا سَكنَ نَشيجُ القومِ وهَداتْ فَورتُهم[٥]، إفتَتَحتْ الكلامَ بحَمْد اللّه والثّناء عليه، والصلاة علىٰ رسوله، فعادَ القومُ في بكائهم، فلمّا امسَكوا عادتْ في كلامها. فقالت (عليها السلام):

الحمْدُ للّه علىٰ ما انعَم، وله الشكرُ علىٰ ما الْهَم، والثناءُ بما

---

(١) ماتَفْرُق مشيتُها عن مِشْية ابيها مِن حيث الكيفيّة والوقار.

(٢) الحَشْد: الجماعة.

(٣) نيطتْ: عُلّقتْ. والمُلاءة: الإزار، او المِلْحَفة، كما في «لسان العرب». ويُعبّر عنها ـ حاليّاً، في بعض البلاد ـ بـ«الشَرشَف» و«المَلافة»، ويُستعمَل في مجالات مُتعدّدة، منها: السِتار، ومنها الإلتحاف بها في موسم الربيع. والمقصود انّه أُسدِلَ بين السيّدة وبين القوم سِتراً وحِجاباً. المُحقّق

(٤) وفي شرح نَهْج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦ ص٢١١: «ثمّ امهَلَتْ طويلاً».

(٥) النَشيج: صوت البكاء مع التوجّع، الفَوْرَة: الشِدّة.

قَدَّم، مِن عُموم نِعَمٍ ابتداها، وسُبوغ آلاءٍ أَسْداها[١]، وتَمام مِنَنٍ والاها، جَمَّ عن الإحصاء عدَدُها[٢]، ونأىٰ عن الجزاء أمَدُها[٣]، وتَفاوتَ عن الإدراك أبَدُها.

ونَدَبَهم لاستزادتها بالشُكر لاتّصالها[٤]واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنىٰ بالنَدب إلى امثالها[٥].

واشهد أنْ لا إله إلاّ اللّه وحْدَه لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمَّن القلوب موصولها[٦]، وأنارَ في التفكير مَعقولَها.

---

(١) سُبوغ النعم: إتّساعها وشُمولها لِمُختلف جوانب الحياة. أسْداها: اعطاها.

(٢) جَمّ: كثُرَ.

(٣) نأىٰ: بَعُدَ، وهكذا تفاوت. الأمَد: الغاية ومُنتَهىٰ الشيء.

(٤) نَدَبَهم: دَعاهم. والإستزادة: طلبُ زيادة النِعَم عن طريق الشُكر، لكي تَتّصل وتَستمرّ وتَدوم.

(٥) ثنىٰ بالنَدْب: اي: كما انّه نَدَبهم لاستزادتها بالشُكر. كذلك نَدَبهم إلى امثالها مِن موجِبات الثواب والأعمال التي تُسبّب دوامَ النِعَم.

(٦) جعلَ القلوب مُحتوية لمعنىٰ كلمة التوحيد.

المُمْتَنع مِن الأبصار رؤيتُه، ومِن الألسُن صِفَتُه، ومِن الأوهام كيفيّتُه. إبتَدَعَ الأشياءَ لا مِن شيء كان قَبْلَها[١]، وأنشأها بلا احتذاء أمثلةٍ امتَثَلَها[٢]، كوَّنَها بقُدرته، وذَرأها بمَشيئته[٣]، مِن غير حاجةٍ منه إلى تكوينها، ولا فائدةٍ له في تصويرها، إلاّ تثْبيتاً لحِكْمته، وتنبيهاً علىٰ طاعته، وإظهاراً لقُدرته، وتَعبّداً لِبَريَّته، وإعزازاً لِدَعوته.

ثم جَعَل الثوابَ علىٰ طاعته، ووَضَع العقاب علىٰ معصيته، ذيادة لعباده مِن نقمته[٤]، وحياشةً لهم إلى جنَّته[٥].

وأشهد أنّ أبي (محمّداً) عبدُهُ ورسولُه، إختاره وانتَجَبه قبلَ أنْ أرسَلَه، وسَمّاه قَبْلَ أنْ اجتَبَلَه[٦]. واصطفاهُ قبلَ أن ابتَعثَه، إذ الخلائق بالغَيب مكنونة، وبستر الأهاويل مَصونة، وبنهاية

---

(١) ابتَدَع: أحدَثَ وابتَكرَ.

(٢) الإحتذاء: الاقتداء. وحذو النَعْل بالنَعل: اي قَطْع النَعل علىٰ مِثال النعل وقَدرها.

(٣) ذَراها: خَلقَها.

(٤) ذيادة: مَنْعاً.

(٥) حياشة لهم: سَوْقَهم.

(٦) اجتَبله: فَطَره، او خَلَقَه.

العدم مقرونة، عِلْماً مِن اللّه تعالىٰ بمئائل الأمور[١]، وإحاطةً بحَوادث الدُهور، ومعرفةً بمواقع المقدور.

ابتَعثَه اللّهُ إتماماً لأمره، وعزيمةً علىٰ إمضاء حُكْمه، وإنفاذاً لمقادير حَتْمه. فراىٰ الأُمَم فِرَقاً في اديانها، عُكَّفاً علىٰ نيرانها، وعابدةً لأوثانها، مُنْكِرةً للّه مَعَ عِرفانها، فانارَ اللّهُ بمحمّدٍ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ظُلَمَها[٢]، وكشَفَ عن القلوب بُهَمَها[٣]، وجلىٰ عن الأبصار غُمَمَها[٤]، وقامَ في الناس بالهداية، وانقَذَهم مِن الغواية، وبَصَّرهم مِن العماية، وهَداهم إلى الدين القَويم، ودَعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثمّ قَبَضَه اللّهُ إليه قبْضَ رأفةٍ واختيار، ورَغبةٍ وإيثار، فمُحمَّدٌ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مِن تَعَب هذه الدار في راحة، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورِضوان الرَبّ الغَفّار، ومُجاوَرة المِلك الجبّار، صَلّىٰ اللّه علىٰ أبي، نَبيّه

---

(١) المئائل: جَمْع مَآل، اي المرجع، وما يَنتهي إليه الأمْر.

(٢) ظُلَم: جَمْعُ ظُلْمة.

(٣) البُهَم - جَمْعُ بهمة -: وهي مُشْكلات الأمور.

(٤) الغُمَم - جَمْعُ غُمّة -: الشيء المُلْتبس المستور.

وأمينه علىٰ الوحي وصَفيّه، وخِيَرته مِن الخَلْق ورَضيّه، والسلام عليه ورحمة اللّه وبركاته.

ثُمّ التفَتتْ إلى اهل المَجلس وقالت: انتُم ـ عبادُ اللّه ـ نصْب أمْره ونَهْيه[١]، وحَمَلة دينه ووَحْيه، وأُمَناءُ اللّه علىٰ أنفسكم[٢]، وبُلَغاؤه إلى الأُمم[٣]، زعيم حقّ له فيكم، وعهْد قَدّمه إليكم، وبَقيّة استَخلَفَها عليكم، كتاب اللّه الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع[٤]، والضياء اللامع[٥]، بَيّنة بَصائره، مُنْكشِفة سَرائره[٦]، مُتجَلّية ظواهِره[٧]،

---

(١) مَنْصوبون لأوامره ونواهيه.

(٢) أُمَناء: جَمْع امين.

(٣) البُلَغاء ـ جَمْع بليغ ـ والمقصود ـ هنا ـ: المُبلّغ.

(٤) الساطع: المرتفع، او المُتَلألا.

(٥) اللامع: المضيء.

(٦) البصائر: جَمْع بَصيرة، والمراد ـ هنا ـ: الحُجَج والبَراهين.

والسرائر: جَمْع سَريرة، والمقصود ـ هنا ـ: الأسرار الخَفيّة واللطائف الدقيقة.

(٧) مُتجلّية: مُنكَشِفة، او: واضِحة.

مُغْتَبط به أشياعُه[١]، قائدٌ إلى الرضوان إتّباعُه، مُؤدٍّ إلى النجاة استماعُه، به تُنالُ حُجَجُ اللّه المُنوّرة، وعَزائمُه المُفَسَّرَةَ[٢]، ومَحارمُه المُحَذّرة، وبَيّناتُه الجالية[٣]، وبَراهينُه الكافية، وفضائلُه المندوبة[٤]، ورُخَصُه الموهوبة، وشَرائعه المَكْتوبة[٥].

فجَعَلَ اللّه الإيمانَ تطهيراً لكم مِن الشِرْك، والصلاةَ تَنْزيهاً لكم مِن الكِبْر، والزكاةَ تزكيةً للنَفْس ونماءً في الرِزْق، والصيامَ تَثْبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشْييداً للدين، والعَدلَ تَنسيقاً للقلوب[٦]، وإطاعتَنا نِظاماً للمِلّة، وإمامتَنا أماناً مِن الفُرقة، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصَبْرَ مَعونةً على استيجاب الأجْر، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعامَّة، وبرَّ

---

(١) الغِبْطة: انْ تَتَمنّىٰ مِثْلَ حال المَغبوط إذا كان بحالة حسَنة.

(٢) العزائم ـ جَمْع عزيمة ـ: الفريضة التي افترضَها اللّه تعالىٰ.

(٣) الجالية: الواضحة.

(٤) المندوبة: المَدْعوّ إليها.

(٥) المكتوبة ـ هنا ـ: الواجبة.

(٦) التنسيق: التنظيم.

الوالدين وِقايةً مِن السَخَط، وصِلَةَ الأرحام منماةً للعَدَد[1]، والقِصاصَ حِقْناً[2] للدِماء، والوَفاء بالنَذْر تَعريضاً[3] للمَغْفِرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبَخْس[4]، والنهيَ عن شُرْب الخمر تنزيهاً عن الرجْس، واجتنابَ القَذْف حِجاباً عن اللعنة، وتركَ السرقة إيجاباً للعِفّة.

وحَرّمَ الشِرْك إخلاصاً له بالرُبوبيّة، فَـ«اتّقوا اللّهَ حَقّ تُقاته، ولا تَموتُنّ إلاّ وأنتُم مُسْلمون»، وأطيعوا اللّه فيما أمَركم به ونهاكم عنه، فإنّه «إنّما يَخشىٰ اللهَ مِن عباده العلماء».

ثمّ قالت: أيّها الناس! إعلَموا أنّي فاطمة! وأبي محمّد. أقولُ عَوداً وبِدْءاً[5]، ولا أقولُ ما أقول غَلَطاً، ولا أفعلُ ما أفعل

---

(١) منماة ـ علىٰ وَزْن مسحاة ـ: إسم آلة للنموّ، ولعلّها مَصدرٌ ميمي للنموّ.

(٢) حِقْناً: حِفظاً.

(٣) تعريضاً: إذا جعلتَه في عرضة الشيء.

(٤) المكاييل ـ جَمْع مِكْيال ـ: وهو ما يُكال به. والموازين: جَمْع ميزان. والبَخْس: النَقْص.

(٥) عوداً وبدءاً: آخِراً وأوّلاً.

شَطَطاً[١]. «لقد جاءكم رسولٌ مِن أنفسِكم عزيزٌ عليه ماعَنتّمْ حَريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»[٢].

فإنْ تُعْزوه وتَعرفوه تَجدوه أبي دونَ نسائكم[٣]، واخا ابن عمّي دونَ رجالكم، ولَنِعْم المعزِيُّ إليه[٤] (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

فَبَلّغ الرسالة، صادِعاً بالنذارة[٥]، مائلاً عن مدرجة المشركين[٦]، ضارباً ثَبَجَهم[٧]، آخِذاً باكظامهم[٨]، داعياً إلى سَبيل رَبّه بالحِكْمة والمَوعظة الحَسَنَة، يَكسِرُ الأصنام، ويَنكتُ الهام[٩]، حتّىٰ انهزَم الجَمْعُ وولّوا الدبُرَ، وحتّىٰ تفرّىٰ

---

(١) شَطَطاً: ظُلْماً وجَوراً.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

(٣) تُعزوه: تَنْسِبوه.

(٤) المعزيّ إليه: المنسوب إليه.

(٥) صادعاً: مُظهراً. النذارة: الإنذار والتخويف.

(٦) مدرجة المشركين: طريقهم ومَسْلَكهم.

(٧) الثَبَج ـ بفَتْح الثاء والباء ـ: الظَهْر، وقيلَ: مابين الكاهِل إلى الظهر.

(٨) الكظم: ـ بفتْح الكاف والظاء ـ: الفَم او الحَلْق او مَخرَج النفَس.

(٩) نَكتَه علىٰ هامته: إذا القاه علىٰ راسه.

الليلُ عن صُبْحه[١]، وأسْفَرَ الحقّ عن مَحْضه[٢]، ونَطقَ زعيمُ الدين، وخرستْ شقاشقُ الشياطين[٣]، وطاح وشيظ النفاق[٤]، وانحلّتْ عُقَد الكفر والشِقاق[٥] وفُهتُم بكلمة الإخلاص[٦]، في نَفَرٍ مِن البيض الخِماص[٧]، وكنتُم علىٰ شَفا حُفرَةٍ مِن النار[٨]، مُذْقةَ الشارب[٩]، ونُهزَةَ الطامع[١٠]، وقَبْسَةَ العَجْلان[١١]، و مَوطىء الأقدام، تَشْربون

(١) تفرّىٰ: إنشَقّ.

(٢) اسْفَر: إذا انكشَفَ واضاء. والمَحْض: الخالص.

(٣) شقاشق ـ جَمْع شقشقة ـ: وهي شيء يَشْبه الرئة يَخرج مِن فَم البَعير إذا هاج.

(٤) الوشيظ: الأتباع والخدَم.

(٥) الشقاق: الخلاف.

(٦) فُهتُم: تَلفّظتُم، تَفوّهتُم.

(٧) البيض ـ جَمْع ابيض ـ والخِماص ـ جَمْع خَميص ـ: وهو الجائع.

(٨) شَفا حُفرة: جانبها المُشرف عليها، او: حافّتها.

(٩) المذقة ـ بضَمّ الميم ـ شربة مِن اللَبَن الممزوج بالماء.

(١٠) النهزة ـ بضَمّ النون ـ: الفُرصة.

(١١) قبسة العجلان: الشُعْلة مِن النار التي ياخذها الرجل العاجل.

الطرْق[١]، وتَقْتاتون القِدَّ والورَق[٢]، أذلّةً خاسِئين، تَخافون أنْ يَتخَطّفَكمُ الناسُ مِن حولكم، فانقذكم اللّه تعالىٰ بمحمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) بعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مُنِيَ بِبُهم الرجال[٣]، وذُؤبان العَرَب، ومَرَدَة أهلِ الكتاب[٤]، كلّما أوقَدوا ناراً للحَرْب أطفأها اللّه، أو نَجَم[٥] قَرْنٌ للشيطان، أو فَغَرتْ[٦] فاغِرةٌ مِن المشركين، قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتها[٧]، فلا

---

(١) الطرق ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ: الماء الذي خاضَتْ فيه الإبل وبالَتْ فيه.

(٢) تَقتاتون: تَجعلون قُوتكم. القِدّ ـ بكسر القاف ـ: قطعة جلد غير مدبوغ، ويُحتمل أنْ يكون بمعنىٰ القديد: وهو اللحم المُجفّف في الشمس. الوَرَق: ورَق الأشجار.. علىٰ اختلاف انواعها.

(٣) مُني ـ فعل ماضي مَجهول ـ: ابتُلي. والبُهَم ـ علىٰ وَزْن الغُرَف ـ جَمْع بهمة: وهو الشجاع الذي لا يُهتدىٰ مِن أين يؤتىٰ.

(٤) مردة ـ بفتح الميم والراء والدال ـ: جَمْع مارِد وهو العاتي.

(٥) نَجَمَ ـ فعل ماضي ـ: طَلَع. وقرن الشيطان: اتْباعُه.

(٦) فغر: فَتَح. فاغرة فاها: اي: فاتحة فَمَها.

(٧) اللهوات ـ جَمْع لَهاة ـ: لحمة مُشْرفة علىٰ الحلْق في اقصىٰ الفَم.

اخاه: المقصود هو الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

يَنْكَفِئُ حتّىٰ يَطأ صِماخَها باخمَصه[١]، ويُخْمِدَ لَهَبَها بسَيفه[٢]، مَكدوداً في ذات اللّه[٣]، مُجتهداً في أمْر اللّه، قَريباً مِن رسول اللّه، سيّداً في أولياء اللّه، مُشَمّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً[٤]، وانتم في رَفاهية مِن العَيش[٥]، وادِعون فاكهون آمِنون[٦]، تَتَربّصون بنا الدَوائر[٧]، وتَتَوكّفون الأخبار[٨]، وتَنكصون عند النزال[٩]، وتَفرّون مِن القتال.

فلمّا اختارَ اللّه لِنَبيّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) دارَ

(١) يَنكفئ: يَرجع. يَطا: يَدوس. صِماخها: أُذُنها. باخمَصه: بباطن قَدَمه.

(٢) يُخمد: يُطفئ. لَهبَها: إشتعالها.

(٣) المكدود: المُتْعَب.

(٤) شَمّرَ ثوبَه: رَفَعَه. مُجِدّاً ـ بضم الميم وكسْر الجيم ـ: مُجْتهداً، والكادح: الساعي.

(٥) رفاهية: سِعة.

(٦) وادعون: مرتاحون. فاكهون: ناعمون.

(٧) الدوائر: العَواقب المذمومة والمُفاجآت المؤسِفة.

(٨) تتوكّفون: تتوقّعون بلوغَ الاخبار.

(٩) تنكصون: ترجعون وتتاخّرون. والنزال: القتال.

أنبيائه، ومأوىٰ أصفيائه، ظهَرَ فيكم حسكة النفاق[١]، وسمل جلبابُ الدين[٢]، ونَطقَ كاظم الغاوين[٣]، ونَبَغَ خاملُ الأقلّين[٤]، وهَدَرَ فنيق المبطلين[٥]، فخَطر في عَرَصاتكم[٦]، وأطلع الشيطانُ راسَه من مِغْرَزه[٧] هاتفاً بكم، فألفاكم لِدَعوته مُستَجيبين، وللغِرّة فيه مُلاحظين.[٨]

ثمّ استَنْهضَكم فوجَدكم خِفافاً، وأحمَشكم فألفاكم غِضاباً[٩]، فوسَمْتُم غَيرَ إبلكم[١٠]، وأوردْتم غيرَ

(١) الحسكة والحسيكة: الشوكة.

(٢) سمل الثوب: صارَ خَلِقاً. والجِلباب. ثوبٌ واسع.

(٣) كاظم الغاوين: الساكت، الضالّ، الجاهل.

(٤) ظهر مَن خَفي صوتُه واسمه.. مِن الأذلّاء، غير المَشْهورين.

(٥) هدر البعير: رَدّد صوتَه في حنجرته. والفنيق: الفحْل مِن الإبل.

(٦) خطر: إذا حَرّك ذَنَبَه، مِن مُنطلَق الإعجاب بنفسه.

(٧) المغرز ـ بكسر الراء ـ: مايُختفىٰ فيه.

(٨) الغِرة ـ بكسْر الغين ـ: الانخداع. ومُلاحظين: ناظرين ومُراعين، ومُتَجاوبين للإنخداع.

(٩) احمشكم: اغضَبَكم.

(١٠) الوَسْم: الكيّ، وَسَمَه: كواه، لِتَبقىٰ في جسمه عَلامة خاصّة تُميّزه عن غيره.

شِرْبكم[١]، هذا والعَهْدُ قريب، والكلْمُ رَحيب[٢]، والجُرْحُ لمّا يَنْدَمل[٣]، والرسولُ لمّا يُقبَر[٤]، إبتداراً زَعمْتُم خوفَ الفتنة[٥]، «الا: في الفتْنة سَقطوا وإنّ جهنَّم لَمُحيطة بالكافرين».

فهَيهات منكم! وكيف بكم؟ «وأنّىٰ تؤفكون»[٦]، وكتابُ اللّه بين أظهُركم، أُمورُه ظاهرة، وأحكامُه زاهرة، وأعلامُه باهِرة، وزَواجِره لائحة، وأوامِره واضحة، وقد خلّفتُموه وراءَ ظهوركم.

أرَغبةً عنه تُريدون؟ أم بغيره تَحكُمون؟ «بئسَ للظالمين بَدَلاً»، «ومَن يَبتَغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة مِن الخاسرين».

---

(١) الشِرْب ـ بكسْر الشين ـ: النصيب مِن الماء.

(٢) الكلم: الجرح. رَحيب: واسع.

(٣) اندمل: تَماثَل للشِفاء والإلتئام.

(٤) يُقبَر: يُدفَن.

(٥) ابتداراً: مُعاجَلةً منكم في غَصب الخلافة.

(٦) تؤفَكون: اي تُصْرَفون.

ثمّ لم تَلْبثوا إلاّ رَيث انْ تسكن نفْرتُها[١]، ويَسْلَس قيادها[٢]، ثمّ اخذتم تُورون وَقْدتَها، وتُهيّجون جَمْرتها[٣]، وتَستجيبون لِهتاف الشيطان الغَويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإخماد سُنَن النبيّ الصَفيّ، تسرّون حسْواً في ارتغاء، وتَمشون لأهله ووُلده في الخَمَر والضراء[٤]، ونَصبر منكم علىٰ مثْل حَزّ المدىٰ[٥]، ووَخْز السنان في الحشىٰ[٦]، وأنتم ـ الآن ـ تَزعمون أن لا إرثَ لنا، «افحكمَ الجاهلية يَبْغون»؟، «ومَن أحسنُ مِن اللّه حُكْماً لقومٍ يوقنون»؟ افلا تَعلمون؟ بلىٰ تجلّىٰ لكم ـ كالشمس الضاحية ـ انّي ابنتُه.

أيّها المسلمون! ءأغلَبُ علىٰ إرثيَه.

ياابنَ أبي قُحافة!

---

(١) رَيث: قَدَر. نَفرتها، نَفَرت الدابة: جَزَعتْ وتباعَدَتْ.

(٢) يسلس: يَسهل.

(٣) تورون: تُخرجون نارَها. تُهيّجون: تُثيرون.

(٤) الخمر ـ بفتح الخاء والميم ـ: ما يَستُرك مِن الشجر وغيره.

(٥) المُدىٰ ـ بضمّ الميم ـ جَمْع مُدية: وهي الشَفْرة او السِكّينة.

(٦) الوَخز: الطعن. والسنان: راس الرمح.

أفي كتاب اللّه أنْ تَرثَ أباك ولا ارِث أبي؟؟

لقد جئتَ شيئاً فَريّاً!![١].

افعَلىٰ عَمْدٍ تَركتُم كتابَ اللّه ونَبذْتُموه وراءَ ظهوركم؟ إذ يَقول: «وورَثَ سليمانُ داود»[٢]. وقال ـ فيما اقتصّ مِن خَبَر زكريّا ـ إذ قال: «فهَبْ لي مِن لَدُنك وَليّاً يَرثني ويَرث مِن آل يعقوب»[٣].

وقال: «وأولوا الأرحام بعضُهم أولىٰ ببعضٍ في كتاب اللّه»[٤].

وقال: «يوصيكمُ اللّه في أولادكم للذكر مثْلُ حظّ الأنثَيَين»[٥].

وقال: «إنْ تَركَ خيراً الوصيّةُ للوالدَيْن والأقرَبين بالمعروف حَقّاً علىٰ المتّقين»[٦].

وزَعمتُمْ أنْ لا حَظوة لي؟[٧] ولا ارث مِن أبي!

---

(١) فريّاً: امراً عظيماً او منكراً قبيحاً.

(٢) سورة النمل، الآية ١٦.

(٣) سورة مريم، الآية ٥ ـ ٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٧٥.

(٥) سورة النساء، الآية ١١.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٨٠.

(٧) الحظوة: النَصيب.

افخَصَّكم اللّه بآيةٍ اخرَجَ ابي منها؟

ام تَقولون: إنّ اهلَ مِلّتَين لا يَتوارثان؟

اوَلسْتُ انا وابي مِن اهل مِلّةٍ واحدة؟

ام انتُم اعلَمُ بخُصوص القرآن وعُمومه مِن ابي وابنِ عمّي؟

فدونَكها مَخطومة مَرحولة(١)، تَلْقاك يومَ حَشْرك، فنِعمَ الحَكَمُ اللّه، والزعيمُ محمّد، والمَوعِدُ القيامة، وعند الساعة يَخسَرُ المُبطلون، ولا ينفعكم إذ تَندمون، ولكلّ نبا مُستقَرّ، فسوف تَعلَمون مَن ياتيه عذابٌ يُخزيه، ويَحلّ عليه عذاب مُقيم.

ثمّ رَمَت بِطَرْفها نحو الأنصار فقالت: يا مَعشَر النَقيبة، واعضاد المِلّة، وحَضَنَة الإسلام(٢)، ما هذه الغَميزة في حَقّي؟(٣)، والسِّنَة عن ظلامتي؟!، اما كان رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) ابي يقول: «المَرءُ يُحفَظ في وُلْده»؟

سَرْعانَ ما احْدثتُم، وعَجْلان ذا إهالة، ولكم طاقة

---

(١) مَرحولة: يُقال: ناقة مَخْطومة ومرحولة، الخِطام ـ بكسْر الخاء ـ: الزِمام، ومرحولة: مِن الرحل: وهو للناقة كالسَرْج للفَرَس.

(٢) حَضَنة ـ جَمْع حاضِن ـ: بمعنىٰ الحافظ.

(٣) الغَميزة: الضعف او الغفلة.

بما أحاول، وقوّة على ما اطلب وأزاول[١].

اتقولون: ماتَ محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)، فخَطبٌ جليل، استَوسع وَهْنه[٢]، واستنهر فتقه، وانفَتَق رَتقه، واظلمت الأرض لِغَيبَته، وكُسفَت النجومُ لمصيبته، واكدت الآمال[٣]، وخَشعَت الجبال، وأُضيعَ الحَريم[٤] وأُزيلَت الحُرمة عند مَماته، فتلك ـ واللّه ـ النازلة الكُبْرىٰ[٥]، والمُصيبة العُظمىٰ، لا مثْلُها نازلة، ولا بائقة عاجلة[٦] اعلنَ بها كتابُ اللّه ـ جَلّ ثناؤهُ ـ في افنيَتِكم[٧]، في مَمْساكم ومَصْبَحِكم، هتافاً وصُراخاً، وتِلاوةً والحاناً، ولَقَبْلَه ما حَلَّ بانبيائه ورُسُله، حُكمٌ فَصْل، وقضاءٌ حَتْم، «وما محمّد إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ مِن

---

(١) أزاول: اقصد.

(٢) استوسَع وَهْنه: إتّسع غايةَ الإتّساع وهْنُه.

(٣) اكدت: انقطعت.

(٤) الحريم: مايَحميه الرجل ويُقاتل عنه.

(٥) النازلة: الشديدة.

(٦) البائقة: الداهية.

(٧) افنيتكم ـ جَمْع فِناء، بكسْر الفاء ـ: جوانب الدار مِن الخارج، او العَرَصة المتّسعة امامَ الدار.

قَبْله الرُسُل، افإنْ ماتَ او قُتلَ انقلبتُم علىٰ أعقابكم ومَن يَنقلِبْ علىٰ عَقبيه فلنْ يَضرّ اللّهَ شيئاً وسَيجْزي اللّهُ الشاكرين»[١].

ثمّ رَمَتْ بطرْفِها نحوَ الأنصار وقالت:

إيهاً بَني قيلة![٢].

أأُهضَم تُراثَ أبي؟، وأنتُم بمرأىً منّي ومَسْمَع، ومُنتَدىٰ ومَجْمَع[٣] تلبسُكم الدَعوة، وتَشْملكم الخبرة[٤]، وانتم ذَوو العَدَد والعُدَّة، والأداة والقوّة، وعندكم السِلاح والجُنَّة، تُوافيكم الدَعوةُ فلا تُجيبون؟، وتأتيكم الصَرْخة فلا تُعينون؟، وأنتُم مَوصوفون بالكفاح، مَعروفون بالخير والصلاح، والنُخبة التي انتُخِبتْ، والخِيرةُ التي اختيرت[٥].

قاتَلتُم العَرَب، وتحمَّلتُم الكَدَّ والتَعَب[٦]، وناطحْتُم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) إيهاً: بمعنىٰ هيهات، أو مَزيداً مِن الكلام.

(٣) مُنتدىٰ: مَجلس القوم.

(٤) الخبرة: العِلْم بالشيء.

(٥) الخيرة ـ بكسر الخاء وسكون الياء ـ المُفضّل مِن القوم.

(٦) الكدّ: الشِدّة.

الأمم، وكافحتُم البُهَم[1]، لا نَبْرح أو تبرحون، نأمُركم فتأتَمرون، حتّىٰ إذا دارتْ بنا رَحىٰ الإسلام، ودَرّ حَلْبُ الأيام، وخَضَعَتْ ثَغرة الشِرك، وسَكنَتْ فَورةُ الإفك، وخَمُدتْ نيرانُ الكفر، وهَدأتْ دعوةُ الهرج، واستوسقَ نِظامُ الدين، فأنّىٰ حِرتُم بعد البَيان؟، وأسررتُم بعد الإعلان؟، ونكصتُمْ بعد الإقدام، وأشركتُمْ بعد الإيمان؟، «الا تُقاتِلُونَ قوماً نَكثوا أَيْمانهم وهَمّوا بإخراج الرسول، وهم بَدؤكُمْ أوّلَ مرّة، أتخْشَوْنَهم فاللّه احَقّ انْ تَخْشَوه إنْ كنتُم مؤمنين»[2]

الا: قد أرىٰ أنْ قد أخلَدتُمْ إلى الخفْض[3] وأبعَدتُم مَن هو أحقُّ بالبَسْط والقَبْض، وخلَوتُم إلى الدعة[4]، ونَجَوتُم مِن الضيق بالسعة، فمَجَجْتُم ماوَعَيتُم[5]، ودسعتُم الذي تسوّغتم[6]، «فإنْ تكفُروا أنتُم ومَن في الأرض جميعاً فإنّ اللّه

(١) البهَم ـ جَمْع بهمة ـ: الشجاع.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٣.

(٣) الخفض: الراحة.

(٤) الدعة: الراحة والسُكون.

(٥) مَجَجْتُم: رَميتُم. وَعيتم: حفِظتم.

(٦) دسعتم: تقيّاتم. وتسوّغتم: شَربتُم بسهولة.

لَغَنيٌّ حميد»، الا: قد قلتُ ماقلتُ علىٰ معرفة منّي بالخذلة التي خامَرتْكم[١] والغَدْرَة التي استَشْعَرتْها قلوبُكم[٢].

ولكنّها فيضَة النَفْس[٣]، ونَفْثة الغَيظ[٤]، وخَوَر القنا[٥]، وبثَّة الصَدر، وتَقْدِمة الحُجّة، فدونكمُوها، فاحتَقِبوها دَبِرَة الظَّهر[٦]، نقبةَ الخُف[٧]، باقيةَ العار، مَوسومَةً بغضَب اللّه، وشَنار الأبد[٨]، مَوْصُولة بنار اللّه المُوقدة الّتي تَطّلعُ علىٰ الأفئدة، فبِعَين اللّه ماتَفعلون، «وسيَعلَمُ الّذين ظلَموا ايَّ مُنقَلَب يَنقَلبون»، وانا ابنةُ نَذيرٍ لكم بينَ يَدَي عذابٍ شديد، فاعمَلوا إنّا عامِلون، وانتظروا إنّا مُنتظِرون.

---

(١) خامَرتْكم: خالطتْكم.

(٢) استشعرتْها: لبسَتْها.

(٣) فاضَ صدرُه بالسِرّ: باحَ به.

(٤) كالدم الذي يُرمىٰ به مِن الفم ويَدلّ علىٰ وجود قرحة.

(٥) ضَعْف النَفْس عن التحمّل.

(٦) دونكموها: خُذوها. دبرة: مَقروحة.

(٧) نقبة الخُف: رَقيقة الخُفّ.

(٨) شنار: العَيب والعار.

فأجابَها أبوبكر (عبدالله بن عثمان)[١] وقال:

يابنَة رسول الله! لقد كانَ أبوكِ بالمؤمنين عَطوفاً كريماً، رَؤفاً رَحيماً، وعلىٰ الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إنْ عَزَوْناه وجَدْناه أباكِ دونَ النساء[٢]، وأخا إلفِكِ دونَ الأخِلاّء[٣]، آثرَهُ علىٰ كلّ حَميم[٤]، وساعَدَهُ في كلّ أمرٍ جَسيم، لا يُحبّكم إلاّ كلُّ سَعيد، ولا يُبغضُكم إلاّ كلّ شقيّ.

فأنتُم عِترةُ رسولِ الله الطيّبون، والخِيرة المُنتَجَبون، علىٰ الخَير أدِلّتُنا، وإلى الجَنَّة مَسالِكُنا، وأنتِ ياخيرة النساء، وابنة خَير الأنبياء، صادِقةٌ في قَولكِ، سابقة في وُفور عَقلِكِ، غيرُمَردُودة عن حَقّكِ، ولا مَصْدودة عن صِدقكِ[٥]، والله ماعَدَوتُ رأيَ رسول الله!!![٦] ولا عَمِلتُ إلاّ بإذنه، وإنّ الرائدَ لا يكذِبُ أهلَه[٧]، وإنّي أُشهد الله وكفىٰ به شهيداً، أنّي

(١) اي: ابوبكر بن ابي قُحافة.

(٢) عَزَوناه: نَسَبْناه.

(٣) وفي نسخة: واخا بَعْلك. والمعنىٰ واحد.

(٤) حَميم: قريب.

(٥) مَصْدودة: ممنوعة.

(٦) عَدَوتُ: جاوزتُ.

(٧) الرائد: الذي يَتقدّم القوم، يَبْحَث لهم عن الماء والكلأ ومَساقط الثِمار.

سَمعتُ رسولَ اللّه يقول: «نحنُ مَعاشِرَ الأنبياء لا نُورّث ذهباً ولا فضّةً ولا داراً ولا عِقاراً، وإنّما نُورّث الكتابَ والحِكْمة، والعلْمَ والنبوّة، وما كانَ لنا مِن طعْمَة فلوالي الأمر بَعْدَنا، أن يَحكُمَ فيه بحُكْمه».

وقد جَعلْنا ما حاولْتِه في الكُراع والسلاح[١]، يُقاتلُ بها المُسلمون، ويُجاهدون الكفّار، ويُجالدون المَردة الفُجّار[٢]. وذلك بإجماعٍ مِن المسلمين!! لم أنفَرِدْ به وَحْدي، ولم أستَبِدَّ بما كانَ الراي فيه عندي[٣]، وهذه حالي ومالي، هي لكِ، وبَينَ يَديكِ، لا تُزوىٰ عنكِ[٤]، ولا تُدَّخر دونكِ، وانتِ سيّدة أُمّة ابيكِ، والشجرة الطيّبة لِبَنيكِ، لا يُدفَع مالَكِ مِن فَضْلكِ، ولا يوضَع في فَرْعك وأصلكِ، حُكْمُك نافِذ فيما مَلَكتْ يَداي، فهل تَرينّ أن أُخالفَ في ذلك أباكِ؟

فقالت (عليها السلام):

سُبحانَ اللّه! ما كان رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) عن

---

(١) الكراع ـ بضمّ الكاف ـ: جماعة الخيل.

(٢) يُجالدون: يضاربون.

(٣) استبدّ: انفرد بالأمر مِن غير مُشارك فيه.

(٤) تُزوىٰ عنك: تُقبَض عنك.

كتاب اللّه صادِفاً[1]، ولا لأحكامه مُخالفاً، بل كان يَتَّبع أثَره، ويَقْفُو سُوَرَه[2]، افتُجْمِعون إلى الغَدْر إعتلالاً عليه بالزور، وهذه بعدَ وَفاته شَبيهٌ بما بُغيَ له مِن الغَوائل في حياته[3].

هذا كتابُ اللّه حَكَماً عَدْلاً، وناطقاً فَصْلاً، يقول: «يَرثُني ويَرثُ مِن آل يعقوب»، «ووَرثَ سليمانُ داودَ»، فبَيَّنَ (عزّوجلّ) فيما وزَّع عليه مِن الأقساط، وشَرع مِن الفرائض والميراث، وأباحَ مِن حَظّ الذُكرانِ والإناث، ما أزاحَ عِلَّة المُبطلين، وأزالَ التظنّي والشُبُهات في الغابرين[4]، كلاّ، «بلْ سَوّلتْ لكم أنفسُكُمْ أمْراً فصَبرٌ جميل، واللّه المُسْتعانُ على ما تَصِفون».

فقال أبوبكر:

صَدَقَ اللّه وصَدَقَ رسولُه وصَدقتْ ابنتُه، أنتِ مَعدِنُ الحِكْمة، ومَوطنُ الهُدىٰ والرَحْمة، ورُكنُ الدين، وعَينُ الحُجّة، لا أبعدُ صَوابكِ، ولا أُنكر خِطابكِ، هؤلاء المسلمون

---

(١) صادِفاً: مُعْرِضاً. يُقال: صَدَفَ عن الحقّ إذا اعرَضَ عنه.

(٢) يَقفو: يَتبع.

(٣) الغوائل ـ جَمْع غائلة ـ: الحادثة المهلكة.

(٤) التظنّي: إعمال الظن. الغابرين: الباقين.

بَيْني وبينَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلّدتُ، وباتّفاقٍ مِنْهم اخذتُ ما اخذت، غير مُكابرٍ ولا مُسْتَبِدّ ولا مُستاثرٍ، وَهُم بذلك شُهود.

فالتَفتَتْ فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالتْ:

مَعاشِرَ الناس! المُسْرعة إلى قِيل الباطل، المُغْضية علىٰ الفِعْل القَبيح الخاسِر[1]، افلا تَتَدبّرون القرآن أمْ علىٰ قلوبٍ اقفالُها؟

كلاّ، بَلْ رانَ علىٰ قلوبكم ما أسأتم مِن أعمالكم. فأُخذ بسَمْعكم وأبصاركم، ولَبئسَ ما تأوّلتُمْ، وساءَ ما به اشَرْتُم، وشَرَّ ما منه اعتَضَتُّم[2]، لَتجِدَنّ ـ واللّه ـ محْمله ثقيلا، وغِبَّه وَبيلاً[3]، إذا كُشِفَ لكم الغِطاء وبانَ ماوراءه الضرّاء، وبَدا لكمْ مِن ربّكمْ مالَمْ تَكونوا تَحْتَسِبون، وخَسِرَ هنالك المبطلون.

ثمّ عَطفَتْ علىٰ قبر أبيها رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وقالتْ:

---

(١) المغضية: الساكتة، الراضية.

(٢) اعتضتّم: مِن الإعتياض وهو اخْذ العوض.

(٣) الغِبّ ـ بكسْر الغين ـ: العاقبة. الوَبيل: الشديد الثقيل.

قد كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثةٌ[١]
لو كنتَ شاهِدَها لم تَكثُر الخُطبُ[٢]
إنّا فَقَدْناك فَقْدَ الأرضِ وابِلَها[٣]
واختلّ قومُك فاشهَدْهم وقد نَكبوا[٤]
وكلُّ أهلٍ لَهُ قُربىٰ ومَنْزلَةٌ
عند الإله علىٰ الأدنين مُقْتَربُ
أبدَتْ رِجالٌ لنا نَجْوىٰ صُدورهُمُ[٥]
لمّا مَضَيتَ وحالَتْ دونَك التُّرُبُ
تَجَهّمَتْنا رِجالٌ واستُخِفّ بِنا
لَمّا فُقِدتَ، وكلّ الإرث مُغتَصَبُ[٦]

---

(١) الهنبثة: الأمر الشديد المختلف.

(٢) الخطب ـ بضمّ الخاء والطاء ـ جَمْع خَطب، بفتْح الخاء ـ: المصائب الشديدة.

(٣) الوابل: المطر الغزير الكثير.

(٤) نَكبوا: عَدَلوا عن الطريق.

(٥) نجوىٰ ـ هنا ـ: الأحقاد الكامِنة المَخْفيَّة سابِقاً.

(٦) مُغتَصَب: مغصوب.

وكُنْتَ بَدْراً ونوراً يُستَضاءُ به
عليك تَنْزِلُ مِن ذي العِزّة الكتُبُ
وكانَ جِبْريلُ بالآيات يؤنسُنا
فَقَدْ فُقِدْتَ، فكلّ الخير مُحْتَجَبُ
فليتَ قَبْلَك كانَ الموتُ صادَفَنا
لمّا مَضَيتَ وحالتْ دونك الكُثُبُ[1]
إنا رُزينا بما لَمْ يُرزَ ذو شَجَنٍ[2]
مِن البَريّة لا عَجْمٌ ولا عَرَبُ

ثمّ انكفَأتْ (عليها السلام)[3]، وأميرُ المؤمنين (عليه السلام) يَتَوقّعُ رُجوعَها إليه[4]، ويَتطلّعُ طلوعَها عليه، فلمّا استَقرّتْ بها الدار قالتْ لأمير المؤمنين (عليه السلام):

(١) الكُثُب ـ بضمّ الكاف والثاء ـ جَمْع كثيب ـ: وهو الرَمْل.
(٢) رُزينا: مِن الرَزيّة وهي المصيبة. والشَجَن: الحُزْن.
(٣) انكفأتْ: رَجَعتْ.
(٤) يَتوقّع: يَنتظر.

يابْنَ أبي طالب، إشتَملْت شَملَة الجنين[١]، وقَعَدْتَ حُجْرةَ الظنين[٢]، نَقَضْتَ قادِمَةَ الأجْدَل[٣]، فخانَك ريشُ الأعزَل[٤]، هذا ابنُ أبي قُحافة يَبْتَزّني نِحْلَةَ أبي[٥] وبُلْغةَ إبنيّ[٦].

لقد أجهَرَ في خِصامي[٧]، والفَيتُه الألدّ في

---

(١) إشتَمَلَ الثوبَ: إذا اداره على الجسَد. والشِمْلة ـ بكسْر الشين ـ: هيئة الإشتمال وكيفيّته..

والشَمْلة ـ بفَتْح الشين ـ: مايُشتَملُ به، والمقصود هنا: مَشيمة الجنين، وهي الكيس الذي يكون فيه الجَنين داخِلَ الرَحِم.

(٢) الحجرة ـ بضَمّ الحاء ـ: البيت. وبضَمّ الحاء وسكون الجيم ثمّ الزاء: هو المكان الذي يُحتَجَز فيه. والظنين: المُتّهَم.

(٣) نَقَضْتَ: كسَرْتَ. والقادمة ـ واحِدة القوادم ـ: وهي مَقاديم ريش الطائر. والأجدل: الصَقْر. والمَقصود: كنتَ ـ فيما مَضىٰ ـ تَكسِرُ ظهرَ الأبطال والشَجعان في الحروب.

(٤) خانَك من الخيانة. وفي نسخة: خاتكَ: اي: إنقَضَّ عليك.

(٥) يَبْتزّني: يَسلبني بالقَهر والغَلَبة. والنِحْلة ـ بكسْر النون ـ: العَطية، والنُحيلة تَصغيرها.

(٦) البلغة: ما يُتبلّغ به مِن العَيش ويُكتفىٰ به.

(٧) أجْهَر: اعلَنَ بكلّ وضوح. وفي نسخةٍ: اجهَدَ: اي جَدّ وبالَغَ.

كلامي[١]، حَتّىٰ حَبَستْني قِيلةُ نَصْرَها[٢]، والمهاجِرةُ وَصْلَها[٣]، وغَضَّت الجماعةُ دوني طرفَها، فلا دافع ولا مانع، خَرجْتُ كاظمة، وعُدْتُ راغِمَة[٤]، أضْرَعْتَ خَدَّك يومَ أضعْتَ حَدَّك[٥]، إفترسْتَ الذئاب وافترَشْتَ التُراب، ما كفَفْتَ قائلاً ولا أغنَيْتَ باطلا[٦]، ولا خِيارَ لي[٧]، لَيتَني مِتُّ قبلَ هِينَتي[٨]، ودونَ ذِلّتي، غذيري اللّه منْك عادياً ومنْك حامياً.

وَيْلاي في كلّ شارِق، ماتَ العَمَد ووَهَنَ العَضُد، شَكوايَ إلى أبي، وعَدواي إلى ربّي، اللهمّ انتَ أشَدُّ قوّةً وحَوْلا، وأحَدُّ بأساً وتَنْكيلا.

---

(١) الفَيتُه: وَجَدْته. والألدّ: شديد الخصومة، والحَقُود.

(٢) حَبَسَتْني: منَعَتْني. وقيلة: اسم أُمِّ الأوس والخزرج، وهما قبيلتان مِن الأنصار.

(٣) المهاجرة: المهاجرون. وَصْلَها: عَونَها.

(٤) كاظمة: مُتجرّعةً الغيظ مع الصَبْر.

(٥) اضرعْتَ: اذللتَ، واضعتَ حَدّك: اهمَلْتَ قَدْرَكَ.

(٦) ما كفَفْتَ: مامَنعتَ. اغنيتَ: صَرَفتَ ودَفعْتَ.

(٧) لا خيار لي: لا اختيار لي.

(٨) هينتي ـ بكسْر الهاء ـ: مهانتي.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

لا وَيلَ عليكِ، بل الويلُ لِشانِئكِ، نَهْنِهي عن وَجْدِكِ يابنةَ الصَفْوة[١]، وبَقيّة النُبُوّة، فما وَنَيْتُ عن ديني[٢]، ولا أخطأتُ مَقْدوري، فإن كُنتِ تُريدينَ البُلْغة فرزْقُكِ مَضْمون[٣]، وكفيلُك مَأمون، وما أعدَّ لكِ خيرٌ ممّا قُطعَ عنكِ، فاحتَسِبي اللّه.

فقالتْ: حَسْبي اللّه. وأمسَكتْ.[٤]

---

(١) نَهنِهي: كُفّي. وَجْدِكِ: حُزْنكِ.

(٢) وَنَيْتُ: عَجَزْتُ.

(٣) البُلْغة ـ بضَمّ الباء ـ: الكفاية.

(٤) نُنَبّه القارىء الكريم انّ السيّد المؤلف (رحمة اللّه تعالىٰ عليه) قام بشَرح كلمات هذه الخطبة في كتابه: «فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحد»، وجَديرٌ بالقارىء الكريم أن يَقرأ شَرحَ الخُطبة في ذلك الكتاب، ليَطّلع علىٰ بعض ما فيها مِن الأسْرار والإشارات والتَعليقات والتوضيحات. المُحقّق

٢ ـ حديث أُمّ أيمَن

كانت السيّدة زينب (عليها السلام) قد بَلغَتْ مَبلَغاً مِن الوعي والنُضْج الفِكْري والإستعداد العقلي بحيث استطاعت أن تَسمع مِن أُمّ أيمَن حديثاً يَتعلّق بمستقبلها ومُستَقبَل أسرتها.[1]

حديثاً يَقشَعِرُّ منه الجُلود، وتَتوتّر منه الأعصاب، لأنّه إخبار عن مُستقبلٍ مُحاطٍ بشتّىٰ أنواع الفجائع والكوارث، والمآسي

---

(١) أُمّ ايمن: اسمُها بَركة بنت ثعلَبة بن عمرو، غَلَبتْ عليها كُنْيَتُها، إمراةٌ جَليلة مُحتَرمة، كانتْ امَةً لِسَيّدنا عبداللّه بن عبْدالمُطّلب ـ والِد رَسول اللّه ـ، وصارتْ ميراثاً لِرَسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)، وبذلك صارَتْ حاضِنَةً لَه، وقد أعتقها النبيُّ الكريم عندما تَزوَّج مِن السيّدة خديجة (عليها السلام). رَوتْ عن النبيّ الكريم احاديثَ مُتَعدِّدة، وقد شَهِدَ لَها رسولُ اللّه بانّها مِن اهْل الجَنَّة، وشهد لها ـ ايضاً ـ الإمامُ الباقر (عليه السلام) بذلك حيث قال للراوي: «ارايت أمّ ايمن فإنّي اشهد انّها مِن اهل الجنّة». تَزوَجَها عُبيد بن زيد، مِن بَني الحارث بن الخزرج، فولَدتْ لَهُ «ايمَن»، واستُشْهِدَ ←

والإضطهاد والأهوال، وهو مقتل أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) وأسرته وأهل بيته.

إذن، لم تكن فاجعة كربلاء للسيّدة زينب مُفاجأة، بل كانت علىٰ عِلْم بهذه المُقدَّرات الّتي كَتَبتْها المَشيئة الإلهيّة.

ولا نَعلَم ـ بالضبط ـ التاريخَ الذي سَمعتْ فيه السيّدة زينب هذا الحديث مِن أُمّ أيمن، حتّىٰ نَستطيع معرفة مقدار عُمْر السيّدة زينب يومَ سماع هذا الحديث، لكن ذكرَ المؤرّخون تاريخَ وفاة أُم أيمن سنة ٣٦ مِن الهِجرة، وبناءً علىٰ هذا.. فقد كان عُمْر السيّدة زينب (عليها السلام) يومَ وفاة أُمّ أيمن ثلاثين سنة. ولَعلّها كانتْ قد حَدّثَتْ السيّدة زينب قبلَ وفاتها بسَنَوات.

وعلىٰ كلّ تقدير، فإنَّ السيّدة زينب كانت تَعلم بقضايا كربلاء قبلَ وقوعها بأربع وعشرين سنة.. علىٰ أقلّ التقادير، إستناداً إلى

← عُبيد يومَ خَيبر، فتزوّجها ـ بَعْدَ ذلك زيدُبنُ حارثة، والدُ أسامة بنِ زيد، كانتْ علاقاتُها مع اهل بيت رسول اللّه.. علاقات طيّبة جداً، وخاصّةً بعد وَفاة النبي الأعظم (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم). قيل: تُوفِّيَتْ في ايّام حكومة عثمان بن عفّان، وصَلّىٰ علىٰ جنازتها الإمامُ اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ودُفنت في البَقيع. المُحقّق

حديث أمّ أيمن، سوىٰ ماسمِعَتْه مِن جدّها رسول اللّه وأبيها أميرالمؤمنين مِن الإخبار بمقتل الإمام الحسين في أرض كربلاء، وقد إتّضَحَ شيء مِن هذا الموضوع في الفصول الماضية من هذا الكتاب.

وأمّا حديثُ أمّ أيمَن فإليك نَصُّه:

ذُكِرَ في مُلحَقات كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه[1]، بسَنَده عن نوح بن درّاج، قال: حدَّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه قال:

قال علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ: «بَلَغَني ـ يا زائدة ـ أنّك تَزورُ قبرَ أبي عبداللّه الحسين (عليه السلام) أحياناً؟».

فقلت: إنّ ذلك لَكَما بَلَغَك.

فقال لي: «فلماذا تَفعل ذلك، ولك مَكانٌ عند سُلْطانك الّذي لايَحتَمِلُ احَداً علىٰ مَحَبّتنا وتَفْضيلنا وذِكْر فضائلنا، والواجب علىٰ هذه الأمّة مِن حَقّنا»؟

فقلت: واللّهِ ما أُريد بذلك إلاّ اللّه ورسوله، ولا احْفَلُ بِسَخَط مَن سَخَطَ[2] ولايَكْبُرُ في صَدْري مَكروهٌ يَنالُني بسَبَبه!

---

(١) كتاب (كامل الزيارات) لإبن قُولويه المتوفّىٰ سنة ٣٦٧ هـ.

(٢) لا احفَلُ: لا ابالي. كما في كتاب «العَين» للخَليل بن احمد.

فقال: «والله إنّ ذلك لَكذلك». [١]

فقلت: والله إنّ ذلك لَكَذلك. يَقولُها ثلاثاً، وأقولُها ثلاثاً. [٢]

فقال: «أبشِرْ ثمّ أبشِرْ ثمّ أبشِرْ فلأُخبرنّك بِخَبَرٍ كان عندي في النَخب المَخزون[٣] فإنّه لمّا أصابَنا بالطَفّ ما أصابَنا[٤] وقُتلَ أبي (عليه السلام) وقُتلَ مَن كان معه مِن وُلْده وإخوته وسائر أهْله، وحُملَتْ حُرَمُه و نِساؤه علىٰ الأقتاب يُراد بِنا

---

(١) لَكذلك: أي: هو كما اخبَرتَني بذلك، وأنتَ صادقٌ في قولك.

(٢) أي: لِمَزيد التاكيد علىٰ صِدْقِ كلامي.. كُنتُ أُقسِمُ بالله تعالىٰ ثلاث مَرّات، وكانَ الإمام (عليه السلام) أيضاً يُقسِمُ بالله سُبحانه ثلاث مَرّات أنّي صادقٌ في قَوْلي، أو: انّه يُصدقني علىٰ كلامي.

المُحقّق

(٣) هناك إحتمالان في معنىٰ كلمة «النَخب»: الإحتمال الأول: هو صُنْدوقٌ صغير، يُصنَع مِن خَشَب، توضَع فيه الأشياءُ النَفيسَة أو الثَمينَة، كالمُجَوهَرات والكُتُب المخطوطة الفَريدة.

الإحتمال الثاني: هو ما يَختارها الإنسان ويَنْتَخِبُها مِن المَعلومات الثقافيّة النادرة الّتي يَعْتَزُّ بِها، ويُودِعُها في ذاكِرَته. قال إبنُ مَنظور ـ في «لسان العرب» ـ: نَخَبَ: إنتَخَبَ الشَيءَ: إختارَه، مُشْتَقّ مِن النُخْبَة. وجاء في كتاب «لاروس»: نَخَبَ الشيءَ: اخَذَ أحسَنَه. والله العالم. المُحقّق

(٤) الطفّ: ارض كربلاء.

الكوفة[١].

فجعلْتُ أنظرُ إليهم صَرعىٰ ولم يُوارَوا، فعَظُم ذلك في صَدْري، واشتَدَّ ـ لما أرىٰ منهم ـ قَلَقي، فكادَتْ نَفْسي تَخْرُجُ، وتَبيّنَتْ ذلك منّي عمّتي زينب الكبرىٰ بنت علي (عليه السلام) فقالتْ: مالي أراكَ تَجودُ بنفسِك يا بقيَّة جَدّي وأبي وإخوتي؟؟!

فقلتُ: وكيفَ لا أجزَع وأهلَع؟ وقد أرىٰ سيّدي وإخوتي وعُمومَتي ووُلْدَ عمّي، وأهْلي مُصرَّعين بدمائهم[٢] مُرَمَّلين بالعراء، مُسَلَّبين، لايُكفَّنون ولا يُوارَوْن، ولايُعَرِّج عليهم أحَد، ولايَقرَبُهم بَشَر، كأنَّهم أهل بيتٍ مِن الدَيلَم والخَزَر؟؟[٣]

---

(١) لقد ذكرنا ـ فيما مَضىٰ ـ انّ الاقتاب ـ جَمْعُ قَتَب ـ: وهي مجموعة مِن الأقمشة السَميكة المُخَيَّطة بعضُها فوقَ بعض، لكي تُوضَعَ علىٰ سَنام الإبل وتُشَدّ وتُثَبَّت هناك، وذلك لراحة الراكِب. ويُعَبَّر عنه بـ «الإكاف». المُحقّق

(٢) لعلّ الصحيح: مُضرّجين بدمائهم. المُحقّق

(٣) الدَيلَم والخَزَر: اهالي مُقاطعة «مازَنْدران» و«كيلان» في إيران، كانوا يُحاربونَهم ويأسِرونَ رِجالَهم ونِساءَهم، ويأتونَ بهم إلى الشام، ويَتَعامَلونَ مَعَهم تعامُل العَبيد والإماء، فيَبيعونَهم.

المُحقّق

فقالت: لايُجْزعنَّك ما تَرىٰ، فواللّه إنّ ذلك لَعَهْد من رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) إلى جَدّك [أمير المؤمنين] وأبيك وعمّك [الإمام الحسن].

ولقد أخَذَ اللّهُ الميثاقَ، أُناسٌ مِن هذه الأُمّة ـ لاتَعرفُهم فَراعِنةُ هذه الأُمّة[١]، وهم مَعروفون في أهل السماوات ـ أنّهم يَجمعون هذه الأعضاء المُتفرّقة وهذه الجُسوم المُضَرَّجة فيُوارونَها.

ويَنْصِبُون لهذا الطفّ عَلَماً لِقَبْر ابيك سيّد الشهداء، لا يُدْرَس أثَرُه[٢] ولا يَعْفُو رَسْمُه علىٰ كرور الليالي والأيّام.[٣]

ولَيَجْتَهدَنَّ ائمَّةُ الكُفر وأشياعُ الضَلالة في مَحْوه وتَطْميسه فلايَزداد أثَرُه إلّا ظهوراً، وأمْرهُ إلّا عُلُوّاً.[٤]

فقلتُ: وما هذا العَهْد وما هذا الخَبَر؟؟

فقالتْ: نَعَمْ، حَدّثَتْني أُمُّ أيمن انّ رسول اللّه (صلّىٰ اللّه

---

(١) وفي نسخة: فَراعِنَةُ هذه الأرض.

(٢) لا يُدرسُ أثَرُه: اي: لا يُعْفا ولا يُمْحىٰ اثَرُه. كما يُستفاد مِن «المعْجَم الوَسيط». المُحقّق

(٣) كرور الليالي والايّام: مُرور ومُضِيّ الليالي والايّام. المُحقّق

(٤) تَطْميسه: مَحْوِه وإزالَته.

عليه وآله وسلّم) زارَ مَـنـزلَ فاطمـة (عليها السلام) في يومٍ مِن الأيام، فعَـمِلَـتْ له حَـريـرة[1]، وأتاهُ علي (عليه السلام) بطَـبَـقٍ فيه تَـمْـر.

ثمّ قـالتْ أمّ أيمن: فـأتيـتُـهم بعُسٍ فـيـه لَـبَن وزُبْـد[2] فـأكلَ رسول اللّه وعلي وفاطمة والحسن والحسين مِن تلك الحريرة، وشَربَ رسـول اللّه وشَـربوا مِن ذلك الـلَـبَن، ثم أكلَ وأكلوا مِن ذلك التـمْـر والـزُبْـد. ثمّ غَسَـل رسولُ اللّه يَـدَه، وعليٌ يَـصُبّ عليه الماء.

فلمّـا فَـرغَ من غَـسْـل يده مـسَـحَ وجـهَـه، ثـمّ نـظَـرَ إلى علي وفـاطمة والحسن والحسين نَـظَـراً عـرفْـنا به الـسُـرورَ في وَجْـهـه، ثمّ رَمَـقَ بِطَرفـه نَحو السمـاء مَـلـيّـاً[3] ثمّ إنّـه وَجَّـه وَجهَـه نـحو القِـبْـلة، وبَـسَـط يـديه ودعـا، ثمّ خَـرَّ سـاجـداً وهـو يَـنْـشَـج[4] فـأطالَ الـنَـشيـج، وعَـلا نَحيبُـه وجَـرَتْ دموعُـه.

ثمّ رَفعَ رأسَـه، وأطْـرَقَ إلى الأرض ودمـوعُـه تَـقْـطُـرُ كـأنّهـا

---

(١) الحَـريـرة: دَقيـق «طحيـن» يُـطبَـخُ بِـلَـبَـن. كـما في كـتاب «مَـجـمـع الـبـحـريـن» لـلـطـريـحـي.

(٢) الـعُـسّ ـ بِـضَـمّ الـعَـيـن، وتَـشْـديـد الـسـيـن ـ: الـقَـدح الـكـبـيـر. كـتـاب «العَـيـن» لـلخـلـيـل. الـزُبْـدُ: ما خَـلُـصَ مِـن الـلَـبَـن إذا مُخِـضْ. . يَـشْـبَـه الـدُهْـن. «لسان العرب»

(٣) مَـلِـيّـاً: مُـدّةً طـويـلـةً مِـن الـزمَـن. كما يُـسـتـفـاد مِـن كُـتُـب الـلُـغـة.

الـمُـحـقّـق.

(٤) يَـنْـشَـجُ: يَـتَـردَّدُ الـبُـكاء في صَـدْره. . دون صـوتٍ عـالٍ.

صَوبُ المطَرِ[١]، فحَزِنَتْ فاطمةُ وعليٌّ والحسنُ والحسين (عليهم السلام) وحَزِنْتُ معَهم، لِما رأينا مِن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهِبْناه انْ نَسأله[٢].

حتّىٰ إذا طالَ ذلك، قال له علي وقالتْ له فاطمة: مايُبكيك يارسول اللّه؟ لا أبكىٰ اللّهُ عينَيك! فقد أقرَحَ قلوبَنا مانرىٰ مِن حالك.

فقال: يا أخي سُررْتُ بكم[٣] وإني لأنظرُ إليكم وأحمَدُ اللّه علىٰ نعمته عليَّ فيكم، إذ هَبَطَ عليَّ جبرئيل فقال:

يا محمّد! إنّ اللّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ إطّلع علىٰ ما في نفْسك، وعرفَ سُرورَك بأخيك وابنتك وسبْطيك، فأكملَ لك النعمة وهَنّاكَ العَطيّة: بأنْ جعَلَهم وذُرّياتهم ومُحبّيهم وشيعتَهم مَعك في الجَنّة، لايُفرِّق بينَك وبينَهم، يُحْبَوْنَ كما تُحْبىٰ[٤]، ويُعطَوْنَ كما تُعطىٰ، حتّىٰ ترضىٰ وفوقَ الرضا.

---

(١) صَوْبُ المَطر: إنصِباب المطر الغَزير. المعْجَم الوَسيط.

(٢) هِبْناه: اخَذَتْنا هَيْبَتُه مِن انْ نَسْاله عن سَبَب بُكائه.

(٣) وفي نسخة: فقال: يا حبيبَيَّ إنّي سُررتُ بكم سروراً ما سررتُ مِثْلَه قطّ.

(٤) يُحْبَوْنَ كما تُحْبىٰ: اي يُعْطون كما تُعْطىٰ، يُقال: حَبَا الرجلَ حَبْواً: اعطاه؛ ماخوذٌ مِن الحَبْوَة: وهي العَطيَّة الهَنيئة.. بِلا مَنٍّ او تَوَقُّع جَزاء. كما يُسْتَفاد مِن «القاموس» و«لسان العَرَب».

المُحقّق

علىٰ بَلوىٰ كثيرة تَنالُهم في الدنيا، ومَكاره تُصيبُهُم بأيدي أناسٍ يَنْتَحِلُون مِلَّتَك، ويَزعُمُون أنّهم مِن أمّتك، بُراَء مِن اللّه ومِنْك، خَبْطاً خَبْطاً[١] وقَتْلاً قتْلاً، شَتّىٰ مَصارعُهم[٢] نائية قبورُهم، خِيرةٌ مِن اللّه لَهم ولك فيهم، فاحْمَد اللّهَ ـ عزّوجلّ ـ علىٰ خِيرته، وإرضَ بقَضائه.

فحَمِدتُ اللّهَ، ورَضيتُ بِقَضائه بما اختارَهُ لكم.

ثمّ قال لي جبرئيل: يا محمّد! إنَّ أخاك مُضْطهَدٌ بعدَك، مَغلوبٌ علىٰ أمّتك، مَتْعوبٌ مِن أعدائك، ثمّ مَقتولٌ بعدَك، يَقتله أشَرُّ الخَلْق والخَليقة، وأشقىٰ البريَّة، يكون نَظيرَ عاقرَ الناقة[٣] بِبَلَد تكون إليه هِجْرَته، وهو مغْرَسُ شيعته وشيعة ولْده، وفيه ـ علىٰ كلِّ حال ـ يَكثُر بَلْواهم، ويَعظُم مُصابُهم.

---

(١) خَبْطاً خَبْطاً: اي: ضَرْباً ضَرْباً، او كسْراً كسْراً، والخَبْطُ: شِدّة الوَطْء بأيدي الدَوابّ. كتاب «العَين» للخليل بن احمد. وقالَ ابنُ دُريد في «جَمْهرة اللغة»: كلَّ شيءٍ ضَربْتَهُ بِيَدك فقد خَبَطْتَه.

المُحقّق

(٢) شَتّىٰ مَصارعُهم: مُتَفَرّقَةً او مُتباعِدةً قُبورُهم. وقيل: المَصارع ـ جَمْع مَصْرَع ـ: هو المكان الّذي يَقَعُ فيه المَقتول.

(٣) اي: عاقِرَ (اي: قاتِل) ناقَة النبيّ صالح، وإسمه «قدار»، ويُعبّرُ عنه بـ«أشقىٰ الأوّلين» اي: اشقىٰ البَشر الّذينَ كانوا قبْلَ الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿إذ انبَعَثَ اشْقاها، فقال لَهُمْ رَسولُ اللّه: ناقةَ اللّه وسُقْياها، فكذّبوه فَعَقَروها... .﴾ (سورة الشمس، الآية١٢ ـ ١٤)

وإنَّ سبطك هذا ـ وأوما بيده إلى الحسين[١] ـ مقتولٌ في عصابَةٍ مِن ذُرِيّتك وأهل بيتك، وأخيارٍ مِن أمّتك، بضِفّة الفرات[٢] بأرضٍ يُقالُ لها: كربلاء. مِن أجْلها يَكثُر الكربُ والبلاء علىٰ أعدائك وأعداء ذُرِيّتك في اليوم الذي لايَنقضي كَربُه، ولاتُفنىٰ حَسْرتُه.

وهي أطيَبُ بِقاعِ الأرض وأعظمُها حُرْمةً، يُقتَلُ فيها سبطُك وأهلُه، وإنَّها مِن بَطْحاء الجَنّة.

فإذا كان ذلك اليومُ الذي يُقتَلُ فيه سِبطُك وأهلُه، وأحاطَتْ به كتائبُ أهل الكفر واللَعنة، تَزَعْزعت الأرض مِن أقطارها، ومادَت الجبالُ وكثُرَ إضطرابُها، واصطَفَقَت البحارُ بأمواجها، وماجَت السماواتُ بأهلها، غَضَباً لك ـ يا مُحمّد ـ ولذُرّيتِك، واستِعْظاماً لِما يُنتَهَكُ مِن حُرْمتك، ولشَرّ ماتُكافَا به في ذُرّيتك وعِتْرتك.

ولايَبقىٰ شيء مِن ذلك إلاّ استاذَنَ اللّهَ ـ عزّوجلّ ـ في نُصْرة اهلك المُستَضعَفين المظلومين الّذين هُم حُجَّة اللّه علىٰ خَلْقه بَعْدك.

فيوحي اللّه إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومَن

---

(١) اوْمَا بِيَده: اشارَ بِيَده.

(٢) الضِفّة: جانب النهر او شاطئه. الفُرات: نَهر مَعروف في العراق.

فيهنّ:

«إنّي انا اللّه المَلِك القادر، الذي لايَفوتُه هارب، ولايُعْجزُه مُمتَنع، وأنا اقدر فيه علىٰ الإنتصار والإنتقام.

وعِزَّتي وجَلالي!! لأعذّبَن مَن وَتَرَ رسولي وصَفيّي، وانتَهَك حُرْمتَه، وقَتَلَ عِتْرته، ونَبَذَ عهْده، وظَلمَ اهلَ بيته عذاباً لاأعذّبُه أحَداً مِن العالَمين».

فعند ذلك يَضِجُّ كلُّ شيء في السماوات والأرضين، بلَعْنِ[1] مَن ظَلَم عِترتَك، واستَحَلَّ حُرْمَتَك.

فإذا بَرَزَتْ تلك العصابةُ إلى مَضاجعها[2] تَوَلّىٰ اللّه ـ عزّوجلّ ـ قَبْضَ أرواحها بيَده، وهبَطَ إلى الأرض ملائكةٌ مِن السماء السابعة، مَعَهم آنية مِن الياقوت والزُمرّد، مَملوءَة مِن ماء الحياة، وحُلَل مِن حُلَل الجَنَّة، وطِيب مِن طِيب الجنّة، فغَسَّلوا جُثَثَهم بذلك الماء، وألبَسُوها الحُلَل، وحَنَّطوها بذلك الطِيب، وصَلَّت الملائكةُ ـ صَفّاً صَفّاً ـ عليهم.

ثمّ يَبعثُ اللّه قوماً مِن أمّتك لايَعرفهم الكفّار، لم يشركوا في تلك الدماء بِقَولٍ ولا فِعْلٍ ولا نيَّة[3]، فيُوارون أجسامَهم،

(١) وفي نسخة: يَلعَن.

(٢) مَضاجِعها ـ هُنا ـ مَصارِعها، اي: اماكن سُقوط القَتيل علىٰ الارض. المُحقّق

(٣) لعلّ الصحيح: لم يَشتركوا في تلك الدماء. المُحقّق

ويُقيمون رَسْماً لِقَبْر سيّد الشهداء بتلك البَطْحاء، يكون عَلَماً لأهل الحقّ، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتَحُفُّه ملائكةٌ مِن كلِّ سماء: مائة ألف مَلَك في كلِّ يوم وليلة ويُصلّون عليه، ويَطوفونَ عليه، ويُسبِّحونَ اللّهَ عنده، ويَستغفرون اللّهَ لمن زارَه، ويَكتُبونَ أسماءَ مَن يأتيه زائراً مِن أُمّتك، مُتقرِّباً إلى اللّه ـ تعالىٰ ـ وإليك بذلك، وأسماءَ آبائهم وعشائرهم وبُلْدانهم ويوسِمُون في وجوههم بمِيْسَمِ[1] نور عرش اللّه: «هذا زائر قبر خيرِ الشهداء وابنِ خيرِ الأنبياء».

فإذا كان يومُ القيامة سَطَعَ في وجوههم ـ مِن أثر ذلك الميسم ـ نورٌ تغشىٰ منه الأبصار، يُدلّ عليهم ويُعرَفون به.

وكأنّي بك ـ يا مُحمّد ـ بيني وبين ميكائيل، وعليٌّ أمامَنا، ومَعَنا مِن ملائكة اللّه ما لايُحصىٰ عَدَدهم، ونحن نَلتَقطُ ـ مَن ذلك الميسم في وَجْهه ـ مِن بين الخلائق، حتّىٰ يُنجيهم اللّه مِن هَول ذلك اليوم وشَدائده.

وذلك حُكمُ اللّه وعَطاؤه لِمَنْ زارَ قَبْرَكَ ـ يا محمّد ـ أو قبرَ أخيك أو قبرَ سبطيك، لايُريد به غيرَ اللّه عزّوجلّ.

---

(١) المِيْسَم: حَديدةٌ تُحمىٰ بالنار، ثمّ توضَع علىٰ جِسْم الحيوان فتَكْويه، لِتكون عَلامةً لَها، لِفَرْزها عن حيوانات القَطيع الآخَر، والجَمْعُ: مَياسِم ومَواسِم. ويُقال ـ ايضاً ـ لكلّ جهازٍ يُستَعمَل لِوَضع علامَة فارقة لِفَرْز شيء عن شيء. المُحقّق

وسَـيَـجْـتـهـدُ أناسٌ ـ مِـمّن حَـقّتْ عليـهم اللعـنة مِن الـلّه والسَـخَط ـ ان يُعفُـوا رَسْـمَ ذلـك القبـر، ويُمـحُوا أثَـرَه، فلا يَجعـلُ اللّـهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ لَـهُم إلى ذلك سبيلاً.

ثم قـال رسـول اللّه (صلّىٰ اللّه عليـه وآله وسلّم) فـهـذا ابكانـي وأحـزَنَـنـي.

قـالت زينب: فلمّـا ضَـربَ إبنُ ملجم (لعنَـه اللّه) ابي (عليـه السلام) ورأيتُ عليه أثَـرَ المـوت مـنـه، قلتُ له: يا أبَـه حَدَّثَـتْـنـي أمّ أيمن بكذا وكذا، وقد أحـبَـبْـتُ أن أسمَـعَـه مِـنْـك.

فـقـال: يا بُـنـيّـه الـحديـث كما حـدَّثَـتْـكِ أُمّ أيمن، وكـأنّي بكِ وبـنـسـاء أهلِـكِ سَـبـايا بهـذا الـبَـلَد، أذلاّء خـاشـعين، تَخـافـون أن يَـتخـطّـفـكم الناس.

فصَـبْـراً صَـبْـراً، فوالّـذي فَـلَـقَ الـحَـبَّـة وبَـرَأ الـنسمة، ما لِلّـه علىٰ ظهْر الأرض ـ يومئذٍ ـ وليٌّ غيركم وغير مُحبّيكم وشيعـتـكم.

ولقد قال لنا رسول اللّه ـ حين أخبـرَنا بهذا الـخَـبَـر ـ: «إنَّ إبليس (لعنَـه اللّه) في ذلك الـيـوم يَطير فَـرَحـاً[1] فـيَـجُـولُ الأرضَ كلَّـهـا بشيـاطيـنـه وعَـفاريتـه فيقـول: يا مَعاشِـرَ الشياطين: قـد أدركْنا مِن ذُريّـة آدم الطلبـة، وبَـلغْـنا في هَـلاكـهم الغـاية، وأورَثْـنـاهم النارَ إلاّ مَـن اعتَـصَـمَ بهذه العِصـابة، فاجعَـلوا شُـغْـلَـكم بِـتَـشْـكيك الناس

(١) ذلك اليوم: يـوم قَـتْـل الإمام الحسـين (عليه السلام) وهـو يـوم ١٠/محـرّم مِـن سـنـة ٦١ للـهـجـرة، المشـهـور بـ«يوم عاشوراء».

فيهم وحَمْلِهم علىٰ عَداوَتِهم، وإغرائهم بهم وأوليائهم، حتّىٰ تَسْتَحكموا ضَلالة الخَلْق وكُفرهم، ولايَنجو منهم ناج.

ولقد صَدَقَ عليهم إبليسُ ـ وهو كذوب ـ أنه لايَنفعُ مَعَ عداوتكم عملٌ صالح، ولايَضُرُّ مَعَ مَحبّتكم ومُوالاتكم ذَنبٌ غير الكبائر.

قال زائدة: ثمّ قال عليّ بن الحسين (عليه السلام) بعد أنْ حَدَّثَني بهذا الحديث: خُذْهُ إليك، ما لو[1] ضَربْتَ في طَلَبه آباط الإبل حَوْلاً[2] لَكان قليلاً[3].

---

(١) وفي نسخة: أما لو.

(٢) حَولاً: الحَوْل: السَنَة. كان البَشَرُ ـ في الزَمَن الماضي، وقبل صُنْع وسائل النَقْل الحديثة كالسيّارات والقطارات والطائرات ـ يَستعمل الدَوابّ للإنتقال من مكان إلى مكان، وللسفر من بَلَد إلى بَلَد، وخاصةً الإبل.. حيث كانت وسيلةَ نَقْلٍ جيّدة لِقَطْع المسافات الصحراوية، لأنّ قُدرتها علىٰ تحمّل العطش والجوع اكثر من الدَوابّ الأُخرىٰ، وحينما يَركب الإنسان علىٰ ظَهْر الإبل (البعير) تُحاذي قَدَمُه إبطَ الإبل، فإذا ابطات في السَير يَضربُ الراكبُ ـ احياناً ـ بقَدَمه علىٰ إبط الإبل وبطنها لكي تُسرع في المشي، وبذلك يَقطَع مسافةً اطولَ في مدّةٍ اقصَر. فالضَربُ علىٰ إبط الإبل: هو كناية عن السفر من بلد إلى بلد، وتحمّل الجوع والعطش والحَرّ والبَرْد، مِن اجل الوصول إلى الهَدَف وهو البلد الآخر. المُحقّق

(٣) كامل الزيارات، لابن قولويه المتوفّىٰ سنة ٣٦٧هـ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٦، باب ٨٨، ونقَلَه عنه الشيخُ المجلسي في كتاب بحار الأنوار ج٢٨، باب٢، ص٥٥ ـ ٦١.

٣ ـ مُتَفَرّقات

١ ـ روىٰ الشيخ الطوسي بأسناده عن السيّدة زينب بنت علي ـ عليهما السلام ـ قالت:

صلّىٰ أبي مع رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) صلاةَ الفَجْر، ثمّ اقبَلَ علىٰ علي (عليه السلام) فقال: هل عندكم طعامٌ؟

فقال: لم آكل مُنذُ ثلاثة أيّام طعاماً.

فقال رسولُ اللّه: إمض بِنا إلى إبنتي فاطمة.

فدخَلا عليها وهي تَتَلوّىٰ مِن الجوع! وإبناها مَعَها. فقال رسولُ اللّه: يا فاطمة! فِداكِ أبوكِ، هل عندكِ شيءٌ مِن الطعام.

فاستَحْيَتْ فاطمة انْ تَقول لا. وقامتْ واستَقبَلت القِبلة لِتُصلّي ركعتين. فاحسّتْ بحَسيس، فالتَفَتَتْ

وإذا بصَفحة مَلأىٰ ثَريداً ولَحْماً، فأتتْ بها ووَضعتْها بين يَدَي أبيها، فدَعىٰ رسولُ اللّه بعليّ والحسن والحسين.

ونَظر عليّ إلى فاطمة مُتعجّباً وقال: يا بنتَ رسول اللّه! أنّىٰ لكِ هذا؟

فقالت: هو مِن عند اللّه، إنّ اللّه يَرزُقُ مَن يَشاء بغَير حِساب.

فضَحِك النبيُّ وقال: الحَمْدُ للّه الّذي جَعلَ في أهلي نَظيرَ زكريّا ومريم، إذ قال لها: أنّىٰ لكِ هذا؟ قالت: هو مِن عند اللّه، إنّ اللّه يَرزق مَن يَشاء بغير حِساب ... .[1]

٢ ـ وجاءَ في التاريخ: أنّ السيّدة زينب (عليها السلام) كانتْ جالسةً ذاتَ يوم، وعندَها أخَواها الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما يَتَحدَّثان في بعض أحاديث رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم). فقالت السيّدة زينب سَمعْتُكُما تَقولان: إنّ رسول اللّه قال: «الحَلالُ بَيّن، والحرامُ بَيّن، وشُبُهاتٌ لا يَعْلَمُها كثيرٌ مِن الناس».

ثمَّ استمرّت السيّدةُ زينب تُكملُ الحديث وتَقول: «مَن تَركها (أي: تَركَ الشُبُهات) صَلُحَ لَهُ أمْرُ دينِه وصَلُحتْ لَهُ مُروءَتُه وعِرضُه، ومَن تَلَبَّسَ بِها ووَقَعَ فيها واتَّبَعَها . .

(١) الثاقب في المناقب، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ و٢٩٥.

كـانَ كـمَـنْ رَعـىٰ غَـنَـمَـهُ قُـرْب الحِـمـىٰ [١] ومَـن رَعـىٰ ماشِـيَـتَـه قُـرْبَ الحِـمـىٰ نـازَعَـتْـهُ نَـفْـسُـهُ أنْ يَـرْعـاهـا في الحِـمـىٰ، ألا : وإنّ لِـكلِّ مَـلِـكٍ حِـمـىٰ، وإنّ حِـمـىٰ اللّه مَحـارِمُـه». [٢]

(١) الحِـمـىٰ: مـوضـعٌ فـيـه كَـلأٌ يُحـمـىٰ مِـن الناس مِـن أن يَـدخـل قَـطـيـعُ غَـنَـمِـهم فـيـه، وهـو بِـمـنـزلـة الـسُّـور. . سـواء كـان مِـن حـائـط أو شـجـر. وفي الـحـديـث «ومَـنْ حـامَ حـولَ الـحِـمـىٰ أوشـك أن يَـقـع فيـها». كما يُـسـتـفـاد مِـن كتاب «العَـين» للخـلـيـل. المُـحـقّـق

(٢) يُـعَـبّـر عـن المَـكان الـقَـريـب لِـدار مَـلِـك أو رئـيـس، أو لِـمَـنـطـقـةٍ مَـخْـطـورَة بكلمـة «حِـمـىٰ»، وفي عالَـم اليـوم. . نَجِـدُ أنّ إدارة الـبَـلَـديّـة تَجـعَـل سِـيـاجَـاً أو حِـزامـاً احـمـر حـول المَـنـاطـق المَـخْـطـورة، كـالأراضي الـمَـزْروعَـة بـالألْـغـام أو الـمُـتـفـجِّـرات، أو الـغـابـات الّـتـي تَـتَـواجَـدُ فيـها الحيـوانـات المُـفْـتـرسَـة.

وهـذا السِـيـاج: هـو عَـلامـة تَـعْـنـي: ايّـهـا الإنسـان! لا تَـدخُـلْ هـذه المَـنـطـقـة، بـلْ لا تَـقْـتـربْ مِـنْـها، فـإنّ الـلازمَ علـيـك أنْ تَـبـتَـعِـدَ عـن المكـان الـقـريـب مِـن المـنـطـقـة المَـخْـطـورة، إذْ مِـن المُـمْـكـن ان يكـونَ المكـانُ الـقَـريـب مِـنْـها مَـزْروعـاً ـ أيـضـاً ـ بالألْـغـام مَـثَـلاً.

مِـن هُـنـا. . فـقـد جَـعَـلَ اللّـه تعالىٰ حـول المعـاصي والمحرّمات حِـمـىً وحَـظـراً دِيـنـيّـاً كي يُـسـاعِـدَ الإنـسـان علىٰ الوقـايـة مِـن الـتَـلَـوّث بالـذنـوب، وعـدم الإقـتـراب مـن أجـواء الحـرام.

ومنـهـا الإبـتـعـاد عـن الشُـبُـهـات، اي: الأمـور أو الأطـعـمـة او الأعمـال الّـتي لا يُـعـلَـم ـ بالضـبـط ـ هـل هـي حَـرامٌ أو حـلال؟ ←

٣ ـ ثمّ رَوَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) حَديثاً آخَر عن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) فقالت: «ألا: وإنّ في الجَسَد مُضْغَة[1] إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَد كُلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلّه، الا: وهي القَلْب».[2]

ثمّ قالت السيّدة: أما سَمِعْتُما رسولَ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه

← فإذا لم يُراعِ الإنسانُ الإحتياط اللازم، فَسَوف يكون مِن السَهْل عليه إرتكابُ المُحَرّمات، لأنّ مِن آثار الشبُهات: هو حصول الجُراة علىٰ الحرام.

وقد رُويَ عن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما مَضمونُه: لا تُفَكّرْ في الحَرام، فإن ذلك ـ يَجُرّك إلى التخطيط لإرتكابه، وإذا بَدأتَ بالتفكير فسَوفَ تُفكّر في لَذة الحرام، وتَغْفَل عن العقوبات والمُضاعَفات الناتجة عن ذلك. ونَقرأ في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿ولا تَقربوا الزنا ...﴾ وهذا يَعني وَضْع «حِمىٰ» حولَ هذه الجريمة، ويوضِّحُ هذا الحِمىٰ قولُ الشاعر:

نَظرةٌ فابتسامَةٌ فسَلامُ فكلامٌ فمَوْعِدٌ فلِقاءُ

(١) المُضغةُ: قِطعةُ لحْم، وقَلْبُ الإنسانِ مُضْغَةٌ مِن جَسَده. كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

(٢) وهي القلب: لَعَلّهُ كناية عن مَحلّ إصدار الأوامر في المُخ، حيثُ جاءَ التَعبير عن الفِكْر والمُخ بالقَلْب في كثيرٍ مِن الروايات. المُحقّق

وآله وسلّم) الّـذي تـأدَّبَ بادَبِ اللّه (عـزّوجـلّ) ـ ويَـقـول: «أدَّبَـنـي رَبّـي فـأحـسَـنَ تـاديـبـي» ـ يَـقـول: «الحَـلالُ: مـا أحَـلَّـهُ الـلّه (عـزّوجـلّ) في القـرآن الكـريم وبَـيَّـنَـه رسـولُ اللّـه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) مِـثْـل: الـبـيـع والـشـراء، وإقـام الصـلاة في أوقـاتـهـا، وإيـتـاء الزكـاة، وصـوم رمـضـان، وحـجّ الـبَـيـت لِـمَـن اسـتَـطاعَ سَـبـيـلا، والأمـر بـالـمَـعـروف، والـنَـهـي عـن المُـنـكـر، وتَـرْك الـكذب والـنِـفـاق والخِـيـانـة.

والحَـرامُ: مـا حَـرَّمَـه اللّـهُ (عـزّوجـلّ) وذكـرَهُ فـي الـقـرآن الكريم وبَـيَّـنَـهُ رَسـولُ اللّـه (صلّىٰ اللّـه عليـه وآله وسلّم) والحـرامُ نَـقـيضُ الحـلال.

وأمّـا الـشُـبُـهـات: فـهي أُمـورٌ لا يُـعْـلَـمُ حَـلالُـهـا وحَـرامُـها، والمـؤمـنُ إذا لم يَـعـلَم الـشـيءَ أنّـه حَـلال أو حَـرام، وكانَ يَـرْجـو سَـعادةَ الدنـيا والآخرة، فَـعَـلَـيه أن لا يَـتْـبَـع الشُـبُـهات فالشُـبُـهـات تَـجُـرُّه إلى المُحـرَّمـات».

فـقال لـهـا الإمامُ الحسـن (عليه السلام): «زادَكِ الـلّـهُ كمـالاً، نَـعم.. إنّـه كـما تَـقـولـيـن، إنّـكِ حَـقّـاً مِـن شَـجَـرة الـنُـبـوّة ومِـن مَعـدِن الـرسـالـة».

٤ ـ ورَوىٰ أحـمـد بن جـعـفـر بن سليـمـان الهـاشـمي، قـال: كانـت زينبُ بنـت علي (عليهما السلام) تَـقول: «مَـن أرادَ أنْ لا يكونَ الخَـلْـقُ شُـفَـعاءَه إلى اللّـه فَـلْـيَـحْـمَـدْه، ألَـم تَـسْـمَـع إلى قَـولـهم:

«سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِده» فَخِفِ اللّه.. لِقُدرَتِه عليك، واسْتَحِ مِنْه لِقُربه مِنْك».[(١)]

٥ ـ ورُويَ عن السيّدة زينب (عليها السلام) أنّها قالت: «إنَّ جَدّي المُصطفىٰ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) شَرَّعَ لَنا حُقوقاً لأزواجِنا كما شَرَّعَ علىٰ الرجال حُقوقاً مَفْروضة».[(٢)]

٦ ـ ورُويَ عنها (عليها السلام) ـ أيضاً ـ: يَقول جَدّي الرسول الكريم: «إذا صَلَّت المَرأةُ خَمْسَها، وصامَتْ شَهْرَها، وحَفَظتْ فَرْجَها، وأطاعتْ زوجَها، قيلَ لها: أُدخُلي الجَنَّة مِن أيِّ أبواب الجنَّة شِئْتِ».[(٣)]

٧ ـ روَتْ السيّدةُ فاطمة بنت الإمام الحسين (عليهما السلام) عن عَمَّتِها زينب الكبرىٰ (عليها السلام) أنَّها قالتْ: رأيتُ أُمّي فاطمة (عليها السلام) قامَتْ في مِحْرابها ليلةَ جُمُعَتِها، فَلَمْ تَزَلْ راكعةً ساجِدة، حتّىٰ اتّضَحَ عَمودُ الصُبْح، وسَمِعْتُها تَدْعو للمؤمنين والمؤمنات،

---

(١) كتاب «زينب الكبرىٰ» للشيخ النقدي ص ٣٤، وهو يَنقلُ ذلك عن كتاب «بلاغات النساء» لإبن طيفور.

(٢) كتاب «عَقيلةُ الطُهْر والكَرم السيّدة زينب» لموسىٰ محمدعلي، وهو يَنقلُ ذلك عن إبن الأنباري.

(٣) نَفْس المصدر.

وتُـسَـمِّـيهِـمْ وتُـكْـثِـرُ الـدُّعـاءَ لَـهُـمْ، ولا تَـدْعـو لِـنَـفْـسِـها بـشيء.

فـقـالَ لَـها أخـي الـحسـين ـ ذاتَ يـوم ـ يا أُمّـاه! لِمَ لا تَـدْعـيـنَ لِـنَـفـسِـكِ كما تَـدْعـيـنَ لِـغَـيـرِكِ؟!

قـالـتْ: بُـنَـي! الجـارُ ثُـمّ الـدار.[1]

٨ ـ ورُوِيَ عن السـيِّـدة زينب (عليـهـا السلام) ـ أيـضـاً ـ أنّـهـا قـالـت: كـان آخـرُ عَـهْـد أبـي إلى أخَـوَي (عليـهـمـا السلام) أنّـه قـال لهـما: يابَـنـيَّ إذا أنـا مِـتّ فَـغَـسّـلاني ثمّ نَـشّـفاني بـالـبُـرْدة الّـتي نُـشِّـفَ بـهـا رسـولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليـه وآله وسلّم) وفـاطـمـة، وحَـنِّـطانـي وسَـجّـياني علىٰ سَـريـري، ثمّ انـظـرا حتّىٰ إذا ارتـفَـعَ لَـكُـمـا مُـقـدَّمُ السَـريـر، فـاحْـمِـلا مُـؤخَّـرَه.

قـالـتْ: فخَـرجْـتُ أُشَـيِّـعُ جـنـازة أبـي، حتّىٰ إذا كُـنّـا بظَـهْـر الـكوفـة وقَـدِمْـنـا بـظَـهْـر الـغَـري رُكـزَ المُـقـدَّم، فـوضَـعْـنـا المُـؤخّـر، ثمّ بـرزَ الـحسـن مُـرْتَـديـاً بالـبُـردة الّـتـي نُـشِّـفَ بـهـا رسـولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عـليه وآله وسلّم) وفـاطمـة وأميـر المؤمنيـن (عليـهم السلام) ثمّ أخَـذ الـمِـعْـوَل فـضَـرَب ضـربَـةً فانـشَـقّ القـبـر عن ضـريـح[2]، فـإذا هـو بـسـاجَـةٍ[3] مَـكـتـوبٌ عليـهـا سـطـران

---

(١) كتاب «رَياحيـن الشَـريـعـة» للمَـحـلاّتـي، ج٣، ص٧٣. المُـحـقّـق

(٢) ضـريـح: لَـحْـد: أي: قَـبْـرٍ جـاهـز.

(٣) سـاجَـة: قِـطـعـة مِـن خَـشَـبٍ مُـعـيّـن. السـاج: نـوعٌ مِـن الـشَـجَـر، ←

بالسريانية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قَبْرٌ حَفَرَهُ نوحُ النبي لِعلي وَصيّ محمّد قبْلَ الطوفان بِسَبعمائة عام.[١]

٩ ـ ورَوَتْ السيّدةُ زينب (عليها السلام) ـ أيضاً ـ عن أمّها السيّدة فاطمة بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) أنَّها قالت: قال رسول اللّه ـ لِعليّ عليه السلام ـ «أما إنّك يا عليُّ وشيعَتُك في الجَنَّة».[٢]

١٠ ـ ورَوىٰ الإمامُ زين العابدين عن عَمّته زينب (عليهما السلام) عن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنَّها قالتْ: «دَخَلَ عليَّ رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) عِندَ ولادة إبْني الحسين، فناولْتُهُ إيّاه، ... ثمّ قال: خُذيه يا فاطمة! فإنّه إمامٌ إبنُ إمام.. أبو الأئمَّة التِسْعة، مِن صُلْبِه أئمّةٌ أبْرار، والتاسِعُ قائمُهُم».[٣]

← لا تَنْبُتُ إلّا ببلاد الهِنْد، لا تُبْليه الأرض.. حتّىٰ لو بَقِيَ تحتَ التُراب مُدَّةً طويلة. كما يُستفاد مِن كتاب «مَجْمَع البحرين» للطريحي. المُحقّق

(١) كتاب «زينب الكبرىٰ» للشيخ جعفر النَقْدي، ص ٣٧.

(٢) كتاب «الخَصائص الزَينبيّة» للسيّد الجزائري، ص٩٢، وهو يَنْقلُ ذلك عن كتاب «دَلائل الإمامة» للطبَري.

(٣) كتاب «كفاية الأثر»، ص ١٩٣ ـ ١٩٤. المُحقّق

١١ ـ وقـد نُـسِـبَ إلى السـيِّـدة زينـب الـكبـرىٰ (علـيـهـا السلام) هـذه الأبـيات الشِـعْـريّـة:

تَـمَـسَّـكْ بـالـكـتـابِ ومَـن تَـلاهُ
فـأهْـلُ الـبيـتِ هُـمْ أهـلُ الكِـتـابِ

بِـهِـمْ نَـزَلَ الكـتـابُ وهُـمْ تَـلَـوهُ
وهُـمْ أهـلُ الـهِـدايـةِ لـلـصَـوابِ

إمـامـي وَحَّـدَ الرحـمـنَ طـفـلاً
وآمـنَ قـبْـلَ تَـشْـديـد الـخِـطـاب

علـيٌّ كـانَ صِـدّيـقَ الـبَـرايـا
عـلـيٌّ كـانَ فـاروقَ الـعَـذابِ

شَـفـيـعي في القيـامـة عـنْـد ربّـي
نَـبِـيّـي والـوَصـيّ أبـو تُـرابِ

وفـاطمـةُ الـبَـتـول وسـيّـدا مَـن
يُـخَـلَّـدُ في الجِـنـانِ مِـن الشَـبـابِ

علىٰ الطـفّ السـلامُ و سـاكـنـيـهِ
ورَوْحُ اللّـه في تـلـك الـقُـبـاب

نُـفُـوسٌ قُـدّسَـتْ في الأرض قِـدْماً
وقـد خَـلُـصـتْ مِـن النـطف العـذاب[1]

---

(١) وفي نُـسـخـة: وقـد خُـلِـقَـتْ مِـن الـنـطـف العـذاب.

مَضاجع فِتْيةٍ عَبَدوا فناموا
هُجوداً في الفَدافِد والشِعاب
عَلَتْهُمْ في مَضاجِعهم كعابٌ
بأوراقٍ مُنَعّمة رِضاب
وصُيّرتِ القُبورُ لَهُم قُصوراً
مَناخاً ذات أفنيةٍ رِحاب
لَئنْ وارتْهُمُ أطباقُ أرضٍ
كما أغْمَدْتَ سَيفاً في قِراب
كأنمارٍ إذا جاسُوا رَواضٍ
وآسادٍ إذا ركبوا عِصاب
لقد كانوا البحار لِمَنْ أتاهُمْ
مِن العافين والهَلكىٰ العطاب
فقد نُقلوا إلى جَنّات عَدْنٍ
وقد عيضوا النَعيم مِن العقاب
بَناتُ محمّدٍ اضحَتْ سَبايا
يُسَقْنَ مع الأُسارىٰ و النهاب

مُغبَّرة الذُيول مُكشّفاتٍ
كسَبْي الروم دامِية الكِعاب
لَئنْ أُبرزن كُرْها مِن حِجابٍ
فَهُنّ مِن التعَفّف في حِجاب
أيُبخَلُ بالفُرات علىٰ حسينٍ
وقد أضحىٰ مُباحاً للكلابِ
فَلي قلْبٌ عليه ذو التِهابٍ
ولي جَفْنٌ عليه ذو انسكاب(١)

١٢ ـ ونَخْتِمُ هذا الفَصل بهذه المَقطوعة التاريخيّة المُهمَّة: لقد رُويَ عن السيّدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد (عليهما السلام) أنّها قالتْ: إنّ الحسين بن علي (عليه السلام) أوصىٰ إلى أختِه زينبَ بنت علي (عليهما السلام) في الظاهر، وكانَ مايَخرجُ مِن علي بن الحسين مِن عِلْمٍ يُنْسَبُ إلى زينب سِتْراً علىٰ علي بن الحسين (عليهما السلام).(٢)

---

(١) كتاب «المُنْتَخَب» للطريحي، ج٢، ص٤٥٤، المجلس العاشر. وكتاب «أدَبُ الحسين وحماسته» للصابري الهمداني، ص١٨١، نَقلاً عن التحفة الناصريّة. المُحقّق

(٢) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي، ص ١٣٨. المُحقّق



الفَصل العشرون

- تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام
- مَرْقَد السيّدة زينب الكُبرىٰ عليها السلام

تاريخ وفاة السيّدة زينب عليها السلام

إنّ المَشهور انّ وفاة السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) كانَ في يوم الأحَد مساء الخامس عشر مِن شهر رجب[1]، مِن سنة ٦٢ للهجرة.[2]

وهناك اقوال أخرىٰ - غير مشهورة - في تحديد يوم وسنة وفاتها.

ولقد اهمَلَ التاريخُ ذِكْرَ سَبَب وفاتها!

فهَلْ ماتتْ ميتةً طبيعيَّة، وبسَبَب المُعاناة مِن تَراكُم المصائب الّتي تَوالتْ علىٰ قَلْبِها الصَبور.

امْ انّها قُتِلَتْ بسَبَب السُمّ الّذي قد يكون دُسَّ

---

(١) وهناك قَولٌ: بانّها توفّيتْ مساء يوم الرابع عشَر مِن رَجَب. المُحقّق

(٢) كتاب «اخبار الزَينَبات» للعُبيدلي، ص١٢٢ .

إليها مِن قِبَل الطاغية يزيد، حيث لا يَبعُدُ أنْ يكونَ قد تمَّ ذلك، بِسِريّةٍ تامّة، خَفيَتْ عن الناس وعن التاريخ.

وعلىٰ كلّ حال، فقد لَحِقَتْ هذه السيّدة العظيمة بالرَفيق الأعلىٰ، وارتاحَتْ مِن تَوالي مَصائب ونَوائب الدَهر الخَؤون.

لقد فارقَتْ هذه الحياة بَعْدَ أنْ سَجَّلَتْ إسمَها ـ بأحْرُفٍ مِن نور ـ في سِجِلّ سيّدات النساء الخالِدات، فصارتْ ثانيةَ أعظم سَيّدة مِن سيّدات البَشَر، حيث إنّ أمَّها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي: أولىٰ أعظم سيّدة مِن النساء، كما صَرَّحَ بذلك أبوها رسولُ اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) حيث قال: «وأمّا ابنَتي فاطمة.. فهيَ سيّدة نِساء العالَمين، مِن الأوّلين والآخِرين»[1].

---

(١) كتاب «أمالي الصَدوق» طبْع بيروت ـ لبنان، مَنشورات مُؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، ص ٣٩٤، المجلس الثالث والسبعون، حديث ١٨، ورُويَ ذلك ايضاً في كتاب «مَعاني الأخبار» للصدوق، ص ١٠٧، وكتاب «عِلَل الشرائع» للشيخ الصدوق ـ ايضاً ـ وكتاب «الإختصاص» للشيخ المفيد، طبْع ايران، ص ٣٧ وص ٩١.

كتاب «المُسْتَدْرك علىٰ الصحيحَيْن» للحافظ الحاكم النيسابوري، طبْع بيروت ـ لبنان، مَنشورات دار المَعرفة، ج٣ ص ١٥٦.

ويُقيمُ المسلمون الشيعة وغيرُهُم مَجالسَ العَزاء والمَآتِم، في كلِّ سَنَة، حينَما تَمُرُّ عليهم هذه الذكرىٰ الأليمة، ويَتَحدَّثُ الخُطباءُ والشُعَراء في تلك المَجالس والمَآتم عن الجَوانب المُختَلِفة لِحياة هذه السيّدة العظيمة، وعن فُصول حياتِها المُزدَحَمة بالفضائل والمَكْرُمات، والمَقْرونة بالمصائب والنَوائب.

وقد جاءَ في التاريخ: أنَّه بَعْدَ مُرورِ عامٍ علىٰ وَفاتِها، وفي نَفْس اليوم الّذي تُوفّيتْ فيه السيّدةُ زينبُ (عليها السلام) إجتَمَعَ أهلُ مِصْر.. جَميعاً، وفيهم الفُقَهاء وقُرّاء القرآن وغيرُهم، وأقاموا لَها مَجلساً تَأبينيّاً عَظيماً بإسم ذِكْرىٰ وفاتها، علىٰ ما جَرتْ به العادة ـ مِن إقامة مَجلس العَزاء والتأبين بَعْدَ مُرور عام علىٰ وفاة المَيّت ـ ومِن ذلك الحِين لم يَنْقَطع إحياءُ هذه الذكرىٰ إلى عَصْرنا هذا، وإلى ماشاءَ اللّه، ويُعَبَّرُ عن مَوسم إحياء هذه الذكرىٰ ـ في مِصْر ـ بـ«المَوْلِد الزَيْنَبي» وهو يَبْتَدأ مِن أوّلِ شهر رَجَب.. مِن كلِّ سنة، ويَنتَهي ليلةَ النِصْف مِنْه، وتُحْيىٰ هذه الليالي بِتِلاوة آيات القرآن الحكيم، وقِراءة مَدائح أهل البيت النَبَوي، والّتي يُعَبّرون عنها بـ«التَواشيح».

ويكونُ المجلس عَظيماً جِداً حيث يَشْتَرك فيه أهلُ مدينة القاهِرة، والمُدُن المِصْريّة الأُخرىٰ. . حتّىٰ البَعيدة مِنْها، ثمَّ يَدخلون إلى مَرْقَدِها الشريف، للسَلام عليها، وقِراءة سورة الفاتحة علىٰ روحها الزكيّة الطاهِرة.[1]

---

(١) كتاب زينب الكُبرىٰ، للشيخ جعفر النَقْدي، وقد نَقَلْنا ذلك بِتَصرّف مِنّا في بعض الكلمات. المُحقّق

مَرقـد السـيّـدة زيـنب الكبرىٰ

إختَـلفـت الأقـوال في مَـدْفَـن السيّـدة زينـب الكبـرىٰ (عليـهـا السـلام) ومَـحَـلِّ قَـبرها، إختلافـاً عـجيبـاً. ونحن نَـستَـعـرض تلك الأقوال، ثمّ نَـقوم بتـسليط الأضواء عليهـا، كمحاولة لِـمَـعرفـة القول الصحيح:

القـول الأول: أنـّهـا توفّيتْ فـي الـمَـدينـة الـمنـوَّرة، ودُفـنـتْ هـنـاك.

الـقول الـثانـي: أنـّها دُفـنـتْ فـي ضـواحـي مـديـنـة دمشق فـي الشام.

القـول الثـالث: أنـّهـا هاجَـرَتْ إلى بلاد مـصـر، وعـاشَـتْ هناك حوالي سنـة واحدة، ثمّ توفّـيـتْ ودُفـنـتْ في مدينة القاهرة.

وقـبلَ أنْ نَـضَـع هذه الأقـوال الثـلاثـة علىٰ طاولـة الـتَـشْـريـح والـمُـناقَـشـة نَـقول:

أليسَ مِن أعجَب الأعاجيب أنْ يَخْتَلِفَ المُؤرّخون في تاريخ وفاة السيّدة زينب الكُبرىٰ ومَكان دَفْنِها، مَعَ الإنْتِباه إلى أنَّها ثانية سيّدة في أهل البيت النَبَوي المُكرّم ؟!

ففي ضاحية دمشق.. يوجَدُ مَشْهَدٌ مُشَيَّد، يَقصُدُه الناسُ مِن شَتّىٰ البلاد، ويُنسَب إلى السيّدة زينب عليها السلام.

وفي القاهرة - أيضاً - مَشْهَدٌ عظيم يَرْتاده المِصْريّون وغيرُهم، وهو يُنسَبُ إلى السيّدة زينب.

أجل..

ولكن.. قد يَزولُ هذا التَعَجُّب، بَعْدَ ما عَلِمْنا بالظُلْم الشامِل والمُسْتَمرّ الّذي ظلَمَه التاريخُ لآل رسول اللّه الطاهِرين.. رجالاً ونساءً! حيث إنَّ أكثر الكُتُب التاريخيَّة - المَوجودة حاليّاً - مَكتُوبَةٌ بأقلام مُعادِية لآل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ويَزولُ التَعجُّبُ - أيضاً - عند ما نَعْلَم بِمُحاربة أكثر الحكومات للكُتُب والمُؤلّفات الّتي كانتْ تَتَحدّثُ عن أهل البيت (عليهم السلام).

مُحارَبَتها للكُتُب عن طريق الإحراق والإتلاف والإبادة، ثمّ مُحارَبَتها عن طريق عدم السَماح بِطَبْعِها أو نَشْرِها أو دُخولها في البِلاد الإسلاميّة!!

دراسة القول الأول

لقد كان القولُ الأوّل: أنّها توفّيتْ في المدينة المنوّرة فَدُفنتْ هناك.

ودليلُ هذا القول: هو أنّه ثَبَتَ ـ تاريخيّاً ـ أنّ السيّدة زينب وَصَلَتْ إلى المدينة ودَخَلَتْ إليها، ولم يَثْبُتْ خُروجُها مِن المدينة.

ونحنُ ـ في مَجال توضيح هذا القول الأوّل ـ نَذكُرُ كلامَ المَرحوم السيّد محسن الأمين ثمّ نُعلّقُ عليه بَعْدَ ذلك.

كلام السيّد الأمين

قال السيّد محسن الأمين العاملي ما يَلي:

يَجبُ أنْ يكون قبرها في المدينة المنوَّرة، فإنّه لم يَثبُتْ أنّها ـ بعد رجوعها للمدينة ـ خَرجتْ منها، وإن كان[1] تاريخُ وَفاتها ومَحَلّ قبرها بالبقيع [مجهولاً]، وكم مِن أهل البيت أمثالها مَن جُهِلَ مَحَلُّ قبره وتاريخ وفاته، خصوصاً النساء.[2]

---

(١) وإن كان: اي حتّىٰ لو كانَ تاريخ وفاتها ومحلّ قبرها مَجهولاً.

(٢) موسوعة اعيان الشيعة، للسيّد محسن الامين، الطبعة الحديثة عام ١٤٠٣هـ، ج٧ ص١٤٠.

تَعْليق علىٰ كلام السيّد الأمين

رَغم أنّنا نُقدّر للسيّد الأمين مَكانَته العِلْميّة ومؤلّفاته القيّمة، ولكنّنا نَقول:

إنّ التحقيق في القَضايا التاريخيَّة عامٌ للجميع، وليسَ وقْفاً علىٰ إنسانٍ مُعيّن، فإذا كانَ السيّدُ الأمين يقول بحُجّيّة الظنّ حتّىٰ في المسائل التاريخيّة، فليستْ هذه المَزيّة خاصّة به، بل يَجوز لغيره ـ أيضاً ـ أنْ يُبْدي رأيَه، وخاصّةً بَعْدَ الإنتباه إلى «حُريّة الرأي» المَسْمُوح بها في هذه الأُمور والمَواضيع!

وعلىٰ هذا الأساس.. فَنَحنُ نُناقِشُهُ في رأيه ونَظَريَّتِه، ونَقول:

أوّلاً:

إنّه لايوجَد في المدينة المُنوّرة ـ وفي مَقبرة البقيع بصورة خاصّة ـ قبرٌ للسيّدة زينب عليها السلام.

فكيفَ يُمكن أنْ يَكون قَبرُها هناك، ولم يَعْلَم بذلك أحَد؟!

مَعَ الإنتباه إلى الشخصيّة المَرْموقة التي كانتْ للسيّدة زينب في أُسرتها، وعند الناس جميعاً؟!

فهلْ ماتَتْ في المدينة ولم يَحْضَر تَشييع جنازتها أحَد؟!

ولم يَشهَد دَفنَها أحَد؟!

ولم يَعْلَم بموضع قَبرها أحَد؟

ولم يَتحدّث أحدٌ مِن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) عن هذا الموضوع المُهم؟! وخاصةً الإمام السَجّاد والإمام الباقر والإمام الصادق (عليهم السلام).

ثمّ.. كيفَ ولماذا لم يُشاهَد أحَدٌ مِن الأئمّة الطاهرين أو مِن شخصيّات بَني هاشم.. عند قبرها؟!

وكيف لم يَتحدَّث واحِدٌ منهم عن زيارة قبرها، أو عن تعيين موضع قبرها في المدينة؟! مَعَ ما وَرَدَ عن رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) حولَ الثَواب العظيم لِزيارة قَبرها.[1]

وما هيَ الدَواعي لهذا الغُمُوض والتَعْتيم علىٰ سبَب وتاريخ وفاتها ومَكان دَفنِها.. حتّىٰ مِن رجالات أهل البيت؟!

فهلْ كانتْ هناك أسبابٌ وحِكَم تَفرضُ إخفاءَ قبْرها، كما كانتْ ذلك بالنسبة إلى قبر والدتها السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟

أمْ أنّ هناك حَقائقَ وأخباراً خَفيَتْ عنّا؟!

هذه أسئلة حائرة.. تَجْعَلُنا لا نُوافِقُ علىٰ القول الأوّل!

---

(١) وقد ذكرْنا ذلك في ص٣٥ مِن هذا الكتاب.

ثانياً:

هُناك أقوالٌ تَقول: إنَّها خَرجَتْ مِن المدينة.. إلى الشام أو إلى مِصْر، وهي تَمنَع مِن مُوافَقَتِنا علىٰ القول الأوّل، لأنّه مُعارَض بِقَولَين آخَرَين.. لكلّ واحِدٍ مِنْهما وثائقُهُما وأدلّتُهُما.

ثالثاً:

لَيتَ شِعْري هلْ ياذَن لي السيّدُ الأمين (رَحمه اللّه) انْ أساله:

إنْ كانت السيّدة زينب دُفنتْ في المدينة المنوّرة، وكان المَرقَد الموجود في قرية الراوية في ضاحية دمشق قبرَ امرأةٍ مَجْهولة النَسَب، كما ادّعىٰ ذلك السيّدُ الأمين، فلماذا دُفنَ السيّد بَعْدَ وَفاتِه عند مَدخَل مَقام السيّدة زينب بضاحية دمشق؟!

فهلْ كانَ ذلك بوصيّةٍ مِنْه؟!

أمْ أنّ أولاده إختاروا لِقبْره ذلك المكان.. وهم يَعلَمونَ نَظريّة والدهم حول ذلك المقام؟!

دراسة القول الثاني:

خُلاصة القول الثاني هي: انّ السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) سافرتْ مع زوجها إلى الشام بسَبَب المَجاعَة الّتي وَقعتْ في المدينة المُنوّرة، وقد كانتْ لِعبد اللّه بن جعفر في ضواحي دمشق ضَيْعَة (بستان أو مَزْرعة) فَسافَرت السيّدةُ زينب (عليها السلام) إلى هناك، وبَعْدَ وُصُولها ـ بِمُدّة ـ مَرِضَتْ وماتَتْ ودُفِنَتْ هناك.

جاءَ في كتاب كامل البهائي: «رُويَ انّ أمّ كلثوم أختَ الحسين (عليه السلام) توفّيت بدمشق (سلام اللّه عليها)».[1]

وقالَ ابنُ بطوطة ـ في رِحْلته المَعروفة ـ:

«وبقَريةٍ قِبَلي البَلَد ـ أي: بلدة دمشق ـ علىٰ فرسخ منها: مَشْهد أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) مِن فاطمة (عليها السلام).

ويُقال:

إنّ اسمها: زينب، وكَنّاها النبيُّ «أمّ كلثوم» لِشَبَهِها بخالتها أمّ كلثوم بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وعليه مسجد كبير، وحَولَه مَسْكن ولَه أوقاف، ويُسمّيه

(١) كامل البهائي، ج٢، ص٣٠٢.

أهلُ دمشق: قبر الستِ أمّ كلثوم. [١]

---

(١) رَغْم مُضيّ اكثر من الف وثلاثمائة وستّين عاماً علىٰ تاريخ وفاة السيّدة زينب (عليها السلام) إلاّ ان الوثائق التاريخيّة لتَحديد مكان قبر هذه السيّدة العظيمة.. بصورة قاطعة، لازالتْ ناقصة يَبقىٰ الأملُ في العُثور علىٰ قَرائن تاريخيّة مُؤيّدة لأحَد القولَين ـ الثاني أو الثالث ـ في السَنوات القادمة، إنْ شاء اللّه تعالىٰ، إلاّ انّ لِكلّ قول مِن الأقوال الثلاثة المذكورة قائلين يَميلون إليه، لا لِشيء إلاّ لإطمئنانهم النِسْبي بوثائق ذلك القول، وكان السيّد الوالد (مؤلّف هذا الكتاب) يَميلُ ـ بقوّة ـ إلى القول بانّ قبرها في مصر، وإنّني اتصوّر انّه لو كان كتاب (اخبار الزينبات) للعُبيدلي يُطبَع قبلَ مئات السنين لكان أكثرُ المُحقّقين يَقولون بِدَفْنها في مصر.

إلاّ انّ هذا لا يَعني ـ أيضاً ـ القطع واليقين بذلك، حتّىٰ يَلزَم منه إهمال القبر الموجود في ضاحية دمشق بالشام. فالتوسّل إلى اللّه تعالىٰ بالسيّدة زينب وطلب الشفاعة منها لقضاء حوائج الدنيا والآخرة.. له دَورُه الكبير، سواء كان عند القبر في سوريا أو في مصر، خاصةً مع احتمال كون ذلك القبر مَدْفناً لبِنْت ثانية لأميرالمؤمنين (عليه السلام).
وقد نَشَرت مجلّة «أهل البيت» الصادرة مِن لبنان، في تاريخ ١/صفر/١٤١٤هـ مَقالاً تحت عنوان: «رُبع مليون زائر لِمَقام السيّدة زينب في دمشق»، ممّا يدلّ علىٰ اهميّة هذا المقام أيضاً.
ويُحكىٰ انّ هناك إعتقاداً عند المسلمين الشيعة في لبنان أن المرأة التي لم تُرزَق النَسل والذريّة تَحضَر عند قبر السيّدة زينب في دمشق، في ليلة أو يوم اربعين الإمام الحسين (عليه السلام) وتَتوسّل إلى اللّه تعالىٰ بجاه السيّدة زينب (عليها السلام) لِيَتفضّل عليها بنعمة الولَد، وتَرىٰ النَتائج المَطْلوبة بسرعة!! المُحقّق

وهُنا أكثر مِن سؤال يَتبادر إلى الذِهْن حولَ هذا القول:

السؤال الأول: إنّ التاريخ لم يَذكُر مَجاعةً وقَعتْ في المدينة المنوّرة!! ففي أيّ سنةٍ كانت تلك المَجاعة؟

وكم دامتْ حتّىٰ اضطرّ آلُ رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم) إلى الهجرة إلى الشام؟

السؤال الثاني: إذا كانت وفاة السيّدة زينب (عليها السلام) في السنة الثانية والستّين ـ كما ذكرَه بعضُ المؤرّخين ـ فلماذا لم تكن في المدينة المنوّرة حينَما حَدثَتْ مَجْزرة «واقعة الحَرّة»؟

إذ لا يوجَد لَها ـ ولا لِزوجها عبدالله بن جعفر ـ أيّ إسم أو أثَر، فهلْ وَقعتْ المَجاعَة قبلَ واقعة الحَرّة أمْ بَعْدَها؟!

هذه أسئلة وتَساؤلات مُتعدِّدة لا جوابَ لها سِوىٰ الإحتمالات، والظنّ الّذي لا يُغْني عن الحقّ شيئاً.

هذا.. وقد حاولَ بعضُ المُعاصِرين في كتاب سَمّاه «مَرقَد العقيلة» أن يُثْبت مَدفنَها في دمشق.. لا القاهرة، واستَدلّ بأدلّة وتَشَبّثَ بِبَعض الأقوال، ولكنّها لا تَفي بالغَرض، لأنّ الأدلّة غير قاطعة، والأقوال غير كافية للإحتجاج والإستدلال، وكما يُقال: «غير جامعة وغير مانعة».

وممّا يُضعّفُ القولَ الثاني: انّه حينَما ارادوا تَجْديد بِناء حَرَم السيّدة زينب (عليها السلام) الموجود في ناحية

دمـشـق ـ قـبـلَ حَـوالي أربعـيـن سـنـة ـ وحَـفَـروا الأرض لِـبـنـاء الأُسُـس والأعـمِـدة وَصَلوا إلى القـبـر الشـريف، ووجَـدوا عليـه صَـخرةَ رُخـام.. هـذه صـورتُـهـا:

هذا قبر زينب الصغرى
المكناه بام كلثوم ابنه
على بن ابى طالب امها فا
طمه البتول سيده نسا
العالمين ابنه سيد المر
سلين محمد خاتم النبيين
صلى الله عليه وسلم

هـذا قبر زينب الصغرى المكنّاة بام كلثوم ابنت على بن ابى طالب امّهافاطمةالبتول سيّدة نساءالعالمين ابنت سيّدالمرسلين محمّد خاتم النبيين صلّى الله عليه وسلم

فإنْ صَحّتْ هذه الكتابة فالقبرُ الموجود في ناحية دمشق قبْرٌ لِسيِّدةٍ مِن بَنات الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) واسمها: زينب الصُغرىٰ، وهذا يَدلّ علىٰ مَدىٰ إهتمام الإمام (عليه السلام) بهذا الإسم حيث اختارَه لأكثَر مِن بنتٍ واحدة مِن بَناته.

يُضاف إلى ذلك.. : أنّنا نَجِدُ في بُطون كُتُب التاريخ وَصْف السيّدة زينب بـ«الكُبرىٰ» للفَرْق بينَها وبين أختها.

وفي مَجال دراسة القول الثاني.. هناك كلامٌ طويلٌ للسيّد محسن الأمين في مُناقَشَته لهذا القول، ونحنُ نَذكُره ـ هنا ـ تَتْميماً للدراسة المَوضوعيَّة.

وليسَ معنىٰ نَقْلِنا لِكلامه هو تأييدُنا لَه في قوله، بل.. إنَّ هذا يَعني أنّنا نَضَعُ المَعلومات أمامَ الباحِث، لِيكون علىٰ بَصيرةٍ أكثر مِن النقاط الّتي يُمكن أنْ تَنفَعَه في إسْتِكْشافه لِمِحْوَر البَحْث، مَع التَنْبيه المُسْبَق ـ مِنّا ـ علىٰ إستِغْرابِنا مِنْ كلامه! ومِنْ لَهْجَتِه في التَعبير عند الكتابة حول هذا الموضوع !!

وإليك نَصُّ كلامه:

«... وفيما أُلحِقَ برسالة (نُزهة أهل الحَرَمين في عمارة المشهدين) في النجف وكربلاء، المطبوعة بالهند، نَقلاً عن رسالة

(تحيّة أهل القبور بالمأثور) عند ذِكْر قبور أولاد الأئمة (عليهم السلام) ما لفْظُه:

ومنهم: زينب الكبرىٰ بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) وكُنيَتُها أُمّ كلثوم، قبرُها في قُرْب زوجها عبدالله بن جعفر الطيّار خارجَ دمشق الشام مَعروف، جاءَتْ مع زوجها عبدالله بن جعفر أيام عَبدالملِك بن مروان إلى الشام سنة المَجاعة، لِيَقوم عبدالله بن جعفر في ما كان له مِن القُرىٰ والمَزارع خارجَ الشام، حتّىٰ تَنْقَضي المَجاعة، فماتَتْ زينبُ هناك ودُفنتْ في بعض تلك القُرىٰ، هذا هو التحقيق في وَجْه دَفْنها هناك، وغيرُهُ غلَطٌ لا أصلَ له، فاغتَنِمْ. فقد وَهَمَ في ذلك جماعة فَخَبَطوا العَشواء».

وفي هذا الكلام مِن خَبْط العَشواء مَواضع:

أوّلاً: إنّ زينبَ الكُبرىٰ لم يَقُلْ أحَد مِن المُؤرّخين أنها تُكنّىٰ بأُمّ كلثوم، فقد ذكرَها المَسعودي والمفيد وابن طلحة وغيرُهم ولم يَقُلْ أحَدٌ منهم أنّها تُكنّىٰ أُمّ كلثوم[1]، بل كلّهم سَمّوها: زينب الكُبرىٰ وجَعَلوها مُقابل أُمّ كلثوم الكبرىٰ، وما استَظْهَرْناهُ مِن أنّها تُكنّىٰ أُمّ كلثوم ظهَرَ لنا ـ أخيراً ـ فَسادُه.

---

(١) كلامٌ عَجيبٌ وادّعاءٌ غَريب، تَشْهَدُ الوثائقُ التاريخيَّة الكثيرة علىٰ خِلافِه! المُحقّق

ثانياً: قولُه: «قبرها في قُرب زوجها عبدالله بن جعفر» ليسَ بِصَواب ولم يَقُلْه أحَد، فقَبْرُ عبدالله بن جعفر بالحجاز، ففي «عُمْدة الطالب» و«الإستيعاب» و«أسد الغابة» و«الإصابة» وغيرها: أنّه ماتَ بالمدينة ودُفنَ بالبقيع. وزادَ في «عُمْدة الطالب» القولَ بأنّه ماتَ بالأبواء ودُفنَ بالأبواء، ولا يوجَد قُربَ القبر المَنْسوب إليها بالراوية قَبْرٌ يُنسَب لعبدالله بن جعفر.

ثالثاً: مَجيؤها مع زوجها عبدالله بن جعفر إلى الشام سنة المَجاعة.. لم نرَهُ في كلام أحدٍ مِن المؤرِّخين، مع مَزيد التَفتيش والتَنْقيب. وإنْ كان ذُكرَ في كلام أحَدٍ مِن أهل الأعصار الأخيرة فهو حَدْسٌ واستِنْباط كالحَدس، والإستنباطُ مِن صاحب (التحيّة). فإنّ هؤلاء لَمّا تَوَهّمُوا أنّ القبر الموجود في قرية راوية خارجَ دمشق مَنسوب إلى زينب الكبرىٰ، وأنّ ذلك أمرٌ مَفْروغ منه ـ مع عدم ذِكْر أحدٍ مِن المؤرّخين لذلك ـ استَنبَطوا لِتَصْحيحه وجوهاً بالحَدْس والتَخْمين.. لا تَسْتَندُ إلى مُسْتَنَد، فبعضٌ قال: «إنّ يزيد (عليه اللعنة) طلبها مِن المدينة فعَظُمَ ذلك عليها، فقال لها ابنُ أخيها زينُ العابدين (عليه السلام): «إنّك لا تَصِلين دمشق» فماتَتْ قبلَ دخولها. وكأنّه هو الذي عَدّهُ صاحبُ (التحيّة) غَلَطاً لا أصْلَ له ووقَع في مِثْله، وعَدّهُ غَنيمةً وهو ليسَ بها، وعَدَّ غيرَه خَبْط العَشواء وهو منه. فاغتَنِمْ.. فقد وَهَمَ كلُّ مَن زَعَمَ انّ القبر الذي في قرية راوية مَنسوب إلى زينب الكبرىٰ، وسَبَبُ هذا التوهُّم: انّ مَن سَمع انّ

في راوية قبراً يُنسَب إلى السيّدة زينب سَبَقَ إلى ذِهْنه زينبُ الكبرىٰ، لِتَبادر الذِهْن إلى الفَرْد الأكمَل، فلمّا لم يَجِدْ أثَراً يَدلّ علىٰ ذلك لَجا إلى استنباط العِلَل العَليلة. ونظيرُ هذا انّ في مصر قبراً ومَشْهَداً يُقال له: «مَشْهَد السيّدة زينب»، وهي زينب بنت يحيىٰ، وتأتي ترجمتُها، والناس يَتَوهّمُون انّه قبر السيّدة زينب الكبرىٰ بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا سَبَبَ له إلّا تَبادرُ الذِهْن إلى الفَرْد الأكمَل.

وإذا كان بعضُ الناس إختَلقَ سَبَباً لِمَجيء زينب الكُبرىٰ إلى الشام ووَفاتها فيها، فماذا يَخْتلِقون لِمَجيئها إلى مِصْر؟! وما الّذي اتىٰ بها إليها؟

لكنّ بعضَ المؤلّفين مِن غيرنا رايتُ له كتاباً مَطبوعاً بمِصْر ـغابَ عنّي الآن إسمُه ـ ذكرَ لذلك توجيهاً «بانّه يَجوزُ انْ تكون نُقلتْ إلى مصر بوَجْهٍ خَفي علىٰ الناس». مع انّ زينب التي هي بمصر هي زينب بنت يحيىٰ حَسَنيّة أو حُسَينيّة كما ياتي، وحالُ زينب التي براوية حالُها.

رابعاً: لم يَذكرْ مؤرّخ انّ عبدالله بن جعفر كان له قُرىٰ ومَزارع خارجَ الشام حتّىٰ ياتي إليها ويَقوم بامْرها، وإنّما كان يَفِدُ علىٰ معاوية فيُجيزُه، فلا يَطولُ أمْرُ تلك الجوائز في يَده حتّىٰ يُنفِقَها بما عُرِف عنه مِن الجُود المُفْرط. فمِن اينَ جاءَتْه هذه القُرىٰ والمَزارع؟ وفي ايّ كتابٍ ذُكرتْ مِن كُتُب

التواريخ؟!

خامساً: إنْ كان عبدالله بن جعفر له قرىٰ ومَزارع خارجَ الشام ـكما صَورّتْه المُخيّلةـ فما الذي يَدعوه للإتيان بزوجته زينب معه؟! وهي التي أُتيَ بها إلى الشام أسيرةً بزَيّ السَبايا وبصورة فظيعة، وأُدخلتْ علىٰ يزيد مع ابن أخيها زين العابدين وباقي اهل بيتها بهَياةٍ مُشْجِية؟!

فهلْ مِن المُتصوّر أن تَرغَب في دخول الشام ورؤيتها مرّةً ثانية وقد جَرىٰ عليها بالشام ماجَرىٰ؟!

وإنْ كان الداعي للإتيان بها معه هو المجاعة بالحجاز.. فكان يُمكنه أن يَحمل غَلاّت مَزارعه ـالموهومةـ إلى الحجاز أو يَبيعها بالشام ويأتي بثمنها إلى الحجاز مايُقوّتها به، فجاء بها إلى الشام لإحْراز قُوتها، فهو ممّا لا يَقبله عاقل، فابنُ جعفر لم يكن مُعدَماً إلى هذا الحَدّ، مع انّه يَتكلّف مِن نَفَقة إحضارها وإحضار أهله أكثر مِن نفقة قُوتها، فما كان لِيُحضرها وَحْدَها إلى الشام ويَترك باقي عياله بالحِجاز جِياعاً!!

سادساً: لم يُتَحقّق انّ صاحبة القبر الّذي في راوية تُسمّىٰ زينب لو لم يُتحقّق عدمُه، فَضْلاً عن ان تكون زينب الكبرىٰ، وإنّما هي مشهورة بأمّ كلثوم». [1] إنتهىٰ كلامُه.

---

(١) اعيان الشيعة، للسيّد محسن الامين، ج٧ ص ١٤٠.

دراسة القول الثالث:

نُذكّرُ أنّه كانَ القول الثالث: هو أنّ مَرقَد السيّدة زينب الكُبرىٰ (عليها السلام) في مِصْر.

وقد كانَ هذا القولُ ـ ولا يَزالُ ـ إحدىٰ الإحتمالات لِمَكان المَرقَد الشَريف، ولَهُ أدلّته والأفراد القائلُون به.

لكنّ بَعْدَ إكتِشاف وانتشار كتاب «أخبار الزَينبات» ـ لِلعُبيدلي ـ صارَ هذا القول أقوىٰ الإحتمالات الثلاثة لِمكان قبْر السيّدة زينب الكُبرىٰ، لِقوّة الأُسُس المَبْنيّة عليها هذا القول، وإليك بعضَ التوضيح لِهذا الكلام:

لقد ذكرَ العُبيدلي أخباراً وتصريحاتٍ كثيرة ومُهمّة حولَ رِحْلَة السيّدة زينب (عليها السلام) إلى مِصْر، وذلك في كتابه «أخبار الزينبات».

لكنْ بَقيَ هذا الكتاب ـ طيلةَ هذه القُرون ـ في زَوايا الخُمول والنِسيان، وفي أروقة المكْتَبات في رُفُوف الكُتُب المَخْطوطة الّتي يُظلّلُ عليها غُبارُ الجَهْل والإهْمال.

وقد أمَرَ بطبْعه بصورة مُستقلّة ـ ولأول مرّة ـ المَرحوم آية اللّه السيّد شهاب الدين المَرعشي النَجفي (رحمه اللّه) في مدينة قم عام ١٤٠١هـ، مع تعليقات مُفيدة جداً. فقال ـ في مُقدّمتِه علىٰ هذا الكتاب ـ ماخُلاصتُه:

مَن هو العُبيدلي؟

وما هو كتاب «أخبار الزينبات»؟

الجواب: هو العلاّمة الجليل، الشريف الطاهر، المُحَدّث المُفَسِّر، النَسّابة، الثِقَة الأمين، أبوالحسين: يحيىٰ العُبيدلي المَدَني، العقيقي الأعرجي، بن الحسن بن جعفر الحُجّة بن عبيدالله الأعرج، ابن الحسين الأصغر، ابن الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام).

وُلدَ العُبيدلي سنة ٢١٤هـ في المَدينة المنوّرة، وتوفّي سنة ٢٧٧ في مكّة المكرّمة. وهو يُعتَبَرُ مِن عُلمائنا بالمدينة المُنوّرة، وساداتها الشُرفاء الكُرَماء في القَرن الثالث الهجري.

وقد رَوىٰ عنْه النجاشي المُتوفّىٰ سنة ٤٥٠هـ، والحافظ أحمدُبن محمّدبن سعيد ابن عُقدة الهمداني، المتوفّىٰ عام ٣٣٣، والشيخُ المفيد، والشيخُ الصدوق في كتابه: «مَن لايحضره الفقيه»، والشيخُ الطوسي، وابنُ شهرآشوب، والعلاّمةُ الحِلّي في «تذكرة الفُقهاء» وغيرهم مِن عُلَماء الرِجال.

كتاب أخبار الزَينَبات

يُعتَبَرُ كتاب «أخبار الزينبات» مِن أهمّ كتُب التَراجم والرجال، ومِن الوَثائق القَويّة، واقدَم المَصادر في هذا

الشأن، وقد اشتَمَلَ علىٰ فَوائد لمْ توجَد في غيره.

وإليك بعضَ المعلومات حولَ النُسخة المَخْطوطة لهذا الكتاب:

وُجدَ هذا الكتاب في مدينة حَلَب، قد كُتبَ بتاريخ سنة ٦٧٦هـ بِخَط الحاج محمّد بلتاجي الطائفي، المُجاور للحَرَم النَبَوي الشريف، والكتابُ مَنْقول عن أصلٍ مُؤرّخٍ بتاريخ سنة ٤٨٣هـ، وبخَط السيّد محمّد الحسيني الواسطي الأصل.

مُقتَطفات مِن (اخبار الزَينَبات)

ونحن نَذكُرُ بعضَ المُقتَطفات مِن هذا الكتاب الثَمين، وهي تُشَكّلُ الأدلَّة علىٰ قُوَّة القول الثالث:

«زينبُ الكُبرىٰ بنتُ علي بن أبي طالب، أُمّها: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وُلدتْ في حياة جَدّها، وخَرجَتْ إلى عبداللّه بن جعفر، فولَدتْ له أولاداً، ذكرْناهم في كتاب النَسَب». [1]

«حدّثنا زهران بن مالك، قال سمعتُ عبداللّه بن عبدالرحمن العتبي يقول: حدّثني موسىٰ بن سلمة، عن الفضل بن سهل، عن علي بن موسىٰ، قال:

(١) كتاب «اخبار الزينبات» ص١١١، طبع ايران عام ١٤٠١هـ.

أخبرني قاسم بن عبدالرزّاق، وعلي بن أحمد الباهلي، قالا: أخبرنا مُصعَب بن عبداللّه قال:

كانتْ زينبُ بنتُ علي ـ وهي بالمَدينة ـ تُؤلّبُ الناسَ علىٰ القيام بأخذِ ثارِ الحسين.[1]

فلمّا قام عبدُاللّه بن الزبير بمكّة، وحَمَلَ الناسَ علىٰ الأخذ بثار الحسين، وخَلع يزيد، بَلَغَ ذلك أهلَ المَدينة، فخَطبتْ فيهم زينبُ، وصارتْ تُؤلّبهُم علىٰ القيام للأخذ بالثار، فبَلَغَ ذلك عمروَ بن سعيد، فكتَبَ إلى يزيد يُعْلِمُهُ بالخَبَر.

فكتَبَ [يزيد] إليه: «أنْ فَرّقْ بينَها وبينَهم» فأمَرَ أن يُناديٰ عليها بالخروج مِن المدينة والإقامة حيث تَشاء.

فقالتْ: «قد عَلِمَ اللّهُ ما صارَ إلينا، قُتِلَ خيرُنا، وانسَقْنا كما تُساقُ الأنعام، وحُمِلْنا علىٰ الأقتاب، فواللّه لا خرَجْنا وإنْ أهريقَتْ دِماؤنا».

فقالَتْ لَها زينبُ بنت عقيل: «يا ابنَة عَمّاه! قد صَدَقَنا اللّهُ وَعْدَه وأورثَنا الأرضَ نَتَبوّأُ منها حيثُ نَشاء.

فطِيبي نَفْساً وقَرّي عَيناً، وسَيَجْزي اللّه الظالمين.

أتُريدينَ بَعْدَ هذا هَوانا ؟!

إرحَلي إلى بَلَد آمِن»

---

(١) تُؤلّبُ: تُحَرِّضُ. المُعْجَم الوَسيط.

ثمّ اجتَمعَ عليها نِساءُ بَني هاشم، وتَلَطّفْنَ معَها في الكلام، وواسَينَها.[١]

وبالإسناد المذكور، مَرفوعاً إلى عُبيدالله بن أبي رافع[٢]، قال: سمعتُ محمّداً أباالقاسم بن علي يقول:

«لمّا قَدِمَتْ زينبُ بنت علي مِن الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان، ثارتْ فِتْنَةٌ بينَها وبينَ عمروبن سعيد الأشدَق (والي المدينة مِن قِبَل يزيد).

فكتَبَ إلى يزيد يُشيرُ عليه بنَقْلها مِن المَدينة، فكتَبَ له بذلك، فجَهّزَها: هيَ ومَن أرادَ السَفر مَعَها مِن نِساء بَني هاشم إلى مِصْر، فقَدِمتْها لأيّام بَقيتْ مِن رجَب».[٣]

حَدّثني أبي، عن أبيه، عن جَدّي، عن محمّدبن عبدالله، عن جعفربن محمّد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن، قال: «لمّا خَرجَتْ عَمّتي زينب مِن المدينة خَرجَ مَعَها مِن نِساء بَني هاشم: فاطمة إبنة عمّي الحسين، وأُختها

(١) أخبار الزينبات ص ١١٥ ـ ١١٧.

(٢) مَرْفوعاً: السَنَد المَرْفوع: هي الرواية التي لم تُذكرْ فيه اسماء الوسائط ـ مِن الرُواة ـ أو اسماء بعضهم.

(٣) أخبار الزَينَبات ص ١١٨.

سكينة»[1].

ورُوِيَ بالسَنَد المَرْفوع إلى رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهري، قالتْ:

«كنتُ فيمَنْ استَقبَلَ زينبَ بنتَ علي لَمّا قَدِمَتْ مصر. بَعْدَ المُصيبة، فَتَقدّم إليها مُسلمة بن مُخلّد، وعبداللّه بن الحارث، وأبو عميرة المزني، فعَزّاها مُسلمة وبَكىٰ، فَبَكتْ وبكىٰ الحاضِرون وقالت: «هذا ما وَعَدَ الرَحْمنُ وصَدَقَ المُرسَلون».

ثمّ احتَمَلَها إلى داره بالحَمْراء، فأقامتْ به أحَدَ عشَرَ شهراً، وخمسة عشر يوماً، وتُوفّيَتْ، وشَهِدْتُ جنازتَها، وصلّىٰ عليها مُسلمة بنُ مُخلّد في جَمْعٍ [مِن الناس] بـ[المَسْجِد] الجامع، ورَجَعوا بها فدَفَنُوها بالحمراء، بِمَخْدَعها مِن الدار بوصيّتها»[2].

حدّثَني إسماعيل بن محمّد البصري ـ عابِدُ مصر ونَزيلُها ـ قال: حدّثَني حمزة المَكفوف قال: أخبرَني الشريف أبو عبداللّه

(١) نَفْس المصدر ص ١١٩.

(٢) المخدَع ـ بضَمّ الميم وفتحه ـ: البيتُ الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير. كما في مجمع البحرين للطريحي. والمَقصود: الحُجْرة الصغيرة التي لَها بابٌ في الحُجرة الكبيرة. وكان هذا مُتعارفاً في هندسة البناء في الزمن القديم. وكان يُعبّر عنها بـ«الخزانة».

القرشي قال: سمعتُ هند بنت أبي رافع بن عبيدالله بن رقيّة بنت عقبة بن نافع الفهري تَقول:

«تُوفّيتْ زينبُ بنتُ علي عَشيّةَ يوم الأحد، لِخَمسة عشَر يوماً مَضَتْ مِن رَجَب، سنة ٦٢ مِن الهجرة، وشَهِدْتُ جنازتَها، ودُفنتْ بِمَخْدَعِها بدار مُسلمة المُسْتَجِدّة بالحَمْراء القصوىٰ[١]، حيثُ بَساتين عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف الزهري.»[٢]

مُناقَشات حَول القول الثالث

أقول: لقد قَرأتَ أنّ العُبيدلي ذكرَ هجرتَها إلى مصر، وأنّ مسلمة بن مُخلّد استقبَلَها... إلى آخر كلامه.

وتَرىٰ بعضَ المؤلّفين يُضعّف سَفرَها إلى مِصْر، ويَسْتَدلّ لِكلامه «أنّ مسلمة بن مُخلّد كان مِن أصحاب معاوية، ومِن المُنحرفين عن الإمام علي أميرالمؤمنين (عليه السلام) فكيف يَستَقبلُ السيّدة زينب ويُنزلُها في داره»؟

(١) الحمراء القصوىٰ: منطقة كانت بين القاهرة ومدينة الفسطاط، في الزمَن القديم، وكانت تُعرف ايضاً بـ«قناطر السباع». كما يُستفاد مِن المقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار» ج٢ ص ٢٠٢.

(٢) اخبار الزَينَبات ص ١٢١ ـ ١٢٢.

ونَحنُ نَقول: إنَّ هذا الكلام لا يُضعّفُ القولَ الثالث، لأنَّ مُجرَّدَ إستقبال الوالي ـ وهو مُسْلمة بن مُخلّد ـ لِشخصيّةٍ في مُستَوىٰ السيّدة زينب الكُبرىٰ. ليسَ بأمْرٍ عجيب!

مَعَ الإنتِباه إلى انَّه: أوّلاً:

إنّ مُسْلمة كانَ والياً مِن قِبَل بَني أُميّة، وكان اللازمُ عليه أنْ يَستَقْبلَ السيّدة زينب (عليها السلام) تَنْفيذاً مِنْه لِلْمُخَطّط الأموي الّذي أمَرَ بإبعاد السيّدة زينب مِن المدينة المُنوَّرة.

ولَعلَّ يزيد هو الّذي أمَرَ مُسلمة باسْتِقبال السيّدة زينب، وإسْكانِها في قَصْره، لِكي تكونَ تَحرّكاتِها تحتَ مُراقبَتِه وإشرافِه المُباشِر.

يُضاف علىٰ هذا، انّنا نَقول:

أما كان النعمان بن بَشير والياً علىٰ الكوفة مِن قِبَل معاوية ثمّ مِن قِبَل يزيدبن معاوية، ومع كلّ ذلك فإنّنا نَقرأ ـ في التاريخ ـ انّه لمّا أراد يزيد إرجاعَ عائلة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى المدينة أمَرَ النعمان بن بَشير انْ يُهيّيء لَهنّ وسائلَ السَفر؟

وأن يُرافِقهنّ مِن الشام إلى المدينة، مُراعياً الإحترام والتادّب؟

فهل مِنَ المَعقول انّ النعمان بن بشير ـ مَعَ سوابقه ـ يُرافقُ

عائلةَ الامام الحسين مِن الشام إلى كربلاء، ثمّ إلى المدينة المنوّرة مَعَ مُراعاة التادّب والإحترام اللائق بِهِن؟!

فإذا كانَ ذلك مُمْكناً، فلا مانع مِن أن يَستقبل مسلمة بن مُخلّد السيّدةَ زينب (عليها السلام) ويُنزلها في داره.

ثانياً: إنّ مُسْلمة كان يَعلَمُ تَعاطُفَ أهل مِصْر مَعَ أهل البيت النَبَوي، وكان يَسمَعُ بإستِعْداد الناس رجالاً ونِساءاً لإستِقْبال السيّدة زينب (عليها السلام)، فهو لا يَتَمَكّن مِنْ أن لا يَخْرج لإستقبال هذه السيّدة العظيمة، الّتي يَعْلَم مَدىٰ مَحَبّة وتَعاطف المِصْريّين لِوالدها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وخاصّةً وانّه يَسمَع بِخُروج الجُمُوع الغَفيرة مِن مُختَلَف طبَقات الشَعْب لإستِقبالِها.. إستِقبالاً مَقروناً بالبُكاء والدُموع وهِياج مَشاعِر الحُزْن لِما جَرىٰ علىٰ آل الرسول الطاهرين في فاجعة كربلاء الدامية.

الفَصل الواحِد والعِشْرون

❐ بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر

بعضُ ما قيلَ فيها مِن الشِعْر

هناك اسبابٌ وعَواملُ مُتعدّدة كان لها الدَورُ الكبير في إثارة مَشاعِر وعَواطف الشُعراء، وتَفَتُّح قَرائحهم، لكي يَنْظموا القصائد الرائعة في مَدْح ورثاء السيّدة زينب (عليها السلام).

فمِن جملة تلك الأسباب:

١ ـ الشُعورُ بالمَسؤوليّة تِجاه نُصْرة آل الرسول الكريم.

٢ ـ إزدحامُ الفَضائل، وتَجَمُّع مُوجِبات العظمة والجَلالة في شخصيَّة السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام).

٣ ـ الشعور الإنساني بالإنْدِفاع لِنُصْرة المَظْلوم.

إنّ هذه الأسباب ـ وغيرها ـ جَعَلتْ الشُعَراء يَحُومون حولَ هذه الشخصيّة العظيمة، لِكي تَجُولَ افكارُهم علىٰ مَسْرَح الخِيال والتَصَوُّر، تَمهيداً للوَصْف ولِصياغَة المَعاني في

قَوالب الكلمات، وصَبْغها بِطابع الشِعْر والأدَب.

إنّ العَواصِف والأعاصيرَ العاتية الّتي عَصَفتْ بحياة السيّدة زينب (عليها السلام) حَفَّزَتْ في الشُعَراء شُعُورَ القيام بنُصْرة المظلوم، ليَقوموا بواجِبهم الإنساني والإسلامي تجاهَ ثاني أعظم سيّدة مِن سيّدات نساء التاريخ، وليُلَبّوا نداء ضمائرهِم في نُصرة أخيها سيّد المظلومين الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ هؤلاء الشُعراء الشُرَفاء سَجّلوا أسماءَهم في قائمة الّذين نَصَروا أهلَ البيت النَبَوي، ونالَوا شَرفَ خِدْمة آل الرسول الطاهرين، فمَدَحُوا مَن مَدحَهم الله تعالىٰ في قُرآنه المَجيد، ورَثَوا مَن بكتْ عليه الأرضُ والسماء، والملائكةُ والأنبياء، وحيتانُ البِحار وطيورُ الفَضاء!

وإليك بعضَ ما قيلَ مِن الشِعْر في السيّدة زينب الكبرىٰ عليها السلام:

قصيدة في ذكرىٰ ميلاد السيدة زينب الكبرىٰ (سلام اللّه عليها) للشاعر الأديب السيّد محمد رضا القزويني[1]:

وُلدتِ كما يُشْرقُ الكوكبُ	فأُمٌّ تُباهي و يَزْهو أبُ
عليٌّ و فاطمةٌ انْجَباكِ	عَيناً مِن الخَير لا يَنضَبُ
وجاءآ بكِ جَدَّكِ المُصطفىٰ	لِيَختارَ لاسْمِكِ ما يُعْجِبُ

(١) السيّد محمد رضا بن العالم الجليل المجاهد السيّد محمد صادق القزويني، ابن عمّ مؤلّف هذا الكتاب. شاعرٌ لامع، واديبٌ بارع، يَجري في دَمه حُبّ اهل البيت الطاهرين (عليهم السلام).

وُلد في تاريخ ٢٠/٨/١٩٤٠م، بَدأ نَظْمَ الشِعر مع بِداية مَرحلَة المراهَقة، يَتميّز شِعره بمُميّزات منها: قوّة المعنىٰ ورَوْعة الإبداع، وجمال الإبتكار، ونكْهة الإخلاص.

له ديوان شعر مَخطوط، جمَعَ فيه ما نَظمَه حول النبي الكريم وآله المعصومين (سلام اللّه عليهم اجمعين).

وقد نَظَم هذه القصيدة في سوريا بمناسبة ذكرىٰ ميلاد السيّدة زينب الكبرىٰ (عليها السلام) عام ١٤١١ هـ الموافق لسنة ١٩٩٠م.

فقال: ولَسْتُ ـ كما تَعْلَما ... نِ ـ اسْبقُ ربّي بما يَنسِبُ
وهذا أخي جَبرئيلُ أتىٰ ... بأمْرٍ مِن اللّه يُستَعذَبُ
يَقولُ إلهُكَ رَبُّ الجَلال: ... تَقبَّلْتُها واسْمُها زينبُ
وكفّلْتُها باخيها الحسين ... و يوم يَعُزّ بِه المَشْرِبُ
لِتَحْمِلَ أعباءَهُ كاللُيوث ... فيَسْري باطفاله المَرْكَبُ
أسارىٰ إلى الشام مِن كربلا ... ءَ و سَوطٌ علىٰ ظَهْرهم يَلْهَبُ

* * * *

اقائدةَ الركْب يا زينبُ ... تَغَنّىٰ بكِ الشَرْقُ و المغربُ
خَطبْتِ فَدَوّىٰ بسَمْع الزَما ... ن صوتٌ إلى الآنَ يُسْترهَبُ
اخافَ الطُغاةَ علىٰ عَرْشهم ... فَظَنّوا عليّاً بَدا يَخطبُ
واسقَطتِ قبلَ فَناهُ يزيد[1] ... و ضاقَ علىٰ رأيه المَذهبُ
و ولّتْ أُميَّةُ مَدْحُورةً ... و ما ظَلّ ذِكْرٌ لهُمْ طَيّبُ
و أنتِ الّتي كُنتِ مَأسورةً ... وما لكِ في الشام مَن يُنسَبُ
لكِ اليومَ هذا النَدىٰ و الجَلا ... ل مِثالاً لأهلِ النُهىٰ يُضرَبُ
و قبْرٌ يَطوفُ به اللائذو ... نَ رَمْزاً و ما عنده يُطلَبُ
مَناراً يَشِعُّ بأفقِ السماء ... فيُعْلِنُها : هذه زينبُ

(١) فَناه: اي قبلَ فَنائه وهَلاكه.

وللسيّد محمّد رضا القزويني قصيدة أُخرىٰ يقول فيها:

تَتَراءىٰ له الأُسارىٰ فتَبْدُو
زينبٌ امسَكتْ بطفلٍ يَتيمِ

وهي تَرعىٰ الرؤوسَ فوقَ رماحٍ
طابَ منها النَجوىٰ لأُختٍ رَؤومِ[1]

حَمَلَتْها مِن كربلاء و قالتْ:
يا سَماءُ اهتَدي بهذي النجومِ

إنّها مِن مُحمّدٍ و عليّ
قَدّمَتْها البَتولُ في تكريمِ

و سِياطُ الأعداء لم تَمنَعِ الأُختَ
وداعَ الحسين بينَ الجُسُومِ

هُرعَتْ والخِيام مُشتَعلاتٌ
تَتَحَرّىٰ الأطفالَ بين الرَميمِ

رَفَعتْ رأسَها إلى اللّه تَشْكو
فأتاها الجَوابُ عَبْرَ النَسيمِ

جَدُّكم اسَّسَ القَواعدَ للبَيتِ
و إسماعيلُ ذبحُ الحُلُومِ

---

(١) رَؤوم: مُشتَقّ مِن المَحبّة والعَطْف، قال الفيروز آبادي ـ في القاموس ـ: رَئمت الناقةُ وَلَدَها: عطَفتْ عليه، فهي رائمة ورؤوم.

وانتَهَتْ فيكمُ النُبوّةُ و البيتُ
و ما في السِتار و المَعْلُومِ
ورأىٰ اللّهُ في الحسينِ عظيماً
فافتَدىٰ دينَه بِذِبْحٍ عَظيمِ

وللشاعر الحُسيني اللامع، المرحوم الحاج محمّد علي آل كمّونة (رضوان اللّه عليه)[١] قصيدة نَقتَطِفُ منها الأبيات التالية:

لم أنسَ زينبَ بعْدَ الخِدْر حاسِرةً
تُبْدي النياحةَ ألْحاناً فألْحانا
مَسْجُورةَ القلْب إلّا أنَّ أعينَها
كالمُعصراتِ تَصُبُّ الدَمْعَ عِقْيانا[٢]

(١) الحاج محمّد علي آل كَمّونة الأسدي الكربلائي، شاعرٌ بَليغ، وأديب فَصيح، كان مِن الشعراء المتألّقين في عَصْره، والأُدباء اللامعين بين اقرانه وزُملائه، إستعمَلَ قريحتَه الشِعريّة ـ بنسبة كبيرة ـ في خِدمة النبي وآله الطاهرين، وله قصائد كثيرة في رثاء سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، مِن مميّزات شِعره: طابع الشِجاوة، ونكْهة الإخلاص، وسلاسة التعبير.

عند التأمّل في ديوان شعره نَجد انّ اشعاره تَهزّ المشاعِر والعواطف مِن الأعماق، وتَنقل ذهنَ القارىء إلى أجواء الحرب والقتال.

ولِلمُميّزات المُتوفّرة في شِعره ـ ونَخصّ منها: كونه شَجيّاً ـ تَهافَتَ خُطباء المنبر الحُسيني علىٰ قراءة اشعاره في بداية ونهاية مجالسهم ومُحاضراتهم الحسينيّة.

له ديوان مطبوع، جُمعَ فيه بعض اشعاره.

ولد سنة ١٢٠٢هـ، وتوفّي سنة ١٢٨٢هـ، ودُفنَ في حَرَم الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) عِقياناً. العِقْيان: الذَهَب الخالص. شَبَّه الشاعرُ قَطَرات دُموعِهِنّ الصافية الغالية بِحَبّات الذَهَب الخالص مِن الشَوائب.

تَـدْعـو أبـاهـا أميرَ المـؤمـنـيـنَ ألا
يا والدي حَـكَـمَـتْ فيـنا رَعـايانـا[١]
وغابَ عنّـا الـمُحامي والكفيلُ فمَنْ
يَحمـي حِمانا ومَـن يُـؤوي يَـتامـانا
إنْ عَسْعَسَ الليلُ وارىٰ بَـذْلَ أوجُـهنا
وإنْ تَـنـفّسَ وَجْـهُ الصُبح أبْـدانا
نَدعـوا فلا أحَـدٌ يَـصْـبُـو لِدَعْـوتِنا[٢]
وإنْ شكَـوْنا فـلا يُـصْـغىٰ لِشَـكْـوانا
قُـمْ يـا عليُّ فـمـا هـذا الـقُـعـودُ ومـا
عَـهْدي تَـغُـضّ علىٰ الأقـذاء أجـفـانا
عَـجّـلْ لـعلّـكَ مِن أسْـرٍ أضَـرَّ بِـنا
تَـفُـكّـنـا أو تَـولّـىٰ دَفنَ قَـتْـلانـا
وتَـنْـثَـنـي تارةً تَـدعـو عَـشـيـرتَـهـا
مِن شَـيْـبة الـحَـمْـدِ أشْياخاً وشُـبّانا[٣]

---

(١) رَعايانا. رَعـايـا ـ جَـمْع رَعيّـة ـ: عـامّـة الناس الذين عليهم راع وحـاكم، يُدبّـر أمورَهم ويَرعىٰ مَصالحهم.

(٢) يَصْبو: يَميل ويَحِنُّ. وفي نسخة: «نَدعوا فلا احَدٌ يَـرنُـو لِدَعْـوتـنا».

(٣) شَيْبَة الحَمْد: هو عبدالمطّلب بن هاشم، جَدُّ رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم.

قُوموا غِضاباً مِن الأجْداثِ وانْتَدِبوا
واستَنقِذوا مِن يَد البَلْوىٰ بَقايانا[١]

وله قصيدة أخرىٰ يَقول فيها:

ولَئن نَسِيتُ فلَستُ أنسىٰ زينباً ودَوامَ مِحْنَتها وطولَ عَنائها
حَمَلتْ مِن الأرزاء ما أعيا الورىٰ حَمْلَ اليسير النَزْر مِن أعبائها
عن كَرْبها و بَلائها سَلْ كربلا سَلْ كربلا عن كربها وبَلائها
طَوراً علىٰ القتلىٰ تَنوحُ و تارةً تَحْنو مُحافِظةً علىٰ أبنائها
و تَطوفُ حولَ حِمىً أبادَ حُماتَه صَرْفُ الردىٰ وأباحَ هَتْكَ نسائها
مَن مُبْلغٌ عنّي سَرايا هاشمٍ خَبَراً يَدُكّ الشَمّ من بَطْحائها
سُبِيَتْ، وأعظمُ ما شَجاني غَيرةً ـ يا غَيرةَ الإسلام ـ سَلْبُ رِدائها
و وقوفُها في مَجلسٍ جُلاّسُه اهوىٰ بها الشيطان في أهوائها[٢]

(١) المصدر: ديوان ابن كمّونة، طبع قم ـ ايران، عام ١٤١١هـ ص٩٥. ورياض المدح والرثاء، للشيخ حسين البحراني، طبع ايران، عام ١٤٢٠هـ ص ٦٤٨.

(٢) ديوان ابن كمونة، ص٣.

وله (رضوان اللّه عليه) شِعرٌ آخَر يُخاطبُ فيه الإمامَ الحسين (عليه السلام) بقوله:

وأمسَيتَ رَهْنَ الحادثات وأصبَحتْ
نِساؤك بَعْدَ الصَوْن بينَ الأجانب

حَيارىٰ يُردِّدْنَ النُواح سَواغِباً
عُطاشىٰ فلهفي للعُطاشىٰ النَوادب

ومِن بينها مَأوىٰ البَليّات ربّة الرزيـ
ـات حَلْفُ الحُزن أمُّ المصائبِ

فَريسةُ أفواه الحَوادثِ زينبٌ
ومَنهَبُ أنياب الرَدىٰ والمَخالبِ

تُنادي وقد حَفَّ العَدوُّ برَحْلها
وتَهْتِفُ لكنْ لم تَجدْ مِن مُجاوبِ

فمَن مُبْلغٌ عنّي الرسولَ وحيدراً
وفاطمةَ الزهراء بنتَ الأطائبِ

بأنّا سُبينا، والحسينُ عمادُنا
غَدا مَوطِئاً للعادياتِ الشَوازِب(١)

---

(١) الشَوازب ـ جَمْع شازِب ـ: الخَيل الغَضْبان، الذي يُسْرع في ركْضه للغارَة والهجوم. كما يُستفاد مِن كتاب «العَين» للخليل بن احمد.

ويُسْرىٰ بنا نَحوَ الشآم فلا سَقَتْ
مَعاهدَ أرضِ الشام جونُ السحائب
ونُهْدىٰ إلى الطاغي يزيد نتيجة الـ
ـدَعيّ ابن سفيان لَئيم المَناسِب
ويَنكُتُ ظُلْماً بالقضيب مَراشِفاً
تَرشَّفَها المُختارُ بين المُصاحِبِ[1]

وله قصيدة أُخرىٰ يَصفُ ـ فيها ـ مُصيبةَ الهجوم علىٰ مُخيّمات الامام الحسين (عليه السلام) ومنها قولُه:

حُماةٌ حَمَوا خِدْراً أبىٰ اللّه هَتْكهُ
فعَظّمَه شأناً وشَرّفَه قَدْرا
فأصبَحَ نَهْباً للمَغاوير بعْدَهم
ومنه بناتُ المصطفىٰ أبرزتْ حَسْرىٰ
يُقنّعُها بالسَوط «شمرٌ» فإنْ شكَتْ
يؤنّبها «زَجْرٌ» و يوسِعُها زَجْرا
نَوائحُ إلّا انّهُنّ ثَواكلٌ
عَواطشُ إلّا انّ أعينَها عَبْرىٰ

(١) ديوان ابن كمّونة، ص ١٢ ـ ١٣.

يَصونُ بيُمْناها الحَيا ماءَ وَجْهها
ويَستُرها إنْ أعوزَ السِتْر باليُسْرىٰ
وقُلْ لِسَرايا شَيْبة الحَمْد ما لَكم
قَعَدتُم و قد ساروا بِنسْوتكم أسْرىٰ
وأعظمُ ما يُشْجي الغَيورَ دخولُها
إلى مَجلسٍ ما بارَحَ اللَهوَ والخَمْرا
يُقارِعُها فيه يزيدُ مَسَبّةً
ويَصرفُ عنها وَجْهَه مُعْرِضاً كِبْرا
ويَقرَعُ ثَغْرَ السبط شُلَّتْ يَمينُه
فأعظِمْ به قَرْعاً وأعظِمْ به ثَغْراً
أينكُتُ ثَغراً طَيَّبَ الدَهرُ ذِكْرَه
وما بارَحَ التسبيحَ والحمْدَ والشُكرا[1]

---

(١) ديوان ابن كمّونة، ص ٥٨ ـ ٦٠.

وللعالم الجليل الشيخ جعفر النَقْدي [١] قصيدة نَختار منها هذه الأبيات

يا دهرُ كُفَّ سِهامَ خَطبك عن حَشىً
لم يَبقَ فيها مَوضعٌ للأسْهُم

في كلِّ يومٍ للنَوائب صارمٌ
يَسْطو علىٰ قلبي و يَقطر مِن دمي

و أبيتُ و الأرزاء تَنْهشُ مُهجَتي
نَهْشاً يَهونُ لديه نَهشُ الأرقم [٢]

---

(١) الشيخ جعفر بن الحاج محمد بن عبدالله التقي الربعي، المعروف بـ«النقدي»، : عالم خبير مُتبحّر، واديب واسع الإطّلاع، له مؤلّفات كثيرة تَشهَد له بغَزارة العِلْم والأدَب، وُلِد في مدينة العمارة بالعراق سنة ١٣٠٣هـ، هاجر إلى مدينة النجف الأشرف، ودَرسَ فيها حتّىٰ بَلَغ مرتبة عالية مِن العِلم والثقافة.

شَغَل مَنصِبَ القضاء في مسقط راسه (العمارة) حوالي عشر سنوات.

امّا شِعره: فهو مِن الطَبَقة الممتازة، واكثر شِعره في مَدْح أهل البيت (عليهم السلام).

توفّي (رضوان اللّه عليه) بتاريخ ٩/ محرّم / ١٣٧٠هـ، إقتطفْنا ترجمة حياته مِن كتاب (أدَب الطف) للخطيب السيّد جواد شُبّر، ج١٠ ص٨.

(٢) الأرقَم: اخبَثُ انواع الحَيّات، واطلَبُها للناس، او: ما في لونه سَواد وبَياض، او: ذكرُ الحَيّات.. والأنثىٰ رَقْشاء. كما في كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي.

أوَ كان ذَنبي أنّني مُتمَسّكٌ
بالعُروة الوثقىٰ التي لم تُفْصَمِ
آلِ النبيّ المُصطفىٰ مَن مَدْحُهُم
ورْدي وفيهِمْ لايَزالُ تَرنّمي
وإلى العقيلة زينب الكُبرىٰ ابنة الـ
ـكرّار حيدَر بالولاية انتَمي
هي ربّة القَدْر الرفيع رَبيبة الـ
ـخِدْر المنيع و عِصْمةُ المستَعصِم
مَن في أبيها اللّه شَرّفَ بيتَه
وبجَدّها شَرَفُ الحطيمِ و زَمزَمِ
مَن بيتُ نشْأتها به نَشَأ الهُدىٰ
وبه الهداية للصراط الأقوم
ضُربَتْ مَضاربُ عِزّها فوق السُها
وسَمَتْ فضائلُها سُموَّ المرزمِ[1]
فَضْلٌ كشمسِ الأُفق ضاءَ فلو يَشا
أعداؤها كتْمانَه لم يُكْتَمِ
كانتْ مَهابتُها مَهابةَ جَدّها
خيرِ البَريّة و الرسولِ الأعظمِ

---

(١) المِرْزَم: السَحاب الذي لا يَنقَطع رَعْده. كما في «لسان العرب».

كانتْ بلاغتُها بلاغةُ حيدر الـ
ـكرّار إنْ تَخْطبْ و إنْ تتكلّمِ

قد شابَهَتْ خيرَ النساء بهَدْيها
و وقارِها و تُقىً و حُسْنِ تكرُّمِ

و مُقيمَةَ الأسحار في مِحْرابها
تَدعو و في الليلِ البَهيمِ المُظْلمِ

شَهِدَتْ لها سُوَرُ الكتاب بأنّها
مِنْ خَير أنصار الكتاب المُحْكمِ

زَهِدَتْ بدُنياها و طيب نَعيمِها
طَلَباً لِمَرضاتِ الكريم المُنْعِم

وتَجرَّعتْ رَنَقَ الحياة و كابَدَتْ[1]
مِن دَهرها عَيْشاً مَريرَ المَطعَمِ

فأثابَها رَبُّ السماء كرامةً
فيها سِوىٰ امثالُها لم يُكرمِ

فلَها ـ كما للشافعين ـ شفاعةٌ
يومَ الجَزاء بها نَجاةُ المُجْرمِ

بَلغتْ مِن المَجْد المُوثَّل مَوضعاً
ما كانَ حتّىٰ للبتُولة مَريمِ

(١) رَنَقَ الحياة: كدَرَ الحياة، يُقال: رَنَقَ عَيشُه: اي كَدِرَ.

كلاّ و لا للطُهْر حَوّا او لآ
سيةٍ و ليسَ لأختِ موسىٰ كلثَمِ
هذي النساءُ الفُضْلَيات و في العُلا
كلٌ أقامتْ في مَقامٍ قَيّمِ
فاقَتْ به كلَّ النساء، و رَبُّها
في الخُلْد اكرَمَها عظيمَ المَغْنَمِ
لكنّ زينبَ في عُلاها قد سَمَتْ
شَرَفاً تاخّرَ عنه كلُّ مُقَدّمِ
في عِلْمِها و جَمالها و كمالها
والفَضْلِ و النَسَبِ الرَفيعِ الأفخَمِ
مَن ارضَعَتْها فاطمٌ دَرّ العُلىٰ
مِن ثَديها فَعَنِ العُلىٰ لم تُفْطَمِ
عن أمّها أخذَتْ علومَ المُصطفىٰ
وعلومَ والدها الوَصيّ الأكرم
حتّىٰ بِها بَلغَتْ مَقاماً فيه لَمْ
تَحْتَجْ لِتَعْليمٍ و لا لِمُعلّمِ
شَهِدَ الإمامُ لها بذاك و انّها
بَعْدَ الإمام لَها مَقامُ الأعلمِ
و لَها بِيَومِ الغاضريّة مَوقفٌ
أنسىٰ الزمان ثَباتَ كلّ غَشَمْشَمِ

حَملَتْ خُطوباً لو تَحمَّلَ بعضَها
لانهارَ كاهِلُ يذبلٍ و يَلَمْلَمِ
و راتْ مُصاباً لو يُلاقي شَجْوَها
العَذبُ الفرات كساهُ طعْمَ العَلْقمِ
في الرُزء شاركتِ الحسينَ و بعْدَه
بَقِيَتْ تُكافحُ كلَّ خَطْبٍ مُؤلمِ
كانتْ لِنِسْوته الثَواكل سَلوةً
عُظمىٰ و للأيتام أرفَقَ قَيِّمِ
و مُصابُها في الأسْر جَدّد كلّما
كانتْ تُقاسِيه بعَشْر مُحرّمِ
و دخولُ كوفانٍ أبادَ فؤادَها
لكنْ دخول الشام جاءَ بأشأمِ
لمْ أنسَ خُطبتَها الّتي قَلَمُ القَضا
في اللَوح مِثْلَ بَيانها لم يُرقمِ
نَزلتْ بها كالنار شَبَّ ضَرامُها
في السامِعين، مِن الفؤاد المُضْرَمِ
جاءَتْ بها عَلَويّةً وقَعَتْ علىٰ
قلب ابن مَيسونٍ كوَقْعِ المِخْذَمِ

أوداجُه انتَفَختْ بها فكأنّما
فيها السيوف أصبنَه في الغلصمِ[1]

* * * *

أشقيقةَ السِبطين دونك مِدْحةً
قِسٌّ الفَصاحة مِثْلَها لم يَنْظمِ
تَمتازُ بالحقّ الصَريح لو أنّها
قِيسَتْ بشِعْر البُحْتري و مسلمِ
يَسلُو المُحِبُّ بها و تَطعنُ في حَشا
أعداء أهلِ البيت طعنَ اللهْذمِ[2]
بيَمينِ إخلاصي إليكِ رَفعْتُها
أرجو خَلاصي مِن عَذاب جَهنّمِ
وعليكِ صلّىٰ اللّهُ ما رُفعَتْ له
أيدي مُحِلٍّ بالدُعاء و مُحْرِمِ

(١) الغَلْصَم: راس الحُلْقوم. كما في «لسان العرب»

(٢) اللَهْذم: سَيفٌ لَهْذم: أي حادّ، وقيل: كلّ شيء قاطع.. مِن سَيف أو سنان. «لسان العرب»

رَغمَ كَثْرة ما قيلَ مِن الشِعْر في مَدْح ورِثاء آل رسول اللّه الطاهرين. . فإنَّ قصائد السيّد حيدر الحلّي لازالَتْ متالِّقة ومتفوِّقة في سَماء الشِعر والأدَب، فقوّة التعبير، وجمالُ الوَصْف ومُميّزات أُخرىٰ تَجْعلُ الإنسانَ حائراً أمامَ هذا المُستوىٰ الرفيع مِن الشعر، والبيان الساحِر، والصِياغة الرائعة الفَريدة!

ولا عَجَبَ مِن ذلك، فقد كَتَبوا عن هذا الشاعر العظيم أنّه ـ رغم مَواهبه وثِقَته بنَفْسه وشِعره ـ كان يُجري علىٰ بعض قصائده لَمَسات فاحِصة، يَقوم خِلالَها بالتغيير والتعديل والتجميل، ويَستمرّ علىٰ هذا المنوال مُدَّة سنة كاملة، ولذلك جاءَ التعبيرُ عن بعض قصائده بـ«الحَوليّات»!![1]

أمّا شِعره عن السيّدة زينب الكُبرىٰ:

فالجَدير بالذِكْر انّي قرأتُ (ديوان السيّد حيدر الحلّي) ولم أجِدْ فيه التصريح باسم السيّدة زينب (عليها السلام) رغمَ أنّه يَتحدّث عنها وعن مَصائبها الأليمة في كثير مِن قصائده الحُسينيّة الرائعة!

فكأنَّ التَهيُّب والحَياء ورِعاية الأدَب في السيّد، وجَلالة

---

(١) السيّد حيدر بن السيّد سليمان الحلّي، وُلدَ في مدينة الحِلّة بالعراق سنة ١٢٤٦هـ، وتوفّي سنة ١٣٠٤، كان عالماً جليلاً، وشاعراً مُجيداً، وكان سيّد الأدباء في عصْره.

وعظمة مقامِ السيّدة زينب، وَضَعَتْ أمامَه حُدوداً آلىٰ علىٰ نفسه أنْ لايَتخَطّاها، ومنها التصريح باسم السيّدة زينب عند ذِكْر مَصائبها، إذْ مِن الصعْب عليه ـ وهو الإبنُ البارُّ لأهل البيت الطاهرين الغَيور عليهم ـ أنْ يُصرّح بتفاصيل المأساة، فشخصيّة السيّدة زينب عظيمة فوقَ كلّ مايُتصوَّر، والمصائب الّتي انصَبّتْ عليها هي في شِدَّة الفظاعة، فهو لايَذكر اسمَها بلْ يُشير ويُلمِّح، ويَرىٰ أنّ التلْميح خَيرٌ مِن التصريح، «والكناية أبلَغ مِن التَصْريح»، ولعلَّ الرعْشة كانت تَستولي علىٰ فِكْره وقريحته وقلَمه، فتَمنَعه مِن التصريح، وانهمارُ الدموع لم يكن يَسمَح له أن يُبصِر ما يَكتُب! فاكتفىٰ أن يَحُومَ حولَ الحِمىٰ والحُدود فقط.

ففي إحدىٰ قصائده الخالدة يَقول:

خُذي يا قلوبَ الطالبيّين قُرْحَةً
تَزولُ الليالي و هي داميةُ القِرْفِ[1]

فإنَّ التي لَم تَبْرَح الخِدْر أُبْرِزَتْ
عَشِيّةَ لا كهْفٌ فتأوي إلى كَهْفِ

---

(١) القِرْف ـ بكَسْر القاف، وقيلَ: بفَتْح القاف ـ: القِشْر، يُقال: تَقَرّفَت القُرحَة: اي تَقشّرتْ بعد يُبْسها. دامية القِرْف: اي دائمة التَقشّر بسبب عدم بُرئها، واستمرار نَضْح الدم والقَيْح منها.

لـقـدْ رَفـعَتْ عنها يَـدُ القومِ سَـجْفَـها
وكـانَ صَـفيـحُ الهِـند حاشيةَ السَجْف[1]

وقد كـانَ مِـن فَـرْطِ الـخَـفارَة صوتُـها
يُـغَـضُّ فـغُـضَّ اليوم مِن شِـدَّة الضَـعفِ

وهاتِـفـةٍ ناحَـتْ علىٰ فَـقْـدِ إلْـفِـهـا
كـمـا هَـتَفتْ بـالـدَوْح فـاقِـدةُ الإلْـف

لقـد فَـزِعتْ مِـن هَـجْمَـة القـوم ولَّهـاً
إلى ابن أبيـها وهو فـوقَ الثَرىٰ مُـغْـفي

فـنـادتْ عليه حِـينَ الْـفَـتْـهُ عـارياً
علىٰ جسمه تَـسْفي صَبا الريح ماتَـسْفي

حَـملْتُ الـرزايا ـ قـبْـلَ يومكَ ـ كلَّهـا
فـما أنقَضَتْ ظَهْري ولا اوهَـنَتْ كَـتْفي[2]

---

(١) الصَـفـيـح: الـسَـيـفُ العَـريـض، وقـيـل: الصَـفـيـح الـجَـنْـب. الهِـنْـد: الـسَـيـف. السَجْـف ـ بفَـتـح السين وكسْرها ـ: السِـتْـر الـمُرخىٰ، وقـيلَ: هو السِـتْـر الـمُـؤلَّـف مِن قماشين مَـقْـرونَـين، او قـمـاش وبِـطـانـة للـقـمـاش.

(٢) ديوان السيِّـد حيدر الحلّي، طبع لـبـنـان، عام ١٤٠٤هـ، ج١ ص٩٦.

ويقول (رحمة اللّه تعالىٰ عليه) ـ في قصيدة أُخرىٰ، يَصِفُ فيها ساعةَ الهُجوم علىٰ مُخيّمات الامام الحسين (عليه السلام) بَعْدَ مقتل الامام ـ:

وحائراتٍ أطارَ القومُ أعينَها
رُعْباً غَداةَ عليها خِدرَها هَجَموا

كانتْ بحيثُ عليها قومُها ضَربتْ
سُرادقاً أرضُه مِن عِزّهِمْ حَرَمُ

يَكادُ مِن هَيبَةٍ أنْ لا يَطوفَ به
حتّىٰ المَلائك لولا أنّهم خَدَمُ

فَغُودِرَتْ بين أيدي القوم حاسِرةً
تُسْبىٰ وليسَ تَرىٰ مَن فيه تَعتَصِمُ

نَعمْ لَوَتْ جِيدَها بالعَتْبِ هاتِفةً
بقَومِها و حَشاها مِلْؤُهُ ضَرَمُ

عَجّتْ بِهم مُذْ علىٰ أبرادِها اختَلَفتْ
أيدي العَدوّ، ولكنْ مَن لَها بِهِمُ[1]

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّي، ج١ ص ١٠٥.

وله قصيدة أخرىٰ يقول فيها:

و أمَضُّ ما جُرِعَتْ مِن الغُصَص التي
قَدَحتْ بجانحة الهُدىٰ ايراءَها

هَتْكُ الطُغاة علىٰ بَنات محمّدٍ
حُجبَ النبوّةِ خِدْرَها و خِباءَها

فتَنازعَتْ أحشاءَها حَرْقُ الجَوىٰ
و تَجاذَبتْ أيدي العدوِّ رِداءَها

عَجَباً لِحِلْم اللّه، و هي بعَينه
بَرزتْ تُطيلُ عَويلَها وبكاءَها[1]

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّي، ج١ ص٥٤.

إنّ الإنسان المُنصِف إذا وقَفَ موقفَ الحِياد، ونَظرَ نَظرةً فاحِصة إلى مَلَف رجالات الشيعة، وتَتبَّع أحوالَهم في ايّ مجالٍ مِن مَجالات العلوم والفنون، يَجد أمامَه الكفاءات العَظيمة، والقابليّات الفَريدة الّتي تُناطحُ السَحاب عُلوّاً وسُموّاً، في كلّ مجالٍ مِن المجالات، وفي مُختلف العُلوم والفُنون.

اجَل . .

إنّ الكفاءات عند المسلمين الشيعة كثيرة جداً وجدّاً وجداً، ولكن ينْقصها شيئان :

١ ـ التشجيع الكافي مِن القيادات الشيعيّة العُليا!!

٢ ـ الحُريّات الكافية والمناخ المناسب، الذي يُساعد علىٰ نموّ الطاقات، وبُروز المَواهِب، وظهور القابليّات، وتَبَلْور العَبقريّات.

بعد هذا التمهيد . . أقول :

لا نَجدُ في تاريخ العَرب والإسلام شاعراً نظَمَ مَلْحمة شِعريّة والتَزَم فيها بقافية واحدة، وكان طويلَ النَفَس إلى اقصىٰ حَدّ . . سوىٰ العلاّمة الأديب الشيخ عبد المنعم الفرطوسي (رحمة اللّه تعالىٰ عليه) فإنّ مَلْحمتَه الشِعريّة ـ رغمَ بساطتها وسلاسة التعبير فيها ـ فَريدة . . ولا مَثيلَ لها في التاريخ، حيث إنّ ابياتها تُناهِزُ الخمسين

الف بيتاً [١]!!

وقد اختَرنا مِن مَلْحمتِه الفَريدة بعضَ الأبيات حول سيّدتنا زينب الكُبرىٰ (سلام اللّه عليها):

هي أزكىٰ صِديقةٍ قد تَربّتْ
بين حِجْر الصدّيقة الزهراءِ
وتَغَذّتْ مِن فَيض عِلْم عليّ
وعلومِ النبيِّ خَيرَ غذاءِ
وارتَوَتْ بالمَعين نَهْلاً و علاً
مِن علوم السبطين خيرَ أرْتواء
وتَبنّتْ نهْجَ البلاغة نَهجَاً
وهو فَيضٌ مِن سيّد البُلغاء

---

(١) هو الشيخ عبد المُنعم بن الشيخ حسين الفَرطوسي.

شاعرٌ مُجيد، واديب شهير، خَدَمَ آل رسول اللّه (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) بقَريحته الشِعرية المُميّزة. وُلدَ في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٣٥هـ. كان مِن ابرز صِفاته: التواضع ونُكران الذات.. رغم عِلْمه الوافِر ومَواهبه الكثيرة.

فارق الحياة سنة ١٤٠٤هـ رضوان اللّه عليه.

وهي كانتْ تُفْضي بعَهْدِ عليّ
بعُلوم الأحكام بينَ النِساء
و رآها الوَصيُّ تُروي ظِماءً
مِن علوم القرآن خَيرَ رواء
قال: هذي الحُروف رَمزٌ خَفيّ
لمُصابِ الحسين في كربلاء
وبعَهْدِ السَجّاد للناس تُفتي
بَدَلاً عنْه وهو رَهْنُ البَلاء
وعليٌّ السجّاد أثنىٰ عليها
وعليٌ مِن أفضل الأُمَناء
كان يَروي (الثَبْتُ ابنُ عباس) عنها
وهو حَبْرٌ مِن أفضلِ العُلَماء
حيثُ كانتْ في الفِقْه مَرْجعَ صِدْقٍ
لِرُواة الحديث و الفُقهاء

* * * *

هي قُدسٌ به العَفافُ تَزكّىٰ
وهي أزكىٰ قُدْساً مِن العَذراء

هيَ قلْبُ الحسين صَبراً وباساً
عند دَفْع الخُطوب والأرزاء

وهي أختُ الحسين عَيناً وقلْباً
ويَداً في تَحَمُّلِ الأعباء

شاركَتْهُ بِنهضة الحقّ بِدْءاً
وختاماً وفي عظيم البَلاء

وجِهادُ الحسينِ أصبَحَ حَيّاً
بجِهاد الحَوراء للأعداء

وعظيمُ الإيمانِ مِنْها تَجلّىٰ
حينَ قالتْ والسبطُ رَهْنَ العَراء:

رَبّ هذا قُربانُنا لك يُهْدىٰ
فَتَقَبَّلْ مِنّا عظيمَ الفِداء

وعِباداتُها و ناهيك فيها
و هي أسمىٰ عِبادةٍ و دُعاء

حِينَ تأتي بورِدْها مِن جُلوسٍ
و هي نضوٌ مِن شِدّة الإعياء[1]

(١) كتاب «مَلْحَمة أهل البيت» للشيخ الفرطوسي، ج٣ ص ٣٧٢ و٣٧٣.

وللشاعر البارع العلاّمة الجليل السيّد رضا الموسوي الهِنْدي[1] هذه القصيدة الشَهيرة:

إنْ كانَ عندكَ عَبْرة تُجْريها	فانزِلْ بأرض الطفّ كي نَسقيها
فعسىٰ نَبُلّ بها مَضاجعَ صَفْوةٍ	ما بُلّت الأكبادُ مِن جاريها
ولقد مَررتُ علىٰ مَنازل عِصْمةٍ	ثِقْلُ النبوّة كان ألقيَ فيها
فبكيتُ حتّىٰ خِلْتُها ستُجيبُني	ببُكائها حُزْناً علىٰ اهليها
وذكرتُ إذْ وَقَفَتْ عقيلةُ حيدرٍ	مَذْهولة تُصغي لِصوتِ اخيها
بأبي التي وَرِثَتْ مَصائبَ أُمّها	فغَدتْ تُقابلُها بصَبْر أبيها
لم تَلْهُ عن جَمْع العِيال وحِفْظِهِم	بفِراقِ إخوتها و فَقْدِ بَنيها

---

(١) هو السيّد رضا بن السيّد محمّد بن السيّد هاشم المُوسَوي المَعروف بالهِندي، لِهِجْرة احد آبائه إلى الهِنْد.

وُلِدَ عام ١٢٩٠هـ في مدينة النجف الأشرف.

درسَ علومَ العَربيّة وعِلْمَ الفِقْه والكلام والمَنْطِق حتّىٰ بَلَغَ درجةً عالِيَة، فكانَ عالماً جَليلاً، وشاعِراً قديراً، واديباً مُتَفَوّقاً. وله مؤلّفات مخطوطة.

مِن اشهَر اشْعاره: «القَصيدة الكَوْثَريّة» الّتي اشتُهِرَتْ شُهْرةً عالَميَّة.

فارقَ الحياة سنة ١٣٦٢هـ في مدينة النجف الأشرف، وشُيّعَ جُثمانه تَشْييعاً عَظيماً، رَحمة اللّه تعالىٰ عليه.

لم أنسَ إذ هَتكوا حِماها فانثَنَتْ ... تَشْكو لَواعِجَها إلى حاميها[١]

تَدعو فتَحترقُ القلوبُ كأنَّها ... يَرمي حَشاها جَمْرهُ مِن فيها

هذي نساؤكَ مَن يكونُ إذا سَرَتْ ... في الأسْرِ سائقَها ومَن حادِيها

أيسوقُها «زَجْرٌ» بضَرْب مُتُونها ... و«الشمرُ» يَحْدُوها بسَبِّ أبيها

عَجَباً لها بالأمس انتَ تَصُونُها ... واليومَ آلُ أُمَيَّةٍ تُبْديها

وسَرَوا برأسِكَ في القَنا وقلوبُها ... تَسْمو إليه، ووَجْدُها يُضْنيها

إنْ أخَّروه شَجاهُ رؤيةُ حالها ... او قَدَّمُوه فَحالُه يُشْجيها[٢]

---

(١) لواعجَها. لواعج ـ جَمْع لَعْج ـ: آلامَها واحزانَها. قال ابنُ دريد ـ في كتابه: جَمْهَرة اللغة ـ: «اللَعْج: ما وجدَه الإنسان في قلبه مِن الَم او حُزْن». وقال إبن مَنظور ـ في كتابه: لسان العرب ـ: «لَعَجَه الضَرْبُ: آلَمَه واحرَقَ جِلْده، واللَعْج: الَم الضَرْب وكلّ مُحْرِق».

(٢) المصدر: ديوان السيّد رضا الموسوي الهِندي، الطبعة الأولىٰ، بيروت ـ لبنان، عام ١٤٠٩هـ، ص٤٧.

وللسيّد رضا الموسوي الهندي قصيدة رائعة أخرىٰ، في رِثاء الإمام الحسين عليه السلام، وفيها يَصِفُ حالَ السيّدة زينب حينما حَضرتْ عند جَسَد أخيها العزيز، وإليك هذه الأبيات المُختارَة:

حَرَّ قلْبي لِزَيْنَبٍ إذْ رَأتْهُ
تَرِبَ الجسمِ مُثْخَناً بالجُراحِ

أخْرَسَ الخَطْبُ نُطْقَها فَدَعتْه
بدُموعٍ بِما تُجِنُّ فِصاحِ[1]

يا مَنارَ الضُلاّلِ و الليلِ داجٍ
وظِلالَ الرَميضِ واليوم ضاحي[2]

كُنتَ لي ـ يومَ كُنت ـ كَهْفاً مَنيعاً
سَجْسَجَ الظِلِّ خافِقَ الأرواحِ[3]

---

(١) بما تُجِنّ: اي بما تُخفي، بمعنىٰ: انّ الدموع تُفْصِح وتُخْبِر عمّا تُخفيه ـ في قلبها ـ مِن الهُموم والأحزان. ويَقرا البعض: بما تُكِنُّ.

(٢) الرَميض: اليوم الشديد الحَرّ، والشمس الشديدة الحرارة. واليوم ضاحي: اي: عَديم السَحاب. قال ابن زكريّا ـ في كتاب مُعجَم اللغة ـ: «الرَمْض: حَرُّ الحجارة مِنْ شِدّة حَرّ الشمس.

(٣) سَجْسَجَ الظِل: لا حَرّ فيه ولا بَرْد، بلْ هواءٌ مُعتَدِل طَيّب. المُعْجَم الوَسيط.

أتَرىٰ القومَ إذْ عليك مَرَرْنا
مَنَعُونا مِن البُكا و النِياحِ
إنْ يكُنْ هَيّناً عليكَ هَواني[١]
واغْتِرابي مع العِدىٰ وانْتِزاحي
ومَسِيري أسيرةً للأعادي
وركُوبي علىٰ النِياق الطِلاحِ[٢]
فَبِرَغمِي أنّي أراكَ مُقيماً
بين سُمْرِ القَنا و بيضِ الصِفاح
لكَ جسمٌ علىٰ الرمال، و رأسٌ
رَفَعوهُ علىٰ رؤوسِ الرِماحِ[٣]

---

(١) لعلّ الاولىٰ قراءتُه هكذا: لم يكُنْ هَيّناً عليك هَواني. رَغمَ كونِ هذا الكلام لسان الحال، وهو لُغَة عاطفيَّة.. تُسْتَعملُ حِينَ التَكلُّم عند جُثمان او قَبْر الميّت.

(٢) الطِلاح: الإبل الهَزيلة المُتْعَبة.

(٣) ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي، ص ٥٤.

وله قصيدة أخرىٰ يَقولُ فيها:

هذا ابنُ هندٍ ـ وهو شَرُّ أُميّةـ من آلِ احمَدَ يَستذِلُّ رِقابا

ويَصُونُ نِسْوتَه ويُبدي زينَباً من خِدْرِها وسكينةً و رَبابا

لَهفي عليها حين تَأسِرُها العِدىٰ ذُلّاً [1] وتُركبُها النياق صِعابا

وتُبيحُ نَهْبَ رِحالها و تُنيبُها عنْها رِحالَ النيب و الأقْتابا

سَلَبتْ مَقانعَها وما أبقَتْ لها حاشا المَهابةَ والجَلال حِجابا[2]

وهناك قصيدة أخرىٰ مَنْسوبَةٌ إلى السيّد رضا الموسوي، قد عُثِرَ علىٰ خمسة أبيات منها، فأُعجبَ بها الخطيب الجليل الشيخ محمد سعيد المنصوري، فانشَدَ ابياتاً شِعريّة علىٰ نَفْس الوَزن والقافية وأضافَها إليها، وإليك الأبيات الخمسة ثمّ الأبيات المُضافة إليها:

«سلامٌ علىٰ الحَوراء ما بَقيَ الدَهرُ

وما سَطعَتْ شمسٌ وما أشرقَ البَدرُ

سلامٌ علىٰ القلب الكبير وصَبْره

بيومٍ جَرتْ حُزْناً له الأدمعُ الحُمْرُ

---

(١) لعلّ الاولىٰ قراءتُه: ظُلْماً. بَدَلاً عن: ذُلّاً.

(٢) ديوان السيّد رضا الموسوي الهندي، ص٤٣.

جَحافِلُ جاءَتْ كربلاء بأثْرها
جَحافلُ لا يَقوىٰ علىٰ عَدّها حَصْرُ
جَرىٰ ما جَرىٰ في كربلاء وَعَينُها
تَرىٰ ما جَرىٰ ممّا يذوبُ له الصَخرُ
لقد أبصَرتْ جِسمَ الحسين مُبضّعاً
فجاءَتْ بصَبرٍ دونَ مَفْهومِه الصَبرُ»
رأتْه ونادتْ يابنَ أمّي ووالدي
لك القتلُ مكتوبٌ ولي كُتبَ الأسرُ
أخي إنّ في قلبي أسىً لا أطيقُه
وقد ضاقَ ذَرعاً عن تحمُّلِه الصَدرُ
أيدري حُسامٌ حَزّ نَحْرَك حَدّهُ
به حَزَّ مِن خير الورىٰ المصطفىٰ نَحرُ
عليَّ عزيزٌ ان اسيرَ مع العِدىٰ
وتَبقىٰ بوادي الطفّ يَصْهَرُك الحَرُّ
أخي إنْ سَرىٰ جسمي فقلْبي بكربلا
مُقيمٌ إلى ان يَنتَهي مِنّيَ العُمْرُ
أخي كلُّ رُزءٍ غيرُ رُزئكَ هَيّنٌ
وما بسِواهُ اشتدّ واعصَوصَبَ الأمرُ

أ أنعَمُ في جسمٍ سَليمٍ مِن الأذىٰ
وجسمُك منه تَنهلُ البيضُ والسُمْرُ
أخي بَعدك الأيّامُ عادتْ لياليًا
عليَّ فلا صُبحٌ هناك ولا عَصْرُ
لقد حاربَتْ عيني الرُقادَ فلمْ تَنَمْ
ولي يا أخي إنْ لم تَنَم عينِيَ العُذرُ
أخي أنتَ تَدري ما لأُختك راحةٌ
وذلك مِن يومٍ به راعَها الشِمْرُ
فلا سَلْوةٌ تُرْجىٰ لها بعدَ ما جَرىٰ
وحتّىٰ الزُلال العَذْب في فَمِها مُرُّ
أيمنَعُك القومُ الفُراتَ ووُردَهُ
وذاك إلى الزهراء مِن ربّها مَهْرُ
أخي أنتَ عن جَدّي وأُمّي وعن أبي
وعن حَسَنٍ لي سَلْوةٌ وبك اليُسْرُ
متىٰ شاهدَتْ عَيناي وَجهَك شاهَدتْ
وجوهَهُمُ الغَرّاء وانكشَفَ الضُرّ
ومُذْ غِبْتَ عنّي غابَ عنّي جميعُهم
ففَقْدُك كسرٌ ليس يُرجىٰ له جَبْرُ(١)

(١) كتاب (مِيراث المنبر) للخطيب الأديب الشيخ المنصوري، ص٢٧٤.

وللشاعر الأديب، المُوالي المُخلص الحاج هاشم الكعبي[١] قصيدة غرّاء تُعتبر مِن أقوىٰ واشهَر ما قيلَ مِن الشِعر في رِثاء سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي تتجاوز ١٣٦ بيتاً، وفيها يَصِف حالَ حفيدات الرسالة وبنات الإمامة بَعْدَ مَقتل سيّدالشهداء، وخاصّة سيّدتنا الحوراء العقيلة زينب الكُبرىٰ (عليها السلام) فيقول:

وثَواكِلٌ في النَوْحِ تُسْعِدُ مِثْلَها
أرأيتَ ذا ثُكْلٍ يكونُ سعيدا

حَنَّتْ فلم تَرَ مِثْلَهنّ نَوائحاً
إذْ ليسَ مثْلُ فَقيدهِنّ فَقيدا

عَبَراتُها تُحيي الثَرىٰ لو لَم تكُن
زَفَراتُها تَدَعُ الرياضَ هُمُودا

---

(١) الحاج هاشم بن حردان الكَعْبي، وُلدَ في «الدَورق» في ضواحي مدينة الأهواز ـ جنوب ايران ـ ثمّ هاجَرَ إلى مدينة كربلاء المقدّسة، فدَرسَ في الحوزة العِلميّة هناك، حتّىٰ صار مِن أهل العِلْم والفَضل، وبَرعَ في الشِعر والأدَب، ولَمعَ نجمُه حتّىٰ حَلَّق في عِداد ابرز الشعراء المُتالّقين.. ليسَ في عصْره فحَسْب، بل في تاريخ الشِعر والأدَب.. وفي مُختلف العصور!

توفّي سنة ١٢٣١هـ، رحمة اللّه تعالىٰ عليه.

وغَدَتْ أسيرةُ خِدْرِها ابنةُ فاطمٍ
لم تَلْقَ غيرَ أسيرها المَصفُودا
تَدعو بلَهْفَةِ ثاكلٍ لَعِبَ الأسىٰ
بفُؤاده حتّىٰ انطَوىٰ مَفْؤدا
تُخفي الشَجا جَلَداً فإنْ غَلَبَ الأسىٰ
ضَعُفتْ فابدَتْ شَجوَها المكمُودا
نادَتْ فقَطّعتِ القلوبَ بصَوتها
لكنّما انتَظمَ البَيانُ فَريدا
إنسانَ عيني يا حسين أُخَيّ يا
أمَلي وعِقْدَ جُمانيَ المَنْضودا
ما لي دعَوتُ فلا تُجيبُ ولَمْ تكُنْ
عَوَّدتَني مِن قبْلِ ذاك صُدودا
الِمِحْنةِ شَغَلَتْك عنّي امْ قِلىً
حاشاك إنّك ما بَرِحْتَ وَدودا[1]

---

(١) رياض المدح والرثاء، ص ٤٨١.

وللعالم الجليل الأديب النَبيل الشيخ علي بن الحسين الحِلّي الشفهيني[١] قصيدة رائعة نَختار منها هذه الأبيات:

وعليكِ خِزْيٌ يا أُميّةُ دائماً
يَبقىٰ، كما في النار دامَ بَقاكِ
هَلاّ صَفَحْتِ عن الحسين ورَهْطه
صَفْحَ الوَصيّ أبيه عن آباكِ
وعَفَفْتِ يومَ الطفّ عفّةَ جَدّه الـ
ـمَبعوث يومَ الفَتْح عن طُلَقاكِ
افهَلْ يَدٌ سَلَبتْ إماءَكِ مِثْلَما
سَلَبَتْ كريماتِ الحسين يَداكِ
أمْ هَل بَرَزْنَ بفَتْحِ مكّةَ حُسّراً
- كنِسائه يومَ الطفوف - نِساكِ

---

(١) هو الشيخ علي بن الحسين الحِلّي الشَفَهيني (رحمة اللّه تعالىٰ عليه).

لم يُعْرفْ - بالضبط - تاريخُ ولادته او وَفاته، إلاّ انّه يُعَدُّ مِن شُعَراء القَرْن الثامن الهِجْري، كانَ عالماً جليلاً، وشاعِراً اديباً، مَدَحَ اهلَ البيت (عليهم السلام) بِقَريحَته الشِعْريّة بنِسْبةٍ كبيرة، حتّىٰ سُجّل إسمُه في سِجِل شُعَرائهم المُتالّقين في رُتْبَة شِعْره.

بئسَ الجَزاءُ لأحمدٍ في آلِه
وبَنيه يومَ الطّفّ كان جَزاكِ

لَهفي لآلكَ يا رسولَ اللّه في
أيدي الطُغاة نَوائحاً وبَواكي

ما بينَ نادِبَةٍ و بينَ مَرْوعَةٍ
في أسْرِ كلِّ مُعانِدٍ أفّاكِ

تاللّه لا انساكِ زينبَ، والعِدىٰ
قَسْراً تُجاذِبُ عنكِ فَضْلَ رِداكِ

لم أنسَ - لا واللّه - وَجْهَكِ إذْ هَوَتْ
بالرُدْنِ ساتِرةً لَهُ يُمْناكِ[1]

حتّىٰ إذا هَمُّوا بسَلْبِك صِحْتِ باسـ
ـم أبيكِ، واستَصْرخْتِ ثَمَّ أخاكِ

تَستَصْرِخيه أسىً و عَزَّ عليه أنْ
تَستَصرِخيه ولا يُجيبُ نِداك[2]

---

(١) الرُدْن: الكُمّ.

(٢) رياض المدح والرثاء، ص ٢٢ و٢٣.

وللسيّد محمّد بن السيّد مال اللّه القَطيفي[1] قصيدة غرّاء، جاءَ فيها:

قُتِلَ الحسينُ فيا سَما ابكي دَماً
حُزْناً عليه ويا جِبالُ تَصَدّعي
مَنَعوهُ شُرْبَ الماء، لاشَربوا غداً
مِن كَفّ والدِه البَطينِ الأنزَعِ
ولِزَينبٍ نَدْبٌ لِفَقْد شَقيقِها
تَدْعوهُ يابنَ الزاكياتِ الرُكّعِ
اليومَ أصْبغُ في عَزاكَ مَلابِسي
سُوداً وأسْكُبُ هاطِلاتِ الأدْمُعِ
اليومَ شَبُّوا نارَهم في مَنْزِلي
وتَناهَبُوا ما فيه حتّىٰ بُرْقُعي
اليومَ ساقُوني بِظُلْم يا أخي
والضَربُ ألَمَني و أطفالي مَعي

---

(١) السيّد محمّد بن السيّد مال اللّه، المشهور بلقَب (ابو الفلفل) مِن اهل مدينة القطيف، هاجَرَ إلى العراق، وسَكنَ في مدينة كربلاء المقدّسة، إلى انْ وافاه الأجَل عام١٢٦١هـ. كان شاعراً حُسَينيّاً مُجيداً، رحمة اللّه عليه.

لا راحِمٌ أشكو إليه مُصيبَتي
لَمْ ألْفَ إلاّ ظالماً لَمْ يَخْشَعِ
حالَ الردىٰ بَيني وبَينَك يا اخي
لو كُنتَ في الأحياء هالَك مَوضعي
أنعِمْ جَواباً يا حسينُ أما تَرىٰ
شِمْرَ الخَنا بالسَوط ألّمَ أضلُعي
فأجابَها مِنْ فَوقِ شاهِقَةِ القَنا
قُضِيَ القَضاءُ بما جَرىٰ فاسْتَرْجِعي
و تَكفَّلِيْ حالَ اليتامىٰ وانظُري
ما كُنتُ أصنَعُ في حِماهُمْ فاصْنَعي[1]

(١) موسوعة (ادَب الطَف) للعلاّمة الخطيب المُجاهد السيّد جواد شُبّر، ج٦ ص٥٠، والأبيات الثلاثة الأخيرة غير مَذكورة في كتاب (ادَب الطف).

وللشاعر الأديب الشيخ عبدالحسين بن احمد شكر[١] (رحمة اللّه عليه) قصيدة يَستَنْهِضُ فيها الإمامَ المهدي المنتظر (عجّلَ اللّه تعالىٰ فَرَجه الشريف) ويَطلُب منه ان يُعجّل بالظهور، لكي يَطلبَ بثار جَدّه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، يقول فيها:

أتَنسىٰ ـ وهل يُنْسىٰ ـ وُقوف نسائكم
لَدىٰ ابنِ زيادٍ إذْ أماطَ حِجابَها
وَعمّتُك الحَوراء انّىٰ تَوَجَّهَتْ
رَاتْ نائباتِ الدَهرِ تَقْرعُ بابَها
فما زينبٌ ذاتُ الحِجال و مَجْلساً
به اسمَعَ الطاغي عِداها خِطابَها
لَها اللّه مِن مَسْلُوبةٍ ثَوبَ عِزّها
كَسَتْها سِياطُ المارِقين ثيابَها

(١) جاء في كتاب (ادب الطف) ما مُلَخّصه:

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ احمد بن شكر، له قصائد كثيرة في رثاء اهل البيت، وقد نالتْ اكثرُ قصائده إعجابَ خطباء المنبر الحسيني الكرام، فهُم يُزينون مَجالسَهم ومُحاضراتهم بها. لانَعلم سنة ميلاده بالضبط. فارق الحياة سنة ١٢٨٥هـ. حُكي ان (آل شكر) أسرةٌ شريفة سكنتْ مدينة النجف الأشرف، منذ زَمَن قديم، واصلُهم مِن عَرَب الحِجاز.

لمعرفة المزيد عن حياته يُراجع كتاب (ادب الطف) للسيّد جواد شُبّر ج٧ ص ١٨٧.

تُعاتِبُ آساداً فُنُوا دونَ خِدْرِها
تَخوضُ المنايا لو يَعُون خِطابَها[١]
بَني هاشمٍ هُتِّكْنَ مِنكمْ حَرائرٌ
حَمَيْتُم، ببِيض المُرهَفات قُبابَها[٢]

ولَهُ قصيدة أخرىٰ يَقول فيها:

وتَرىٰ مُخدّرةَ البَتولةِ زينباً والخَطْبُ يَصفِقُ بالأكفّ جَبينَها
مِن حولها أيتامُ آلِ مُحمّدٍ يَتفَيّؤون شِمالَها و يَمينَها
لا تَبزَغي يا شمسُ مِن أُفُقٍ حَياً مِن زينبٍ فلقد أطَلْتِ أنينَها
ذُوبي فانّكِ قد أذَبْتِ فُؤادَ مَن كانت تُظلِّلُها الأُسودُ عَرينَها
وتَقَشَّعي يا سُحْبُ مِن خَجَلٍ ولا تَسقي الظُماة مَدىٰ الزمان مَعينَها
فبَناتُ أحمدَ في الهَجير صَوادياً أودىٰ بها ظمأٌ يُشيبُ جَنينَها
حَرَمٌ لِهاشم ما هَتَفْنَ بهاشمٍ إلّا وسَوّدَت السياطُ مُتونَها[٣]

---

(١) لعلّ الأصحّ: بِخَوضِ المنايا.

(٢) رياض المدح والرثاء ص ٦٥١.

(٣) نَفس المصدر، ص ٣٣٧.

وله قصيدة أُخرىٰ يَقول فيها:

أيّها الراكِبُ المُجِدُّ إذا ما
نَفَحَتْ فيك للسُرىٰ مِرقالُ[1]

عُجْ علىٰ طيبَةٍ فَفيها قُبورٌ
مِن شَذاها طابَتْ صَبا وشِمالُ

إنّ في طيّها أسوداً إليها
تَنْتَمي البِيضُ والقَنا والنِبالُ

فإذا استَقبلَتْك تَسالُ عنّا
مِن لُؤيٍ نساؤها و الرِجالُ

فاشْرحِ الحالَ بالمَقالِ وما ظنّـ
ـي يَخفىٰ علىٰ نزار الحالُ

نادِ ما بينَهم بَني الموت هُبّوا
قد تَناهَبْنَكم حِدادٌ صِقالُ

تلك أشياخُكم علىٰ الأرض صَرعىٰ
لم يُبِلّ الشِفاهَ مِنها الزُلالُ

---

(١) المِرْقال: الإبل الّتي تُسْرعُ في السَير. المُعْجَم الوَسيط.

غَسّلَتْها دِماءُها، قَلّبَتْها
أرجُلُ الخَيل كفّنَتْها الرِمالُ
ونساءٌ عَوّدتُمُوها المَقاصيـ
ـرَ ركِبنَ النِياقَ وهي هِزالُ
هذه زينبٌ و مِن قَبْلُ كانتْ
بِفِنا دارِها تُحَطُّ الرِحالُ
والّتي لمْ تَزَل علىٰ بابِها الشا
هِقِ تُلْقي عِصِيّها السُؤّالُ
امْسَت اليومَ و اليتامىٰ عليها
يا لَقومي تَصَدّق الأنذالُ[1]

(١) رياض المدح والرثاء، ص ٣٢٤.

ولخَطيب المنبر الحُسَيني العلاّمة المُجاهد المرحوم الشيخ هادي الخَفاجي الكربلائي[1] قصيدة في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) ومنها هذه الأبيات:

خَرَّ قُطْبُ الوَغىٰ علىٰ التُرْب ظامٍ ... جسْمُه بالضُبا جَريحاً كَليما[2]

فَبَكتْه السَما هناكَ نَجيعاً ... و بها مأتمُ العَزاء أُقيما[3]

(١) هو الشيخ هادي بن الشيخ صالح بن مهدي الخفاجي. وُلدَ سنة ١٩٠٨م. اكمَلَ دراستَه في الحوزة العِلْميّة بمدينة كربلاء المقدّسة، وتتلْمَذَ ـ في الخطابة ـ علىٰ يد خطيب كربلاء الشيخ محسن ابوالحَب.

كانتْ له قُدرة عجيبة علىٰ تَهييج العَواطف وإبكاء العيون، حتّىٰ فاقَ زُملاءَه ومُعاصريه في هذه المزيّة. وكان ناجحاً ـ بنسبة عالية ـ في تَجسيد ووَصْف المَشهَد الذي يَذكره مِن لَقطات فاجعة كربلاء الدامية.

لَحِقَ بالرفيق الأعلىٰ ليلة ١٤١٢/٦/٣٠ هـ الموافق لـ ١٩٩٢/١/٤م، وْجَرىٰ لجنازته تَشييع مَهيب في مدينة كربلاء. ودُفنَ في (وادي كربلاء). تَغمَّدهُ اللّه برَحمته الواسعة.

(٢) كليما: مَجْروحاً.

(٣) هذه الجملة إشارة إلى حادِثة كونيّة وواقعة غَيبيّة! ورَدَ ذِكْرها في كلمات زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي: «وفُجِعَتْ بك أمُّك فاطمة الزهراء، واختَلَفتْ جُنودُ الملائكة المُقرّبين تُعزّي اباكَ اميرَالمؤمنين، وأُقيمَتْ لك المَآتِم في اعلىٰ عِلّيّين، تَلْطِمُ عليك فيها الحورُ العِين، وتَبكيكَ السماواتُ وسُكّانُها....».

المصدر: بحار الأنوار للشيخ المجلسي، ج٩٨ ص ٢٤١، باب ٣٥.

وبناتُ الهُدىٰ بَرزْنَ حَيارىٰ تَندبُ النَدْبَ والهُمام الكريما
وأمامَ النِساء حِلْفُ الرَزايا زينبٌ مَن غَدَتْ تُقاسي العَظيما
تَنْدبُ السِبطَ والدموعُ هَوامي ولَظىٰ الوَجْدِ في الفؤاد أقيما
حَرَّ قلبي لِقَلْبها مُذْ رَاتْه وبَنُو الشِرْك مِنْهُ حَزّوا الكريما
يا اخي مَن تَرىٰ يَذودُ الأعادي بَعدكم مَن تَرىٰ يُحامي اليَتيما[1]

وللشيخ هادي الخَفاجي الكربلائي قصيدة أخرىٰ، نَقتطف منها هذه الأبيات:

لو كان يَبقىٰ للمُحِبّ حَبيبُه
ما عادَ حَيراناً سَليلُ محمّدِ
فَقَد الأحِبّة و الحُماة بكربلا
وبَقي فَريداً لايَرىٰ مِن مُنْجِد
لم أنسَه لَمّا رأىٰ أهلَ الوَفا
صَرعىٰ علىٰ حَرّ الثَرىٰ المُتوقّدِ
قَطَعَ الرَجا منْهم و عادَ مُودّعاً
حَرَمَ المُهيمِن مِن عَقائل أحمد
فبَرزْنَ مِن حَرَم الإله بنَدْبها
ولْهىٰ بنَعْي مُوجِعٍ و تَوَجُّد

---

(١) كتاب «ذِكْرىٰ خطيب كربلاء» بقلم نُخْبة مِن أدباء كربلاء، طبْع بيروت، دار الكتاب والعِتْرة، ص١٩.

وعليه دُرْنَ صَوارخاً و نَوادبا
ولِنَعْيها قد ذابَ صُمُّ الجَلْمَدِ
وأشَدُّها حُرْقاً عَقيلةُ احمدٍ
تَدعو أخاها السبط في قلْبٍ صَدي
مَن بَعْدَ فَقْدِك يا حِمانا مَلْجا
للحائرات و لليَتامىٰ الفُقّدِ
مَن ذا تَرىٰ يَحمي حِماها إنْ غَدَتْ
مِن ضَرْب أعداها تُدافِعُ باليَد
مِن بَعْدكم قد عِيلَ صَبْري وانفَنىٰ
عُمْري لِرُزْئكُمُ و بانَ تجلّدي
أمْ كيف سُلواني و خَيلُ بَني الشِقا
تَعْلو صدوركمُ تَروحُ وتَغْتدي[1]

(١) كتاب «ذِكرىٰ خطيب كربلاء»، ص ٢٠.

ولسماحة الخطيب البارع العَلاّمة الشيخ حسين الطُرْفي[١] هذه القصيدة المُميَّزة بروح الولاء ونَكْهة الإخلاص وسَلامة العقيدة:

---

(١) هو الشيخ حسين بن المَرحوم الشيخ عبْد العالي.

عالمٌ جَليل، وخَطيب بارع، وشاعرٌ أديب.

وُلدَ في مدينة مِن مُدُن جُنوب ايران، في اليوم الثالث مِن شهر شعبان عام ١٣٥٦هـ. في السَنة العاشرة مِن عُمره هاجَرَ - بِرفْقة والده - إلى مدينة النجف الأشرف، لِيَنْهَلَ العِلْم في مدينة «باب مَدينة العِلم»: الإمام اميرالمؤمنين عليّبن ابي طالب (عليه السلام). بَقيَ في النجف اربع سَنَوات، ثمّ عادَ إلى وَطنه في جنوب ايران، ثمّ بعد مُدّة.. هاجَرَ إلى مدينة قم المقدّسة في ايران، لإكمال دراسته العُليا هناك، وبَقي فيها اربع سنوات.

بَدا نَظم الشِعْر في السابعة عشرة مِن عُمره، وافتَتَحَ قَريحَته الشِعْريّة بِقَصيدة في مَدْح رسول اللّه سيّدنا محمّد (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم).

هو اليوم.. خَطيبٌ بارز يَرقىٰ المنبر في الكويت، ويَتصدّىٰ لتاسيس وإدارة مَشاريع دِينيّة وحُسَينيّة في جُنوب ايران. مِن ابرز صِفاته: التَواضُع وسِعة المَعلومات، وإتْقان علوم اللُغة العربيّة.

نَسالُ اللّه تعالىٰ لَه مَزيدَ التوفيق، وطولَ العُمر.. مَقْروناً بالصحّة والسَلامة.

بَضْعةَ البَضْعةِ البَتولة فاطمْ
وكفىٰ تلك نِسْبةً للمَكارمْ
بك يَعْتَزُّ هاشمٌ حِينَ تُعْزَين
إليه إنْ قيلَ يا بنةَ هاشمْ
يابنةَ المُصطفىٰ الذي اختارَهُ اللّهُ
رَسولاً وللنَبيّينَ خاتِمْ
وابنةَ المُرتضىٰ عليّ و أسمىٰ
والِدٍ لابنَةٍ نَمَتْها الأعاظمْ
ثمّ يا صَنْوةَ الإمامين طوبىٰ
لكِ أُختَ العبّاسِ بَدْرِ الهَواشِمْ
إئذَني يا عَقِيلةَ الطالبيّين
لِمُستَاذنٍ علىٰ البابِ جاثِمْ
يَبتغي الإذنَ في اقتِحام رِحابٍ
مِن مَزاياكِ واضحاتِ المَعالمْ
حَرَمٌ لا يَحُومُ فيه سِوىٰ المَاذونُ
منكُم بانْ يُرىٰ في المَحارمْ
آيةُ الإذْنِ عِنْدَهُ انْ سَيُهْدىٰ
لِصَوابِ المَقال فيكِ الناظِمْ

لِيَقولَ الّذي لهُ أنتِ أهلٌ
أسعِفيه يَسْعُدْ بكِ المُتَشائمْ
شَفِّعيْ فيهِ حُبّهُ و ولاهُ
ورَجاهُ في أنْ يكون الخادِمْ

❋ ❋ ❋ ❋

خَصَّكِ اللّهُ باصطِفائك رِدْءاً
لإمامٍ على الشَريعة قائمْ
قد أقامَ السِبطُ القَوائمَ للدين
لِيَعْلُو وكُنتِ إحْدىٰ القَوائمْ
رامَكِ السبطُ للبِناء ولِلْهَدْمْ
لكِ اللّه مِن مُشيِدِ و هادِمْ
شِدْتِ ما اسَّسَ الحسينُ، وهُدَّتْ
بكِ ممّا شادَ الطُغاةُ دَعائمْ
يا لِذاكَ اللسانُ يُفرغُ عَمّا
بَينَ لِحْيَيْ ابيكِ سيفاً صارِمْ
مِقْولٌ طاحَ بالعُتاةِ فاودىٰ
بابن مَرجانةَ الكفورِ الظالِمْ

واغــتَــدىٰ في الشِـآم مِــعْــوَلَ هَــدْمٍ
فُـلَّ فـيـهِ عَـرشُ الـبَـغـيضِ الحـاكِمْ
وأحَـلْـتِ الـغُـرورَ فـيــهِ انـهــزامـاً
حِـيــنَ فـي دارهِ اَقَــمْـتِ الـمَــآتِـمْ

* * * *

لكِ قـلْبٌ مــا ضــاقَ وُسْـعَــاً بـرُزْءٍ
لـم تُــطِـقْ حَــمْــلَــهُ قلوبُ الـعَــوالِـمْ
فَــبَــكاهُ مَــن في الـسَــمــاء ومَـن في الـ
أرض حــتّىٰ لقـد بَـكـتْـهُ الـبَـهــائمْ
ولَــكَم كُــنْــتِ إذْ تُـعــانينَ ضَـعْـفــاً
مِــن لُـغُــوبٍ تُـبـدينَ اقــوىٰ العَــزائمْ
جُـدْتِ بــالـجُــهْـد كلّمــا تَستـطيـعيـ
ـنَ وبَــذْل الـقُـوىٰ لِـحِفْـظِ الـفَـواطِمْ
لكِ عَــينٌ تَـرعىٰ الـيَــتــامىٰ وتَـبـكي
للأيـامىٰ ومــا اغـتَــدَتْ عَــيـنَ نائــمْ
بَــيــنَ حِــرْصٍ علىٰ العِــيــال و جُــودٍ
بدُمــوعٍ سَـخِــيــنَــةٍ و سَــواجِــمْ

وَلَقَدْ أذهَلَ العُقُولَ وُقوفٌ
لكِ عند الحسين و الفِكْرُ هائمْ
مَعَكِ الحائراتُ قد حُمْنَ مِن حو
لكِ ذُعْراً كما تَحُومُ الحَمائمْ
فَفَزِعْتُنَّ للصَريع علىٰ الرمضاء
يَشكو الظَما عن الماء صائمْ
و شَهِدْتِ الذي جَرىٰ مِن عظيم الـ
ـخَطبِ لم يَجْرِ مثْلُه في العَظائمْ
و تَحمّلْتِ تَرْكَ شِلْوِ حسينٍ
عاريا و المَسِيرَ فوقَ السَوائمْ
و تَهَيّاتِ للتَحَمّلِ فيما
سوفَ ياتي مِن البَلاء القادمْ
ما نَسِيتِ الحسينَ للموت حتّىٰ
مِتِّ و القلْبُ فيه ما اللّهُ عالِمْ (١)

---

(١) المصدر: ديوان الشيخ حسين الطرفي، مَخطوط.

وللشاعر الأديب، الخطيب البارع، المرحوم الشيخ مُحسن أبو الحَب[١] قَصيدةٌ في رثاء سيّد الشُهَداء الإمام الحسين (عليه السلام) نَقْتَطِفُ مِنْها هذه الأبيات:

واذكُرْ ولَسْتُ أراكَ تَنْسىٰ زَينَباً
وعَساكَ تَذكُرُ قَلْبَها الحَرّانا

أحسين! سُلْواني عليَّ مُحرَّمٌ
أمْ بَعْدَ فَقْدِك اعرِفُ السُلْوانا

اخشىٰ البِعادَ وانتَ اقربُ مَن أرىٰ
حَولي واشكو الصَدَّ والهِجْرانا

هذا عَليلُكَ لا يُطيقُ تَحرُّكاً
مِمّا دَهاهُ مِن الضَنا و دَهانا

وتَهُونُ رِحْلَتُنا عليك وراسك الـ
سامي نَراهُ علىٰ القَنا ويَرانا؟!

---

(١) الشيخ مُحسن ابوالحَب: خطيبٌ بارع، وشاعِرٌ اديب، وعالم مُتَنوّع في علومه، ومُتكلّم مُتمكّن في خِطابَته. له ديوان شِعر مَخطوط، كلُّه في مَدْح ورثاء الأئمّة الطاهرين.

وُلدَ سنة ١٢٣٥هـ، في أُسرَةٍ عَربيَّة تُعرَفُ بـ «آل ابي الحَب».

فارقَ الحياةَ ليلة الإثنين ٢٠/ذي القعدة/١٣٠٥هـ، ودُفِنَ في مدينة كربلاء المقدّسة.

لِيَ إخْوَةٌ كانوا وكُنْتُ بِقُرْبِهِمْ
أحمِي النَزيلَ وأمنَعُ الجِيرانا
واليومَ اسالُ عَنْهمُ البِيضَ الّتي
صارتْ نُحُورُهمُ لَها أجفانا
واليومَ اسالُ عنْهمُ السُمْرَ الّتي
صارتْ رؤوسُهُمُ لَها تِيجانا
واليومَ اسالُ عَنْهمُ الخَيلَ الّتي
صارتْ صُدُورُهُمُ لَها مَيْدانا
ذَهَبوا كانْ لم يُخْلَقوا وكانَّني
ما كنْتُ آمِنَةً بِهِمْ أوطانا
أنا بِنْتُ مَن انا أُختُ مَن انا مَن انا
لَو انصَفَ الدَهرُ الّذي عادانا

ولسماحة الخطيب الأديب الشيخ محمّد باقر الإيرواني[١] القصيدة التالية:

يا زائراً قبرَ العقيلةِ قِفْ وقُلْ:
منّي السَلام علىٰ عَقيلةِ هاشمِ
هذا ضَريحُكِ في دمشقَ الشام قد
عَكَفَتْ عليه قلوبُ أهلِ العالَم
هذا هو الحقُّ الذي يَعلُو، ولا
يُعلىٰ عليه، بِرَغم كلّ مُخاصِم
سَلْ عن «يزيدَ» وأين أصبَحَ قبرُه
و عليه هَلْ مِن نائحٍ أو لاطِم؟؟
أخْزاهُ سُلْطانُ الهَوىٰ و أذلَّهُ
و مَشىٰ عليه الدهْرُ مِشْيَة راغمِ
أينَ الطُغاةُ الظالمون وحُكمُهم؟
لم يُذْكَروا إلاّ بلَعْنٍ دائمِ
أينَ الجُناةُ الحاقِدون ليَعلَموا
هُدِمَتْ مَعالمهُمْ بِمِعْوَل هادِمِ

---

(١) الشيخ محمّد باقر الإيرواني: خطيبٌ مُعاصِر، واديب شاعر، يَصْرفُ كثيراً مِن اوقاته في إغاثة الفُقَراء والمساكين. نَسال اللّه تعالىٰ له مَزيداً مِن التَوفيق لما يُحبُّه اللّه ويَرضاه.

و مَصيرُهم أمسىٰ مَصيراً أسوداً
بِئْسَ المصيرُ إلى العقاب الصارِمِ
يا وَيحَهُمْ خانوا النَبيَّ وآلَهُ
كم مِن جِنايات لَهُم و جَرائمِ
عَمَدوا لهَدْم الدين بُغْضاً منهُمُ
للمُصطفىٰ و لِحَيدرٍ و لِفاطمِ
كم مِن دَمٍ سَفَكوا و كم مِن حُرْمَةٍ
هَتَكوا كذي حَنَقٍ و نِقْمةِ ناقِم
و بَناتُ وَحْي اللّه تُسْبىٰ بينَهم
مِن ظالمٍ تُهْدىٰ لألعَن ظالمِ
وا لَهفَتاهُ لِزَينبٍ مَسْبِيَّةً
بين العِدىٰ تَبكي بدَمعٍ ساجِم
و تَرىٰ اليتامىٰ والمُتُون تَسَوّدَتْ
بسياطهم ألَماً و لا مِن راحمِ
فإذا بكتْ ضُربتْ، وتُشْتَمُ إنْ شَكتْ
مِن ضاربٍ تَشكو الهَوانَ و شاتِم

وللخطيب الجليل الشاعِر النَبيل الشيخ محمّد سعيد المنصوري[1] هذه الأبيات الشعريّة، وقد نَظمَها بمناسبة وفاة السيّدة زينب الكبرىٰ عليها السلام

اليَوم يَومٌ حُزنُه لا يَذهَبُ
ماتَتْ به أمُّ المَصائبِ «زينبُ»
ماتتْ ونارُ الوَجْد بينَ ضُلوعِها
ممّا جَرىٰ في الغاضِريّة تَلهَبُ
قد واصَلتْ أيّامَها بأنينها
وحَنينِها، ودُموعُها لاتَنْضَبُ
ما انفَكّ رُزءُ الطفّ ياكلُ قلْبَها
ذاك الصَبور لَدَىٰ الخَطُوب، الطيّبُ

---

(١) هو الشيخ محمّد سعيد بن الشيخ موسىٰ المَنصوري:

خَطيبٌ كبير، وشاعرٌ شَهير، ومؤلّف قَدير.

وُلدَ في مدينة النجف الاشرف سنة ١٣٥٠هـ، ونَشا فيها، واكمَلَ دراستَه الحَوْزَويَّة والخِطابيّة، ثمّ هاجَرَ منها إلى مدينة عبّادان.. جنوب ايران. له قُدْرة عَجيبة في سُرْعة وسُهولة إنشاد الشِعْر، بحيث يَتذكّرُ الإنسانُ قولَ اللّه تعالىٰ: ﴿والَنّا لَهُ الحَديد﴾!

لَهُ مُؤلّفات مُتعدِّدة تَنْفَع الخطباء بشكلٍ خاص. نَتمنّىٰ لَه مَزيداً مِن التوفيق لخدمة الدين والعقيدة.

قلبٌ تَحَمّلَ مِن صُروف زَمانه
ما منه يَذبُلُ خِيفَةً يتهيَّبُ
مِحَناً ثِقالاً قد تَحمَّل قلْبُها
مِن حادثاتٍ أمْرُها مُستَصعَبُ
رأتِ الأحِبّةَ والحسين بجَنْبهم
ثاوٍ و كلٌّ بالدِّماءِ مُخَضّبُ
فوقَ الصعيد جُسومُهمْ وعلىٰ القنا
رأتِ الرؤوس، وخَصْمها يَتقلّبُ
فَرَحاً بقَتْلِ ابنِ النبي و ذلكُمْ
مِن كلٍّ ما لاقتْهُ «زينبُ» أصعَبُ
ومَشَتْ وسائقُ ظعْنها شِمرُ الخَنا
فإذا بكتْ وَجْداً تُسَبُّ وتُضرَبُ
فقَضتْ زمانَ الأسر مِن بلَدٍ إلى
أخرىٰ تُؤنّبُ في الخُصومِ وتَخْطبُ
قد أوضَحَتْ بِخطابها عَمّا خَفىٰ
للناس مِن فَضْلٍ لَها فتَعَجَّبوا
لِمْ لا تكونُ أميرةً بِخِطابها
وأميرُ كلّ المُؤمنين لَها أبُ
بَقِيَتْ بِبَحْر الحُزن تَسبحُ والأسىٰ
بعدَ الحسين وللمَنيّة تَطلُبُ

حتّىٰ انتَهتْ منها الحياة وقلْبُها
سِفرٌ كبيرٌ بالشُجُون ومَكْتَبُ
ماتتْ وما ماتتْ عقيلةُ هاشمٍ
فَلَها الوجودُ مِن المُهيمن مُوهَبُ
فهي الّتي إنْ غُيّبتْ في لَحْدِها
فَلَها مَواقفُ شَمْسُها لا تَغرُبُ
دَعْها تُنعَّمُ في الجِنانِ لَعلّهُ
يَرتاحُ مِنْها اليوم قلْبٌ مُتْعَبُ[1]

(١) ديوان مِيراث المنبر، للشيخ المنصوري، الطبعة الأولىٰ، ص ٢٦٠.

وللشاعر الأديب الحاج عبد المجيد العسكري الكربلائي[1] هذه الأبيات الّتي تَنبُع عن قلبه المُفعَم بولاء اهل البيت (عليهم السلام):

لِزَينبٍ مَرقَدٌ يَزهو لِشيعَتها
و نورُه صاعِدٌ لِلَّوْحِ و القَلَمِ

يَزورُها مَن لَهُ عِلْمٌ بشَوْكتِها
إنّي لَها و مُواليها مِن الخَدَمِ

هي ابْنةُ المرتضىٰ والطُهْر فاطمةٍ
حَفيدةٌ لنبيّ سيّدِ الأمَمِ

في الشام بنتُ رسول اللّه حاوِيةٌ
اسمىٰ سُموٍّ و عِزّاً غيرَ مُنعَدِمِ

(١) هو الحاج عبد المَجيد بن علي اكبر العسكري.

وُلِدَ في مَدينة كربلاء المُقدَّسة، عام ١٣٤٧هـ، شاعرٌ مُعاصِر، واديبٌ مُثابِر. مِن اشهَر صِفاته: التَواضُع، ورِقّةَ قلْبه الّتي تَجعَلُه - حِينَ إستماعه إلى مَصائب اهل البيت (عليهم السلام) - تَتَسابَقُ دُموعُ عَيْنَيْه بالإنْهِمار، فَهَنيئاً لَه علىٰ هذه الصِفة.

لَه ديوانُ شِعْر مَخطوط، يُقيمُ - حاليّاً - في مدينة قم المشرَّفَة - بإيران. نَتَمَنّىٰ لَه مَزيدَ التوفيق والسَلامة مِن آفات الزمان.

إنّا نُضحّي نُفوساً و النَفيسَ لَها
وليسَ يُدركُنا شيءٌ مِن السَأم
هذي الولايةُ خَصَّ اللّهُ شيعتَها
بها، و ليسَ لهمْ في الحُبّ مِن نَدَم
إنّـا نُعادي مُعادي زَينبٍ أبَداً
وإنّه يَستَحقّ الدَوسَ بالقَدَمِ[1]

(١) ديوان الحاج عبدالمجيد العسكري، مَخطوط.

مِن مصادر هذا الكتاب

١ ـ الإحتجاج، للشيخ الطبرسي، طبْع بيروت ـ لبنان، عام ١٤٠٣هـ، مَنشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

٢ ـ أخبار الزَينبات، للسيّد يحيىٰ بن الحسن العُبيدلي، طبع قم ـ ايران، عام ١٤٠١هـ، مَنشورات مكتبة السيّد النجفي المرعَشي.

٣ ـ أدب الطف، للسيّد جواد شُبّر، طبع بيروت ـ لبنان، عام ١٤٠٩هـ، مَنشورات دار المُرتضىٰ.

٤ ـ الإرشاد، للشيخ محمّد بن النعمان المُفيد، طبْع ايران قم، مَنشورات مكتبة بصيرتي.

٥ ـ أسرار الشهادات، للفاضِل الدَربندي، طبع البحرين، سنة ١٤١٥هـ، مَنشورات شركة المصطفىٰ للخَدمات الثقافيّة.

٦ ـ الإيقاد، للسيّد محمّد علي الشاه عبْد العظيمي، طبْع قُم ايران، عام ١٤١١هـ، مَنشورات مكتبة الفيروزآبادي.

٧ ـ بحار الأنوار، للشيخ المجلسي، طبْع بيروت ـ لبنان، عام ١٤٠٣هـ، مَنشورات مؤسّسة الوفاء.

٨ ـ تذكرة الخواص، لسبط ابن الجَوزي، طبْع طهران ايران، مَنشورات مكتبة نينوىٰ الحديثة.

٩ ـ تَظلُّم الزهراء، للسيّد رضي بن نبي القزويني، طبْع بيروت ـ لبنان، عام ١٤٢٠هـ.

١٠ ـ الخَصائصُ الزَينبيّة، للسيّد نور الدين الجزائري، طبْع قم ـ ايران، سنة ١٤١٨هـ، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

١١ ـ الدُرُّ النَظيم، للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، طبْع قُم ـ ايران، عام ١٤٢٠هـ، مَنشورات مؤسّسة النشر الإسلامي.

١٢ ـ ديوان إبن كمّونة، الحاج محمّدعلي آل كمّونة الأسَدي الحائري، طبْع قم ـ ايران، عام ١٤١١هـ، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

١٣ ـ رَياحين الشريعة، للشيخ ذَبيح اللّه المَحلاّتي، طبع طهران ـ ايران، عام ١٣٧٠هـ، مَنشورات دار الكُتُب الإسلاميّة.

١٤ ـ زينب الكُبرىٰ، للشيخ جعفر النَقْدي، طبْع قُم ايران، عام ١٤٢٠هـ، مَنشورات المكتبة الحَيدريّة.

١٥ ـ الطرائف، للسيّد ابن طاووس، طبع قم ـ ايران، عام ١٤٠٠هـ، منشورات مطبعة الخَيّام.

١٦ ـ عَبَرات المصطفين، للشيخ محمّد باقر المحمودي، طبْع قم ـ ايران، عام ١٤١٧هـ، مَنشورات مَجْمَع إحياء الثقافة الإسلاميّة.

١٧ ـ عِلَل الشرائع، للشيخ الصدوق، طبْع بيروت لبنان، عام ١٤٠٨هـ، مَنشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

١٨ ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، طبْع قم ـ ايران، عام ١٤٠٨هـ، مَنشورات مكتبة بصيرتي.

١٩ ـ كامل الزيارات، لجعفر بن محمّد بن قولويه، طبْع النجف الأشرف، عام ١٣٥٦هـ، مَنشورات المكتبة المُرتَضويَّة.

٢٠ ـ المَلْهوف على قَتْلىٰ الطفوف، للسيد ابن طاووس، طبع قم ـ ايران، عام ١٤١٤هـ، مَنشورات دار الأُسوة للطباعة والنَشْر.

٢١ ـ مَناقب آل أبي طالب، لإبن شهرآشوب، طبْع قم ايران، عام ١٣٧٩هـ، مَنشورات مكتبة العلاّمة.

٢٢ ـ المُنْتَخَب للطُريحي، للشيخ فخر الدين الطُريحي النجفي، طبْع قم ـ ايران، عام ١٤١٣هـ، مَنشورات مكتبة الشَريف الرضي.

٢٣ ـ مَعالي السبطين، للشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري، طبْع قم ـ ايران، عام ١٤١٩هـ، مَنشورات مكتبة الشريف الرضي.

٢٤ ـ نَفَسُ المَهموم، للشيخ عباس القُمي، طبْع قم ايران، عام ١٤٠٥هـ، مَنشورات مكتبة بَصيرتي.

٢٥ ـ وَقائعُ الأيّام، للشيخ المُلاّ علي الخياباني، طبْع قم ايران، عام ١٣٦٢هـ، منشورات مكتبة المصطفَوي.

الفِهْرس

كُتُب مَطْبُوعَة للمؤلّف

١ ـ الإمام علي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٢ ـ فاطمة الزهراء (عليها السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٣ ـ الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٤ ـ الإمام علي الهادي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٥ ـ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٦ ـ الإمام المهدي (عليه السلام) مِن المَهْد إلى الظُهور

٧ ـ زينب الكُبْرىٰ (عليها السلام) مِن المَهْد إلى اللَحْد

٨ ـ الإسلام والتَعاليم التَربَويّة

٩ ـ فاجعة الطَف، او مَقْتَل الحسين (عليه السلام)

١٠ ـ شَرح نَهج البَلاغة ـ صَدَرتْ مِنه ثلاثة اجْزاء ـ

١١ ـ موسوعة عن حياة الإمام الصادق (عليه السلام) تبلُغُ ستّين مُجلّداً:

المُجَلّد الأوّل: الإمام الصادق (عليه السلام) في كُتُب العامّة

المُجَلّد الثاني: سِيرة الإمام وسُلُوكه، وحَياته الفَرْديّة، والعائليّة، والتَربَويّة، والإقتصاديّة، والعِلْمِيَّة.

المُجَلّد الثالث: الإمام الصادق والمَذاهب والحكومات المُعاصِرة له، وحياته السِياسيّة.

المُجَلّد الرابع: كتاب العَقْل والجَهْل. العِلْم. التوحيد. العَدْل

المُجَلّد الخامس: كتاب النبوّة والأنبياء (عليهم السلام)

المُجَلّد السادس: تاريخ الرسول الأعظم (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم)

المُجَلّد السابع والثامن: الإمامة

المُجَلّد التاسع: تاريخ الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام)

المُجَلّد العاشر: تاريخ فاطمة الزهراء والأئمّة الطاهرين (عليهم السلام)

المُجَلّد الحادي عشر: كتاب المعاد

المُجَلّد الثاني عشر: كتاب الإيمان والمؤمنين

المُجَلّد الثالث عشر: كتاب مكارم الأخلاق

المُجَلَّد الرابع عشر: كتاب الكفر ومَساوِىء الأخلاق، كيفيّة التَعامُل مَعَ الناس

المُجَلَّد الخامس عشر: كتاب العِشْرة (أي: كيفيّة التعامُل مَعَ الناس

المُجَلَّد السادس عشر: كتاب الآداب والسُنَن الإسلاميّة

المُجَلَّد السابع عشر: احاديث الإمام حولَ السماءُ وما في العالَم

المُجَلَّد الثامن عشر: كتاب الطِب

المُجَلَّد التاسع عشر: كتاب الزيارات

المُجَلَّد العشرون: كتاب الدُعاء

المُجَلَّد الواحد والعشرون: أبواب الفِقْه / كتاب الطهارة

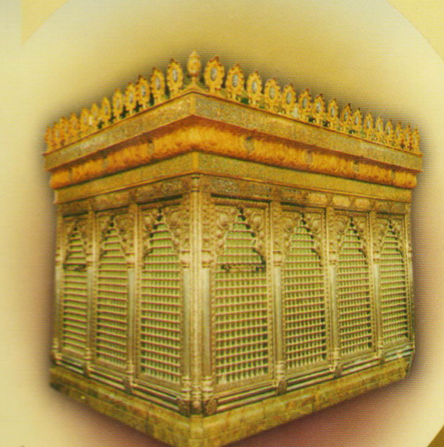
المُجَلَّد الثاني والعشرون: ابواب الفِقْه / كتاب الطهارة

المُجَلَّد الثالث والعشرون: ابواب الفِقْه / كتاب الطهارة

زينب الكبرى (ع) من المهد الى اللحد

السيد محمد كاظم القزويني

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا



يتناول هذا الكتاب:

- ولادة السيدة زينب (ع)، واستعراض لمراحل حياتها.
- السيدة زينب في عهد جدها الرسول وأمها البتول، وأبيها أمير المؤمنين
- زواج السيدة زينب وأولادها.
- السيدة زينب (ع) وفاجعة كربلاء.
- خطبة السيدة زينب (ع) في الكوفة، وماذا جرى بعد ذلك.
- مسيرة السيدة زينب (ع) الى الشام ودخولها الى مجلس يزيد، وخطبتها هناك.
- تاريخ وفاتها ومكان مرقدها الشريف.
- ما قيل في السيدة زينب (ع) من الشعر.



بيروت - لبنان - ص.ب. ١٥٥/٢٥ الغبيري
هاتف وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٢
E-mail:mortada14@hotmail.com